هاروكي موراكامي



رواية

1Q84

الكتاب الأول أبريل - يونيو


المركز الثقافي العربي

هاروكي موراكامي

1Q84

الكتاب الأول أبريل - يونيو

رواية

ترجمة: أنور الشامي



المركز الثقافي العربي

هاروكي موراكامي

1Q84

الكتاب الأول أبريل - يونيو

العنوان الأصلي للرواية :
Haruki Murakami
1Q84 (Book 1)

الكتاب
1Q84
تأليف
هاروكي موراكامي
ترجمة
أنور الشامي
الطبعة
الأولى، 2016
الترقيم الدولي :
ISBN: 978-9953-68-787-2

الناشر
المركز الثقافي العربي
الدار البيضاء ـ المغرب
ص.ب : 4006 (سيدنا)
42 الشارع الملكي (الأحباس)
هاتف : 0522 303339 ـ 0522 307651
فاكس : 305726 522 212+
Email: markaz.casablanca@gmail.com
بيروت ـ لبنان
ص.ب : 5158 ـ 113 الحمراء
شارع جاندارك ـ بناية المقدسي
هاتف : 01 750507 ـ 01 352826
فاكس : 343701 1 961+
Email: cca_casa_bey@yahoo.com

الكتاب الأول

أبريل - يونيو

الفصل الأول

أَوْمَامِه
لا تَدَعي المظاهر تخدعكِ

كان مذياعُ سيارة الأجرة مضبوطاً على بثٍّ لموسيقى كلاسيكية عبر أثير موجة أف أم. إنها مقطوعة سينفونييتا لمؤلفها ياناتشيك - لعلَّها ليست الموسيقى المُثلى التي تُسمَع داخل سيارة أجرة عالقة في زحامٍ مروري. ويبدو أن السائق الذي بلغ من العمر أوسطه لا يصغي إليها بانتباه هو الآخر؛ فقد كان يحدِّق أمامه، بشفتين مزمومتين، في طابور من السيارات يمتد بلا نهاية عبر الطريق العلوي السريع، وكأنه صياد سمك متمرِّس يقف في مقدمة قاربه وقد استبصر التقاءً مشؤوماً بين تيارين. استوت أَوْمَامِه على مقعد السيارة الخلفي الواسع، وراحت تستمع إلى المعزوفة الموسيقية وهي مُغمَضة العينين.

كم مِن الناس يستطيعون التعرف على سينفونييتا ياناتشيك بعد سماع الجمل الأولى منها فقط؟ لعل هؤلاء يتراوحون بين «القلة القليلة» و«لا أحدَ تقريباً». ولكن لسبب ما، كانت أَوْمَامِه من القلة التي تعرفها.

أَلَّف ياناتشيك سيمفونيته القصيرة في عام 1926. وكان في الأصل قد ألف الافتتاحية كمقطوعة موسيقية خفيفة من أجل مهرجان

للألعاب الرياضية. تخيلت أَوْمَامِه تشيكوسلوفاكيا في عام 1926: كانت الحرب العالمية الأولى قد وضعت أوزارها، والبلد تحرَّرت من الحكم المديد لأسرة هابسبورغ. وأصبح الناس يَنْعمون بسنوات السلام عبر زيارتهم لوسط أوروبا، ويحتسون جعة «بلسنر» في المقاهي ويُصنِّعون بنادق آلية خفيفة ذات أشكال جميلة. وقبل سنتين من ذلك، كان فرانز كافكا قد رحل عن دنيانا وسط غموض تام. وسُرعان ما سوف يبرُز هتلر بغتة، ويبتلع هذا البلد الصغير الجميل في لمح البصر، ولكن لا أحد في ذاك الوقت كان يعلم ما تُخبِّئه الأيام من مِحَن. لعل هذا هو أهم افتراض يميط التاريخ عنه اللثام: «لا أحد في ذاك الوقت كان يعلم ما هو قادم». وبينما كانت أَوْمَامِه تصغي إلى موسيقى ياناتشيك، تخيلت ريحاً طيباً تهب عبر سهول بوهيميا، وهي تتأمل تقلبات التاريخ.

في عام 1926 قضى إمبراطور اليابان تايشو نَحبه، وتغير اسم الحقبة ليصبح عهد شووا. كان ذلك إيذاناً ببدء حقبة رهيبة وحالكة في هذا البلد أيضاً. وكان الفاصل القصير الذي سادت فيه الحداثة والديمقراطية يلفظ أنفاسه الأخيرة، فاسحاً الطريق أمام الفاشية.

كان التاريخ يستهوي أَوْمَامِه بقدر ما تستهويها ممارسة الألعاب الرياضية. وبينما يندر أن تقرأ عملاً أدبياً، فإن أَوْمَامِه بوسعها الانكباب على كتب التاريخ بالساعات. وما يستهويها في التاريخ هو أنّ وقائعه ترتبط جميعها بتواريخ وأماكن بعينها. ولم تكن تواجه صعوبة كبيرة في تذكُّر التواريخ. وحتى إذا لم تكن تحفظها عن ظهر قلب، فبمجرد إدراكها لعلاقة حادثة ما بزمنها وبالوقائع السابقة واللاحقة، فإنها تتذكر تاريخ الحادثة تلقائياً. وخلال سنوات دراستها في المرحلتين الإعدادية والثانوية، دأبت على تحقيق أرفع الدرجات

في امتحانات التاريخ. وكانت تحار في أمر أولئك الذين يَشْكون من صعوبة حفظ التواريخ. كيف لشيء بالغ البساطة أن يغدو مشكلة لدى أيّ أحد؟

كان اسمها الحقيقي هو «أَوْمَامِه». وينحدر جدُّها لأبيها من بلدة أو قرية جبلية صغيرة تقع في محافظة فوكوشيما التي ربما تضم عدداً من الأشخاص ممّن يحملون هذا الاسم الذي يُكتب بالأحرف ذاتها التي يُكتب بها لفظ «بازلاء خضراء» ويُنطق بالمقاطع الصوتية الأربعة ذاتها «آه-أو-ما-مه». لكنها، لم تذهب قطّ إلى تلك البلدة. فقد قطع والدها صلته بعائلته قبل مولدها، وهو ما فعلته والدتها أيضاً مع عائلتها، ولذلك لم يُقدَّر لها أن ترى أيّاً من أجدادها. لم تكن كثيرة الأسفار، ولكنها في تلك السفرات النادرة التي تأخذها إلى مدينة أو بلدة لا تعرفها، تحرص دائماً على مطالعة دليل الهاتف في الفندق لترى إن كانت هناك مَن تحمل اسم أَوْمَامِه في المنطقة. لكنها لم تعثر قط على أي اسم، وكلما حاولت ذلك وفشلت، شعرت وكأنها تعيش وحيدة منبوذة في عرض البحر.

كان دائماً ما يزعجها أن تخبر أحداً باسمها. وما إن يغادر اسمها شفتيها، حتى تتبدى الحيرة والاضطراب على محيًّا الطرف الآخر.

«آنسة أَوْمَامِه؟».

«نعم. بالضبط مثل لفظ 'بازلاء خضراء'».

وكان أرباب العمل يُلزمونها بعمل بطاقة تعريفية، ممّا يزيد الطين بلة. فقد كان الناس يحدقون في بطاقتها وكأنما دَفعتْ إليهم بخطاب يحمل أنباءً سيئة. وحالما تعلن عن اسمها عبر الهاتف، تسمع غالباً ضحكات مكتومة. وفي غرف الانتظار لدى الطبيب أو في الإدارات

الحكومية، يرفع الناس أبصارهم لدى سماع اسمها، وقد تملَّكهم الفضول لرؤية ذلك الشخص الذي يحمل اسم «بازلاء خضراء».

بعض الناس يسمعون اسم النبات خطأ ويدعونها «إدامامه» أو «سورامامه»، وعندئذٍ تقوم بتصحيحه بلطف قائلة: «لا، لستُ فول صويا أو فولاً عادياً، وإنما بازلاء خضراء. وإن كانت جميعها نباتات متشابهة جداً. أَوْمَامِه». كم مرة خلال سنوات عمرها الثلاثين سمعت التعليقات نفسها والنكات البائخة نفسها حول اسمها؟ لو أنني لم أُولد بهذا الاسم لاختلفت حياتي تماماً. لو كنت أحمل اسماً عادياً مثل ساتو أو تاناكا أو سوزوكي، لعشت حياة أكثر راحة ولو قليلاً أو لنظرتُ إلى الناس بعينين أكثر صفحاً وغُفراناً. ربما.

بعينين مُغمَضتين، راحت أَوْمَامِه تصغي إلى الموسيقى، فاسحة المجال أمام التناغم الجميل لآلات النفخ النحاسية لينساب داخل تلافيف عقلها. وعندئذٍ تحديداً، لاح في خاطرها أنّ نقاوة الصوت جيدة جداً بما لا يتناسب مع مذياع في سيارة أجرة. فرغم الصوت المنخفض الذي ضُبط عليه المذياع، فقد جاء صوته ذو عمق حقيقي والنغمات العالية مسموعة بوضوح. فتحتْ عينيها ومالت إلى الأمام لتدقِّق النظر في الاستريو الموجود في لوحة القيادة. كان الجهاز يلمع مزهواً بلونه الأسود الفاحم. لم تستطع أن تتبين اسم العلامة، لكن كان جلياً أنه من نوعية ممتازة، إذ توجد به مفاتيح وأزرار كثيرة فيما تبرز الأرقام الخضراء لمحطاته على اللوحة السوداء. لم يكن هذا الاستريو من النوعية التي يتوقعها المرء داخل سيارات الأجرة العادية.

قلَّبت ناظريها داخل السيارة. كانت مستغرقة تماماً في أفكارها الخاصة حتى فاتها أن تلاحظ إلى الآن، أنها في سيارة أجرة غير عادية. فالنوعية الراقية للكسوة الداخلية واضحة، والمقعد كان وثيراً

للغاية. وفوق كل ذلك، أجواؤها هادئة من الداخل. أغلب الظنّ أن السيارة مزوّدة بعازل صوت إضافي يَحُول دون تسرب الضجيج إلى داخلها، كما لو أنها استديو موسيقى مزوّد بمانع للضوضاء. يبدو أن سائق السيارة هو صاحبها. كثيرون من هؤلاء السائقين الذين يملكون سياراتهم لا يبخلون فيما يخصّ الاعتناء بها. وبتحريك عينيها فقط، أخذت تبحث عن بطاقة تسجيل السائق، ولكن دون جدوى، لكن لا يبدو مع ذلك أنها سيارة غير قانونية أو دون رخصة. فهي مزودة بعدَّاد سيارة أجرة يعرض التعريفة السليمة التي بلغت 2150 ينّاً حتى الآن. مع ذلك لم تجد أثراً لبطاقة التسجيل التي تحمل اسم السائق.

قالت أَوْمَامِه، متحدثة إلى السائق من ظهره: «سيارة جميلة. بالغة الهدوء. ما نوعها؟».

أجابها السائق باقتضاب: «تويوتا كراون رويال صالون».

«والموسيقى تبدو رائعة هنا».

«إنها سيارة بالغة الهدوء من الداخل. وهذا أحد أسباب اختياري لها. إن سيارات تويوتا تتمتع بأعلى تقنيات عوازل الصوت في العالم».

أومأت أَوْمَامِه برأسها وأسندت ظهرها إلى مقعدها ثانية. ثمة شيء في طريقة كلام السائق لم يُرحها، فهو يبدو وكأنه يتغاضى عن شأن مهم ولا يتحدث عنه. فمثلاً، (وهذا مثال واحد فقط)، في تعليقه على تقنية عزل الصوت المتقنة لدى تويوتا ربما يُفهم من كلامه أن بعض المواصفات الأخرى لدى تويوتا أقل إتقاناً. وفي كل مرة يُتم جملة، كان يُتبعها ببرهة صمت ولكنها ذات دلالة. وهي برهة كانت تطفو كغيمة صغيرة وهمية داخل فضاء السيارة المحدود، مُولِّدة لدى أَوْمَامِه شعوراً غريباً ومضطرباً.

قالت أَوْمَامِه، وكأنها تبدِّد تلك الغيمة الصغيرة: «إنها سيارة هادئة بكل تأكيد. ونظام الاستريو فيها بالغ الروعة».

قال السائق وكأنه ضابط متقاعد يتحدث عن انتصار عسكري سالف: «عندما اشتريتها كان الحسم شيئاً أساسياً. فأنا أقضي هنا وقتاً طويلاً للغاية، وأرغب في أفضل نوعية صوت ممكنة. و-».

انتظرت أَوْمَامِه ما سيضيفه، لكنه لم يضف شيئاً. أغمضت عينيها مرة أخرى واستغرقت في الموسيقى. لم تكن تعلم شيئاً عن ياناتشيك كشخص، ولكنها واثقة أنه لم يتخيل قط أن أحداً ما سوف يستمع لمقطوعته في عام 1984 داخل سيارة تويوتا كراون رويال صالون يُغلفها السكون وتسير على طريق متروبوليتان إكسبرس العلوي المزدحم في طوكيو.

تساءلت أَوْمَامِه لماذا أدركت على الفور أن المقطوعة هي سينفونييتا ياناتشيك؟ وكيف تسنى أن تعرف أنها ألفت في عام 1926؟ لم تكن ذات يوم من هواة الموسيقى الكلاسيكية، وليس لديها أي مقتنيات موسيقية لياناتشيك، لكن وفور سماعها للجمل الافتتاحية، تداعت إلى ذهنها تلقائياً كل معلوماتها عن المقطوعة، كسرب من الطيور وقد انقضّ عليها من نافذة مفتوحة. منحتها الموسيقى شعوراً غريباً وموجعاً. لم يَصحبه أي ألم أو ضيق، بل إحساس بأن جوارحها جميعاً تُعتصَر. لم تكن أَوْمَامِه تدري شيئاً عما يجري. **أتكون هذه السيمفونية حقاً هي ما يثير داخلي ذلك الشعور الغريب؟**

وفيما هي شبه واعية، قالت أَوْمَامِه: «ياناتشيك» رغم أنها ودَّت بعدما غادرت الكلمة شفتيها، لو استرجعتها.

«ماذا قلتِ، يا سيدتي؟».

«ياناتشيك. الرجل الذي ألَّف هذه الموسيقى».

«لم أسمع به قطّ».

«إنه موسيقار تشيكي».

قال وقد تظاهر بالاهتمام: «عظيم».

سألته أَوْمَامِه، آمِلة أن تُغير الموضوع: «هل هذه السيارة ملكك؟».

أجاب السائق: «نعم هي ملكي». وبعد برهة صمت، أضاف: «إنها ملك خالص لي. إنها سيارتي الثانية».

«المقاعد وثيرة للغاية».

«شكراً لك يا سيدتي». ثم أدار رأسه قليلاً باتجاهها وسألها: «بالمناسبة، هل أنت مستعجِلة؟».

«يجب أن أقابل شخصاً في شيبويا. لذلك طلبت منك أن تسلك الطريق السريعة».

«ما هو موعد اجتماعك؟».

قالت أَوْمَامِه: «في الرابعة والنصف».

«حسناً، إنها الآن الثالثة وخمس وأربعين دقيقة. لن تلحقي بهذا الموعد أبداً».

«هل الزحام المروري بهذا السوء؟».

«يبدو أن حادثاً كبيراً قد وقع أمامنا. هذا الزحام ليس عادياً. نحن لم نتحرك تقريباً منذ مدة».

تساءلت لماذا لا يستمع السائق إلى تقارير الحالة المرورية. لقد شُلَّت الحركة تماماً على الطريق السريع. ينبغي أن يستمع إلى آخر الأخبار التي تبثها الإذاعة الخاصة بسائقي سيارات الأجرة.

سألت أَوْمَامِه: «أيمكنك الجزم بأنه حادث دون الاستماع إلى أي تقارير مرورية؟».

قال بصوت خفيض: «لا يمكنك الوثوق فيها. نصفها كذب. شركة الطريق السريع لا تنشر سوى التقارير التي تتماشى مع مصالحها. إن كنت تريدين حقاً معرفة ماذا يجري هنا الآن، فعليك أن تستعيني بعينيك وتقديرك».

«وهل تقديرك يخبرك بأننا سوف نَعلَق هنا؟».

قال السائق وهو يومئ برأسه: «ولمدة طويلة. أؤكد لك ذلك. عندما يبلغ الزحام هذه الدرجة، يصبح الطريق السريع جحيماً لا يُطاق. هل اجتماعك مهم؟».

فكرت أَوْمَامِه قليلاً: «نعم. مهم جداً. يجب عليّ مقابلة أحد العملاء».

«يا للأسف. أغلب الظن أنك لن تَصلين».

هزَّ السائق رأسه بضع مرات وكأنه يحاول أن يخفف تيبساً في رقبته. تحركت التجاعيد الموجودة خلف رقبته وكأنها كائن من أزمنة غابرة. وبينما كانت أَوْمَامِه ترقب هذه الحركة وهي شبه واعية، وجدت تفكيرها ينصرف إلى الأداة الحادة القابعة في حقيبتها. تعرَّق كفاها تعرقاً خفيفاً.

سألت: «ماذا عليّ أن أفعل برأيك؟».

«ليس بوسعك عمل شيء وأنت هنا على الطريق السريع - ليس قبل أن تبلغي المخرج التالي. لو كنا في شوارع المدينة في الأسفل، لاستطعت النزول من السيارة وركوب قطار الأنفاق».

«ما هو المخرج التالي؟».

«إيكيجيري، لكن ربما لن نبلغه قبل غروب الشمس».

«قبل غروب الشمس؟ تخيلت أَوْمَامِه أن تظلّ حبيسة هذه السيارة حتى مغيب الشمس. كانت مقطوعة ياناتشيك ما زالت تُعزف. برزت

الوتريات الصامتة وكأنما لتهدئة قلقها المتصاعد. خبا بدرجة كبيرة ذلك الإحساس الموجع الذي كان يعتريها. ماذا يعني ذلك؟».

كانت أَوْمَامِه قد استقلت سيارة الأجرة بالقرب من كينوتا وطلبت من السائق أن يسلك الطريق السريع العلوي من يوهجا. كانت حركة السير تتدفق بسلاسة أول الأمر، ولكنها تكدَّست فجأة قبيل بلوغ سانجينجايا، وبعد ذلك شُلَّت تقريباً. كانت مسارات المغادرين تسير بشكل حسن. وحده الجانب المتجه إلى قلب طوكيو كان مزدحماً ازدحاماً مأساوياً. ولم تكن الحركة على الطريق السريع للقادمين رقم 3 تتكدس في الظروف الطبيعية في الثالثة من بعد الظهيرة، وهو السبب الذي جعل أَوْمَامِه تطلب من السائق أن يسلكه.

قال السائق موجهاً كلامه إلى مرآة الرؤية الخلفية: «احتساب الزمن ضمن التعريفة لا يتم على الطريق السريع. لذلك، لا تقلقي بشأن الأجرة. أظن أنك بحاجة إلى اللحاق بموعدك؟».

«نعم، طبعاً. ولكن ليس بيدي شيء، أليس كذلك؟».

رمقها بنظرة سريعة عبر المرآة. كان يرتدي نظارة شمسية باهتة اللون. وبسبب سطوع الضوء داخل السيارة، لم تستطع أَوْمَامِه أن تتبين تعبير وجهه.

«حسناً، في الحقيقة، ربما توجد طريقة. باستطاعتك أن تستقلي قطار الأنفاق المتجه إلى شيبويا من هنا، ولكن سيكون عليك القيام بعمل غير مألوف قليلاً».

«عمل غير مألوف؟».

«عمل لا أنصحك صراحة به».

لم تُعقِّب أَوْمَامِه بشيء. انتظرت سماع المزيد وقد ضيَّقت حدقتيها.

سألها وهو يشير بإصبعه: «انظري هناك. هل ترين استراحة الطريق تلك التي أمامك؟ هل ترينها؟ قرب لوحة إسو».

اشرأبت أَوْمَامِه لترى من خلال الزجاج الأمامي للسيارة حتى وقعت عيناها على مكان يقع إلى يسار الطريق وحيث يمكن سحب السيارات المعطلة. لم يكن للطريق العلوي مسار طوارئ ولكن كان له استراحات طوارئ عند مسافات محددة. رأت أَوْمَامِه أن استراحة الطريق مزودة بهاتف طوارئ أصفر اللون يمكن الاتصال من خلاله بمكتب الهيئة العامة للطرق السريعة. كانت الاستراحة نفسها خالية في تلك اللحظة. وكانت توجد لوحة إعلانية كبيرة مثبتة أعلى بناية تقع وراء مسارات العودة تعلن عن بنزين «إسو» ويظهر عليها نمرٌ مبتسم ويحمل خرطوم بنزين.

«كي أكون صادقاً معك، فإن هناك دَرجاً في الاستراحة يمكنك النزول عبره إلى الشارع. إنه للسائقين الذين يضطرون لترك سياراتهم عند تعرضها لحريق أو لدى وقوع زلزال ويهبطون إلى الشارع. وعادة لا يستخدمه إلا عمال الصيانة. إذا استطعت نزول هذا الدرج، فستجدين نفسك على مقربة من أحد خطوط قطار الأنفاق في طوكيو. والمسافة إلى شيبويا من هناك لا تُذكر».

قالت أَوْمَامِه: «لم أكن أعرف أن هذه الطرق السريعة بها درج طوارئ».

«هذا ما لا يعرفه كثيرون».

«ولكن ألن يوقعني ذلك في مشكلة كوني أستخدمه دون إذن ودون طوارئ حقيقية؟».

صمت السائق هنيهة. ثم قال: «أشك. لا أعرف كل قواعد هيئة الطرق السريعة، ولكنك لن تُلحقين أذى بأحد. سوف يغضون الطرف

غالباً، ألا ترين ذلك؟ وعلى أية حال، ليس لديهم موظفون لمراقبة كل المخارج. الهيئة العامة للطرق السريعة معروفة بأن لديها عدداً هائلاً من الموظفين ولكن لا أحد منهم يؤدي عملاً حقيقياً».

«ما نوعية هذا الدَّرج؟».

«ممم.. نوع أشبه بمهرب الحريق. هل تعرفين، إنه أشبه بالدَّرج الذي يوجد في خلفية البنايات القديمة. لا يمثل خطراً شديداً أو أي شيء. ارتفاعه قد يعادل ثلاثة طوابق، وأنت ستهبطين وحسب. يوجد حاجز عند المدخل، ولكنه ليس شديد الارتفاع. يمكن لأي أحد اجتيازه بسهولة».

«هل استخدم أحد هذا الدَّرج من قبل؟».

عوضاً عن الجواب، ابتسم السائق ابتسامة خافتة في مرآته الخلفية، ابتسامة يمكن تفسيرها تفسيرات عديدة.

قال لها وهو ينقر نقراً خفيفاً على مقود السيارة على وقع الموسيقى: «هذا أمر يرجع إليك وحدك. إن كنت تودين الجلوس هنا والاستماع إلى الموسيقى في استرخاء وحسب، فلن يضيرني ذلك في شيء. ربما نُوطد أنفسنا أيضاً على أننا لسنا بصدد الذهاب إلى أي مكان الآن. ما أود قوله هو أن هناك تدابير طارئة يمكنك اتخاذها إن كان لديك عمل عاجل».

قطَّبت أَوْمَامِه وجهها ونظرت في ساعتها. ثم رفعت عينيها وراحت تُمعن النظر في السيارات من حولها. لقيت عن يمينها سيارة ميتسوبيشي سوداء اللون من طراز باجيرو تعلوها طبقة خفيفة من الغبار الأبيض. كان يجلس في مقعد الراكب الأمامي شابٌ بدت على وجهه علامات الملل وهو يدخن سيجارة وقد فتح نافذته. شعره كان طويلاً ووجهه لفحته الشمس، ويرتدي سترة واقية من المطر لونها أحمر

داكن. وبدا صندوق الأمتعة في السيارة ممتلئاً ببعض ألواح التزلج المهترئة. وأمامه كانت هناك سيارة «ساب» 900، أُعتمت نوافذها وأحكم إغلاقها حتى لم يعد يُلمح مَن بداخلها. كان جسم السيارة شديد اللمعان، وربما استطعت أن ترى وجهك فيه.

أما السيارة التي أمامها فكانت سوزوكي حمراء من طراز آلتو، ولوحة أرقامها صادرة عن بلدية نيريما وصادمها الخلفي مبعوج. كانت تجلس فيها أمٌّ شابة قابضة على مقود السيارة، فيما تقف طفلتها الصغيرة على المقعد المجاور وتميل إلى الأمام وإلى الخلف كي تبدِّد شعورها بالملل. تبدَّى ضيق الأم على وجهها وهي تنهر ابنتها كي تجلس هادئة. ظل المشهد كما كان عليه قبل عشر دقائق. خلال الدقائق العشر تلك، لم تتقدم السيارة على الأرجح سوى أقل من عشر ياردات.

قدحت أَوْمَامِه زناد تفكيرها، وأخذت ترتب أولوياتها. لم تكن تحتاج وقتاً كي تتخذ قراراً نهائياً. وكما لو أن مقطوعة ياناتشيك تواكب ذلك، فقد بدأت جمل الخاتمة لتوها.

أخرجت نظارتها الشمسية الصغيرة التي تحمل علامة «راي بان» جزئياً من حقيبتها والتقطت من حافظة نقودها أوراقاً نقدية قيمتها ثلاثة آلاف ين. وبينما كانت تُسلم النقود إلى السائق، قالت: «سأنزل هنا. لا أستطيع فعلاً التأخر عن هذا الموعد».

أومأ السائق برأسه وأخذ النقود: «هل تريدين إيصالاً؟».

«لا. واحتفظ بالباقي».

قال: «أشكركِ جزيلاً. خذي حذرك، يبدو أن الرياح قوية هناك. احذري الانزلاق».

قالت أَوْمَامِه: «سأكون حذرة».

قال السائق مواجهاً المرآة: «ورجاء تذكري أيضاً: الأشياء ليست كما تبدو عليه».

أعادت أَوْمَامِه تكرار الجملة في نفسها، **الأشياء ليست كما تبدو عليه**. ثم سألته وقد عقدت حاجبيها: «ماذا تقصد بذلك؟».

انتقى السائق كلماته بعناية: «لأنك على وشك القيام بشيء غير عادي. ألستُ محقاً؟ الناس عادة لا ينزلون عبر درج الطوارئ في الطريق السريع للعاصمة وسط النهار - ولا سيما النساء».

«أظنك محقاً».

«حسناً. وبعد أن تفعلي شيئاً من ذلك القبيل، فربما يتغير قليلاً الشكل العادي للأشياء. ربما تبدو لك الأشياء مغايرة لما كانت عليه. أنا نفسي مررتُ بتلك التجربة. ولكن لا تَدَعي المظاهر تخدعك. دائماً هناك حقيقة واحدة فقط».

انصرفت أَوْمَامِه للتفكير فيما يقوله، وخلال تفكيرها، انتهت سيمفونية ياناتشيك وانخرط الجمهور من فوره في التصفيق. كان جلياً أن العزف تسجيل لحفل حي. جاء التصفيق طويلاً ومفعماً بالحماس، بل وتُسمع من حين إلى آخر صيحات «برافو!» تخيلتْ قائد الأوركسترا وهو يبتسم وينحني مراراً للجمهور الواقف. ثم يرفع رأسه، ويرفع ذراعيه كي يصافح مساعده، ثم يدير ظهره للجمهور، ويرفع ذراعيه مرة أخرى تحية للأوركسترا، وينحني انحناءة أخرى كاملة. وبينما كانت تستمع إلى نوبة طويلة من التصفيق المسجَّل، لم يكن يبدو لها تصفيقاً بقدر ما بدا وكأنه عاصفة رملية مريخية لا نهاية لها.

أعاد السائق تكرار كلامه ببطء، كما لو كان يضع خطاً تحت فقرة مهمة في كتاب: «دائماً هناك، كما قلت، حقيقة واحدة فقط».

قالت أَوْمَامِه: «بالطبع» كان محقاً. فالجسم المادي لا يوجد

سوى في مكان واحد وزمان واحد. آينشتاين هو مَن أثبت ذلك. كانت الحقيقة تقف رابطة الجأش ومنعزلة تماماً.

أشارت أَوْمَامِه ناحية نظام الاستريو في السيارة وقالت: «صوت رائع».

أومأ السائق: «ما اسم ذلك الموسيقار ثانية؟».

«ياناتشيك».

أعاد السائق تكرار الاسم وكأنه يسجل كلمة مرور مهمة في الذاكرة: ثم سحب المقبض الذي فتح باب الراكب. وقال: «خذي حذرك. آمل أن تصلي في موعدك».

ترجلت أَوْمَامِه من السيارة، وهي تقبض على حزام حقيبتها الجلدية الكبيرة. كان التصفيق لا يزال مستمراً. أخذت تمشي بحذر عبر الحافة اليسرى للطريق العلوي متجهة صوب موقف الطوارئ الذي يبعد عنها حوالى عشرة أمتار. وفي كل مرة تزأر شاحنة ضخمة بجوارها على الجانب الآخر من الطريق، كانت تشعر بأن الطريق يهتز- أو بالأحرى، يميد من تحت كعبي حذائها العالي، كما لو كانت تسير على سطح حاملة طائرات فوق بحر هائج.

أطلَّت الطفلة الصغيرة الجالسة في المقعد الأمامي للسيارة «سوزوكي آلتو» الحمراء برأسها من نافذتها وهي تحدق فاغرة فاها نحو أَوْمَامِه التي مرَّت بإزائها. ثم التفتت نحو والدتها وسألت: «أمي، ما الذي تفعله تلك السيدة؟ إلى أين هي ذاهبة؟ أنا أيضاً أريد النزول والمشي. أرجوك، أمي! أرجوكككككك!» ردَّت الأم على صراخها بالسكوت، وهي تهز رأسها مُشيِّعة أَوْمَامِه بنظرة اتهام.

كانت توسلات الطفلة الصغيرة عالية الصوت، ونظرة الأم إلى أَوْمَامِه هي ردات الفعل الوحيدة التي لاحظتها أَوْمَامِه. أما السائقون

الآخرون فقد اكتفوا بالجلوس أمام مقاود سياراتهم يدخنون ويتفرجون عليها وهي تشق طريقها بخطى ثابتة بين السيارات والسور الجانبي. كانوا يعقدون حواجبهم ويُضيِّقون حدقاتهم، كما لو أنهم ينظرون إلى جسم بالغ السطوع وإنْ بدا أنهم توقفوا مؤقتاً عن إصدار الأحكام. لم يكن شأناً عادياً بأيِّ حال أن يسير أحد عبر طريق سريع، سواء في ظل حركة مرورية معتادة أو غير ذلك، ولذلك استغرقوا بعض الوقت كي يستوعبوا ما يرونه كحدث حقيقي - ولا سيما أن السائر امرأة شابة تنتعل حذاء عالي الكعبين وتنورة قصيرة.

أسندت أَوْمَامِه ذقنها إلى صدرها ومشت بخطى ثابتة وهي منتصبة القامة وتنظر أمامها مباشرة. كانت تُسمع طقطقة كعبي حذائها الكستنائي الحامل لعلامة «تشارلز جوردان» عند ارتطامهما بالأرض، فيما يداعب النسيم أطراف معطفها. كان شهر أبريل قد بدأ، لكن ظلت في الهواء لفحة برد وتلميح للوعورة التي تنتظرها. كانت أَوْمَامِه ترتدي معطفاً ربيعياً سمني اللون فوق سترة خضراء من صوف خفيف من علامة «جنكو شيمادا». تتدلى من كتفها حقيبة جلدية سوداء، فيما كان شعرها الملامس لكتفيها مقصوصاً ومصففاً بعناية فائقة. لم تكن ترتدي أدوات زينة من أي نوع. طولها يبلغ خمسة أقدام وست بوصات، وجسمها لا يحمل أي أوقية زائدة من الشحوم. كل عضلة في جسمها تتحرك بمرونة واضحة، ولكن معطفها كان يحجب تلك الحقيقة.

ويكشف إمعان النظر في وجهها من الأمام عن اختلاف بيِّن في حجم وشكل أذنيها، فالأذن اليسرى أكبر بكثير وشائهة الشكل، لكن أحداً لم يلحظ ذلك قط، فشعر رأسها يغطي غالباً أذنيها. أما شفتاها فتصنعان خطاً مستقيماً مشدوداً، ما يشي بأنها ليست شخصاً يسهل

التودد إليه. وهو انطباع يعززه أنفُها الضيق الصغير، وكذلك وجنتاها البارزتان نوعاً ما، وجبينها العريض وحاجباها الطويلان المستقيمان، لكن كل تلك القسمات قد هُيئت معاً كي تظهر في وجه بيضوي حسن. وبرغم تباين الأذواق، فإن قليلين هم من سيعارضون اعتبارها امرأة جميلة. ولا يعيب وجهها سوى النقص الشديد في تعبيراته. كانت شفتاها المزمومتان بشدة لا تصنعان ابتسامة إلا عند الضرورة القصوى. أما عيناها فتصدر عنهما تحديقة جامدة ومترقبة لضابط بحري رفيع الرتبة. وبسبب تلك القَسمات، لم يولِّد وجهها انطباعاً جميلاً لدى أحد قطّ. ولم يكن اجتذابها للاهتمام يُعزى إلى هذه القسمات قدر ما يُعزى إلى التلقائية والألق اللذين يميزان ملامحها. وبحسب هذا المعنى، فإن أَوْمَامِه تشبه حشرة تُتقن فن التنكر البيولوجي. وأكثر ما تريده هو أن تتماهى مع بيئتها عبر تغيير اللون والشكل، كي تظل مبهمة ويتعذر تذكرها بسهولة. وهذه هي الطريقة التي حمت بها نفسها منذ الطفولة.

لكن ملامحها كانت تتغير تماماً كلما تجهمت أو قطّبت جبينها لشيء أهمَّها. إذ تصبح عضلات وجهها مشدودة في اتجاهات عديدة في آنٍ واحد ويتعزز انعدام التناغم في الهيكل العام. وتظهر تغضنات عميقة في بشرتها، وتصبح عيناها فجأة غائرتين، وينبعج أنفها وفمها بشدة، فيما يلتوي فكها بزاوية، وتنكمش شفتاها فتكشفان عن أسنان كبيرة بيضاء. وفي الحال تصبح شخصاً مختلفاً تماماً، كما لو أن وتراً قد انقطع، فأسقط قناعاً اعتادت أن تغطي به وجهها. كان هذا التحول المخيف يلقي الرعب في قلب كل من يراه، ومن هنا كان حرصها على ألّا تتجهم في حضور أحد غريب. ولم تكن تقطب جبينها إلّا وهي وحدها أو تتوعد رجلاً أثار غضبها.

عندما بلغت موقف الطوارئ، توقفت أَوْمَامِه وتلفَّتت حولها. لم تستغرق سوى برهة حتى عثرت على درج الطوارئ. وكما قال السائق، وجدت حاجزاً معدنياً بعرض المدخل. كان مقفلاً وأعلى بقليل من ارتفاع الخصر. ربما يمثل القفز من فوقه بتنورة قصيرة ضيقة مشكلة بسيطة، هذا إنْ كانت تكترث بأن يراها أحد. دون تردد، خلعت حذاءها بكعبيه العاليين ثم دسَّته في حقيبتها. مشيُها عارية القدمين سوف يتلف غالباً جوربها، ولكن بوسعها شراء غيره بسهولة.

حدَجها الناس بنظراتهم في صمت وهم يرونها تخلع حذاءها ومعطفها. كان صوت مايكل جاكسون العالي الذي ينبعث من النافذة المفتوحة لسيارة تويوتا سِليكا سوداء تقف بجانب موقف الطوارئ، بمثابة الموسيقى التصويرية لما تفعل. كانت الأغنية هي «بيلي جين» (Billie Jean). شعرت كما لو أنها تؤدي عرضاً للتعري. **ماذا يهم؟ دعيهم ينظرون كيفما يشاؤون. لا بد أنهم سئموا انتظار نهاية هذا الزحام. تقبلوا أسفي، أيها الناس، هذا هو كلّ ما سأخلعه اليوم.**

علَّقت أَوْمَامِه الحقيبة في رقبتها كي تَحُول دون سقوطها. كان بوسعها أن ترى من بُعد السيارة الجديدة السوداء تويوتا كراون رويال صالون التي استقلتها، وزجاجها الأمامي الذي يعكس الضوء الساطع لشمس ما بعد الظهيرة. لم تستطع أن تتبين وجه السائق، لكنها كانت تعرف أنه حتماً يتفرج.

لا تدعي المظاهر تخدعك. دائماً هناك حقيقة واحدة.

سحبت أَوْمَامِه نفساً طويلاً وعميقاً، ثم أخرجته ببطء. بعدئذٍ، وعلى وقع أنغام «بيلي جين» رفعت ساقها فوق الحاجز المعدني. ارتفعت تنورتها القصيرة لتكشف فخذيها. **مَن يعبأ بذلك؟ دعيهم ينظرون كما يشاؤون. إن رؤيتهم لما تحجبه تنورتي لن تسمح لهم**

بالاطلاع على حقيقة أمري. وفوق ذلك، كان ساقاها هما موضع فخرها الأكبر في جسدها.

بعد تخطيها الحاجز إلى الجانب الآخر، ضبطت أَوْمَامِه تنورتها، ونفضت الغبار عن يديها، وارتدت معطفها ثانية، ثم علَّقت حقيبتها في رقبتها، وثبتت نظارتها الشمسية على وجهها بإحكام. صارت في مواجهة درج الطوارئ - كان درجاً معدنياً مدهوناً باللون الرمادي. بسيط وعملي وفعال. لا يصلح للاستخدام من قبل نساء يرتدين تنورات قصيرة وأقدامهن عارية إلا من الجورب. وأما سترة أَوْمَامِه فلم يصمِّمها جنكو شيمادا كي ترتديها وهي تهبط درج طوارئ عبر الطريق السريع رقم 3 في طوكيو. زأرت شاحنة أخرى على جانب طريق المغادرين، فاهتز لها الدرج. كان الهواء يُحدث صفيراً لدى مروره عبر الفجوات الموجودة في الهيكل المعدني للدرج، لكن على أية حال، ها هو الدرج أمامها. ليس عليها سوى النزول إلى حيث تجد الشارع.

استدارت أَوْمَامِه كي تلقي نظرة أخيرة على الطابور المزدوج للسيارات التي تكدس بها الطريق السريع، وأخذت تجيل النظر فيها من اليسار إلى اليمين، ثم من اليمين إلى اليسار، وكأنها متحدث على منصة ينتظر الأسئلة الآن من جمهور الحاضرين بعد انتهائه من إلقاء كلمته. لم تكن السيارات تتحرك على الإطلاق. ولأنهم أصبحوا عالقين على الطريق السريع ولا يجدون سوى الانتظار يشغلون به أنفسهم، فقد راح الناس يتابعون كل تحركاتها وهم يتساءلون عمّا سوف تفعل لاحقاً هذه المرأة الموجودة على الجانب الآخر من الحاجز. أسندت أَوْمَامِه ذقنها إلى صدرها بشكل خفيف، وعضت على شفتها السفلى ثم ألقت نظرة تقييمية على جمهورها عبر العدسات الخضراء الداكنة لنظارتها الشمسية.

خاطبت أَوْمَامِه جمهورها دون أن تحرك شفتيها: **ليس بوسعكم حتى أن تتخيلوا مَن أكون، أو ما هي وجهتي، أو ما أوشك على فعله. جميعكم عالقون هنا. ليس بوسعكم التحرك في أي اتجاه، سواء للخلف أو للأمام. ولكنني لست مثلكم. لدي عمل عليَّ إتمامه. لدي مهمة عليّ إنجازها. ولذلك، فبعد إذنكم، سوف أمضي قُدُماً.**

كانت أَوْمَامِه ترغب في النهاية أن تُكرم وفادة الجمع المحتشد بواحدة من تجهّماتها الخاصة، بيد أنها استطاعت كبح نفسها. لا وقت لتلك الأشياء الآن. فعندما تسمح لنفسها بأن تتجهم، يتطلب الأمر وقتاً وجهداً حتى تستعيد ملامحها الأصلية مرة أخرى.

أدارت أَوْمَامِه ظهرها إلى جمهورها الصامت وشرعت، بخطى حذرة، في النزول عبر درج الطوارئ، وقد استشعرت برودة الدرجات المعدنية ذات السطح الخشن لدى ملامستها لباطن قدميها. استشعرت أيضاً برودة نسيم الأيام الأولى من أبريل الذي كان يُطيِّر شعرها إلى الخلف من حين إلى آخر، كاشفاً عن أذنها اليسرى شائهة الخِلقة.

الفصل الثاني

تنغو
لقد خطر ببالي أمرٌ آخر

تعود أولى ذكريات تنغو لعُمره وهو ابنُ سنة ونصف. كانت والدته قد خلعت سترتها وأزاحت حمالتي كتف قميص نومها كي تدع رجلاً لم يكن والده يلعق نهديها. لعلّ هذا الرضيع الموجود في سريره بالقرب منهما هو تنغو نفسه. كان يراقب المشهد كطرف ثالث. أو لعله كان توأمه؟ كلا، هذا احتمال غير وارد. لقد كان تنغو وهو ابن سنة ونصف. كان يعرف ذلك بداهة. كان الرضيع نائماً مغمَض العينين، وتخرج أنفاسه القليلة عميقة ومنتظمة. لقد نُقش ذلك المشهد الحي ذو الثواني العشر على جدار وعيه، وأصبح أولى ذكريات حياته. لا شيء قبله ولا شيء بعده. ويقف وحده بارزاً، كعمود في مدينة ضربها الفيضان، وسط المياه الموحلة.

اعتاد تنغو أن يسأل الناس عن تقديرهم لأعمارهم عند أولى ذكرياتهم. وكان الجواب يأتيه، أربع سنوات أو خمس سنوات لدى معظم الأشخاص. وثلاث سنوات لدى الحالات المبكرة. ينبغي للطفل أن يبلغ الثالثة على الأقل كي يتابع مشهداً يجري من حوله بدرجة من الإدراك. وأما ما يحدث قبل ذلك، فيُسجَّل باعتباره

تشوشات غير مفهومة. فالعالم كان بمثابة وعاء ليِّن يحوي عصيدة ليِّنة ولا إطار له أو مقبض، ويتدفق العالم عبر نوافذنا المفتوحة دون أن يترك ذكريات في أدمغتنا.

لا شك أن رضيعاً في السنة الأولى والنصف من عمره لا يسعه أن يدرك معنى أن رجلاً ليس بوالده يلعق نهديّ والدته. وهذا أمر واضح لا غبار عليه. ولذلك فإنْ كانت هذه الذكرى لدى تنغو حقيقية، فلا بد أن المشهد قد نُقش على شبكية عينيه كصورة محضة غير مصحوبة بأي أحكام - مثلما تسجل كاميرا أشياءَ في فيلم، بصورة آلية، كمزيج من الضوء والظلال. وعند بلوغ وعيه مرحلة النضج، جرى تحليل الصورة الثابتة المحفوظة جزءاً جزءاً، كي يتم إضفاء المعنى عليها. ولكن هل شيء كهذا ممكن الحدوث؟ هل دماغ الرضيع قادر على حفظ مثل تلك الصور؟

أو أن الأمر لا يعدو كونه ذكرى زائفة لدى تنغو؟ هل كان مجرد شيء قرر عقله لاحقاً - بغض النظر عن الغاية أو القصد - اختلاقه بنفسه؟ فكَّر تنغو ملياً في إمكانية أن تكون هذه الذكرى اختلاق، ولكنه خلص إلى أنها ليست كذلك على الأرجح. إنها ذكرى حيَّة ومقنعة إلى حدٍّ لا يُقبل معه أن تكون زائفة. فالضوء والروائح ودقات قلبه: كل ذلك بدا حقيقياً على نحو لا يُدحض، ولا يشبه المحاكاة في شيء. وفوق ذلك، فإن الافتراض بأنه مشهد حقيقي يفسر أموراً كثيرة - منطقياً وعاطفياً على السواء.

وهذه الصورة الحية ذات العشر ثوان تأتيه دون سابق إنذار ودونما اعتبار للزمان أو المكان. فتارة تأتيه وهو على متن قطار الأنفاق أو وهو يكتب صيغة رياضية على السبورة أو خلال تناوله وجبة طعام أو

(كما هو الآن) وهو جالس يتحدث إلى شخص ما على طاولة، وتجتاحه مثل موجة تسونامي مكتومة الصوت. وحالما ينتبه لذلك، يجدها بإزائه مباشرة، وقد شلّت حركة ذراعيه وساقيه. يتوقف لديه تدفق الزمن. يَرقّ الهواء ويشعر بضيق في التنفس. يفقد كل قدرة على التفاعل مع الأشخاص وما يحيط به من أشياء. يبتلعه حائط تسونامي سائل. ورغم أن العالم يبدو له وكأنه يغرق في الظلام، فإنه لا يفقد الوعي. لا يعدو الأمر أن يكون إحساساً بأنه قد انتقل إلى مسار جديد. كانت بعض أجزاء عقله، على النقيض، تزداد حدة بسبب هذا التغيُّر. لا يصحب ذلك شعور بالهلع، لكنه لا يستطيع إبقاء عينيه مفتوحتين. فيغمض جفنيه بشدة وتبدو الأصوات من حوله نائية فيما تظلّ الصورة المألوفة تنعكس على شاشة وعيه المرة تلو المرة. يتفصد العرق من كل أجزاء جسمه ويتعرق قميصه من تحت إبطيه. يرتجف جسمه كله، فيما تتسارع دقات قلبه ويعلو صوتها.

وحالما يحدث ذلك في حضور أحد، كان تنغو يتظاهر بأن دُواراً عابراً قد انتابه. وهو حقاً أشبه بالدُوار. ثم يعود كل شيء إلى طبيعته في النهاية. فيُخرج من جيبه منديلاً ويضغط به على فمه. وخلال انتظاره لانتهاء «الدوار»، يرفع يده مؤشراً للطرف الآخر بأن لا داعي للقلق. كان كل شيء ينتهي أحياناً خلال ثلاثين ثانية، وفي أحيان أخرى يستمر لأكثر من دقيقة. وبمقدار المدة التي يستمرها، تُعاد الصورة ذاتها وكأنها مسجَّلة على شريط مضبوط على وضعية الإعادة التلقائية. كانت والدته تزيح حمّالتي كتفها فيما يشرع رجلٌ في لعق حلمتيها النافرتين. تغمض عينيها وتتنهد تنهيدة عميقة. تفوح في الهواء قليلاً رائحة لبن الأم الدافئ التي يألفها. فحاسة الشم لدى الرضيع هي الحاسة الأقوى لديه. وهي تكشف الكثير - وأحياناً تكشف كل شيء.

كان مشهداً صامتاً، يصبح الهواء فيه مثل سائل كثيف. ولم يكن يسمع سوى نبضات قلبه الخافتة.

تقول له، **انظر إلى هذا**. تقول له، **انظر إلى هذا ولا شيء سواه. إنك هنا**. تقول له، **ليس بوسعك الذهاب إلى أي مكان آخر**. وتعاد الرسالة مراراً وتكراراً.

طال أمد هذه «النوبة». أغمض تنغو عينيه، وكدأبه دائماً غطَّى فمه بمنديل، وصرّ على أسنانه. لم يكن يدري كم الزمن الذي استغرقته. كل ما بوسعه هو أن يخمن مدتها قياساً بمدى شعوره بالإرهاق عقب زوالها. شعر بأنّ قواه قد أُنهكت، وانتابه إعياءٌ لم يعهده من قبل. كان لا بد من انقضاء بعض الوقت كي يستطيع فتح عينيه. عقلُه كان يريد أن يستفيق، ولكن عضلاته وأعضاءه الداخلية تأبى. ربما كان الأحرى به أن يصبح حيواناً في سبات شتوي يحاول الاستفاقة في الموسم الخطأ.

«تنغو، تنغو!» كان ثمة شخصٌ يناديه. بدا له أن الصوت المكتوم يأتيه من أعماق كهف. وأخيراً انتبه تنغو إلى أنه يسمع اسمه. «ماذا بك، يا تنغو؟ هل عاودتك مرة أخرى؟ هل أنت بخير؟» بدا الصوت أقرب الآن.

وأخيراً فتح تنغو عينيه، وتمكَّن من تركيزهما، فأخذ يُحَملِق في يده اليمنى القابضة على حافة الطاولة. يستطيع الآن الجزم بأن العالم لا يزال موجوداً ككتلة واحدة، وأنه لا يزال جزءاً منه. ظلَّ يشعر ببعض الخدر، ولكن اليد هي يده قطعاً. بقيت رائحة العرق المنبعث منه أيضاً، رائحة منفرة للغاية وكأنها لحيوان حبيس في حديقة حيوان.

استشعر تنغو جفافاً في حلقه. تناول كوب الماء الموضوع على

الطاولة وشرب نصفه، متوخياً الحذر كي لا يُوقع منه شيئاً. بعد استراحة خاطفة لالتقاط أنفاسه، شرب ما تبقى. كان عقله يعود تدريجياً إلى موضعه وحواسه تعود إلى طبيعتها. وضع الكوب الفارغ على الطاولة ومسح فمه بمنديله.

قال: «معذرة. أنا بخير الآن».

أَدرَك أن الشخص الذي يجلس قبالته هو كوماتسو وأنهما كانا يتحدثان في مقهى بالقرب من محطة شنجوكو في طوكيو. بدت أصوات المحادثات الأخرى القريبة منهما الآن أصواتاً طبيعية. كان الشخصان الجالسان إلى الطاولة المجاورة يُحَملِقان فيه بقلق واضح. وقفت النادلة متأهبة وقد تَبَدَّت على وجهها علامات القلق كما لو أنها تتوقع من الزبون أن يتقيأ. رفع تنغو بصره وأومأ إليها مبتسماً وكأنه يقول: «لا داع للقلق، أنا بخير».

سأله كوماتسو: «هذه ليست نوبة من نوعٍ ما، أليس كذلك؟».

أجاب تنغو: «لا، لا شيء، مجرد دوار. دوار حاد». لا يزال صوته لا يشبه صوته المعهود، وإن كان قريباً منه.

قال كوماتسو وهو ينظر إليه مباشرة: «سيكون مخيفاً أن يصيبك أثناء قيادتك السيارة أو قيامك بشيء من هذا القبيل».

«لا أقود سيارة».

«هذا جيد. أعرف شخصاً يعاني حساسية حبوب لقاح الأَرز وقد انتابته نوبة عطاس وهو أمام مقود السيارة فاصطدم بعمود هاتف. حالتك، بالطبع، ليست مجرد عطاس. لقد صُدمت أول مرة. أما الآن فقد اعتدت ذلك تقريباً».

«معذرة».

تناول تنغو كوب قهوته وازدرد بقيته. لم يشعر بمذاق، وإنما بسائلٍ فاتر يمرّ عبر حلقه.

سأله كوماتسو: «هل ترغب في كوب آخر من الماء؟».

هز تنغو رأسه: «لا، أنا بخير الآن».

أخرج كوماتسو علبة سجائر مارلبورو من جيب سترته، ووضع واحدة في فمه، ثم أشعلها بثقاب من المقهى. وعندئذٍ نظر في ساعته.

سأله تنغو، محاولاً العودة إلى طبيعته: «عمَّ كنّا نتحدث؟».

قال كوماتسو وهو يحدق في الفراغ، ويفكر - أو يتظاهر بأنه يفكر: «سؤال جيد». لم يكن بوسع تنغو أن يتحقق من ماهية الموضوع الذي كانا يخوضان فيه. كانت طريقة كوماتسو في الحديث وتلميحاته تنطوي على قدر كبير من التمثيل. «عن تلك الفتاة فوكا-إري. كنا قد بدأنا لتونا الحديث عنها وعن 'الشرنقة الهوائية'».

أومأ تنغو. صحيح. عندما داهمته النوبة كان قد بدأ لتوه يدلي برأيه في فوكا-إري وأُقصوصتها 'الشرنقة الهوائية'.

قال كوماتسو: «كنت سأحدثك بشأن اسمها المستعار الغريب الذي يتألف من كلمة واحدة».

«إنه غريب، أليس كذلك؟ يبدو 'فوكا' وكأنه مقطع من اسم عائلة، أما اسم 'إري' فربما يكون اسماً عادياً لفتاة اسمها: 'إري' أو 'إريكو'».

«تماماً مثلما أسلفت. اسم عائلتها هو 'فوكادا'، واسمها الأول الحقيقي هو 'إريكو'، وقد دغمتْهما معاً: 'فوكا' زائد 'إري' يساويان 'فوكا-إري'».

أخرج تنغو من حقيبته مخطوطة وضعها على الطاولة، ثم أسند يده إلى حُزمة الورق ليستوثق من وجودها، ثم قال: «كما ذكرت

بإيجاز عبر الهاتف، فإنّ ما يميز ’الشرنقة الهوائية‘ هو كونها ليست محاكاة لأي أحد. ولا تنطوي على أيّ قدر من السعي المعتاد لدى الكتّاب الجدد لأن ’يصبحوا مثل الكاتب الفلاني والعلاني‘. الأسلوب، دون شك، سيئ والصياغة ركيكة. إنها تخطئ حتى في العنوان: فهي تخلط بين ’الخادرة‘ و’الشرنقة‘. وتستطيع، إن أردت، أن تجد فيها عيوباً من أولها إلى آخرها. ولكن القصة نفسها تنطوي على نقاط قوة حقيقية تجتذبك إليها. الحكاية برمّتها تقوم على الفانتازيا، ولكن التفاصيل الوصفية تتّسم بواقعية شديدة. وثمّة توازن ممتاز بين الاثنين. لا أدري إنْ كانت كلمات مثل ’الأصالة‘ أو ’الحتمية‘ تلائم هذا السياق، لكني قد أوافق مَن يُصرّ على كونها لم تبلغ ذلك الشأو، لكن في النهاية، وبعد أن تُعمل تفكيرك في عملها، رغم كلّ أخطائه، تجده يترك بصمة حقيقية وينفذ إليك بشكل غريب يتعذر تفسيره، وهو ما قد يزعجك قليلاً».

أبقى كوماتسو عينيه مسلطتين على تنغو، دون أن يعقّب بشيء. كان ينتظر سماع المزيد.

تابع تنغو كلامه: «لن يرضيني أن أرى هذا العمل يُستبعد من المنافسة لا لشيء إلا لركاكة الأسلوب. لقد قرأت كثيراً من المشاركات على مدى سنين - أو ربما الأحرى أن أقول ’تصفحت‘ لا ’قرأت‘. قليل منها كُتب بشكل جيد، بطبيعة الحال، لكن معظمها كان رديئاً. ومن بين المخطوطات كلها، فإن ’الشرنقة الهوائية‘ هي الوحيدة التي تركت أثراً داخلي. وهي الوحيدة التي وجدتُني راغباً في قراءتها مرة أخرى».

قال كوماتسو: «حسناً، حسناً»، ثم وكأنما وجد كل ذلك مملاً، نفث دفقة دخان عبر شفتيه المزمومتين، لكن تنغو كان يعرف كوماتسو

منذ زمن ولا يمكن أن ينخدع بهذا التظاهر. إن كوماتسو من النوعية التي عندما تستعمل تعبيراً، فإن تعبيره يكون غالباً لا صلة له بشعوره الفعلي أو يأتي مناقضاً تماماً لذلك الشعور. ولهذا كان تنغو مستعداً لانتظاره حتى النهاية.

قال كوماتسو بعد وقفة قصيرة: «أنا أيضاً قرأتها. عقب اتصالك بي مباشرة. الصياغة سيئة للغاية. وهي لا تلتزم قواعد اللغة، وفي بعض أجزائها ليس بوسعك أن تعرف ما الذي تريد قوله. عليها أن تعود إلى المدرسة وتتعلم كيف تكتب جملة مقبولة قبل البدء في كتابة قصة».

«ولكنك قرأتها حتى نهايتها، أليس كذلك؟».

ابتسم كوماتسو. كانت ابتسامة من نوع ربما يُعثر عليه في مؤخرة جارور لا يُفتح عادة: «معك حق. لقد قرأتها كلها - وهذا ما أدهشني. فأنا لا أقرأ مطلقاً مشاركات الكتَّاب الجُدد المقدَّمة للجوائز من بدايتها حتى نهايتها، بل لقد قرأت بعض أجزاء هذه القصة مرتين. دعنا نقول وحسب إنّ الكواكب كانت في اصطفاف تام. سوف أُسلم لها بكلّ ذلك».

«وهذا يعني أنها ذات قيمة ما، ألا تعتقد ذلك؟».

وضع كوماتسو سيجارته في منفضة السجائر ومسح جانب أنفه بإصبع يده اليمنى الأوسط. لكنه لم يجب عن سؤال تنغو.

قال تنغو: «إنها لا تزال في السابعة عشرة، طفلة في مدرسة ثانوية. ما زالت تعوزها القدرة على قراءة الأدب وكتابته، هذا هو كل شيء. فوز هذا العمل بجائزة الكتَّاب الجُدد يكاد يكون محالاً، أعرف ذلك، ولكنه عمل جيد بما يكفي للوصول إلى القائمة القصيرة. وأنا واثقٌ أن بوسعك جعل ذلك يحدث. وهكذا، يمكنها الفوز في المرة التالية».

«ممم» قال كوماتسو بإجابة أخرى ملتبسة أعقبها تثاؤب. أخذ رشفة من كوب الماء، ثم قال: «فكِّر في الأمر، يا تنغو. تخيَّل إنْ أنا أوصلتها إلى القائمة القصيرة. سوف يُغشى على أعضاء لجنة التحكيم - أو لعلهم سوف ينفجرون غضباً. والمؤكد أنهم لن يقرأوها حتى آخرها. فأربعتهم جميعاً كتاب نشطون، ومشغولون بأعمالهم. سوف يتصفحون صفحاتها الأولى ثم يستبعدونها كما لو أنها قطعة إنشاء من تلميذ في مدرسة. أستطيع أن أترجاهم كي يمنحوها فرصة أخرى، وأؤكد لهم أنها ستكون ممتازة ببعض التحسينات هنا وهناك، ولكن مَن سيصغي إليّ؟ وحتى إن افترضنا أن بوسعي 'جعل ذلك يحدث'، فإنني لا أودّ فعل ذلك إلا مع شيء واعد».

«إذاً أنت تقول إنَّ علينا أن نتجاهلها هكذا والسلام؟».

قال كوماتسو، وهو يحكّ جانب أنفه: «لا، ليس هذا ما أقوله. لقد خطر ببالي أمرٌ آخر لهذه القصة».

قال تنغو: «خطر ببالك أمر آخر». استشعر تنغو نذير سوء في نبرة كوماتسو.

قال كوماتسو: «أنت تودّ أن نعول على عملها التالي للفوز بالجائزة. وأنا أيضاً أودّ، بالطبع، أن يكون ذلك بوسعي. وأعظم أسباب البهجة لدى أيّ محرر هو احتضانه لموهبة شابة عبر الزمن. فكم هو رائع أن تنظر في السماء الصافية ليلاً وتستكشف نجماً جديداً قبل أن يراه أحد غيرك. ولكن كي أكون صريحاً معك يا تنغو، فإني لا أعتقد أنّ هذه الفتاة سيكون لها عملٌ تالٍ. أنا، ولا فخر، أكسب لقمة عيشي منذ عشرين سنة وحتى الآن من هذه المهنة. وقد رأيت كتَّاباً يجيئون ويذهبون. وإذا كنت قد تعلمت شيئاً عبر تلك السنين، فهو أن أميِّز بين هؤلاء الكتاب الذين يمكنهم الإتيان بعمل تالٍ وهؤلاء الذين

لا يمكنهم ذلك. وإذا سألتني، فإنّ هذه الفتاة لن يكون لديها عملٌ تالٍ. عملها التالي لن يخرج إلى النور، وكذلك عملها ما بعد التالي أو ذلك الذي بعد اللاحق. أولاً، انظر إلى هذا الأسلوب. مهما بُذل فيه من جهد فلن يتحسَّن بأي حال. لن يتحسن أبداً. والسبب هو أن الكاتبة نفسها لا تلقي بالاً للأسلوب، وليس لديها أي نية على الإطلاق للكتابة بشكل جيد، أو لتحسين كتابتها. الأسلوب الجيد يتحقق عبر طريقة من اثنتين: إما أن يكون الكاتب موهوباً بالسليقة أو مستعداً للموت في سبيل اكتساب الموهبة. وهذه الفتاة فوكا-إري لا تنتمي إلى أيٍّ من الصنفين. لا تسألني لماذا، ولكن كون أسلوبها هكذا يعني أنها لا تبالي، لكن ما تمتلكه، هو الرغبة في حكاية قصة - وهي رغبة قوية نوعاً ما. أُقرّ لها بذلك. لقد استطاعت رغم هذا الشكل الخام، أن تجتذبك، يا تنغو، وجعلتني أقرأ المخطوطة من أولها لآخرها. وذلك وحده يبعث على الإعجاب، لكن ليس لها مستقبل كروائية. لا مستقبل. لا أريد أن أحبطك، ولكن ذلك هو رأيي الصادق».

كان لزاماً على تنغو الإقرار بأنّ كوماتسو ربما يكون محقاً. فالرجل يمتلك موهبة تحريرية جيدة، إذا لم يميزه شيءٌ آخر.

سأله تنغو: «مع ذلك، لن يُضار أحدٌ إن أعطيتها فرصة، أليس كذلك؟».

«هل تقصد أن نلقي بها، وننظر أتغرق أم تسبح؟».

«باختصار».

«لقد فعلت ذلك مرات ومرات. ولا أودّ رؤية أحد آخر يغرق».

«حسناً، وماذا عني؟».

قال كوماتسو بنبرة حذرة: «إنك على الأقل مستعدّ للعمل بجدية.

وبحسب معرفتي، فإنك لا تعرف الأساليب الملتوية. ولديك تواضع كبير بإزاء عملية الكتابة. لماذا؟ لأنك تهواها. وهذا هو ما أُقدِّره فيك. وهذه هي الخصلة الوحيدة والأهم لدى أيّ أحد يودّ أن يصبح كاتباً».

«ولكن ذلك لا يكفي وحده».

«لا، بالطبع، لا يكفي وحده. لا بدّ أيضاً من وجود ذلك 'الشيء الخاص'، وهي صفة يتعذر تعريفها، شيء لا يمكنني أن أضع إصبعي عليه تماماً. وذلك هو ما يعلو تقديري له في الأدب كل شيء آخر. أما ما أفهمه تماماً فلا يثير اهتمامي. هكذا بكلّ وضوح. أمر في غاية البساطة».

صمتَ تنغو للحظة قصيرة. ثم قال: «هل وجدت في كتابة فوكا-إري ما لم تفهمه تماماً؟».

«أجل، بالطبع. وجدت بها شيئاً مهماً. لا أدري كنهه بالضبط، ولكنه شيء يميِّزها، وهذا لا شك فيه. إنه واضح لدي، مثلما هو لديك. بوسع أيّ أحد أن يراه، مثل دخان يتصاعد من نار مشتعلة بعد ظهيرة يوم لا ريح فيه. ولكن أيّاً كان ذلك الذي يميزها يا تنغو، فلن يكون بوسعها غالباً أن تحقق شيئاً اعتماداً على نفسها».

«تقصد، أننا إن ألقينا بها في الماء، فسوف تغرق؟».

«بالضبط».

«وهذا هو السبب الذي يجعلك تُحجم عن إيصالها إلى القائمة القصيرة».

لوى كوماتسو شفتيه وضمّ يديه على الطاولة: «ذلك هو السبب بالضبط. وهو ما يقودنا إلى نقطة في الحوار عليّ أن أتوخى بالغ الحذر وأنا أعبِّر عن نفسي من خلالها».

تناول تنغو فنجان قهوته وراح يحدِّق في تموّجاتها. ثم وضع الفنجان على الطاولة مرة أخرى. كان كوماتسو لا يزال على صمته. سأله تنغو: «هل يمكنني تبيُّن ما تعنيه بـ'خطر ببالي أمر آخر' في هذا الجزء من الحوار؟».

ضيَّق كوماتسو عينيه وكأنه معلِّم يحدِّق إلى تلميذه النجيب، ثم أومأ ببطء وقال: «إنه كذلك».

كان هناك بعض الغموض يكتنف ذلك المدعو كوماتسو. فليس بوسعكَ أن تستشفّ ما يفكر فيه أو يشعر به بناءً على ملامحه أو نبرة صوته. ويبدو أنه كان يجدُ لذة كبرى في ترك الآخرين يخمِّنون بشأنه. أما من الناحية الذهنية فهو سريع البديهة بلا ريب. إنه من نوعية هؤلاء الأشخاص الذين يمتلكون منطقاً خاصاً بهم ويتّخذون قراراتهم دون اعتبار لآراء الآخرين. وهو لا ينخرط في عرضٍ فكري لا طائل منه، لكن الجَليّ أنه قارئ نهم للغاية، ويمتلك معرفة موسوعية ومتعمِّقة. لم تكن مجرد معرفة تطبيقية وحسب، فهو صاحب فراسة لا تخيب في الأشخاص كما الكتب. وهنا كان لانحيازاته دور كبير، ولكن الانحياز لدى كوماتسو، ما هو إلا رافدٌ من روافد الحقيقة.

وهو لا يُسهب في كلامه مطلقاً، ويكره التفسيرات المُطنَبة، ولكنه يستطيع إذا لزمَ الأمر أن يُقدِّم آراءه على نحوٍ يتوخى معايير المنطق والدقة. ويستطيع أيضاً، إن شاء، أن يصبح بالغ الحِدّة؛ فيسدّد طعنات سريعة وقاسية في أضعف نقطة لدى خصمه. كان يتبنى آراء قوية للغاية بشأن الأشخاص والأدب؛ والأعمال والأشخاص الذين لا يتقبلهم يتجاوزون بكثير هؤلاء الذين يتقبلهم. ولا غرو إذاً أنَّ عدد كارهيه يفوق بكثير عدد هؤلاء الذين يُثنون عليه - وذلك هو عينُ ما

كان يأمله. كان تنغو يعتقد أنّ كوماتسو يأنس بالعزلة - بل حتى يطيب له أن يصبح موضع كراهية صريحة من الآخرين. ويؤمن كوماتسو بأنّ توقُّد الذهن لا يتَولَّد مطلقاً من العيش وسط أجواء هادئة ومريحة.

كان كوماتسو في الخامسة والأربعين ويكبر تنغو بستّ عشرة سنة. ولكونه محرراً يكرِّس نفسه للمجلات الأدبية، فقد اكتسب سمعة أكيدة كأحد ألمع الشخصيات في هذا المجال، ولكن أحداً لم يكن يعرف شيئاً عن حياته الخاصة. فهو دائماً ما يلتقي الأشخاص في مكان عمله، ولا يأتي مطلقاً على ذكر حياته الشخصية. ولذلك لم يكن تنغو يعرف أين وُلد ولا أين نشأ، أو حتى مكان سُكناه. اعتادا الدخول في أحاديث مطولة، ولكنهما لم يتطرقا قطّ لمثل تلك المسائل. وكان الناس يحارون أن رجلاً صعب المراس مثل كوماتسو يستطيع طلب مخطوطات من الكُتَّاب - فلم يكن لديه أصدقاء يتحدثون عنه ولم يكن يُظهر للعالم الأدبي سوى الازدراء - ولكنه تمكَّن مع مرور السنين، دون جهد تقريباً، من الحصول على أعمال لمؤلفين مشهورين للمجلة، وإليه يُعزى الفضل في محتوى كثير من أعداد المجلة. ولذلك، فحتى وإن لم يُحبَّه الناسُ، فقد كانوا يحترمونه.

وثمة شائعة متداولة مفادُها أنّ كوماتسو كان أحد قادة المظاهرات اليسارية الحاشدة التي خرجت ضد الاتفاقية الأمنية بين الولايات المتحدة واليابان، وذلك عندما كان طالباً في قسم الآداب بجامعة طوكيو العريقة في عام 1960. ويقال إنه كان بجوار زميلته ميتشيكو كانبا عندما لقيت مصرعها على أيدي شرطة مكافحة الشغب، وإنه هو نفسه قد تعرض لإصابات بالغة. لا أحد يعلم مدى صحة ذلك، ولكن ثمة شيء في كوماتسو يجعل هذه القصص تبدو مقنعة. كان طويل القامة ونحيل القوام، وله فم أكبر من الحجم الطبيعي وأنف أصغر من

الحجم الطبيعي. وهو ذو أطراف طويلة وأصابع مُلطخة بآثار النيكوتين تستدعي للذاكرة المفكرين الثوريين المحبطين حسبما صوَّرتهم الروايات الروسية في القرن التاسع عشر. كان نادراً ما يبتسم، ولكنه عندما يفعل، تأتي ابتسامته لتغطي وجهه كاملاً. لكنه لا يبدو عندئذٍ في غاية السعادة - وإنما يصبح أشبه ما يكون بمشعوذٍ عجوز يُقهقه وهو يوشك أن يميط اللثام عن نبوءة مشؤومة. ولتواضع ملبسه ونظافة هندامه، كان يرتدي دوماً سترة من الصوف، وقميص «بولو» رمادياً فاتحاً أو قميص أُكسفورد أبيض غير رسمي، دون ربطة عنق، وبنطالاً رمادياً وحذاء جلدياً سُويدياً - وهو «زي» كان يقصد به أن يُري العالم أنه لا يعبأ بهذه الأشياء. وكان تنغو يتصور خزانة ملابس كوماتسو وقد عُلِّقت فيها نصف دزينة من السُترات الصوفية ذات الأزرار الثلاثة التي لا تتباين في ألوانها وقماشها وتصميمها إلا قليلاً. ولعله كان يُضطر لأن يلصق بكل سترة رقماً كي يميِّز إحداها عن الأخرى.

كانت مسحة من الشيب قد بدأت تظهر في مَقدِم شَعره الناعم والقوي. ولأن شعره مفروق على الجنبين، فقد كان طويلاً بما يكفي لتغطية أذنيه، وقد اعتاد أن يبقيه دائماً بذلك الطول، متأخراً عن أوان حلاقته بأسبوع تقريباً. وهو ما يثير استغراب تنغو. وأحياناً، كانت عينا كوماتسو تلمعان فرحاً مثل نجوم تتلألأ في سماء ليلة شتوية. أما إذا أهمَّه شيءٌ، فيصمُت كما لو أنه صخرة ملقاة على الوجه الآخر للقمر، وتتلاشى من وجهه أية تعابير، ويبدو جسمه وقد اكتنفته حالة من السُبات.

التقى تنغو كوماتسو أول مرة قبل خمس سنوات عندما أُدرج ضمن القائمة القصيرة لجائزة الكتَّاب الجُدد التي تنظمها مجلة كوماتسو. هاتَفَه كوماتسو يومها وأخبره بأنه يودّ مقابلته للدردشة. اتفقا

على أن يلتقيا في مقهى في شنجوكو (وهو المقهى نفسه الذي يجلسان فيه الآن). أبلغ كوماتسو تنغو بأن عمله سيفوز حتماً بالجائزة (وهو ما لم يحدث في واقع الأمر)، لكن كوماتسو نفسه استمتع بالقصة. وقال له: «لا أنتظر منك شكراً، ولكني لا أقول ذلك لأي أحد آخر غالباً». (كان ذلك صحيح في الحقيقة، لأن تنغو جاء ليتعلم)، «لذلك أودّ منك أن تسمح لي بقراءة قصتك التالية قبل أن تُريها لأيّ أحد غيري». ووعده تنغو بذلك.

كان كوماتسو يريد أيضاً أن يعلم المزيد حول شخصية تنغو - خبراته الحياتية والعمل الذي كان يؤديه. تحدث تنغو عن نفسه بأقصى قدر من الصدق. وُلد في مدينة إتشيكاوا في محافظة تشيبا. ماتت والدته بعد مولده بمدة وجيزة متأثرة بمرض، أو على الأقل ذلك هو ما أخبره به والده. لم يكن لديه أشقاء. فوالده لم يتزوج ثانية، وقرر أن يربي تنغو بنفسه، من خلال كسبه لقوت يومه عبر دورانه على البيوت وطرق الأبواب لتحصيل رسوم اشتراكات تلفزيون «إن إتش كيه». لكنه يعيش الآن في دار للرعاية تقع في الطرف الجنوبي من شبه جزيرة بوسو في محافظة شيبا، بعدما أصيب بمرض الزهايمر. كان تنغو نفسه قد تخرَّج في جامعة تسوكوبا وكان يؤلف قصصاً ويُدرِّس الرياضيات في مدرسة تأهيلية خاصة في يويوجي. ورغم أنه كان بوسعه العثور على وظيفة بعد التخرج في مدرسة ثانوية بالقرب من منزله وداخل المحافظة، إلا أنه آثرَ العمل وفق نظام دراسي حرٍّ نسبياً في مدرسة تأهيلية في طوكيو. وقد عاش هناك بمفرده في شقة صغيرة تقع ضمن حي كوينجي غرب مدينة طوكيو، ممّا أتاح له وصولاً سهلاً إلى المدرسة لا يستغرق سوى نصف ساعة.

لم يكن تنغو يعرف يقيناً إن كان يرغب في أن يصبح روائياً

محترفاً، ولم يكن واثقاً من امتلاكه لموهبة كتابة القصص. لكنه كان يدرك أنه لا يستطيع التوقف عن قضاء شطر كبير من يومه في كتابة القصة. فالكتابة عنده، كالهواء الذي يتنفس.

لم يتلفظ كوماتسو بكلمة تقريباً وهو يستمع إلى قصة تنغو. بدا أنه أحبَّ تنغو، وإن لم يعرف سبباً لذلك. كان تنغو قوي البنيان (ظلَّ عضواً أساسياً ضمن فرق الجودو في المرحلتين الإعدادية والثانوية ثم في الكلية)، وله عينان مثل عيني فلاح يمشي في الصباح الباكر. كان يحرص على تقصير شعره، فيما تبدو بشرته دائماً برونزية من أثر الشمس وله أذنان قرنبيطيتان. لم يكن مظهره يشي بكونه هاوياً متحمساً للأدب ولا بكونه معلماً لمادة الرياضيات، وهو أمرٌ آخر أحبَّه فيه كوماتسو.

وحالما ينتهي تنغو من كتابة قصة، كان يأخذها إلى كوماتسو الذي يقرأها بدوره ويقدِّم له تعليقاته عليها. ثم يقوم تنغو بتحريرها بناء على تعليقات كوماتسو قبل أن يردّها إليه مرة أخرى، فيمدُّه بإرشادات أخرى وكأنه مدرب يرفع الأحمال التدريبية شيئاً فشيئاً كلّ مرة. ويقول له: «ربما تستغرق حالتك وقتاً. ولكنَّا لسنا في عجلة. ما عليك سوى الإصرار على الكتابة يومياً. ولا ترمِ أي شيء ممّا تكتب. ربما يفيدك لاحقاً». وكان تنغو يأخذ بنصائح كوماتسو.

أما كوماتسو فقد اعتاد من حين إلى آخر أن يَعهَد بمَهام كتابية صغيرة إلى تنغو. فكان تنغو يكتب مقالات لا تحمل اسمه لحساب مجلة المرأة التي تُصدرها شركة النشر التي يعمل لديها كوماتسو. كان يؤدي كل شيء، ابتداء من مراجعة زاوية «رسائل إلى المحرر»، وكتابة مقالات عامة عن الأفلام والكتب ووضع توقعات الأبراج. وقد حظيت توقعاته بشهرة واسعة لأنها تتحقق غالباً. وذات مرة عندما

كتب: «خذوا حذركم! زلزال في الصباح الباكر»، وقع فعلاً زلزال كبير صباحاً. كان تنغو راضياً بالدخل الإضافي الذي يُدره عليه هذا العمل وخبرة الكتابة التي يكتسبها منه. وكان ممّا يُسعده أن يرى كتاباته مطبوعة - في أي شكل - ومعروضة في المكتبات.

وفي نهاية الأمر، عُيِّن تنغو مراقباً لجائزة الكتَّاب الجُدد التي تنظِّمها المجلة الأدبية. وقد رآه أمراً غريباً أن يقوم بغربلة أعمال كتَّاب آخرين فيما هو نفسه ينافس على الجائزة، ولكنه كان يقرأ كل شيء بحيادية، ولا يكترث كثيراً بحساسية موقفه. وإذا لم يكن ثمة سبب آخر، فإن قراءته لأكوام من القصص رديئة الكتابة قد أعطته دروساً لا تَمَّحي في كيفية تأليف قصة رديئة. كان يقرأ زهاء مائة عمل في كل مرة، ينتقي منها عشرة قد تتوفر بها بعض الجماليات كي يُحيلها إلى كوماتسو بعدما يُضمِّنها بعض تعليقاته المكتوبة. ثم تُنتقى منها خمسة أعمال لبلوغ القائمة القصيرة، ومن بين هذه الخمسة، يُناط بلجنة رُباعية أن تختار فائزاً واحداً.

لم يكن تنغو هو المراقب الوحيد الذي يعمل في الجائزة بدوام جزئي، ولم يكن كوماتسو إلا واحداً من بين محررين عديدين يشاركون في اختيار القائمة القصيرة. كان كلّ ذلك يجري وفق معايير نزيهة، وإن كانت كل تلك الجهود لا ضرورة لها في الأصل. فمهما زادت أعداد الأعمال المقدَّمة للجائزة، فإن الأعمال ذات القيمة الأدبية لم تكن تزيد بأي حال عن اثنين أو ثلاثة، وهي أعمال لا يمكن لأحد أن يُخطئها. وقد وصلت ثلاثة من قصص تنغو إلى القائمة القصيرة في مرات سابقة. لم يكن تنغو، بطبيعة الحال، هو مَن اختار أيّاً منها، وإنما يختارها المراقبان الآخران، ثم من بعدهما كوماتسو الذي كان مسؤولاً عن قسم التحرير. ورغم أن تنغو لم يَفز بالجائزة في المرات

الثلاث، فإنّ ذلك لم يُثنِه عن تكرار المحاولة. وذلك أن كوماتسو قد غرس فيه خصلة الصبر. ثم إن تنغو نفسه لم يكن متلهفاً لأن يصبح روائياً الآن.

كان بوسع تنغو، إذا ما أحسن ترتيب جدوله الدراسي، أن يقضي أربعة أيام من كلّ أسبوع في المنزل. وهو يُدرِّس في المدرسة التأهيلية ذاتها منذ سبع سنين حتى الآن، ونال حُظوة لدى الطلاب لأنه كان يجيد إيصال المادة العلمية بإيجاز ووضوح، وكان بوسعه الجواب عن أي سؤال في التو والحال. وكانت فصاحتة تثير دهشته هو نفسه. فقد امتازت شروحه بالذكاء، وصوته كان ملائماً ويستطيع بدعابة واحدة أن يبعث الحماس في صفوف طلابه. كان دائماً ما يرى في نفسه متحدثاً سيئاً، وحتى الآن قد لا تسعفه الكلمات عندما يتحدث مع أحد وجهاً لوجه. وعندما تضعه الظروف وسط مجموعة صغيرة، فإنه يكتفي بالإصغاء وحسب. أما عندما يقف إزاء صف دراسي كبير، فإن ذهنه يصفو ويصبح بوسعه أن يستفيض في كلامه بيُسر. وقد زادته تجربته في مجال التدريس معرفة بغموض البشر.

لم يكن تنغو ممتعضاً من راتبه الذي يتقاضاه في المدرسة. صحيح أنه لم يكن مجزياً بأيّ حال، ولكن المدرسة كانت تدفع بحسب قدرتها. فالطلاب كانوا يخضعون لتقييم دوريّ، تتحدَّد الرواتب وفقاً لنتائجه. ولذلك كانت المدرسة تخشى أن تُغوي مدارس أخرى أكفأ مدرِّسيها فيرحلوا عنها (وفي الواقع، فقد رُشح تنغو لوظائف عدة مرات)، لكن ذلك لم يكن يحدث مطلقاً في المدارس العادية. فهناك، تتجدَّد الرواتب وفقاً للأقدمية، وتخضع الحياة الشخصية للمعلمين لإشراف المدراء، أما كفاءة المعلم وحُظوته لدى الطلاب فلم يكن يُعتدّ بهما. وفي واقع الأمر كان تنغو يستمتع بعمله

في مدرسة تأهيلية. فأكثرية طلابها يقصدونها ولديهم غاية واحدة صريحة وهي الاستعداد لاختبارات القبول في الكليات، ولذلك يُقبِلون على محاضراته بحماس. ولم تكن تُناط بالمعلمين سوى مسؤولية واحدة: وهي التدريس لطلابهم. وذلك هو عين ما يريده تنغو. فهو ليس ملزماً بالتعامل مع السلوكيات السيئة للطلاب أو مخالفاتهم المدرسية، وليس عليه سوى الحضور إلى قاعة الدرس وتعليم الطلاب كيفية حلّ المسائل الرياضية. وكان تنغو يعالج ببراعة وسهولة المسائل شديدة التجريدية مستعيناً بالأدوات الرقمية.

وأما عندما يوجد في المنزل، فإنه عادة ما يكتب منذ طلوع الصبح وحتى قرب حلول المساء. لم يكن يحتاج سوى إلى قلم من نوع «مون بلان»، ومداده الأزرق، وأوراق عادية للكتابة، كل ورقة مسطَّرة أربعمائة مربع فارغ وجاهزة لأن تقبل أربعمائة حرف. تأتيه صديقته المتزوجة مرة في الأسبوع كي تقضي معه ساعات الظهيرة. كان يجد في معاشرة امرأة متزوجة تكبره بعشر سنين علاقة مُشبِعة وبلا ضغوط، ولا تنبثق عنها أي التزامات. وكان يخرج للتنزه وقت الغروب حيث يمشي مسافات طِوال، وحالما تغيب الشمس يجلس لمطالعة كتاب على أنغام الموسيقى. لم يكن يشاهد التلفزيون مطلقاً. وعندما يطرق بابه مُحصِّل رسوم في تلفزيون «إن إتش كيه»، يوضح له أنه لا يمتلك جهاز تلفزيون، ويرفض الدفع بأدب وهو يقول: «ليس لدي تلفزيون. تستطيع التفضُّل بالدخول والتحقُّق إن شئت»، لكن المحصِّل لم يكن ليدخل مطلقاً، فلم يكن ذلك مسموحٌ.

قال كوماتسو: «خطر ببالي شيء أكبر».

«شيء أكبر؟».

«بل أكبر بكثير. لماذا نرضى بشيء ضئيل كجائزة الكتَّاب الجُدد؟ ما دمنا نصوِّب نحو هدف، فلماذا لا ننتقي هدفاً كبيراً؟».

صمت تنغو ولم يُعقب. لم يكن يدري شيئاً عمّا يرمي إليه كوماتسو، ولكنه أحسّ بما يبعث على القلق.

أعلن كوماتسو بعد صمت للحظة: «جائزة أكوتاجاوا!».

ردَّد تنغو الكلمتين ببطء، وكأنه يخطهما بعصا فوق رمال مبتلة وبأحرف كبيرة: «جائزة أكوتاجاوا؟».

«ماذا دهاك يا تنغو، لا يمكن أن تكون غير مطَّلع إلى هذا الحد! جائزة أكوتاجاوا! حلم كل كاتب! عناوين كبيرة في الصحف! نشرات الأخبار في التلفزيون!».

«مهلاً. هل ما زلنا نتحدث عن فوكا-إري؟».

«بالطبع. فوكا-إري و'الشرنقة الهوائية'. وهل ناقشنا أي شيء آخر؟».

عضَّ تنغو شفته محاولاً استكناه المعنى الكامن وراء كلمات كوماتسو: «ولكن أنت نفسك قلت بأنه لا سبيل أمام 'الشرنقة الهوائية' للفوز بجائزة الكتَّاب الجدد. ألم نتحدث في ذلك طول الوقت، ونقول إن العمل بحالته الراهنة لن يحقق أي شيء؟».

«بالضبط. لن يحقق شيئاً أبداً وهو بحالته الراهنة. وهذا ما لا شك فيه».

احتاج تنغو وقتاً للتفكير: «هل تقصد أنها بحاجة إلى المراجعة؟».

«هذا هو السبيل الوحيد. لن يكون مستغرباً كثيراً أن يراجع مؤلفٌ عملاً واعداً له مسترشداً بنصائح محرّر. إنه أمر يحدث في كل حين، لكن في هذه الحالة، ثمة شخص آخر، بدلاً من المؤلف، سوف يضطلع بالمراجعة».

سأل تنغو، وهو يعرف جواب كوماتسو: «شخصٌ آخر؟».

«أنت».

بحث تنغو عن جواب ملائم ولكن دون جدوى. أطلق زفرة وقال: «لعلك تعلم مثلما أعلم أن هذا العمل سوف يحتاج إلى ما هو أكثر من رُقعة صغيرة هنا وهناك. وأنه لن يصبح جيداً دون إعادة كتابته من أوله إلى آخره».

«ولذلك فسوف تعيد كتابتها من أولها إلى آخرها. أبقِ فقط على إطار القصة كما هو. وحافظ قدر الإمكان على نبرة الحكاية. ولكن غيِّر اللغة - تماماً. سوف تكون مسؤولاً عن الكتابة الفعلية، فيما سأتولى أنا الإخراج».

غمغم تنغو، وكأنه يحدِّث نفسه: «بهذه البساطة؟».

قال كوماتسو وهو يمسك بملعقة ويشير بها إلى تنغو كما يستخدم الموسيقار عصاه لينتقي عازفاً من وسط الأوركسترا: «اصغِ إلي. هناك شيء يميز هذه الفتاة فوكا-إري. وأي أحد يستطيع أن يستشف ذلك من قراءته 'الشرنقة الهوائية'. خيالها ليس عادياً بالمرة، لكن لسوء الحظ، فإن مستوى كتابتها بائس. فوضى عارمة. أما أنت، وعلى العكس منها، فتعرف كيف تكتب. الحبكة القصصية لديك جيدة. وتمتلك ذائقة. ربما يبدو بنيانك مثل بنيان حطّاب، لكنك تكتب بذكاء وحِسّ. ولديك طاقة حقيقية. لكنك وعلى النقيض من فوكا-إري، لم تدرك تماماً بعد ما الذي تريد الكتابة عنه. وهذا هو ما يجعل كثيراً من قصصك تفتقر شيئاً في جوهرها. أعرف أن لديك بداخلك ما تحتاج إلى الكتابة عنه، ولكنك لا تستطيع أن تُخرجه. أمرٌ أشبه ما يكون بحيوان صغير مذعور يختبئ في جوف كهف - وأنت تعرف أنه موجود

هناك، ولكن ليس من سبيل للإمساك به ما لم يخرج هو. وهذا هو ما يجعلني أنصحك دائماً، بالتحلي بالصبر وحسب».

تململ تنغو في جلسته، ولم يعقب بشيء.

قال كوماتسو وهو لم يزل يلوح بملعقته: «الجواب بسيط. نضع الكاتبين معاً ونصنع منهما كاتباً جديداً. نضيف أسلوبك المتقن إلى قصة فوكا-إري الخام. مزيج مثالي. أعرف أن لديك القدرة. وإلا ما الذي كان يجعلني، في رأيك، أدعمك طول هذا الوقت؟ دعْ الباقي لي وسوف أتكفل به. حالما تكونان معاً، سوف تصبح جائزة الكتَّاب الجُدد سهلة المنال، وبعدئذٍ يمكننا التصويب على 'أكوتاجاوا'. لم أكن أضيع وقتي سدى في هذه المهنة كل تلك السنين. أعرف كيف أحرك العرائس».

سمح تنغو لشفتيه أن تفترقا وهو يحدق إلى كوماتسو. أعاد كوماتسو ملعقته إلى طبق فنجانه، فصدر عنها رنين عالٍ غير مألوف.

سأله تنغو وهو يستفيق من الصدمة: «هب أن القصة فازت بجائزة أكوتاجاوا، ماذا بعد؟».

«إذا نالت أكوتاجاوا، فسوف يُحدث ذلك ضجة. معظم الناس لا يُقدِّرون الرواية الجيدة، ولكنهم لا يريدون أن يُغيَّبوا عن شيء، ولذلك سوف يشترونها ويقرأونها - ولا سيما عندما يسمعون أن مؤلفتها فتاة في المدرسة الثانوية. وإذا حققت القصة رواجاً، فسوف تجني مالاً كثيراً. سوف نقسِّمه ثلاث حصص. وسأتولى أنا ذلك».

قال تنغو بصوت رتيب: «دعكَ من المال. وماذا عن أخلاقياتك المهنية كمحرر؟ إذا انكشف الأمر، فسوف يُحدث لغطاً. وسوف تفقد وظيفتك».

«لن يُكتشف ذلك بسهولة. بوسعي معالجة المسألة برمَّتها بحذر

بالغ. وحتى إن خرجت إلى العلن، فسوف يُسعدني ترك الشركة. الإدارة لا تحبني، ولم يعاملوني باحترام قطّ. لن أجد صعوبة في العثور على وظيفة جديدة. وفوق ذلك، فأنا لن أفعل ذلك طلباً للمال، وإنما لخداع الوسط الأدبي. هؤلاء الأوغاد الذين يجتمعون معاً في كهفهم المظلم ويقبِّلون مؤخرات بعضهم بعضاً، ويلعقون جراح بعضهم بعضاً، ويعرقلون بعضهم بعضاً، وأثناء كلّ ذلك يتقيؤون هذا الهراء المُنمَّق حول رسالة الأدب. أريد التسلي بهم كثيراً. أريد أن أحتال على النظام وأستغفل هذه الطُغمة جميعها. ألا يَسرُّك ذلك؟».

لم يَسُر ذلك تنغو كثيراً. فهو أولاً، لم يرَ هذا «الوسط الأدبي» في واقع الأمر. وعندما أدرك أن شخصاً كفوءاً مثل كوماتسو يحمل مثل هذه الدوافع الصبيانية للدخول في هذه المخاطرة، انعقد لسانه هُنيهة وأعجزته الكلمات.

وأخيراً قال: «من وجهة نظري، فهذا يبدو احتيالاً».

قال كوماتسو وقد قطّب جبينه: «المشاركة في التأليف ليست عملاً مستغرباً إلى ذلك الحدّ. نصف قصص 'المانجا' المصورة التي تنشرها المجلات مسلسلةً ما هي إلا نتاج مشاركة في التأليف. فالصحفي يطرح الأفكار ويؤلف القصة، فيما يضع الرسّام رسومات خطية بسيطة، أما مساعدوه فيستكملون التفاصيل ويضيفون الألوان. وهو ما لا يختلف كثيراً عن الطريقة التي تُصنع بها ساعات المنبهات في المصانع. والشيء ذاته يحدث في عالم الأدب. في روايات الحب، على سبيل المثال، يستعين الناشرون في معظمهم بكتّاب يعهدون إليهم بتأليف قصص وفقاً لمعايير يضعونها لهم. إنه تقسيم للعمل: هكذا هو النظام السائد. ولولا هذه الطريقة لكان محالاً بلوغ مرحلة الإنتاج الضخم. وفي عالم الأدب القصصي القلق، فإن مثل

تلك الأساليب، بطبيعة الحال، لا يُسمح بها علناً، ولذلك ستكون استراتيجيتنا هي أن نقدِّم فوكا-إري باعتبارها المؤلفة الوحيدة للعمل. وإذا انكشفت الحيلة، فلن يتمخَّض عنها سوى فضيحة صغيرة، ولكن ذلك لن ينطوي على مخالفة للقانون. كل ما في الأمر هو أننا نساير العصر. وفوق ذلك، فإننا لا نتحدث هنا عن بلزاك أو موراساكي شيكيبو. كل ما سنفعله هو رتق الفتوق في قصة كتبتها فتاة في المرحلة الثانوية وجَعْلها حكاية أدبية أفضل حالاً. ما الخطأ في ذلك؟ إذا خرج العمل النهائي جيداً وجلب متعة لقراء كثيرين، فلا ضير إذاً من ذلك، ألا توافقني الرأي؟».

فكر تنغو فيما قاله كوماتسو لحظة، وأجاب بتحفظ: «أرى مشكلتين هنا. أنا واثق أن هناك المزيد، ولكن دعني أركِّز الآن على هاتين المشكلتين. الأولى هي أننا لا نعرف ما إن كانت المؤلفة، فوكا-إري سوف تستسيغ فكرة اضطلاع شخص آخر بإعادة كتابة عملها. إن قالت لا، فتلك هي نهاية المسألة بالطبع. أما المشكلة الأخرى، وإذا افترضنا أنها وافقت، فهل يمكنني حقاً الخروج بعمل جيد من إعادة كتابتها؟ إن المشاركة في التأليف عمل بالغ الدقة؛ لا أكاد أصدق أن الأمور سوف تسير بالسلاسة التي تظنها».

قال كوماتسو دون تردُّد، كما لو أنه توقَّع ردة فعل تنغو: «أعرف أنك أهلاً لذلك، يا تنغو. لا توجد لدي ذرة شك في ذلك. أدركت ذلك عندما قرأت 'الشرنقة الهوائية' أول مرة. أول شيء خطر ببالي هو 'يتعين على تنغو أن يعيد كتابة هذه القصة!' إنها تلائمك تماماً. وتتوق إليك كي تعيد كتابتها. ألا ترى ذلك؟».

هزّ تنغو رأسهُ وحسب، دون أن يُعقب بشيء.

قال كوماتسو بصوت هادئ: «لسنا في عجلة. لديك يومان أو

ثلاثة للتفكير في الأمر. اقرأ 'الشرنقة الهوائية' مرة أخرى، وفكِّر بإمعان وروية فيما أقترحه عليك. و- آه تذكرت، اسمح لي أن أقدِّم لك هذا».

سحب كوماتسو مظروفاً بني اللون من الجيب الأمامي لسترته وناوله إلى تنغو. وُضعت داخل المظروف صورتان ملونتان من المقاس العادي، صورتان للفتاة. إحداها تُظهر نصفها العلوي، فيما الأخرى تظهر جسمها كاملاً. يبدو أنهما التُقطتا في الوقت نفسه. كانت واقفة بجوار دَرج في مكان ما، درج حجري عريض. ملامحها تقليدية جميلة. شعر طويل ومسترسل. سترة بيضاء. جسم ضئيل ورشيق. شفتاها كانتا تحاولان الابتسام، ولكن عينيها تقاومان ذلك. عيناها جادتان. عينان تبحثان عن شيء. حدَّق تنغو في الصورتين. كلما أمعن النظر فيهما، تذكر نفسه عندما كان في عمرها، وأحسَّ ألماً خفيفاً ومتقطعاً في صدره. كان ألماً من نوع خاص، لم يُحسَّه منذ زمن طويل.

قال كوماتسو: «هذه هي فوكا-إري. فتاة جميلة، أليس كذلك؟ لطيفة وغضة. في السابعة عشرة. كاملة الأوصاف. لن نخبر أحداً بأن اسمها الحقيقي هو إريكو فوكادا. سوف تظلّ فوكا-إري. الاسم وحده سوف يُحدث ضجة إن فازت بجائزة أكوتاجاوا، أليس كذلك؟ سوف يتحلق الصحفيون حولها مثل الخفافيش ساعة الغروب. وسوف تَنفد نسخ الكتاب بين عشية وضحاها».

تساءل تنغو في نفسه حول كيفية حصول كوماتسو على الصورتين. فالمتقدمون للجائزة ليسوا ملزمين بإرفاق صورهم مع مخطوطاتهم. ولكنه قرَّر ألا يسأل، لأنه لم يكن يرغب في معرفة الجواب، أياً كانت طبيعته.

قال كوماتسو: «يمكنك الاحتفاظ بهما. ربما تفيدانك لاحقاً».

أعادهما تنغو إلى المظروف ووضعهما على المخطوطة. ثم قال لكوماتسو: «لا أعرف كثيراً عن كيف تجري الأمور في عالم الأدب، ولكن حسي الفطري الخالص يخبرني بأن هذه الخطة تنطوي على مخاطرة بالغة. عندما تبدأ الكذب على الجمهور، فعليك أن تظلّ تكذب. لا نهاية لذلك أبداً. وليس سهلاً، سواء نفسياً أو عملياً، أن تظلّ تُحوِّر الحقيقة كي تُوائم بين كلّ شيء. هفوة بسيطة من أحد المطلعين على الخطة ربما تُودي بنا جميعاً. ألا توافقني؟».

استلّ كوماتسو سيجارة أخرى وأشعلها: «معك كلّ الحق. إنها مخاطرة. نحن في هذه المرحلة أمام التباسات كثيرة جداً. هفوة واحدة تكفي لأن ينقلب الأمر علينا. أعي ذلك تماماً. ولكن هل تعلم، يا تنغو، أننا إذا أخذنا كل شيء بعين الاعتبار، فإنّ حدسي يقول لي: 'افعلها!' والسبب بسيط وهو أن مثل هذه الفرص لا تأتي المرء كثيراً. وهذه الفرصة لم تسنح لي من قبل، وأنا واثق أنها لن تسنح مرة أخرى. لعلّ تشبيه ذلك بالمقامرة ليس أفضل تشبيه، ولكن لدينا أوراق جيدة وتلال من رقاقات اللعب. الظروف مواتية للغاية. وإذا فرَّطنا في هذه الفرصة، فسوف نندم عليها بقية عمرنا».

حدَّق تنغو صامتاً في ابتسامة كوماتسو التي تنضح شراً خالصاً.

تابع كوماتسو: «والأهم هو أنْ نُعيد صياغة 'الشرنقة الهوائية' حتى تصبح أفضل حالاً. إنها قصة كان ينبغي أن تُكتب على نحوٍ أفضل ممّا كتبت به. وهي تحوي شيئاً مهماً، شيئاً بحاجة إلى مَن يُظهره. أنا واثق أنك تشاركني ذلك الرأي، يا تنغو، أليس كذلك؟ كلانا يُسهم بموهبته الخاصة في المشروع: نحشد قوانا في سبيل شيء

واحد فقط، وهو إظهار ذلك الشيء المهم في العمل. ودوافعنا لذلك دوافع نقية: نستطيع إظهارها في أي مكان دون خجل أو وَجَل».

«حسناً، تستطيع أن تبرِّر ذلك لنفسك كيفما تشاء، وأن تختلق شتى الحجج التي تبدو نبيلة في مظهرها، ولكن في النهاية، يظلّ الاحتيال احتيالاً».

قال كوماتسو، وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة وكبيرة لم يرَ تنغو مثلها قط: «اسمع، يا تنغو، لقد فاتتك حقيقة مهمة. أم يا تُرى يجب عليّ القول إنك تُشيح بوجهك عنها عامداً؟ وتلك الحقيقة الجلية هي أنك ترغب في القيام بهذا العمل. هذه هي حقيقة شعورك فعلاً - أنت لا تعبأ بالمخاطرة ولا بالأخلاقيات. أستطيع رؤية ذلك. أنت تتحرق شوقاً لأن تعيد كتابة 'الشرنقة الهوائية' بنفسك. وتريد أن تكون أنت، وليست فوكا-إري، هو من يُظهر ذلك الشيء المهم في العمل. أودّ منك الآن العودة إلى بيتك وتَبيُّن حقيقة موقفك. قفْ إزاء مرآة وانظر إلى نفسك نظرة فاحصة وطويلة. سترى وجهك ينطق بكل شيء».

أحسّ تنغو بأن الهواء يتبدَّد من حوله. تطلَّع فيما حوله من أشياء. هل ستأتيه الصورة مرة أخرى؟ ولكن لا، لم يكن هناك علامة على ذلك. ثمة سبب آخر وراء تبدُّد الهواء. سَحَب منديلاً من جيبه ومسح عرقاً يتفصد من جبينه. كوماتسو دائماً على حق. لماذا إذاً كل ذلك؟

الفصل الثالث

أَوْمَامِه

بعض الحقائق المتغيرة

هبطت أَوْمَامِه دَرج الطوارئ بقدمين عاريتين إلّا من جوربها. كانت الرياح تُحدث صفيراً وهي تمرّ عبر الدرج الذي لم يكن مسقوفاً. رغم أنّ تنورتها القصيرة كانت لصيقة، فقد انتفخت مثل الشراع بهبّات ريح قوية تأتيها من أسفل، مُولِّدة قوة رفع جعلت خطاها على الدرج مرتعشة. كانت تقبض بشدة على الماسورة المعدنية الباردة التي كانت بمثابة درابزين للدرج، وهي تهبط درجة درجة، وتتراجع أحياناً، وتتوقف من حين إلى آخر كي تزيح خصلات شعرها المتهدِّل عن جبينها وتضبط حقيبتها التي علقتها على صدرها بزاوية مائلة.

ألقت نظرة شاملة على الطريق السريع الوطني 246 الذي يجري أسفلها. كان ضجيج المدينة يغلِّفها: محركات السيارات وزعيق الأبواق ودوي إنذار من جهاز مانع السرقة في إحدى السيارات، وأغنية حرب قديمة، ومطرقة تُكسِّر خرسانة. كان الضجيج الذي تحمله إليها الرياح يُحدِّق بها من كل صوب ويأتيها - من فوقها ومن تحتها ومن حولها. ومع استماعها لكل هذه الضوضاء (ليس لأنها

كانت تريد الاستماع، ولكن لم يكن بوسعها أن تصمّ أذنيها)، كادت أن تُصاب بالدوار.

في جزئه السفلي، أصبح الدّرج ممشىً أفقياً يقود مرة أخرى نحو مركز الطريق السريع العلوي، ثم ينحرف مباشرة إلى الأسفل مرة أخرى.

توجد بناية سكنية صغيرة تتألف من خمسة طوابق وتقع إزاء الطريق في مقابل الدرج المفتوح، وهي بناية حديثة نسبياً ومغطاة بالآجر البني اللون. وتضمّ كل شقة في البناية شرفة صغيرة مواجهة لدرج الطوارئ، بيدَ أنّ أبواب الشرفات كلها كانت موصدة بإحكام، مثلما كانت الستائر مسدلة. أي معماري هذا الذي يجعل شرفات بناية تطلّ مباشرة على طريق علوي سريع؟ لن يعلِّق فيها أحد ملاءات الأسرة أو يجلس في الشرفة يحتسي شراباً ويشاهد ساعة الذروة المرورية مساء. مع ذلك، كانت تمتد من العديد من الشرفات أحبال غسيل من النايلون تبدو وكأنها إلزامية، بل وإحدى هذه الشرفات كانت تضمّ كرسي حديقة وزهرية بها شجرة فيكس. كانت شجرة الفيكس مشرشرة الورق ويبدو عليها الذبول، وأوراقها آخذة في التحلُّل وتعلوها بقع جافة بنية. لم تستطع أَوْمَامِه أن تتجنب الشعور بالأسف على الشجرة. لو قُدِّر لها العودة إلى الحياة مرة ثانية عبر تناسخ الأرواح، فعسى ألّا تعود في صورة نبات الفيكس البائس!

كان درج الطوارئ لا يُستخدم إلا نادراً وهو ما يُستدل عليه ببيوت العناكب العالقة. وفي كلّ بيت يَعلَق عنكبوت أسود صغير ينتظر صابراً حتى تُقبل عليه فريسته الصغيرة. ليس لأنّ للعناكب أدنى معرفة بالصبر. فالعنكبوت لا يمتلك أي مهارات خاصة عدا غزْل خيوط

بيته، والخيار الوحيد لديه في الحياة هو الانتظار دون حراك. وفي السياق الطبيعي للأشياء، يظلّ قابعاً في مكان واحد انتظاراً لفريسته حتى يتصلب ويموت. وهو قدرٌ تُحتمه عليه الجينات. فالعنكبوت لا يصيبه الارتباك ولا يعتريه اليأس ولا يتملكه الندم. ولا ينتابه شك ميتافيزيقي، ولا يكابد تعقيدات أخلاقية. وذلك على النقيض مني. **فعليَّ أن أتحرك نحو غاية، وذلك هو السبب الذي يجعلني الآن أهبط درج الطوارئ الأحمق هذا وحدي قادمة من الطريق السريع رقم 3 عند عبوره لمنطقة سانجنجايا معدومة الجدوى، حتى وإن ترتَّب على ذلك إتلاف جورب حِيك جيداً، فيما أزيحُ أثناء ذلك بيوت العناكب اللعينة بعيداً وأنظر إلى نبات الفيكس القبيح الموجود في إحدى الشرفات الحمقاء.**

أنا أتحرك، إذن أنا موجودة.

وخلال هبوط أَوْمَامِه الدرج، لاحت بخاطرها تاماكي أوتسوكا. لم يكن انصراف ذهنها إلى تاماكي متعمَّداً، ولكن ما إن تخطر ببالها حتى تتداعى عليها الأفكار فلا تستطيع ردّها. كانت تاماكي أعزّ صديقاتها في المرحلة الثانوية وزميلة لها في فريق كرة السوفتبول. ولكونهما زميلتين في فريق، فقد ذهبتا معاً إلى أماكن مختلفة كثيرة، وتشاركتا معاً في شتى الأشياء. وذات مرة مارستا معاً شكلاً من أشكال العلاقة المثلية. وقع ذلك عندما خرجتا في رحلة صيفية وقادتهما الظروف للنوم معاً على سرير مزدوج صغير لم يكن في الفندق سواه. وجدتا نفسيهما تتحسسان بعضهما بعضاً في شتى أنحاء جسديهما. لم تكن أيتهما سحاقية، ولكنهما، مدفوعتان بالفضول الخاص الذي يتملك فتاتين مراهقتين، خاضتا التجربة بجرأة. لم يكن لدى أيتهما صديق في ذلك الوقت، ولم يكن لدى أيتهما أي قدر من

الخبرة الجنسية. لم يكن ما جرى بينهما سوى مشهد من تلك المشاهد التي تظلّ لدى صاحبها «استثنائية ومثيرة». ولكنها كانت عندما تستحضر صورتها مع تاماكي في تلك الليلة وهما تتحسّسان بعضهما بعضاً، تشعر بالاستثارة تعتري جزءاً ضئيلاً وعميقاً من جسدها حتى خلال هبوطها درجاً تعصف به الريح. حلمتا تاماكي البيضويتين وشعر ما فوق عانتها الخفيف والتقوس الجميل لمؤخرتها وشكل بظرها: كل ذلك استحضرته أَوْمَامِه بوضوح غريب.

فيما كان ذهن أَوْمَامِه يستعيد هذه الذكريات الحية، كان التناغم الذي تصنعه آلات النفخ النحاسية لمعزوفة ياناتشيك يُصدر رنيناً يشبه موسيقى تصويرية بهيجة. كانت تمدّ راحة يدها لمداعبة خاصرة تاماكي المقوَّسة. اكتفت تاماكي أول الأمر بالضحك كما لو أنها دُغدغت، ولكن سرعان ما توقفت ضحكاتها، وتغير إيقاع أنفاسها. كانت الموسيقى قد أُلِّفت في الأصل كمقطوعة لمناسبة رياضية. وكان النسيم يهب عليلاً على السهول الخضراء في منطقة بوهيميا على وقع الموسيقى. أدركت أَوْمَامِه أن حلمتي تاماكي قد انتصبتا فجأة. وبعدئذٍ انتصبت حلمتاها هي الأخرى. ثم بعد ذلك أدّت الطبول المعدنية تعبيراً موسيقياً معقداً.

توقفت أَوْمَامِه في سيرها وهزَّت رأسها عدة مرات. **لا ينبغي لذهني أن ينصرف للتفكير في مثل هذه الأشياء الآن. يجب أن أركز في هبوط الدرج.** ولكن سيل الأفكار لن يتوقف. فقد تداعت عليها الصورة تلو الأخرى وبوضوح شديد. الليلة الصيفية والسرير الضيق والرائحة الضعيفة للتعرق. والكلمات التي تبادلتاها. والمشاعر التي تعجز عنها الكلمات. والوعود المنسية. والآمال غير المحققة. والتطلعات المُجهضة. رفعت هبَّة ريح خصلة من خصلات شعرها

لتلفح بها وجنتها. ترقرقت غلالة دمع في مقلتيها من الألم، لكن هبَّات الريح المتلاحقة كانت سرعان ما تجففها.

متى حدث ذلك، إنني أتساءل؟ ولكن الزمن كان مشوشاً في ذاكرتها، كأنه خيط متشابك. فقد ضاع محور الخط المستقيم، واختلط عليها الأمام بالخلف، واليمين باليسار. هناك جارور حلّ محلّ آخر. ليس بوسعها أن تتذكر الأشياء التي كان ينبغي أن تستحضرها بسهولة. نحن الآن في أبريل عام 1984. لقد ولدت في... هذه... 1954. باستطاعتي أن أتذكَّر كلّ ذلك. هذه التواريخ منقوشة في ذاكرتها، ولكن ما إن تستحضرها، حتى تفقد كلّ معناها. كانت ترى بطاقات بيضاء مطبوع عليها تواريخ تتقاذفها الريح، وتتطاير في شتى الاتجاهات. ركضت عسى أن تلتقط منها ما تستطيع، ولكن الريح كانت عاتية، وعدد البطاقات كان يفوق قدرتها على الالتقاط. أخذت البطاقات تتطاير بعيداً: 1954، 1984، 1645، 1881، 2006، 771، 2041... ضاع الترتيب كله، وأخذت المعارف كلها تتلاشي، ودَرج التفكير ينهار تحت قدميها.

نامت أَوْمَامِه وتاماكي في الفراش معاً. كانتا في السابعة عشرة وتستمتعان بالحرية الجديدة التي حصلتا عليها. كانت هذه أولى رحلاتهما معاً كصديقتين، ولم يكن هناك سواهما. وهي حقيقة في حدّ ذاتها كانت تبعث على الإثارة. غمرتا نفسيهما في الينبوع الحار للفندق، وتشاركتا معاً علبة جعة من الثلاجة، وأطفأتا الأضواء، وانسلَّتا إلى الفراش. لم يكن الأمر يعدو كونه مزاحاً في أول الأمر، وكانت كلتاهما تَغُز الأخرى على سبيل الدعابة. ولكن في لحظة ما مدَّت تاماكي يدها وأمسكت بحلمة أَوْمَامِه عبر «تِي شيرت» كانت ترتديه كقميص نوم. سرَت صدمة كهربية في أوصال أَوْمَامِه. وفي

النهاية تجرَّدتا من قميصيهما وبنطاليهما وأصبحتا عاريتين في ليلة صيف. **أين ذهبنا في تلك الرحلة؟** لم تستطِع تذكر ذلك. لم تهتم لذلك. سريعاً، ودون أن تكون أيتهما هي البادئة، راحت كلتاهما تتفحص جسد الأخرى حتى بلغتا أدقّ التفاصيل. تبادلتا النظرات واللمسات والمداعبات والقبلات ولعقت كل منهما الأخرى، جرى بعض ذلك على سبيل المزاح فيما كان بعضه الآخر جَدياً. كانت تاماكي قصيرة القامة وممتلئة قليلاً وذات نهدين كبيرين. أما أَوْمَامِه فكانت أطول وأنحف قواماً وذات بنيان قوي ونهدين أصغر حجماً. كانت تاماكي دائمة الكلام عن عزمها على بدء حمية غذائية، لكن أَوْمَامِه وجدتها جذابة بحالها الذي كانت عليه.

كانت بشرة تاماكي طرية وناعمة. حلمتاها تأخذان شكلاً بيضوياً جميلاً عندما تنتفخان فتشبهان ثمرتي زيتون. وكان شَعر عانتها ناعماً وخفيفاً، ويشبه شجرة صفصاف ضعيفة. أما أَوْمَامِه فكان شعر عانتها خشناً وكثاً. وكان الفرق بينهما يثير الضحك لدى كليهما. كانتا تُجرِّبان لمس بعضهما بعضاً في مناطق مختلفة ثم يتناقشان حول أيها أكثر إثارة. بعض المناطق كانت تتماثل لدى كلتيهما، فيما لم تكن مناطق أخرى كذلك. مدّت كلتاهما إصبعها ولمست به بظر الأخرى. كلتاهما كانتا قد مارستا الاستمناء - كثيراً. ولكنهما اكتشفتا الآن الفرق عندما تلمسهما يد شخص آخر. كان النسيم يهبّ عبر سهول بوهيميا.

توقفت أَوْمَامِه وهزّت رأسها مرة أخرى. أطلقت زفرة عميقة وأحكمت قبضتها على الدرابزين المعدني. **لا بدّ أن أوقف التفكير في هذه الأشياء. لا بدّ أن أركز على هبوط الدرج. الآن، يتعين أن أكون قد قطعت أكثر من نصف مسافة النزول. مع ذلك، لماذا لا**

أزال أسمع ضوضاء عالية هنا؟ لماذا لا تزال الرياح بالغة الشدة؟ يبدو أنهما يُعنِّفاني ويُعاقباني.

بعدما نحَّت جانباً هذه الصور الحسية الآنية، بدأ القلق يساور أَوْمَامِه بشأن ما قد ينتظرها عند نهاية الدرج. ماذا لو اعترضها شخصٌ ما، وطلب منها أن تُعرف بنفسها وتبرِّر سبب وجودها؟ هل سيكفي أن تقدم تفسيراً بسيطاً من قبيل - «هناك تكدُّس مروري على الطريق السريع ولديّ عمل عاجل اضطرني لهبوط الدرج»؟ أم ستعترض طريقها تعقيدات؟ لم تكن تريد أي تعقيدات. ليس أوانها اليوم.

لحسن الحظ، لم يكن ثمة مَن يعترض سبيلها لدى بلوغها المستوى الأرضي. كان أول ما فعلته هو أن سحبت حذاءها من حقيبتها وانتعلته. انتهى الدرج بمنطقة خالية أسفل الطريق السريع العلوي، وهي منطقة تخزين لمواد الإنشاء تقع بين مساري الذهاب والإياب لطريق 246 وتحيطها ألواح حديد. بعض أعواد الحديد الصلب تُركت ملقاة على الأرض الخالية حتى طالها الصدأ، وهي على الأرجح مخلفات تبقت من بعض المشاريع الإنشائية. كان ثمة سقف مصنوع من البلاستيك يغطي إحدى زوايا المنطقة التي تضمّ ثلاثة أجولة قماشية مكوَّمة. لم تكن أَوْمَامِه لديها أدنى فكرة عمّا قد تحويه، ولكنها كانت تحظى بحماية إضافية من المطر عبر غطاء من المطاط. بدا أنّ الأجولة هي الأخرى تحوي مخلفات أعمال إنشائية، وقد أُلقيت هناك بعد انتهاء العمل لأن نقلها كان عملاً بالغ الصعوبة. وأسفل السقف، كانت توجد العديد من صناديق مطعجة من الكرتون المدكوك، وبعض قنيْنات الماء البلاستيكية، وعدد من مجلات 'المانجا' (القصص المصورة) ملقاة على الأرض. وعدا بضع أكياس

تسوق بلاستيكية كانت الرياح قد كومتها، لم يكن هناك شيء آخر بالأسفل.

كانت المنطقة لها بوابة معدنية، ولكن قفلاً كبيراً وعدة لفّات من السلاسل أوقفتها في مكانها. وجدت البوابة بالغة الارتفاع ويعلوها سلك شائك. لم يكن ثمة سبيل للقفز من فوقها. وحتى إن تمكّنت من ذلك، فإن بذلتها سوف تتمزق. قامت بهزّها بضع هزات مختبرة قوتها، ولكنها لم تتزحزح. لم يكن هناك مجال لأن تمرّ عبرها ولو قطة حَشْراً. يا للعنة. أي غاية من إغلاق المكان بهذا الإحكام؟ لم يكن به شيء يستحق السرقة. قطبت جبينها وراحت تسبّ وتلعن، بل وحتى بصقت على الأرض. بعد كلّ ما عانته في سبيل الهبوط من الطريق السريع العلوي، تجد نفسها الآن حبيسة في منطقة تخزين! تطلّعت في ساعتها. لا يزال لديها متسع من الوقت، ولكنها لن تظلّ تدور حول نفسها في هذا المكان للأبد. والعودة مجدداً إلى الطريق السريع الآن غير واردة.

كان كعبا جوربها قد تمزقا. بعدما تأكدت أن أحداً لا يَرْقبها، خلعت حذاءها، ورفعت تنورتها، وسحبت جوربها إلى الأسفل، ثم نزعته عن قدميها وانتعلت حذاءها ثانية. ثم دسَّت الجورب الممزق في حقيبتها.

هدأت قليلاً بعد ذلك. والآن دارت بمحاذاة محيط منطقة التخزين، وهي تدقِّق النظر في كلّ تفصيلة. كانت تعادل مساحة صفّ دراسي في مدرسة ابتدائية، ولذلك لم يستغرق قيامها بدورة كاملة حول المكان وقتاً على الإطلاق. نعم، لقد عثرت على المخرج الوحيد بالفعل، وهو البوابة الموصدة. كانت الألواح المعدنية التي تحيط

بالمكان رفيعة، ولكنها كانت مُسمَّرة معاً بإحكام، ولم يكن بالإمكان فكّ المسامير دون أدوات. هذا هو أوان تراجعها عن هدفها - هذا هو وقت التراجع.

تحوَّلت إلى المنطقة المسقوفة كي تلقي نظرة من كثب على الكرتون المدكوك. أدركت أنه رُصّ على هذا النحو ليكون سريراً، لا سيما وأن عدداً من البطانيات المهترئة كانت ملفوفة داخله. لكنها لم تكن بالية جداً. ربما كان بعض متشرِّدي الشوارع ينامون هنا، وهو ما يفسِّره وجود القنينات والمجلات. لا ريب في ذلك. قرَّرت أَوْمَامِه أن تُعمل عقلها. إذا كانوا يستخدمون هذا المكان لقضاء ليلهم، فلا بد أن هناك مدخلاً سرياً. قالت في نفسها، إنهم يجيدون العثور على الأماكن المخبوءة التي تَقيهم الريح والمطر. وهم يعرفون كيف يؤمِّنون الممرات السرية، لاستخدامهم الخاص.

دارت أَوْمَامِه دورة أخرى، وراحت تتفحص من كثب كلّ لوح معدني ضمن السور وتحاول هزّه. مثلما توقعت، وجدت موضعاً مفكوكاً ربما انخلع منه مسمار. حاولت ثنيه في اتجاهات مختلفة. عندما قامت بتغيير الزاوية قليلاً وسحبته إلى الداخل، انفتح مجال يسمح بمرور شخص عبره ولو محشوراً. ربما كان متشردو الشوارع يأتون بعد حلول الظلام كي يهنأوا بالنوم تحت سقف، ولكنهم سوف يواجهون متاعب إن ضبطهم أحد هنا، ولذلك كانوا يخرجون خلال ساعات النهار كي يدبِّروا طعامهم ويجمعوا الزجاجات الفارغة مقابل نذر يسير من المال. شكرت أَوْمَامِه في سريرتها سكان الليل المجهولين. ونظراً إلى أنه كان عليها التحرّك خلسة، ودون أن تكشف هويتها لأحد، خلف كواليس المدينة الكبيرة، فقد شعرت بالتوحد معهم.

انحنت بجسمها إلى أسفل وانسلَّت عبر الفتحة الضيقة، متوخية أعلى درجات الحذر كي تتحاشى تَمزُّق بذلتها الغالية إذا علقت في جسمٍ حاد. لم تكن بذلتها المفضلة، وإنما الوحيدة التي لديها. وهي عادةً لا تظهر بهذه الهيئة، ولم يسبق أن انتعلت مطلقاً حذاء عالي الكعبين، لكن هذا النوع الخاص من العمل اقتضى أن ترتدي ملابس تبعث على الاحترام، ولذلك كان عليها تفادي إتلاف البذلة.

لحسن الحظ، لم يكن ثمة أحد خارج السور أيضاً. تفحَّصت ملابسها مرة أخرى، واستعادت ملامح وجهها الهادئة، وتوجَّهت صوب زاوية بها إشارة مرورية. بعد عبورها للطريق 246، دلفت إلى صيدلية واشترت جورباً جديداً، لبسته في غرفة خلفية بعدما استأذنت الفتاة القائمة على خزينة الدفع. حسَّن ذلك مزاجها كثيراً وبدَّد ذلك الوجع الخفيف، الأشبه بالغثيان، الذي بقي في معدتها. بعد شكرها الموظفة، غادرت الصيدلية.

كانت الحركة المرورية على طريق 246 أكثر ازدحاماً من المعتاد، ربما لانتشار معلومة مفادها أن حادثاً قد أعاق الحركة على الطريق السريع الحضري الموازي. تخلت أَوْمَامِه عن فكرة أن تستقل سيارة أجرة وقررت بدلاً من ذلك أن تستقلّ قطاراً من محطة قريبة لخط طوكيو شن-تاماجاوا. هذا أمر مؤكد. كانت قد ضاقت ذرعاً بسيارات الأجرة العالقة في الزحام.

وفي طريقها إلى محطة سانجنجايا، مرَّت بشرطي في الشارع. كان ضابطاً طويل القامة في مقتبل الشباب، ويمشي يحثّ الخطى قاصداً وجهة محددة. اعتراها التوتر للحظة، ولكنه كان ينظر أمامه مباشرة، ويبدو في عجلة بالغة لا تسمح له حتى بأن يلمحها. وقبيل أن يمرّ كل منهما بالآخر، لاحظت أَوْمَامِه شيئاً غريباً في زيه. كانت

السترة بلونها الأزرق البحري العادي، لكن تصميمها مختلف. فقد كان أكثر ابتعاداً عن الرسمية، وأقلّ التصاقاً بالجسم، وقماشها أكثر نعومة، وطيّة الصدر أصغر، بل وحتى اللون الأزرق البحري كان أبهت قليلاً. المسدس الذي يحمله أيضاً من طراز مختلف. كان يحمل مسدساً آلياً حول خصره بدلاً من المسدس الذي يحمله عادة رجال الشرطة في اليابان. فالجرائم التي يتخللها إطلاق أعيرة نارية هي جرائم بالغة الندرة في هذا البلد وكان تعرض ضابط شرطة لإطلاق نار احتمالاً ضئيلاً، ممّا جعل المسدس قديم الطراز ذي الطلقات الستة كافياً. كانت المسدسات تتسم بالبساطة والرخص وبكونها مضمونة ويسهل صيانتها. ولكن لسبب ما كان هذا الضابط يحمل مسدساً من أحدث الطرازات نصف الآلية، وهو طراز يمكن حشوه بست عشرة طلقة من عيار 9 مم. ربما من طراز «غلوك» أو «بريتا». ولكن كيف ذلك؟ كيف يمكن أن يتغير زي رجال الشرطة ومسدساتهم دون أن تدري؟ هذا أمر غير وارد تماماً. فهي تقرأ الصحف بعناية كل يوم. ويُفترض أنها أبرزت مثل هذه التغييرات في صفحاتها. وفوق ذلك، فهي تهتم اهتماماً بالغاً بزي رجال الشرطة. وحتى هذا الصباح، قبل بضع ساعات فقط، كان رجال الشرطة لا يزالون بزيّهم القديم الذي اعتادوا عليه دائماً، ولا يزالون يحملون مسدساتهم البسيطة قديمة الطراز ذاتها. كانت تتذكر ذلك بوضوح. كان أمراً بالغ الغرابة.

ولكن أَوْمَامِه لم تكن في حالة ذهنية تسمح لها بالتفكير العميق في تلك الأمور. فلديها مهمة عليها أن تؤديها.

عندما وصل قطار الأنفاق محطة شيبويا، أودعت معطفها في خزانة تعمل بواسطة العُملة المعدنية، ثم أسرعت نحو دوجنزاكا باتجاه الفندق مرتدية بذلتها فقط. كان فندقاً مقبولاً، ليس مبهراً، ولكنه حسن

التجهيز ونظيف ويقصده نزلاء ذوو سمعة طيبة. يضمّ مطعماً في طابقه الأرضي، فضلاً عن متجر بقالة صغير. وهو قريب من المحطة، ويوجد في موقع مميز.

دخلت الفندق وتوجَّهت صوب دورة مياه السيدات. لحُسن حظها، كانت خالية. كان أول ما فعلته هو أنها جلست وبالت بولة طويلة ومريحة وهي مغمضة عينيها، وتستمع إلى الصوت المنبعث من ذلك وكأنه صوت أمواج تتكسر على صخور، دون أن تفكر في شيء بعينه. بعد ذلك وقفت أمام أحد الأحواض وغسلت يديها جيداً بالماء والصابون. سرّحت شعرها بالفرشاة ونظفت أنفها. تناولت فرشاة أسنانها ونظفت أسنانها تنظيفاً سريعاً دون معجون. لم يكن لديها وقت لتنظيفها بالخيط. ولم يكن ذلك مهماً إلى هذه الدرجة. فهي لم تكن تتهيأ لمواعدة غرامية. نظرت في المرآة وأضافت قدراً بسيطاً من أحمر الشفاه وحددت حاجبيها بالقلم. خلعت سترتها كي تضبط وضعية صدريتها ومسَّدت التجاعيد التي ظهرت في قميصها الأبيض، ثم تشممت رائحة ما تحت إبطيها. لا رائحة. ثم أغمضت عينيها وتلت الصلوات المعتادة، التي لم تكن كلماتها تعني شيئاً. لم يكن يهمها المعنى. المهم هو التلاوة.

وبعد تلاوة الصلاة فتحت عينيها ونظرت إلى نفسها في المرآة. حسناً. صورة سيدة أعمال قديرة. قوام ممشوق. فم مزموم الشفتين. لم يكن هناك سوى حقيبة كتفها الكبيرة والمنتفخة التي تبدو غير ملائمة. ربما الأحرى أن تحمل حقيبة أوراق أنيقة، ولكن هذه الحقيبة أجدى عملياً. تفحصت الحقيبة مرة أخرى للتأكد من وجود الأدوات المطلوبة جميعها. لا توجد مشكلة. كل شيء في مكانه، ويسهل الوصول إليه بلمسة.

والآن لم يكن أمامها سوى تنفيذ المهمة حسبما رُتب لها. في الحال. وبعزم لا يلين وقسوة لا تعرف الرحمة. فكَّت الزرار العلوي لقميصها، كي تسمح باستراق النظر لنهر نهديها عند انحنائها إلى الأمام. ليت كان لديها نهر أكبر تكشفه!

لم يستوقفها أحد عندما استقلت المصعد إلى الطابق الرابع، ومشت عبر الردهة، وسرعان ما وجدت الغرفة رقم 426. أخرجت حافظة أوراق من حقيبتها، وعلقتها بصدرها وطرقت الباب. طرقة خفيفة وسريعة. لحظة انتظار. طرقة أخرى، هذه كانت أشدّ قليلاً. سمعت صوت تذمر آتٍ من الداخل. فُتح الباب موارَباً. أطلّ وجه رجل. ربما في الأربعين من عمره. يرتدي قميصاً أزرق بحري. وسروالاً رمادياً من الصوف. هيئة كلاسيكية لرجل أعمال وهو متجرِّد من ربطة عنقه وسترته. عيناه حمراوان، ومتبرم. ربما يعاني حرماناً من النوم. بدا أنه فوجئ لدى رؤيته أَوْمَامِه في بذلتها الرسمية، ربما توقع أنها الخادمة، وقد أتت لإعادة ملء الميني بار.

بابتسامة حلوة على وجهها، بادرته أَوْمَامِه قائلة: «يؤسفني جداً أن أزعجك، يا سيدي. اسمي إيتو، إحدى موظفات إدارة الفندق. نواجه مشكلة في مكيفات الهواء وعليَّ إجراء معاينة. هل تسمح لي بالدخول؟ لن يستغرق الأمر أكثر من خمس دقائق».

نظر إليها شزراً وباستياء واضح: «لديّ شيء مهم أشتغل عليه، عمل مستعجَل. سوف أترك الغرفة في غضون ساعة. هل يمكنك العودة عندئذٍ؟ لا توجد مشكلة في مكيف هواء هذه الغرفة».

«أنا آسفة جداً، يا سيدي. لدينا حادث طارئ تسبَّب فيه ماس كهربائي. يتعين علينا التعامل معه بأسرع وقت ممكن، حفاظاً على

سلامة النزلاء. نحن نتفقد الغرف واحدة تلو أخرى. لن يستغرق الأمر خمس دقائق...».

قال الرجل وهو يصدر طقطقة بلسانه: «آه، كما تشائين. كنت حريصاً على حجز غرفة كي أعمل دون إزعاج».

أشار إلى الأوراق الموضوعة على المكتب - كومة من الرسوم والأشكال البيانية التي طبعها، لعلها مواد كان يحضرها لاجتماع لاحق. كان لديه حاسوب وآلة حاسبة، وورقة ملاحظات تحوي أرقاماً كثيرة.

كانت أَوْمَامِه تعرف أنه يعمل لدى شركة في مجالٍ ذي صلة بالنفط. كان اختصاصي استثمار في عدد من الشركات في الشرق الأوسط. وبحسب المعلومات التي حصلت عليها، فهو واحد من بين أكثر الخبراء كفاءة في هذا المجال. بوسعها أن تلاحظ ذلك من خلال مظهره. وهو ينتمي إلى أسرة عريقة، ويحقق دخلاً كبيراً، ويقود سيارة جديدة من نوع جاغوار. عاش طفولة مدللة، وسافر إلى الخارج للدراسة، ويجيد اللغتين الإنجليزية والفرنسية، وتبدو عليه علامات الثقة بالذات. كان من النوع الذي لا يحتمل أن يُملي عليه أحدٌ شيئاً، أو أن يوجِّه له أحد انتقاداً، ولا سيما إن جاء الانتقاد من امرأة. لكنه لا يجد صعوبة تُذكر في التسلط على الآخرين، ولا يجد غضاضة على الإطلاق في أن يكسر بضعة أضلع لزوجته بعصا الغولف. وفي كلّ ما يخصه، فإنه يرى نفسه محور العالم، ولولاه لتوقفت الأرض عن الدوران. ويثور بشدة، ويستشيط غضباً إنْ حالَ أحد بينه وبين ما يفعل أو عارضه على أيّ نحو.

قالت أَوْمَامِه، وهي تُظهر له أفضل ابتسامة مصطنعة لديها: «أنا آسفة يا سيدي على إزعاجك». ثم وكأن دخولها بات أمراً محتوماً،

دفعت بنفسها إلى الغرفة حتى أصبح ظهرها إلى الباب، وجهزت حافظتها وأخذت تدون شيئاً عليها بقلم حبر جاف وسألته: «هل أنت، آه، السيد مياما، على ما أظن...؟» ولكونها رأت صورته عدة مرات، فقد كانت تعرف وجهه جيداً، ولكن لا ضير أن تستوثق من كونه هو الشخص المقصود. فالخطأ هنا لا سبيل لتصحيحه.

قال بغلظة: «أجل، بالطبع. مياما». أتبَعَ ذلك بتنهيدة مُذعنة بدا أنه يقول من خلالها: «حسناً. افعلي ما تشائين من فضلك». جلس على كرسي مكتبه، وراح يجمع أوراقاً كان يقرأها وهو لا يزال ممسكاً بقلم حبر جاف في يده. كانت بذلته وربطة عنق مُقلَّمة موضوعتين حيث ألقى بهما على سرير مزدوج رُتِّب بعناية. بدا واضحاً أنهما باهظتا الثمن. مشت أَوْمَامِه مباشرة نحو خزانة الملابس، فيما تتدلى حقيبتها من كتفها. كانت قد أُبلغت بأن لوحة مفاتيح مكيف الهواء موجودة هناك. داخل الخزانة، وجدت معطفاً واقياً من المطر مصنوعاً من قماش ناعم ووشاحاً من الكشمير لونه رمادي داكن. لم يكن هناك من أمتعة سوى حقيبة جلدية. لم تجد ملابس تمّ تبديلها، أو كيساً لمستحضرات التجميل. لا يعتزم أن يمضي الليلة هنا على الأرجح. وُضع على المكتب إبريق من القهوة كان جلياً أن موظفي خدمة الغرف أحضروه. تظاهرت بأنها تفحص لوحة المفاتيح ثلاثين ثانية ثم نادت على مياما.

«أشكرك يا سيد مياما على تعاونك. لا توجد أي مشكلة في هذه الغرفة».

قال متأففاً: «وهذا هو ما كنت أحاول قوله لك من البداية».

غامرت بالقول: «آه... يا سيد مياما...؟ معذرة، ولكني أظن أن شيئاً ما قد علق بمؤخر عنقك».

قال: «مؤخر عنقي؟» حكَّ المنطقة بيده ثم حدَّق في راحة يده.

«لا أظن ذلك».

قالت وهي تدنو منه: «من فضلك، دعني ألقي نظرة وحسب. هل تمانع؟».

قال وقد بدت عليه علامات الارتباك: «لا أبداً. تفضلي. ما هو ذاك الشيء؟».

«بقعة دِهان، بحسب ظني. لونها أخضر ساطع».

«دهان؟».

«لست واثقة حقاً. لونها يقول إنها دهان. هل تمانع إنْ لمست هذه المنطقة؟ ربما تزول سريعاً».

قال مياما وقد أحنى رأسه إلى الأمام، ليكشف مؤخر عنقه لأَوْمَامِه: «حسناً، افعلي». كان مؤخر عنقه أجرد بفضل ما بدت أنها حلاقة قام بها مؤخراً. سحبت أَوْمَامِه نفساً عميقاً ثم حبسته، وركزت اهتمامها على أنامل أصابعها الباحثة عن البقعة. ضغطت بطرف إصبعها هنا وكأنها تُعيِّن المكان، ثم أغمضت عينيها كي تتأكد أنها لم تخطئ في لمستها. **نعم، هذه هي. أريد مزيداً من الوقت حتى أتحقق مرة أخرى، ولكن فات أوان ذلك الآن. يجب أن أبذل قصارى جهدي فيما أنا بصدده.**

«عذراً يا سيدي، لكن هل تمانع إنْ طال وضعي لإصبعي على هذه البقعة قليلاً؟ سوف أستخرج كشافاً صغيراً من حقيبتي. الإضاءة هنا ليست كافية».

«لماذا سيكون لدي بقعة دهان هناك، مَن يتخيل ذلك؟».

«لا أدري، يا سيدي. سوف أدقق النظر فيها فوراً».

بينما ظلت محتفظة بإصبعها ضاغطاً على البقعة الموجودة في

مؤخر عنق الرجل، سحبت أَوْمَامِه حاوية بلاستيكية صلبة من حقيبتها، وفتحتها، والتقطت جسماً ملفوفاً بقماش رقيق. ببضع حركات بارعة، بسطت لفافة القماش، كاشفة شيئاً يشبه كسارة ثلج يبلغ طولها أربع بوصات وذات مقبض خشبي مدمج بها. كانت تشبه كسارة الثلج، ولكنها لم تُصنع لتقطيع الثلج. أَوْمَامِه هي مَن صمّمتها وصنعتها. كان طرفها حاداً ومدبباً مثل سن الإبرة، ومؤمَّنة من الكسر عبر قطعة صغيرة من الفلين - فلين عولج حتى أصبح ناعماً نعومة القطن. أزالت الغطاء الفليني بعناية عن السن ودسَّتها في جيبها. ثم وجهت السن العاري إلى البقعة ذاتها في عنق مياما. قالت أَوْمَامِه في نفسها، **اهدئي الآن، هذه هي. لا يمكن أن أُخطئها ولو بواحد على مائة من البوصة. هفوة واحدة وسوف يضيع كل جهدي سُدى. التركيز هو المفتاح.**

احتج مياما: «كم من الوقت سوف يستغرقه ذلك؟».

«معذرة، يا سيدي. سوف أنتهي في لحظة».

قالت له دون أن تنطق، **لا تقلق. سوف ينتهي الأمر قبل أن تدرك. ثانية أو اثنتان وحسب. وعندئذٍ لن يكون عليك أن تفكر بأي شيء. لن يتعين عليك التفكير في نظام تكرير النفط أو اتجاهات سوق النفط الخام أو التقارير الربع سنوية إلى المستثمرين أو حجوزات الطيران إلى البحرين أو الرِشى المقدّمة للمسؤولين أو هداياك لعشيقتك. أيُّ مشقة لا بد أنك كنت تتجشمها كي تميز بين كل هذه الأشياء داخل رأسك كل هذا الوقت! لذلك، أرجوك الانتظار دقيقة واحدة. أنا أبذل قصارى جهدي هنا، وأستجمع كل ما لدي من تركيز. لا تشتت تركيزي. ذلك هو غاية ما أطلبه.**

حالما استقرَّت على النقطة ووجَّهت كل طاقتها الذهنية لتنفيذ المَهمة، رفعت أَوْمَامِه كفها الأيمن في الهواء، وحبست أنفاسها،

وتوقفت هُنيهة، ثم أنزلتها مباشرة ولكن دون قوة مفرطة. لو أنها لجأت إلى القوة المفرطة، فلربما انكسرت الإبرة تحت الجلد، وتركها لسن الإبرة هو أمرٌ غير وارد لديها. المهم هو أن تُنزل يدها بخفة ولطف وبالزاوية المطلوبة تماماً وبالقدر المطلوب من القوة ودون تحدي الجاذبية الأرضية، مباشرة إلى أسفل، كما لو أن النقطة تمتص سنّ الإبرة الدقيق بشكل طبيعي للغاية وبعمق وسلاسة، كي تحقق نتائج مميتة. كانت الزاوية والقوة - أو لنقل، ضبطها لمقدار القوة، عاملاً حاسماً. والأمر يصبح في بساطة غرز إبرة في قطعة من الجبن النباتي، مادامت قد احتاطت لتلك التفاصيل. اخترقت الإبرة الجلد، وشقت طريقها إلى النقطة الخاصة في قاعدة الدماغ، فأوقفت القلب بشكل طبيعي يشبه انطفاء شمعة. تمّ كل شيء في جزء من الثانية، وبسهولة بالغة تقريباً. لا أحد سوى أَوْمَامِه يستطيع ذلك. لا أحد غيرها يستطيع العثور على تلك النقطة الدقيقة بلمسة. لأناملها قدرة حدس استثنائية جعلت ذلك ممكناً.

سمعته يأخذ نفساً متحشرجاً، قبل أن تتصلب كل عضلة في جسده. على الفور، سحبت الإبرة وبسرعة مماثلة أخرجت ضمادة صغيرة جاهزة في جيبها، وضغطت بها على الجرح للحيلولة دون تدفق الدم. ولأن الإبرة كانت بالغة الدقة والرقة ولم تمكث في جلده لأكثر من بضع ثوان، فلا يمكن أن يتسرب من الثقب سوى قدر ضئيل للغاية من الدم، لكن كان لزاماً عليها توخي أقصى درجات الحيطة والحذر. عليها ألا تترك أي أثر للدم. قطرة واحدة قد تطيح بكل شيء. كان توخي الحذر هو الخصلة المميزة لدى أَوْمَامِه.

بدأت قواه تتسرب من جسده، الذي تيبس في الحال، كما يتسرب الهواء من كرة سلة. احتفظت أَوْمَامِه بإصبعها فوق النقطة ذاتها

في عنقه، وتركته يتداعى إلى الأمام فانكب على المكتب. جاء وجهه على جانبه، متوسداً وثائقه. كانت عيناه جاحظتين على نحوٍ يشي بدهشة ظاهرة، كما لو أن آخر ما رآه في حياته كان شيئاً مذهلاً للغاية. فعيناه لا تشيان بخوف أو ألم، وإنما بدهشة خالصة. ثمة شيء لم يعهده كان يسري في جسده، ولكنه لا يستطيع أن يدرك كُنهه - أهو ألم أو حكة أو لذة أو كشف إلهي؟ للموت طرق عديدة ومختلفة حول العالم، ربما لا توجد بينها طريقة تضاهي هذه في سهولتها.

قالت أَوْمَامِه في نفسها بتجهم، **هذه ميتة أسهل ممّا تستحق. كانت أسهل ممّا ينبغي. ربما كان علي أن أكسر لك بضعة أضلع بعصا غولف وأذيقك ألماً مبرحاً قبل أن أخرجك من بؤسك. تلك كانت الميتة المناسبة لجرذ مثلك. فذلك هو ما فعلته في زوجتك، لكن لسوء الحظ أن الاختيار ليس اختياري. مهمتي كانت هي أن أرسل هذا الرجل إلى العالم الآخر بأقصى سرعة وبأعلى درجات اليقين والكتمان. الآن، أنجزت تلك المهمة. كان حيّاً قبل لحظة، والآن هو في عداد الموتى. لقد عبر العتبة الفاصلة بين الحياة والموت دون أن يعي هو نفسه ذلك.**

أبقت أَوْمَامِه الضمادة في مكانها خمس دقائق كاملة، بصبر، ولكن دون أن تضغط عليها بشكل يترك معه إصبعها أثراً. كانت عيناها مركزتين على عقرب الثواني في ساعتها. مرت الدقائق الخمس ثقالاً للغاية. لو أن أحداً دخل الغرفة عندئذٍ ورآها تضغط بإصبعها على عنق الرجل فيما هي ممسكة بسلاح القتل الدقيق في اليد الأخرى، لانتهى أمرها تماماً. لن يمكنها أبداً التنصل من موته. قد يجلب عامل في الفندق إبريقاً من القهوة. وقد يُطرق الباب في أي لحظة. ولكن لا مناص عن هذه الدقائق الخمس. وحتى تهدئ من روعها، سحبت

أَوْمَامِه ببطء عدة أنفاس عميقة. لا يجوز لي الآن الارتباك. لا يجوز أن أفقد رباطة جأشي. يجب أن أظلّ كما هو دأبي دائماً أَوْمَامِه الهادئة الثابتة.

كان بوسعها سماع دقات قلبها. وبالتزامن مع هذه الدقات، كانت تسمع داخل رأسها صدى افتتاحية معزوفة ياناتشيك. كان النسيم العليل والهادئ ينساب عبر السهول الخضراء لبوهيميا. أدركت أنها قد شُطرت نصفين. نصف ظلّ يضغط بثبات مطلق على عنق الرجل الميت. ونصف آخر امتلأ خوفاً. فكَّرت أن تلقي بكل شيء وتغادر هذه الغرفة. **الآن، أنا هنا، ولكني لست هنا. أنا في مكانين في آن واحد. ذلك يناقض نظرية آينشتاين، ولكن من يعبأ بذلك. سمِّها تأملات القاتل.**

وأخيراً انقضت الدقائق الخمس. ولكن ليطمئن قلبها، زادت عليها أَوْمَامِه دقيقة أخرى. **بوسعي الانتظار دقيقة أخرى. كلما زاد الاندفاع، كان على المرء أن يولي عناية أكبر للعمل الذي يؤديه.** احتملت دقيقة إضافية، بدت وكأنها لن تنقضي أبداً. ثم رفعت إصبعها ببطء ودققت النظر في الجرح تحت ضوء كشافها الصغير. لو كانت لسعة بعوضة لتركت ثقباً أكبر.

يفضي غرز إبرة مستدقة الطرف في نقطة معلومة في قاعدة الدماغ إلى موت يكاد لا يميزه أحد عن موتة طبيعية مباغتة. سوف يبدو ذلك وكأنه سكتة قلبية لدى معظم الأطباء العاديين. لقد داهمته دون سابق إنذار فيما هو مُنكب على أوراقه الموجودة على سطح المكتب، فلفظ أنفاسه الأخيرة. إرهاق وضغط عمل. لا أثر لأسباب غير طبيعية. لا حاجة إلى تشريح الجثة.

هذا الرجل كان ذو كفاءة عالية، ولكنه عرضة أيضاً للإجهاد.

كان يتقاضى راتباً عالياً، ولكن ما عاد بوسعه الآن الاستفادة منه لأنه أصبح ميتاً. كان يرتدي بذلات من ماركة «أرماني» ويقود سيارة «جاغوار»، ولكنه أصبح مجرّد نملة في النهاية، وظلّ يعمل ويعمل حتى مات عبثاً، بل إن حقيقة أنه وُجد في هذا العالم ذاتها سوف تصبح في طي النسيان في نهاية المطاف. ربما يتأسف عليه الناس بقولهم: «يا للأسى، كان في ريعان شبابه». أو ربما لن يقولوا شيئاً.

تناولت أَوْمَامِه قطعة الفلين من جيبها ووضعتها على الإبرة. بعد أن قامت بلف الأداة الدقيقة بقطعة القماش الرقيقة مرة أخرى، أعادتها إلى العلبة الصلبة ثم إلى قعر حقيبتها. جاءت بمنشفة يدٍ من الحمام وأزالت أي بصمات ربما تركتها في الغرفة. البصمات كلها موجودة على لوحة مكيف الهواء ومقبض الباب. كانت حريصة على ألا تلمس أي شيء آخر. أعادت المنشفة إلى الحمام. وضعت فنجان القهوة والإبريق على صينية خدمة الغرف، ثم وضعت كل شيء في الممر. فهكذا، لن يتعين على عامل الفندق أن يطرق الباب عندما يأتي لاستعادتهما، ومن ثَّم سيتأخر اكتشاف الجثة مدة أطول. إذا سار كل شيء على ما يرام، فسوف تُكتشف الجثة من قبل إحدى العاملات عندما ينقضي موعد تسجيله الخروج من الفندق غداً.

وعندما لا يحضر اجتماع الليلة، فربما يدق الأشخاص جرس الغرفة، ولكن أحداً لن يجيبهم. ربما سيرونه أمراً مستغربا أن يطلبوا من مدير الفندق فتح الغرفة، ولكن ربما لا يرونه كذلك. سوف تسير الأمور في مجراها في نهاية المطاف.

وقفت أَوْمَامِه أمام مرآة الحمام كي تتأكد أن هندامها لم يتضرر في شيء. أغلقت الزرار العلوي لقميصها. لم تكن مضطرة للكشف

عن نهر نهديها. فلم يكد الوغد يتطلع إليها. تُرى ماذا كان يعني له الآخرون؟ جربت أن تظهر تكشيرة من النوع المتوسط. بعدئذٍ مسَّدت شعرها، ودلَّكت عضلات وجهها بأطراف أصابعها كي تَلين، ورسمت ابتسامة حلوة أمام المرآة، كاشفة عن أسنانها البيضاء التي نظفتها قبل قليل. **حسناً، يمكنني إذاً الانصراف من هنا، إلى خارج غرفة الرجل الميت والعودة إلى عالم الواقع. حان الوقت لضبط الضغط الجوي. لست قاتلة قاسية القلب، وإنما سيدة أعمال بارعة تعلو وجهها ابتسامة وترتدي بذلة فاخرة.**

فتحت الباب قليلاً، وتأكَّدت أن الممر خالياً، ثم انسلت. هبطت عبر السلم بدلاً من المصعد. لم تسترعِ انتباه أيّ أحد وهي تجتاز بهو الفندق. بقوامٍ ممشوق، مشت بخطى مسرعة وهي تنظر أمامها مباشرة - وإن لم تسرع بما يكفي للفت الانتباه. كانت محترفة وكاملة الأوصاف تقريباً. شعرت بوخزة ألم وقالت في نفسها، **لو كان نهداي أكبر قليلاً، لربما أصبحتُ كاملة الأوصاف حقاً.** تجهمتْ قليلاً. **ولكن مهما يكن، عليك أن تتدبري أمورك بما هو متوفر لديك.**

الفصل الرابع

تنغو
إنْ كان ذلك هو ما تريده

استفاق تنغو على رنين الهاتف. كانت العقارب المضيئة لمنبهه تشير إلى تجاوز الوقت للواحدة صباحاً بقليل. كانت الغرفة مظلمة بالطبع. أدرك تنغو أن المكالمة من كوماتسو. لا أحد سوى كوماتسو يهاتفه في الواحدة صباحاً - ويترك الهاتف يرنّ حتى يرفع هو السماعة، مهما طال ذلك. كان كوماتسو يفتقر للإحساس بالوقت. فهو يجري مكالمة بمجرد أن تخطر له فكرة، دون اعتبار للساعة أبداً. قد يحدث ذلك في منتصف الليل أو مع انبلاج الفجر، ولا يهم إن كان الطرف الآخر يستمتع بليلة زفافه أو راقداً على فراش الموت. يبدو أن الفكرة عديمة الخيال التي مفادها أن مكالمة هاتفية منه قد تكون مزعجة لم تدخل رأس كوماتسو الأشبه بالبيضة.

لكن هذا لا يعني أن كوماتسو يفعل ذلك مع الجميع. فهو يعمل لدى مؤسسة ويتقاضى راتباً. ربما لا يستطيع أن يطلق لنفسه العِنان ويتصرف إزاء الجميع دون أي اكتراث بالذوق العام. وهو بوسعه مع تنغو فقط، أنْ ينجو من العقاب. كان كوماتسو لا يرى في تنغو إلا امتداداً له هو نفسه؛ مثل ذراع أو قدم إضافية. فإذا كان كوماتسو

مستيقظاً، فلا بد أن يكون تنغو مستيقظاً. يأوي تنغو إلى فراشه عادة في العاشرة ويستيقظ في السادسة، وهو يحافظ عموماً على نمط منتظم في حياته. كان نومه ثقيلاً. مع ذلك، كان إذا أيقظه أحد من نومه، وجد صعوبة في الخلود إلى النوم ثانية. وكان عندئذٍ يعتريه توتر بالغ. وحاول أن يشرح ذلك لكوماتسو مرات ومرات، وترجَّاه ألا يهاتفه في منتصف الليل، وكأنه فلاح يضرع إلى الله ألا يرسل أسراب الجراد إلى حقله قبل موسم الحصاد.

قال كوماتسو: «فهمت ما تريد. لن أهاتفك في منتصف الليل مرة أخرى». ولكن وعده لم يكن يمدّ جذوراً عميقة في دماغه. وكان هطْل المطر مرة واحدة يكفي لأن يمحو أثره.

نهض تنغو متثاقلاً من الفراش، وراح يصطدم بالأشياء، حتى تمكن من الوصول إلى الهاتف الموضوع في المطبخ. وفي أثناء ذلك، واصل الهاتف رنَّاته الشرسة.

قال كوماتسو: «تحدثت مع فوكا-إري». لم يعبأ مطلقاً بالتحيات المعتادة، أو بسؤال من قبيل «هل كنت نائماً؟» أو بعبارة «أنا آسف على الاتصال في وقت متأخر للغاية». شيء مدهش. لم يكن بوسع تنغو ألا يُعجب بكوماتسو.

قطَّب تنغو جبينه في الظلام، دون أن ينبس بكلمة. عندما يوقظه أحد ليلاً، فإنّ عقله يستغرق وقتاً حتى يبدأ في العمل.

«هل سمعت ما قلته؟».

«نعم، سمعت».

«كانت مجرد مكالمة هاتفية. ولكني تحدّثت معها. أو بالأحرى كلَّمتُها. اكتفت بالاستماع. لا يمكنك أن تُسميها حرفياً محادثة. فهي نادراً ما تتكلم. ولديها طريقة غريبة في الكلام. سوف ترى ما أعنيه.

على أية حال، أعطيتها ملخصاً عامّاً لخطتي، مثلاً، ما رأيها في فكرة التقدم لجائزة الكُتَّاب الجُدد عبر الاستعانة بشخص ما في إعادة كتابة 'الشرنقة الهوائية' وترقية أسلوبها؟ لم يتسنَّ لي سوى أن أقدِّم لها فكرة مجملة عبر الهاتف وأسألها إن كان ذلك يهمها، مفترضاً أننا سوف نلتقي ونتحدث في التفاصيل. أبقيت الأمر مبهماً نوعاً ما. إن أصبحت صريحاً أكثر ممّا ينبغي في شأن مثل هذا، فقد أجد نفسي في موقف لا أحسد عليه».

«ثم ماذا؟».

«لا جواب».

«لا جواب؟».

توقف كوماتسو عن الكلام كي يخلق بعض الإثارة. وضع سيجارة بين شفتيه وأشعلها بعود ثقاب. مع سماعه لصوت إشعال الثقاب عبر الهاتف، كان بوسع تنغو أن يتخيل المشهد حياً. كوماتسو لم يستخدم قداحة قط.

قال كوماتسو، وهو ينفث دخان سيجارته: «فوكا-إري تقول إنها تودّ مقابلتك أولاً. لم تصرِّح ما إن كانت مهتمة بالخطة أو غير مهتمة، أو ما إن كانت قد أحبَّت الفكرة أو لم تحبها. أظن أن الشيء الأساسي لديها هو أن تقابلك وتتحدث إليك وجهاً لوجه. وهي سوف تعطيني جواباً بعد ذلك، هكذا تقول. المسؤولية تقع كلها على عاتقك، ألا ترى ذلك؟».

«ثم ماذا؟».

«هل لديك وقت مساء الغد؟».

كانت حصصه في المدرسة تبدأ صباحاً وتنتهي في الرابعة.

لحسن الحظ (أو لسوء الحظ) لم يكن لديه التزامات عقب ذلك. قال: «لدي وقت».

«حسناً. أريد منك الذهاب إلى مقهى ناكامورايا في شنجوكو في السادسة. سوف أحجز لك طاولة في المؤخرة حيث يسود الهدوء. الطاولة ستكون باسمي والحساب سوف تتحمله الشركة، فكُلْ واشرب قدر ما تستطيع. بوسعكما أن تتحدثا حديثاً جميلاً وطويلاً».

«مِن دونك؟».

«ذاك هو ما تريده فوكا-إري. تقول إنه لا فائدة من مقابلتي بعد».

ظلّ تنغو صامتاً.

قال كوماتسو مبتهجاً: «إذاً هذا هو الحال. ابذل قصارى جهدك فيه، يا تنغو. أنت ذو بنيان قوي، ولكنك تترك انطباعاً طيباً لدى الناس. وفوق ذلك، فأنت تُعلِّم في مدرسة تأهيلية خاصة، وتألف الحديث إلى فتيات المرحلة الثانوية اللائي بلغن قبل أوانهن. أنت الشخص المناسب لهذه المهمة، ولست أنا. ابتسم لها عند لقائك بها، واكسب ودّها وثقتها. سأنتظر منك أنباء سارة».

«لحظة من فضلك. كل شيء كان فكرتك. وأنا حتى لم أخبرك بعد بقبولي خطتك. مثلما قلت لك ذاك اليوم، هذه الخطة يحفّها خطر جسيم، ولا أتوقع أنها سوف تسير وفق ما نريد. قد تتحول إلى فضيحة حقيقية. كيف لي أن أقنع هذه الفتاة التي لم أرها قطّ بقبول شيء أنا نفسي لم أقرر قبوله بعد؟».

لم يردّ كوماتسو من ناحيته بشيء. وبعد برهة صمت، قال: «والآن اسمعني، يا تنغو. لقد غادرنا المحطة بالفعل. ليس بوسعك

أن توقف القطار وتنزل منه الآن. أنا ملتزم التزاماً تاماً. أما أنت فملتزم بما يربو على النصف، أنا متأكد. إننا نواجه مصيراً واحداً».

هزّ تنغو رأسه. **نواجه مصيراً واحداً؟ متى بدأت هذه الميلودراما؟** «بالأمس القريب فقط طلبتَ مني ألّا أتعجَّل في الرد وأن أفكر في الأمر على مهل، أليس كذلك؟».

ردّ كوماتسو: «انقضت خمسة أيام على ذلك. كان لديك وقت طويل للتفكير في الأمر. ما هو قرارك؟».

لم يعرف تنغو ماذا يقول. قال صادقاً: «لم أصل إلى قرار».

«إذا كان ذلك، فلماذا لا تجرب أن تلتقي الفتاة فوكا-إري وتتحدث معها بشأن الموضوع. يمكنك أن تقرِّر عقب ذلك».

ضغط تنغو بأصابعه على صدغيه بشدة. كانت دماغه ما زالت لا تعمل بشكل سليم: «حسناً. سوف أتحدث إليها. غداً في السادسة في مقهى ناكامورايا في شنجوكو. سوف أقدِّم لها تقييمي للموقف. ولكني لا أعدكَ بأكثر من ذلك. أستطيع أن أشرح لها الخطة، ولكن ليس بوسعي أن أقنعها بأي شيء».

«ذلك هو كل ما أطلبه، بالطبع».

«إذن، ما هو مقدار ما تعرفه فوكا-إري عني؟».

«أَطلعتُها على المعلومات العامة. وهي أنك في التاسعة والعشرين أو الثلاثين من العمر، أعزب، تُدرِّس الرياضيات في مدرسة يويوجي التأهيلية. وأنك ضخم البنيان، ولكنك لست شخصاً سيئاً. وأنك لا تأكل الفتيات الصغيرات. وتعيش حياة بسيطة، ولك عينان جميلتان. وأن أسلوبك في الكتابة يروقني كثيراً. ذاك ما قلته».

تنهَّد تنغو. عندما حاول أن يفكر، حلَّقت الحقيقة بالقرب منه، ثم تراجعت بعيداً.

«هل تسمح لي بالعودة إلى فراشي؟ الساعة شارفت على الواحدة والنصف، وأنا بحاجة إلى قسط ضئيل من النوم قبل شروق الشمس. لدي ثلاث حصص صباح غد».

قال كوماتسو: «حسناً. تصبح على خير. أحلاماً سعيدة». ثم أقفل الخط.

ظلّ تنغو يحدق هنيهة في السماعة وهو ممسك بها، ثم وضعها. كان يريد أن يَخلد للنوم فوراً إذا أمكن، وأن يحلم أحلاماً سعيدة إذا أمكن، ولكنه كان يعلم أن ذلك لن يكون سهلاً بعد أن تمّ جرجرته من السرير وأُرغِم على المشاركة في محادثة مزعجة. يمكنه أن يظل يشرب حتى ينام، ولكنه لم يكن في مزاج يسمح له بشرب الكحول. في النهاية قرَّر أن يشرب كوباً من الماء، ويعود إلى الفراش، ويضيء الأنوار، ثم يشرع في قراءة كتاب. كان يأمل أن يساعده ذلك على النوم، بيد أنه لم ينَمْ فعلاً حتى بزوغ الفجر تقريباً.

استقلّ تنغو القطار العلوي إلى شنجوكو بعد انتهائه من حصته الثالثة. اشترى بضعة كتب من متجر كينوكونيا، ثم قصد مقهى ناكامورايا. ذكر اسم كوماتسو عند الباب فأرشده النادل إلى طاولة هادئة في المؤخرة. لم تكن فوكا-إري قد وصلت بعد. أخبر تنغو النادل بأنه سينتظر شخصاً حتى يصل. هل ترغب في شيء خلال انتظارك؟ فقال إنه لا يرغب. ترك النادل القائمة وكوباً من الماء على الطاولة. فتح تنغو أحد كتبه الجديدة وشرع في القراءة. كان كتاباً عن القوى الخارقة ويتناول بالتفصيل وظيفة اللعنات في المجتمع الياباني على مرّ القرون. لقد لعبت اللعنات دوراً كبيراً في المجتمعات

القديمة. كانت تسدّ الثغرات والتناقضات في النظام المجتمعي. يبدو أن ذلك كان زمناً جميلاً للعيش فيه.

بلغت الساعة السادسة والربع، ولم تكن فوكا-إري قد وصلت. واصل تنغو القراءة غير عابئ. لم يثِر تأخرها دهشته. هذا الموضوع برمّته جنون في جنون، وليس بوسعه أن يشكو لأيٍّ كان إذا ما أخذ منعطفاً جنونياً آخر. لن يكون مستغرباً إذا ما غيرت رأيها وقرَّرت عدم الحضور من الأصل. وفي الحقيقة، فهو يتمنى لو أخذ الأمر هذا المنحى- سيكون ذلك أيسر له. وسيكون بوسعه الرجوع إلى كوماتسو وإخباره بأنه انتظرها ساعة ولكنها لم تحضر وحسب. أما ما سيحدث عقب ذلك فليس من شأنه. وسوف يتناول عشاءه وحده ثم ينصرف إلى البيت، ويكون قد وفَّى بالتزامه أمام كوماتسو.

وصلت فوكا-إري في الساعة 6:22. أرشدها النادل إلى الطاولة وجلست مقابل تنغو. وضعت يديها الصغيرتين على الطاولة، ودونما أن تخلع معطفها حتى، أخذت تحدِّق النظر فيه مباشرة. لم تقل «آسفة على التأخير»، أو «آمل ألّا أكون قد جعلتك تنتظر طويلاً»، بل ولا حتى «مرحباً» أو «يسرني لقاؤك»، كل ما فعلته هو أنها أخذت تحدِّق في وجهه مباشرة، وهي تمطّ شفتيها المضمومتين. بدا وكأنها تتأمل منظراً طبيعياً تراه لأول مرة. تملَّكت الدهشةُ تنغو.

كانت فوكا-إري فتاة صغيرة، صغيرة في كل شيء، ووجهها يبدو أجمل ممّا هو عليه في الصورة. كانت أكثر ملامح وجهها جاذبية هي عيناها العميقتان الآسرتان. شعر تنغو بعدم الارتياح عندما وجد نفسه واقعاً تحت نظرة محدقة لعينين شديدتي السواد ولامعتين. تكاد لا تطرف بعينيها ولا تتنفس تقريباً. كان شعرها منسدلاً، كما لو أن شخصاً قد شدَّ كل خُصلة فيه بمسطرة، فيما يتماهى شكل حاجبيها

تماماً مع شعرها. ومثلما هو حال فتيات جميلات كثيرات ممَّن في طور المراهقة، فقد خلت ملامحها من أي أثر للحياة اليومية. كانت ملامحها أيضاً غير متوازنة على نحو غريب - ربما لوجود فارق طفيف في عمق العينين - يسبب إزعاجاً لدى من يتعرَّض لتحديقها. وليس بوسعك أن تجزم بشأن ما تفكر فيه. بذلك المعنى، فإنها ليست من هؤلاء الفتيات الجميلات اللائي يصبحن عارضات أو نجمات غناء. بدلاً من ذلك، كان بها ما يستثير الآخرين ويجتذبهم نحوها.

أغلق تنغو كتابه ووضعه جانباً. اعتدل في جلسته وأخذ رشفة ماء. كوماتسو كان مُحقاً. إذا ما نالت مثل هذه الفتاة جائزة أدبية، فسوف تحاصرها كلّ وسائل الإعلام. سوف يولِّد ذلك حالة من الإثارة. ثم ماذا بعد؟

جاء النادل ووضع القائمة وكوباً من الماء أمامها. لم تكن قد حرَّكت ساكناً بعد. بدلاً من التقاط القائمة، واصلت تحديقها في تنغو. شعر أنه لا بدّ وأن يقول شيئاً. «مرحباً». في حضرتها، شعر بأنه أكثر أهمية من أي وقت مضى.

لم ترد فوكا-إري تحيته، بيْدَ أنها واصلت تحديقها فيه. وغمغمت أخيراً: «إنني أعرفك».

قال تنغو: «تعرفينني؟».

«إنك تُدرِّس رياضيات».

أومأ: «نعم أفعل».

«استمعتُ إليك مرتين».

«الدروسي؟».

«نعم».

كان أسلوبها في الكلام له سمات مميزة: جملها خالية من

المُحسنات، وتعاني نقصاً شديداً في التصريفات اللغوية، وتعتمد على عدد محدود من المفردات (أو على الأقل ما كان يبدو أنه مفردات محدودة). كوماتسو كان محقاً: أسلوبها غريب.

سأل تنغو: «هل تقصدين أنك طالبة في مدرستي؟».

هزت فوكا-إري رأسها: «ذهبت إلى هناك لبعض المحاضرات فقط».

«لا يفترض أن تدخلي المدرسة دون الحصول على هوية طالب».

هزت فوكا-إري كتفها هزة خفيفة، وكأنها تقول: « لا ينبغي للكبار قول تلك الأشياء التافهة».

سأل تنغو، سؤاله الثاني الذي لا معنى له: «ما رأيك في المحاضرات؟».

أخذت فوكا-إري رشفة ماء دون أن تُحوِّل نظرها عنه. لم تُجِب عن السؤال. خمَّن تنغو في نفسه أنه لا يمكن أن يكون قد ترك انطباعاً سيئاً لديها طالما أنها حضرت له درسين. لولا أن المرة الأولى قد راقت لها، لما حضرت الثانية.

سأل تنغو: «أنت في السنة الثالثة من المدرسة الثانوية، أليس كذلك؟».

«تقريباً».

«تدرسين كي تتقدمين لاختبارات الالتحاق بالكلية؟».

هزت رأسها.

لم يستطع تنغو أن يحدد أتعني بذلك «لا أودّ الحديث عن اختبارات الالتحاق بالكلية» أو «لن أتقدم لاختبارات الالتحاق بالكلية في حياتي أبداً». تذكر ملاحظة كوماتسو حول قلة كلام فوكا-إري.

جاء النادل ليتلقى طلباتهما. كانت فوكا-إري لا تزال ترتدي

معطفها. طلبت سلطة وخبزاً وقالت وهي تعيد القائمة إلى النادل: «ذلك هو كل شيء». ثم، وكأنما خَطر لها فجأة، أضافت: «وكوباً من النبيذ الأبيض».

بدا أن النادل الشاب يودّ سؤالها عن عمرها، ولكنها حدجته بنظرة جعلته يحمر خجلاً، فازدرد كلماته. قال تنغو في نفسه، **إنها مثيرة للإعجاب**. طلب باستا بثمار البحر وقرر الانضمام إلى فوكا-إري بكوب من النبيذ الأبيض.

قالت فوكا-إري: «إذاً أنت معلم وكاتب». بدا أنها تسأل تنغو سؤالاً. يبدو أن توجيه الأسئلة غير المذيلة بعلامات الاستفهام هو سمة أخرى لكلامها.

قال تنغو: «حتى الآن».

«لكنك لا تشبه أيهما».

قال: «ربما ذلك». فكر في أن يبتسم لكنه لم يستطع رسم الابتسامة. «أنا مُعلم معتَمد وأُدرِّس منهاج إحدى المدارس التأهيلية، ولكني لست مُعلماً بالضبط. فأنا أكتب القصة، لكن لم تُنشر لي أي أعمال، لذلك فأنا لم أصبح كاتباً بعد، أيضاً».

«أنت لا شيء».

أومأ تنغو: «بالضبط. في الوقت الحالي، أنا لست شيئاً».

«أنت تحب الرياضيات».

أضاف تنغو في ذهنه علامة استفهام لتعليقها وأجاب عن السؤال الجديد: «أحب الرياضيات. كنت دائماً أحبها، ولم أزل أحبها».

«ماذا فيها».

«ما الذي أحبه فيها؟ ممم. عندما أرى أمامي أرقاماً، أشعر بالارتياح. شيءٌ من قبيل، كلٌّ ميسر لما خُلق له».

«الجزء الخاص بحساب التفاضل والتكامل كان جيداً».

«هل تقصدين في محاضرتي؟».

أومأت فوكا-إري.

«هل تحبين الرياضيات؟».

هزت رأسها هزة سريعة. لم تكن تحب الرياضيات.

سألها: «ولكن ذلك الجزء من حساب التفاضل والتكامل كان جيداً؟».

هزت كتفيها مرة أخرى هزة خفيفة: «إنك تتحدث عن ذلك وكأن الأمر يعنيك».

قال تنغو: «آه، حقاً؟» لم يقُل له أحد ذلك قط.

قالت: «وكأنك تتحدث عن شخص مهم لديك».

قال تنغو: «ربما أزداد حماسة عندما أحاضر عن المتتاليات. المتتاليات هي الجزء المفضل لدي شخصياً في مقرر رياضيات المرحلة الثانوية».

سألته فوكا-إري، دون علامة استفهام: «أنت تحبّ المتتاليات».

«من وجهة نظري هي أشبه بمقطوعة 'لوحة مفاتيح حسنة المزاج' لـ«باخ». لا أملُّ الاستماع إليها أبداً. دائماً هناك الجديد الذي تكتشفه فيها».

«أعرف مقطوعة 'لوحة مفاتيح حسنة المزاج'».

«هل تحبين باخ؟».

أومأت فوكا-إري: «البروفيسور دائماً ما يستمع إليه».

«البروفيسور؟ تقصدين أحد معلميك؟».

لم تجب فوكا-إري. نظرت إلى تنغو نظرة يبدو أنها تقول له: «من المبكر جداً أن تتحدث عن ذلك».

خلعت معطفها وكأنه لم يخطر ببالها أن تفعل ذلك إلّا الآن. بعد خلعه، بدت أشبه بحشرة تنسلخ من جلدها. ودون أن تبالي بطيّه، وضعته على الكرسي بجوارها. كانت ترتدي كنزة خفيفة برقبةٍ لونها أخضر باهت وبنطالاً من الجينز، دون أيّ حلي أو مساحيق تجميل، ولكنها مع ذلك كانت ذات حضور واضح. قوامها الممشوق جعل نهديها النافرين يلفتان الأنظار بشكل لا يقاوم. وكان شكلهما جميل أيضاً. اضطر تنغو لأن يحذّر نفسه من النظر إلى هناك، لكنه لم يستطع غضّ بصره. كانت عيناه مسلطتين على صدرها وكأنهما مسلطتان نحو مركز دوامة كبيرة.

جاء النادل بكوبين من النبيذ الأبيض. أخذت فوكا-إري رشفة من كوبها، ثم، وبعد إمعان النظر في الكوب، وضعته على الطاولة. أما تنغو فأخذ رشفة على سبيل المجاملة. والآن حان الوقت للحديث عن المسائل المهمة.

وضعت فوكا-إري يدها على شعرها الأسود المنسدل وراحت تُخلل أصابعها فيه لبعض الوقت. كانت حركة جميلة، وأصابع يدها جميلة، كل إصبع يتحرك على ما يبدو وفقاً لإرادته وغايته الخاصة وكأنه يتناغم في ذلك مع شيء خفي.

سأل تنغو نفسه بصوت عالٍ مرة أخرى كي يحول انتباهه عن أصابعها وصدرها: «ما الذي أحبه في الرياضيات؟ الرياضيات تشبه الماء. تحوي كثيراً من النظريات الصعبة، بالطبع، ولكن منطقها الأساسي بالغ البساطة. وكما أنّ الماء يتدفق من أعلى إلى أسفل عبر أقصر مسافة ممكنة، فإنّ الأرقام أيضاً يمكنها أن تتدفق في اتجاه واحد. ما عليك سوى أن تراقبيها من كثب خلال الطريق حتى تكشف عن نفسها. ذلك هو كلّ المطلوب. ليس عليك عمل شيء. ركزي

انتباهك وحسب وافتحي عينيك، وسوف تفسر لك الأرقام كل شيء. وفي هذا العالم بأسره، العالم مترامي الأطراف، الشيء الوحيد الذي يتعامل معي برقة بالغة هو الرياضيات».

فكرت فوكا-إري في ذلك هنيهة وسألته بطريقتها الجامدة: «لماذا تكتب القصص؟».

حوَّل تنغو سؤالها إلى جمل أطول: «بعبارة أخرى، إذا كنت أحب الرياضيات كثيراً، فما الذي يجعلني أتجشَّم كلّ الصعاب التي تكتنف كتابة القصص؟ لماذا لا أكتفي بتدريس الرياضيات؟ أليس هكذا سؤالك؟».

أومأتْ.

«ممم. الحياة على أرض الواقع تختلف عن الرياضيات. الأشياء في الحياة لا تتدفق بالضرورة عبر أقصر الطرق الممكنة. الرياضيات من وجهة نظري - كيف أعبِّر عن ذلك؟ - هي شيء طبيعي للغاية. تشبه المنظر الجميل. إنه موجود هناك. ليس ثمة حاجة إلى مقايضتها بأي شيء آخر. لذلك، عندما أُدرِّس الرياضيات، أشعر أحياناً بأني قد أصبحت شفافاً. وهو أمر قد يكون مخيفاً».

ظلَّت فوكا-إري تنظر مباشرة في عيني تنغو كما لو أنها تنظر في منزل خاوٍ وقد لصقت وجهها بزجاجه الخارجي.

قال تنغو: «عندما أكتب قصة، أستعين بالكلمات لتحويل المشهد المحيط إلى شيء أكثر طبيعية من وجهة نظري. بعبارة أخرى، أعيد بناءه. بتلك الطريقة، يمكنني التأكيد دون أدنى شكّ أن هذا الشخص الذي هو 'أنا' موجود في العالم. وهذه طريقة مغايرة تماماً للانغماس في عالم الرياضيات».

قالت فوكا-إري: «أنت تؤكد أنك موجود».

قال تنغو: «لا أستطيع القول إنني نجحت في ذلك مائة في المائة».

كان يبدو أن فوكا-إري لم تقتنع بتفسير تنغو، ولكنها لم تعقب على قوله. اكتفت بتقريب كوب النبيذ من فمها وأخذت رشفات صغيرة بصوت غير مسموع كما لو أنها تشرب عبر ماصة.

قال تنغو: «إذا كنت تسألينني، فإنك في واقع الأمر تفعلين الشيء نفسه. إنك تحولين المشاهد التي ترينها إلى كلماتك الخاصة وتُعيدين بناءها. وتؤكدين بذلك وجودك».

توقفت يد فوكا-إري التي تحمل كوب النبيذ عن الحركة. فكرَّت هنيهة في ملاحظة تنغو، ولكن مرة أخرى لم تقدِّم رأياً.

أضاف تنغو: «لقد منحتِ شكلاً لتلك العملية. وتجسَّد ذلك في شكل العمل الذي كتبتيه. إذا نجح العمل في كسب استحسان الكثيرين وإذا توحدوا معه، فإنه يصبح عندئذٍ عملاً أدبياً له قيمة موضوعية».

هزت فوكا-إري رأسها هزة حاسمة: «لا يهمني الشكل».

قال تنغو: «الشكل لا يهمك».

«الشكل ليس له معنى».

«إذا كان ذلك، فلماذا كتبت القصة وتقدَّمت بها إلى جائزة الكتَّاب الجُدد؟».

وضعت كوب النبيذ وقالت: «لم أفعل ذلك».

كي يهدئ نفسه، تناول تنغو كوب شرابه وأخذ رشفة ماء.

«تقولين إنك لم تتقدمي بها؟».

أومأت فوكا-إري. «لم أرسلها».

«حسناً، مَن فعل إذاً؟».

هزت كتفيها هزة خفيفة، ثم ظلت صامتة لخمس عشرة ثانية. وأخيراً، قالت، «لا يهم».

أعاد تنغو كلامها: «لا يهم»، مطلِقاً زفرة طويلة وبطيئة من بين شفتيه المضمومتين، آه، رائع. **لن تمر الأمور فعلاً بسلام. كنت أعرف ذلك.**

أقام تنغو علاقات شخصية مع طالبات من المدرسة التأهيلية التي يُدرس فيها لمرات عديدة، رغم أن ذلك كان دائماً بعدما يُكملن دراستهن في المدرسة ويلتحقن بالجامعة، وكانت الفتيات دائماً هن مَن يبادرن بذلك. تتصلن وتقلن إنهن تردن رؤيته. فيلتقي الطرفان ويذهبان معاً إلى مكان ما. لم يكن لديه أدنى فكرة عمّا يجذبهن إليه، ولكنه كان أعزب على أية حال، أما هن فلم يعدن طالبات لديه. ولم يكن لديه سبب كافٍ لأن يرفض عندما يطلبن منه مواعدة.

أفضَت هذه المواعدات في مرتين إلى ممارسة جنسية، ولكن هذه العلاقات كانت تنتهي من نفسها في نهاية المطاف. لم يكن تنغو يشعر بارتياح تام وهو في حضرة فتيات الكليات المفعمات بالحيوية. كان الأمر أشبه باللعب مع قطة صغيرة، غضة ومرحة في أول الأمر، ومُرهِقة في آخره. كان يبدو أن الفتيات، أيضاً، يشعرن بالإحباط عندما يكتشفن أن تنغو كشخص لم يكن هو نفسه معلم الرياضيات المفعم بالشغف الذي رأينه في الصف الدراسي. وكان يتفهم شعورهن.

كان تنغو يشعر بارتياح أكبر وهو في حضرة نساء يكبرنه سناً. فمعهن ليس عليه الأخذ بزمام المبادرة في كلّ شيء، ممّا يزيح عن كاهله عبئاً ثقيلاً. وقد أحبَّته نساء بالغات كثيرات. وهذا هو السبب، في توقفه عن مواعدة أي فتيات بعدما أقام منذ سنة علاقة مع امرأة

متزوجة تكبره بعشر سنوات. وأصبح لقاؤه الأسبوعي مع صديقته التي تكبره سناً في شقته يُشبع لديه تماماً أيّ اشتهاء لامرأة من لحم ودم. ثم بعد ذلك، يمضي بقية الأسبوع منزوياً في غرفته وحيداً، يكتب ويقرأ ويستمع إلى الموسيقى؛ وأحياناً يذهب لممارسة السباحة في حمام السباحة بالحي. وعدا الدردشة البسيطة التي يتبادلها مع زملائه في المدرسة التأهيلية، كان نادراً ما يتحدَّث مع أيّ أحد. لم يكن ممتعضاً من هذه الحياة، بل على النقيض، كانت تكاد تكون حياة مثالية.

ولكن فوكا-إري، ابنة السابعة عشرة، كانت فتاة مختلفة. فقد شعر بقشعريرة عنيفة تسري في أوصاله لدى رؤيته لها. وهو الشعور نفسه الذي انتابه حين رأى صورتها أول مرة، ولكن في حضرة الفتاة بشحمها ولحمها كان الشعور أشد وأقوى تأثيراً. لم تكن تلك هي وخزات الحب أو الرغبة الجنسية. لقد استشعر أن شيئاً معيناً قد شقّ طريقه عبر فتحة صغيرة ويحاول أن يملأ فضاء خاوياً داخله. ولم يكن الفراغ شيئاً صنعته فوكا-إري. فقد كان موجوداً دائماً داخل تنغو. وما فعلته هي لا يعدو أنها سلَّطت ضوءاً خاصاً عليه.

قال تنغو وكأنه يتأكد ممّا أخبرته به: «أنت لست مهتمة بكتابة القصة، ولم تتقدمي لمسابقة الكُتَّاب الجُدد».

بعينين شاخصتين نحوه، أومأت فوكا-إري موافقة. ثم هزت كتفيها هزة خفيفة كما لو كانت تقي نفسها لفحة برد خريفية.

«أنت لا تريدين أن تكوني كاتبة». تملَّكت الصدمة تنغو عندما سمع نفسه يسأل سؤالاً بدون علامة استفهام. لا شك أن الأسلوب ينتقل من طريق العدوى.

قالت فوكا-إري: «لا، لست أريد».

في هذه اللحظة، جاء النادل بالوجبتين - وعاء كبير من السلطة ورغيف خبز لفوكا-إري، وباستا بطعام البحر لتنغو. استخدمت فوكا-إري شوكتها كي تُقلِّب بعض أوراق الخس، وراحت تتفحّصها وكأن عناوين الصحف قد طُبعت عليها.

«إذاً، ثمة شخص أرسل قصتك 'الشرنقة الهوائية' إلى الناشر كي تنافس على جائزة الكتَّاب الجُدد. صادفتها خلال مراجعتي للنصوص المرسلة».

قالت فوكا-إري، وقد ضيَّقت حدقتيها: «'الشرنقة الهوائية'؟».

قال تنغو: «ذلك هو عنوان الأقصوصة التي كتبتيها».

أبقت فوكا-إري حدقتَي عينيها مضيَّقتين، دون أن تعقب بشيء.

سأل تنغو ببعض القلق: «أليس ذلك هو العنوان الذي اخترتيه لها؟».

هزت فوكا-إري رأسها هزة خفيفة.

اعتراه الارتباك مرة أخرى، لكنه قرَّر متابعة أسئلته حول العنوان. المهم هو أن نحرز تقدماً في نقاشنا معاً.

«لا عليك إذاً. على أية حال، فإنه ليس بالعنوان السيئ. إنه يوحي بأجواء واقعية، وسوف يلفت الانتباه، ويجعل الناس يتساءلون عمّا يمكن أن يكون. وأياً كان مَن اختاره، فليس لدي مشكلة مع العنوان ذاته. لست متأكداً من الفرق بين «الشرنقة» و«الخادرة»، ولكن ذلك لا يهم. ما أحاول قوله لك هو أن العمل قد حاز إعجابي حقاً، وهذا هو ما دفعني لتقديمه للسيد كوماتسو. وهو الآخر قد أحبَّه كثيراً، ولكنه رأى أن الصياغة بحاجة إلى كثيرٍ من العمل إذا كان للقصة أن تنافس منافِسة يُعتَدّ بها على جائزة الكتَّاب الجُدد. فالأسلوب لا يقارن

مطلقاً بقوة القصة، ولذلك فهو يريد أن تُعاد كتابتها، ليس من قِبلك وإنما من قبلي أنا. لم أقرِّر بعد ما إن كنت سوف أتولى ذلك أو لا، ولم أعطِهِ جواباً بعد. ولا أدري إن كان ذلك صواباً».

توقف تنغو عند تلك النقطة كي يرى ردة فعل فوكا-إري. لم تأته ردة فعل.

«ما أريد سماعه منك الآن هو رأيك في فكرة اضطلاعي بإعادة كتابة 'الشرنقة الهوائية' نيابة عنك. حتى إن قررتُ القيام بذلك، فهذا لا يمكن أن يحدث دون موافقتك وتعاونك».

التقطت فوكا-إري بأصابعها إحدى حبات طماطم الكرز من طبق السلطة وأكلتها. أما تنغو فغرز شوكته في قطعة من بلح البحر وأكلها.

قالت فوكا-إري باقتضاب: «يمكنك عمل ذلك». التقطت حبة طماطم أخرى. «نقِّحها كيفما تشاء».

«ألا ترين أنه يجدر بك الحصول على مزيد من الوقت كي تفكري في الأمر؟ هذا قرار مهم جداً».

هزت فوكا-إري رأسها: «لا حاجة إلى ذلك».

تابع تنغو: «والآن، افترضي أنني قمت بإعادة كتابة أقصوصتك. سوف أحرص على ألّا أُغير مضمون القصة وإنما فقط سأُحسِّن الأسلوب الذي سوف يتطلب غالباً تغييرات كبيرة. ولكن في النهاية، أنت المؤلفة. سوف تظل عملاً من تأليف ابنة السابعة عشرة المَدعُوَّة فوكا-إري. سوف لا يطرأ أي تغيير على ذلك. إذا فازت بالجائزة، فسوف تحصلين عليها. وحدك. إذا تمّ نشرها في شكل كتاب، فسوف تكونين المؤلفة الوحيدة التي يحمل الغلاف اسمها. سوف نكون فريقاً - ثلاثتنا، أنت وأنا والسيد كوماتسو، المحرر. ولكن اسمك سيظلّ هو الاسم الوحيد الظاهر على الكتاب. أما هو وأنا فسوف نظلّ في

الخلفية ولن ننطق بكلمة، شيء من قبيل الشخصيات المساندة في مسرحية. هل تفهمين ما أقوله؟».

جلبت فوكا-إري قطعة من الكرفس إلى فمها بشوكتها وقالت بإيماءة: «أفهم».

«إن 'الشرنقة الهوائية' هي ملكك وحدك. لقد تفتَّق عنها خيالك. ليس بوسعي أن أجعلها قصتي. لن أزيد عن كوني مساعدك الفني، وعليك أن تجعلي هذه الحقيقة سراً يكون طيّ الكتمان التام. سوف نشارك في مؤامرة، بعبارة أخرى، للكذب على العالم كله. أياً كانت الطريقة التي تنظرين بها إلى الأمر، فهو أمر ليس سهلاً، وليس سهلاً أن تُبقي سراً ما مكنوناً داخل قلبك».

قالت فوكا-إري: «أياً كان ما تقوله».

أزاح تنغو محارات بلح البحر إلى جانب طبقه وبدأ يتناول ملء الشوكة من الباستا ولكنه عدل عن ذلك وتوقف. التقطت فوكا-إري شريحة من الخيار وقضمتها بحذر، وكأنها تتذوق شيئاً لم تره من قبل قط.

قال تنغو وهو ممسكٌ بالشوكة في يده: «اسمحي لي أن أسألك سؤالاً آخر. هل أنت متأكدة أنك لا تمانعين أن أعيد كتابة قصتك؟».

قالت فوكا-إري لدى انتهائها من شريحة الخيار: «افعل ما تشاء».

«هل سترضيك الطريقة التي أعيد كتابتها بها، أياً كانت؟».

«سترضيني».

سألها: «لماذا ذلك؟ إنك لا تعرفين عني شيئاً».

هزت فوكا-إري كتفيها هزة خفيفة، دون أن تقول شيئاً.

استكمل كلاهما وجبته دون أن يتلفظا بكلمة. كانت فوكا-إري

تصبّ كل تركيزها على السلطة. ومن حين إلى آخر تدهن قطعة خبز بالزبدة، وتأكلها، ثم تحتسي رشفة من شرابها. أما تنغو فكان ينقل الباستا إلى فمه بطريقة ميكانيكية وذهنه متخمٌ بالكثير من الاحتمالات.

بعد أن وضع الشوكة على الطاولة، قال: «تعرفين، عندما اقترح السيد كوماتسو عليَّ هذه الفكرة، اعتبرتها فكرة مجنونة ولا يمكن أن تنجح بحال. كنت أنوي رفض طلبه. ولكن عقب عودتي إلى المنزل وتفكيري فيها لبعض الوقت، بدأت أشعر أكثر وأكثر بأني أريد القيام بمحاولة. نحَّيت المسائل الأخلاقية جانباً، وبدأت أشعر بأني أريد وضع بصمتي على الأقصوصة التي كتبتِها. كان ذلك - لا أدري كيف أعبِّر عن ذلك؟ - رغبة طبيعية وتلقائية تماماً».

أضاف تنغو قائلاً في نفسه، **أو بدلاً من أن تكون رغبة، ربما كان الجوع كلمة أدقّ للتعبير عن ذلك**. تماماً مثلما تنبأ كوماتسو، أصبح الجوع أمراً يصعب كبحه.

لم تقل فوكا-إري شيئاً، ولكن من مكان عميق داخل عينيها المحايدتين والجميلتين، نظرت إلى تنغو بتمعُّن. كان يبدو أنها تكابد كي تفهم ما تحدَّث به تنغو من كلمات.

سألته: «أنت تريد أن تعيد كتابة القصة».

تطلع تنغو مباشرة في عينيها: «أعتقد ذلك».

ظهرت التماعة خافتة في بؤبؤ عيني فوكا-إري السوداوتين، كما لو أنهما يعكسان شيئاً ما. أو على الأقل بدا أنهما كذلك بالنسبة إلى تنغو.

مدّ تنغو يديه، وكأنه يسند بهما صندوقاً متخيلاً في الهواء. لم يكن للإشارة معنى محدَّد، ولكنه كان بحاجة إلى وسيلة من نوع خيالي مثل ذلك لإيصال مشاعره، وقال: «لا أعرف كيف أعبِّر عن ذلك

بالضبط. ولكن مع قراءتي لـ 'الشرنقة الهوائية' المرة تلو المرة، بدأتُ أشعر أنَّ بوسعي أن أرى ما رأيتِه. ولا سيما عندما يظهر الناس الصغار. خيالك يمتاز بقوة من نوع خاص. إنه خيال بديع تماماً، ومُعدٍ جداً».

وضعت فوكا-إري ملعقتها على الطبق بهدوء ومسحت فمها بالمنديل.

قالت بصوت هادئ: «إن الناس الصغار موجودون فعلاً».

«موجودون فعلاً؟».

صمتت فوكا-إري هنيهة قبل أن تردف: «مثلك ومثلي تماماً».

كرَّر تنغو ما قالته: «مثلك ومثلي تماماً».

«يمكنك رؤيتها إن حاولت».

كان أسلوبها الموجز في الكلام مقنعاً بشكلٍ يدعو للاستغراب. فمع كلّ كلمة تخرج من بين شفتيها، كان يشعر بلكزة متقنة أشبه بالوَتد. لكنه مع ذلك لم يُقرِّر بعد مدى جدية ما تقوله. ثمة شيء غير مألوف يكتنفها، مسمار مخلخل قليلاً. ربما هي صفة فطرية. وربما كان في حضرة موهبة أصيلة في شكلها البكر، أو لعلّ ذلك فصلاً مسرحياً. فالمراهقات الذكيات تملن غالباً إلى التكلُّف المسرحي بالفطرة، وتتعمدن الإتيان بتصرفات غريبة، وتتشدَّقن بكلمات عالية الإيحاء كي يُربكن الآخرين. لقد شهد بعضاً من هاتيك الحالات التي يستحيل معها التمييز بين ما هو واقعي وما هو تمثيل. قرَّر تنغو أن يعيد الحوار إلى عالم الواقع - أو على الأقل، لشيء أقرب إلى عالم الواقع.

«طالما أنك لا تمانعين، فإنني أودّ البدء غداً في إعادة كتابة 'الشرنقة الهوائية'».

«إن كان ذلك هو ما تريده».

أجاب تنغو: «ذلك هو ما أريده».

قالت فوكا-إري: «هناك شخص عليك مقابلته».

«هل هناك شخص تريدين مني مقابلته؟».

أومأت.

«الآن، ومن هو يا ترى؟».

تجاهلت سؤاله وأضافت قائلة: «كي تتحدث إليه».

قال تنغو: «لا مانع لدي. طالما كان ينبغي لي عمل ذلك».

سألته، دون علامة استفهام: «هل لديك وقت صبيحة الأحد».

قال تنغو: «نعم لدي». قال في نفسه، **يبدو وكأننا نتحدث عبر لغة الإشارة.**

انتهيا من طعامهما وافترقا. لدى باب المطعم، أدخل تنغو بضع عملات معدنية من فئة عشرة ينات في هاتف عمومي واتصل بكوماتسو على هاتف مكتبه. كان لا يزال في مكتبه، ولكنه استغرق وقتاً حتى وصل إلى الهاتف. ظلّ تنغو رهن الانتظار والسماعة على أذنه.

سأله كوماتسو مباشرة: «كيف سارت الأمور؟».

« فوكا-إري توافق مبدئياً على قيامي بإعادة كتابة 'الشرنقة الهوائية'، حسبما أعتقد».

صاح كوماتسو: «ذلك رائع! مدهش! أصارحك القول، لقد ساورتني بعض الشكوك في قدرتك على ذلك. أقصد، لأنك لا تمتلك مؤهلات الشخصية التفاوضية تماماً».

قال تنغو: «لم أقُم بأي تفاوض. لم أسعَ لإقناعها. أوضحتُ لها النقاط الجوهرية وحسب، فيما اتخذت هي قرارها بنفسها تقريباً».

«لا يهمني كيف أدَّيت ذلك. ما يُعوَّل عليه هو النتائج. والآن نستطيع مباشرة الخطة».

«عدا أنه يتعين عليَّ مقابلة شخص ما أولاً».

«مقابلة شخص ما؟ من هو؟».

«لا أدري. إنها تريد مني مقابلته والتحدث إليه».

صمت كوماتسو بضعَ ثوانٍ: «ومتى يُفترض أن تفعل ذلك؟».

«الأحد القادم. سوف تصحبني هي إلى هناك».

قال كوماتسو بصوت رزين: «هنالك قاعدة مهمة يتعين اتّباعها في كتمان الأسرار. كلما قلَّ عدد المطلعين على السر، كان ذلك أفضل. حتى الآن، لا أحد يعلم بالخطة سوى ثلاثتنا - أنت وأنا وفوكا-إري. إذا أمكن، فإني أودّ أن أتفادى زيادة ذلك العدد. لعلّك تفهم قصدي، أليس كذلك؟».

قال تنغو: «نظرياً».

رقّ صوت كوماتسو وقال: «على كلٍّ، فقد وافقت فوكا-إري على قيامك بإعادة كتابة مخطوطتها. ذلك هو الأهم. يمكننا حلحلة الأمور الأخرى».

نقل تنغو السماعة إلى يده اليسرى وضغط ببطء بإصبع السبابة اليمنى على صدغه وقال: «بصراحة، هذا الأمر يوتر أعصابي. لا أجد مبرراً حقيقياً لقول ذلك، ولكن لديّ شعور قوي بأنني يُزَج بي في شأن غير عادي. لم أكن أشعر بذلك وأنا مع فوكا-إري، ولكن منذ تركتها وهذا الشعور آخذ في الازدياد. سَمِّه هاجساً، أو مجرد شعور مضحك، ولكن شيئاً غريباً يدور هنا. شيء غير عادي. أُحسه بعقلي أقلّ مما أحسّه ببقية جوارحي».

«هل لقاؤك مع فوكا-إري هو ما ولَّد لديك هذا الشعور؟».

«ربما. إنها على الأرجح كاتبة بالفطرة. هذا، بالطبع، مجرد حدس».

«هل تعني أن لديها موهبة حقيقية؟».

قال تنغو: «لا أدري بشأن موهبتها. لم يجمعني بها سوى لقاء واحد على أية حال. ولكن لعلها ترى حقاً أشياء ليس بوسعي أنا وأنت رؤيتها. لعلها تتمتع بمَلَكة خاصة. وذلك هو ما يقلقني».

«هل تعني أنها ربما تعاني مشكلات ذهنية؟».

«لا شك أنها غريبة الأطوار، ولكني لا أظنها مجنونة. ثمة خيط منطقي فيما تتفوه به، تقريباً. كل ما في الأمر أنها... لست أدري... ثمة ما يقلقني وحسب».

سأله كوماتسو: «على أية حال، هل أبدت اهتماماً بك؟».

بحث تنغو عن كلمات ملائمة يجيبه بها، ولكن تعذَّر عليه ذلك، فأجابه: «ليس بوسعي حقاً أن أجزم بشأن ذلك».

«حسناً، لقد قابلتك، ولا بدّ أنها رأت أنك أهلٌ لإعادة كتابة 'الشرنقة الهوائية'. وهو ما يعني أنها أحبَّتك. أحسنت، يا تنغو! ما سيحدث من الآن فصاعداً، أنا أيضاً لا أدري عنه شيئاً. نحن إزاء مجازفة بطبيعة الحال. ولكن المجازفة هي نكهة الحياة. ابدأ من فورك في إعادة الكتابة. ليس لدينا أي وقت نضيعه. يتعين عليَّ إعادة المخطوطة المنقَّحة إلى حزمة النصوص المشارِكة في أسرع وقت، ووضعها مكان المخطوطة الأصلية. هل تستطيع إتمام المهمة في عشرة أيام؟».

تنهَّد تنغو: «يا لك من رئيس صعب!».

«لا تقلق، ليس عليك أن تنقحها تنقيحاً كاملاً. سوف يظلّ

بوسعنا إدخال بعض اللمسات الأخيرة في المرحلة اللاحقة. ليس عليك سوى جعل صياغتها مقبولة».

أجرى تنغو تقييماً عاماً للمهمة فيما بينه وبين نفسه: «إذا كان الأمر كذلك، فربما استطعت إنجازها في عشرة أيام. لكنها ستظلّ مع ذلك مهمة ثقيلة».

استحثه كوماتسو مبتهجاً: «ابذل فيها قصارى جهدك وحسب. انظر إلى العالم عبر عينيها. سوف تكون الوسيط الذي يربط بين عالم فوكا-إري والعالم الحقيقي الذي نعيش فيه. أُدرك أنك تستطيع ذلك، يا تنغو، ولكني فقط ـ».

وهنا نفد آخر رصيد من العشرة ينّات.

الفصل الخامس

أَوْمَامِه
وظيفة تتطلب مهارات وتدريباً من نوع خاص

بعد إتمامها لمهمتها ومغادرتها الفندق، مشت أَوْمَامِه مسافة قصيرة قبل أن تستقلّ سيارة أجرة قاصدة فندقاً آخر، في حي أكازاكا. كانت بحاجة إلى تهدئة أعصابها ببعض الشراب قبل عودتها إلى البيت والخلود للنوم. فهي على أية حال قد أرسلت لتوها رجلاً إلى العالم الآخر. صحيح، أنه كان جرذاً بغيضاً لا يحقّ له الشكوى من مقتله، بيدَ أنه، في نهاية المطاف، إنسان. كانت يداها لا تزالان تحتفظان بأثر الحياة وهي تُصفَّى منه. لقد لفظ أنفاسه الأخيرة، وغادرت الروح جسده. كانت أَوْمَامِه قد قصدت حانة فندق أكازاكا مرات ومرات. تقع الحانة أعلى بناية شاهقة، وتتميز بإطلالتها الرائعة، وبها طاولة بار مريحة.

دلفت إلى الحانة بعد السابعة بقليل. كان هناك شابان يعزفان معاً على بيانو وغيتار أغنية «سويت لوران». كانت النسخة التي يعزفانها هي تسجيل قديم للعازف «نت كنج كول»، ولكن أداءهما لم يكن رديئاً. كدأبها دائماً، جلست أمام طاولة البار وطلبت نبيذاً وصودا وطبقاً من الفستق. لم يكن المكان قد ازدحم بعد برواده - فكان هناك

شاب وشابة يحتسيان معاً شراباً فيما يتأمّلان المنظر من سطح البناية، وأربعة رجال يرتدون بذلات بدا أنهم يناقشون صفقة ما، وزوجان أجنبيان في منتصف عمرهما يمسكان بكأسي مارتيني. شربت النبيذ والصودا على مهل. لم تكن تريد لمفعول الشراب أن يسري سريعاً في أوصالها. فأمامها ليل طويل.

أخرجت من حقيبتها كتاباً وبدأت تقرأه. يتناول الكتاب تاريخ شركة سكك حديد منشوريا الجنوبية في ثلاثينيات القرن العشرين. كانت روسيا قد تنازلت عن الخط وحقّ الارتفاق باليابان بعد الحرب الروسية اليابانية في عام 1904-1905، والتي تسارعت بعدها وتيرة توسع عمليات الشركة هناك حتى أضحت عنصراً رئيساً في الغزو الياباني للصين. وقد أوقف الجيش السوفياتي تشغيل الخط في عام 1945. وكان بوسع المرء، حتى اندلاع الحرب الروسية الألمانية في عام 1941، السفر من شيمونوزيكي إلى باريس في ثلاثة عشر يوماً عبر هذا الخط وسكة حديد سيبيريا.

كانت أَوْمَامِه تَحسَب أن امرأة شابة تشرب وحدها في حانة فندق لا يمكن أن يُظنّ أنها مومس للطبقات الراقية تنتظر صيداً ما دامت ترتدي بذلة عمل وتضع إلى جوارها حقيبة كتف كبيرة، وتجلس مستغرقة في كتاب يتناول تاريخ سكة حديد منشوريا الجنوبية (بغلاف مُقوَّى). ولم تكن أَوْمَامِه في حقيقة الأمر تدري شيئاً عن نوعية اللباس الذي ترتديه مومس حقيقية للطبقات الراقية. ولو أنها هي نفسها كانت مومساً تبحث عن رجال أعمال أثرياء، لَبذلت قصارى جهدها على الأرجح كي لا تشبه العاهرات، وذلك كي تتّقي استثارة زبائن محتملين أو تجلب على نفسها الطرد من الحانة. وإحدى وسائلها لتحقيق ذلك هي ارتداؤها بذلة عمل تحمل علامة «جنكو شيمادا» وقميصاً أبيض،

والتزيُّن بأقلّ قدر من المساحيق وحمل حقيبة كبيرة توحي بهيئة عملية وفتحها كتاباً عن سكة حديد منشوريا الجنوبية، لكن عند إمعان النظر في ذلك، فإنّ ما هي عليه الآن يجعلها لا تختلف كثيراً عن عاهرة تسعى لتصيُّد زبون.

مع مُضي الوقت، غصَّ المكان بالزبائن شيئاً فشيئاً. وسرعان ما وجدت أَوْمَامِه نفسها محاطة بهمهمات الزبائن من حولها. ولكن أحداً من هؤلاء لم يكن لديه ما تبحث عنه. احتست كوباً آخر من النبيذ والصودا، وطلبت طبقاً من المقبلات الفرنسية (لم تكن قد تناولت عشاءها بعد)، وتابعت قراءتها. وأخيراً جاء رجل وجلس لا يفصله عنها سوى بضعة مقاعد. كان بمفرده. كان صاحب بشرة برونزية جميلة، ويرتدي بذلة زرقاء-رمادية وغالية الثمن. لم يكن ذوقه في ربطات العنق سيئاً، أيضاً - فلا هي مبهرجة ولا عادية. كان يناهز الخمسين من عمره، وصاحب شعر متقصف. لم يكن يرتدي نظارة. خمَّنت أنه في مهمة عمل في طوكيو، وقد انتهى من عمل يومه، ويروم بعض الشراب قبل أن يأوي إلى فراشه. وهو حال أَوْمَامِه نفسها. كانت الغاية هي تهدئة الأعصاب عبر ضخّ قدرٍ معقول من الكحول في أوصال الجسم.

فئة قليلة من الرجال الذي يأتون طوكيو في مهمة عمل كانوا يقيمون في هذه النوعية من الفنادق الغالية. فمعظمهم يختار فندقاً رخيصاً يقع بالقرب من محطة قطار، حيث لا تَسَعُ الغرفة فيه سوى السرير تقريباً وليس لها من إطلالة عدا حائط البناية المقابلة، ولا يمكنك أن تأخذ دوشاً إلا بعد أن يرتطم كوعاك عشرين مرة. وفي كل ردهة توجد ماكينة لبيع الشراب ومستحضرات التجميل. وتفسير ذلك هو أن الشركات إما لم تكن لتدفع قيمة أي شيء أفضل، أو أن هؤلاء

الرجال كانوا يدسون في جيوبهم ما يفيض من مخصّصات سفرهم بعد النزول في هذا المكان الرخيص. فكانوا يبتاعون البيرة من متجر بيع المسكرات القريب قبل أن يخلدوا إلى النوم، وفي إفطارهم يقصدون مطعماً قريباً يلتهمون فيه وعاء من الأرز ولحم البقر.

كانت ثمة فئة مغايرة من الأشخاص تنزل في هذا الفندق. فعندما يأتي هؤلاء الرجال طوكيو في مهمة عمل فإنهم لا يأتونها إلا على متن «العربات الخضراء» الفارهة في قطار «الطلقة السريع»، ولا ينزلون إلا في فنادق فخمة معروفة. وما إن ينتهون من أعمالهم، حتى يقصدون حانة الفندق ويحتسون الويسكي باهظ الثمن. كانوا في معظمهم يشغلون مناصب إدارية في شركات كبرى، وإلا فإنهم رجال أعمال مستقلين أو أصحاب مهن مثل الأطباء أو المحامين. لقد أضحوا في منتصف العمر، ولم يعد المال يقف عقبة في طريق لذّاتهم. وهم على الأغلب يعرفون أيضاً كيف يُمَضون أوقاتاً جميلة. كانت تلك هي الفئة التي خطرت ببال أَوْمَامِه.

أَوْمَامِه نفسها لا تعرف سبباً لذلك، ولكنها اعتادت، منذ العشرين من عمرها، أن تشعر بانجذاب إزاء الرجال من ذوي الشعر المتقصف. لا ينبغي أن يكونوا صلعاء تماماً وإنما بقي لديهم بعض الشعر أعلى الرأس. ولم يكن الشعر المتقصف وحده يكفي لإرضائها. إذ يجب أن تكون رؤوسهم حسنة الشكل. وكان النموذج المفضل لديها هو شكل رأس شون كونري. فقد كانت رأسه جميلة الشكل تثير شهوتها، ويكفي أن تنظر إليه حتى تتسارع دقات قلبها. كان الرجل الجالس على بعد مقعدين منها لديه رأس شكله بالغ الجمال - لم تكن تضاهي في كمالها رأس شون كونري، بطبيعة الحال، ولكنها جذابة بطريقتها الخاصة. كان خط الشعر لديه ينحسر عن الجبهة فيما يُذكِّر

شعره الخفيف المتبقي بمَرج كساه الصقيع في أواخر الخريف. رفعت أَوْمَامِه عينيها قليلاً عن صفحات كتابها واستحسنت شكل رأسه. لم تكن ملامح وجهه بها ما يميزها. ورغم أنه لم يكن بديناً، فإنّ لُغديه كانا قد بدآ يتدليان، وظهر لديه أثر تورُّم أسفل عينيه. كان يحمل سمات الرجل الذي بلغ منتصف العمر وتراه في كلّ مكان. ولكن شكل رأسه كان يستهويها إلى حد كبير.

عندما أحضر النادل إليه القائمة ومنشفة دافئة، طلب الرجل كوباً طويلاً من الويسكي الأسكتلندي دون النظر في القائمة. سأله النادل: «هل تفضل نوعاً معيناً؟» قال الرجل: «لا، أيّ نوع سَيَفي بالغرض». كان له صوت هادئ ويتحدث بلهجة أهل منطقة كانساي الرقيقة. ثم وكأنّ ذلك قد خطر بباله للتو، سأل إن كان لديهم ويسكي من نوع «كاتي سارك». فأجابه النادل بنعم. قالت أَوْمَامِه في نفسها، ليس سيئاً. راق لها أنه لم يطلب «تشيفاس ريجال» أو بعض الجعة المركَّبة. بحسب رأيها الشخصي، فإن الأشخاص الذين يصعب إرضاؤهم بشأن ما يحتسون من شراب في حانة يُرجَّح أن يكون لديهم برود جنسي. لم تكن تدري شيئاً عمّا يجعل ذلك كذلك.

كانت أَوْمَامِه تروقها أيضاً لَكْنة أهل كانساي، وتستلطف كثيراً الخلط بين المفردات والتنغيم عندما يأتي أشخاص ولدوا في كانساي ونشأوا فيها إلى طوكيو ويحاولون استخدام كلمات طوكيو وفق طريقة نطق كانساي. كان ذلك الصوت الخاص يُشعرها، وعلى نحو غير متوقع، بشيء من الارتياح. ولذلك فقد حزمت أمرها الآن: هذا الرجل سيكون اختيارها. كانت تتحرق شوقاً لأن تمرِّر أصابعها بين خصلات شعره الخفيفة. لذلك عندما أحضر له النادل كوباً من ويسكي «كاتي سارك»، قالت للنادل بصوت بلغ من العلو درجة تجعل سماع

الرجل لها أمراً مؤكداً: «كاتي سارك بالثلج لو سمحت». فأجابها النادل بوجه جامد الملامح: «حاضر، يا سيدتي، حالاً».

فتح الرجل الزر العلوي لقميصه وأرخى ربطة عنقه ذات اللون الأزرق الداكن وقد رسمت عليها خطوط حُبَيبِية دقيقة. كان يرتدي بذلة زرقاء داكنة أيضاً، وقميصاً أزرق فاتح به ياقة عادية. تابعت القراءة في كتابها انتظاراً لوصول الشراب الذي طلبته. فتحت الزر العلوي لقميصها بطريقة مهذبة. كان عازفا الجاز يعزفان موسيقى أغنية «It's Only a Paper Moon» فيما كان عازف البيانو ينشد الكلمات وحده. وصل شرابها، وارتشفت منه رشفة. أحسَّت بنظرات الرجل نحوها. رفعت رأسها ونظرت إليه. نظرة عابرة، وكأنها غير مقصودة. عندما التقت أعينهما، ابتسمت له ابتسامة خفيفة، تكاد تكون معدومة، ثم عادت للنظر أمامها مباشرة، متظاهرة بأنها تنظر إلى المشهد خلال الليل.

كانت هذه هي اللحظة المُثلى التي يمكن فيها لرجل أن يدنو من امرأة، وها هي قد خلقتها. ولكن هذا الرجل لم ينبس بكلمة. تساءلت في نفسها، **ماذا ينتظر بحق الجحيم؟ إنه ليس طفلاً. ينبغي له أن يفهم هذه التلميحات الدقيقة. ربما لا يمتلك الشجاعة الكافية. ربما يكون قلقاً بشأن فارق العمر. ربما يظن أنني سوف أتجاهله أو أصده: أيها الأصلع الأبله العجوز الذي ناهز الخمسين تحلَّ ببعض الجرأة وادنُ من امرأة في العشرينيات! سُحقاً، إنه لا يفهم.**

أغلقت دفَّتي كتابها وأعادته إلى حقيبتها. قررت الآن أن تكون المُبادرة من طرفها.

«هل تحب «كاتي سارك»؟».

علت وجهه أمارات الصدمة، وكأنه لم يستطع فهم سؤالها. ثم أرخى أساريره وقال كأنه قد تذكر ذلك فجأة: «آه، نعم، «كاتي سارك». كنت دائماً أحب علامة القارب الشراعي».

«إذاً أنت تحب القوارب».

«وخصوصاً القوارب الشراعية».

رفعت أَوْمَامِه كوبها. ورفع الرجل كوبه الطويل قليلاً. كاد أن يكون نخباً.

علقت أَوْمَامِه حقيبتها بكتفها، وحملت كوب الويسكي في يد، وانزلقت فوق مقعدين وصولاً إلى المقعد المجاور له. بدا مندهشاً قليلاً ولكنه جاهد كي لا يُظهر دهشته.

قالت أَوْمَامِه، وهي تنظر في ساعتها: «كان يفترض أن ألتقي صديقة قديمة من أيام المدرسة هنا، ولكن يبدو أنها لن تجيء. إنها حتى لم تتصل».

«ربما أخطأت في الموعد».

قالت أَوْمَامِه: «ربما. إنها دائماً مشتَّتة الذهن. أظنني سوف أنتظرها بعض الوقت. هل تمانع في رفقتي؟ أو ربما تفضِّل أن تظلّ وحيداً؟».

قال الرجل رغم أنه بدا متردداً: «لا، مطلقاً». عقد حاجبيه ونظر إليها ملياً، وكأنه يقيِّم شيئاً إضافياً. بدا أنّ شكاً يساوره في كونها عاهرة، لكن أَوْمَامِه لم تكن عاهرة. أرخى أعصابه وخفَّف من احترازه قليلاً.

سألها: «هل تقيمين في هذا الفندق؟».

قالت، وهي تهز رأسها: «لا، أعيش في طوكيو. جئت إلى هنا لمقابلة صديقتي وحسب. وأنت؟».

قال: «في مهمة عمل في المدينة. قادم من أوزاكا. أتيت لحضور اجتماع. اجتماع أحمق، ولكن مقرّ الشركة في أوزاكا، لذلك كان لا بد من حضور شخص ما».

ابتسمت له أَوْمَامِه ابتسامة مصطنعة وقالت في نفسها، **لا يهمني عملك في شيء، يا سيدي، كل ما هنالك هو أني أحببت شكل رأسك.**

«وجدت نفسي بحاجة إلى بعض الشراب بعد انتهاء العمل. لديّ مهمة أخرى عليّ إنجازها صباح الغد، ثم بعدها أعود إلى أوزاكا».

قالت أَوْمَامِه: «انتهيت لتوي من مهمة كبيرة».

«آه، حقاً؟ ما هو نوع العمل الذي تؤدين؟».

«لا أحب الحديث عن عملي. إنها وظيفة تخصّصية من نوع ما».

رد الرجل، مكرراً كلماتها: «وظيفة تخصصية. وظيفة تتطلب مهارات وتدريباً من نوع خاص».

عارضته في صمت، **مَن أنت، قاموس يمشي على ساقين؟** ولكنها أبقت على ابتسامتها.

أخذ رشفة أخرى من كوبه الطويل وحفنة من المكسرات من الطبق: «لديّ فضول لمعرفة نوعية العمل الذي تؤدينه، ولكنك لا تريدين الحديث بشأنه».

أومأت: «ليس الآن، على الأقل».

«هل وظيفتك تعتمد على الكلمات بشكلٍ مكثف؟ هل أنت، مثلاً، محررة أو باحثة جامعية؟».

«ماذا يجعلك تظن ذلك؟».

ضبط عقدة ربطة عنقه وأغلق الزر العلوي لقميصه: «لا أدري، كنت تبدين منهمكة تماماً في ذلك الكتاب الكبير».

نقرت بأناملها على حافة كوبها: «لا، لكني أحب القراءة وحسب. ليس لعملي علاقة بها».

«خاب ظني إذن. لا أستطيع أن أخمن أكثر».

قالت: «لا، أنا واثقة أنك لن تستطيع». ثم أضافت في صمت قائلة: «أبداً».

راح يتطلع فيها بنظرة عابرة. تظاهرت بأن شيئاً قد سقط منها، فانحنت فاسحة له مجال الرؤية كي يُملِّي عينيه بنظرة فاحصة وطويلة لنهر نهديها، بل وربما اختلاس نظرة إلى صدريتها البيضاء ذات الشريط الأنيق. ثم استقامت وأخذت رشفة أخرى من «كاتي سارك» المثلج. كانت مكعبات الثلج الدائرية الكبيرة تحدث صوت قعقعة مع ارتطامها بحواف الكوب.

سألها: «ما رأيك في كوب آخر من الشراب؟ سوف أطلب واحداً آخر».

أجابت أَوْمَامِه: «من فضلك».

«تستطيعين تحمّل الإسراف في الشراب».

رمقته أَوْمَامِه بابتسامة غامضة ولكنها ما لبثت أن بدت جادة الملامح ثانية: «آه، نعم، كنت أريد أن أسألك عن شيء».

«عن أي شيء تودين سؤالي؟».

«هل تغيَّر زيّ رجال الشرطة مؤخراً؟ وكذلك نوعية المسدسات التي يحملونها؟».

«ماذا تعنين بمؤخراً؟».

قالت: «في الأسبوع الأخير».

رمقها بنظرة استغراب: «لقد جرى تغيير زي الشرطة ومسدساتها،

ولكن ذلك كان منذ سنوات. فالسترات تحوَّلت من التصميم المُحكَم والرسمي إلى شيء أقل رسمية، على نحو يجعلها أشبه بسترة واقية من المطر تقريباً. وقد بدأوا يحملون تلك المسدسات الآلية حديثة الطراز. لا أظن أن هناك أي تغييرات أخرى قد جرت منذ ذلك الحين».

«لقد ظلّ رجال الشرطة اليابانية يحملون مسدسات قديمة الطراز، أنا واثقة. حتى الأسبوع الفائت».

هزّ الرجل رأسه: «لقد جانبك الصواب. لقد بدأوا جميعاً يحملون المسدسات الآلية منذ مدة طويلة».

«هل أنتَ موقن من ذلك تماماً؟».

استوقفته نبرة سؤالها. قطَّب جبينه وفتش في ذاكرته: «حسناً، إذا كنت توجِّهين السؤال بهذه الصيغة، فليس بمقدوري أن أكون موقناً بنسبة مائة بالمائة، ولكني أتذكر أنني قرأت شيئاً في الصحف عن التحول إلى المسدسات الجديدة. لقد أحدث ضجة كبيرة. فقد رفع مواطنون عاديون كُثر شكاوى إلى الحكومة من كون المسدسات الجديدة عالية الكفاءة أكثر مما ينبغي».

سألته أَوْمَامِه: «وهل حدث ذلك منذ مدة؟».

نادى الرجل متوسط العمر النادل وسأله عن متى غيرت الشرطة زيها ومسدساتها.

أجاب النادل، دون تردد: «في الربيع قبل سنتين».

قال الرجل ضاحكاً: «أرأيتِ؟ النُدُل في فنادق الدرجة الأولى يعرفون كل شيء!».

ضحك النادل أيضاً: «لا، ليس كل شيء. كل ما هنالك أن أخي

الأصغر شرطي، ولذلك أتذكر هذا الموضوع بوضوح. شقيقي لا يطيق الزي الجديد ودائماً ما يشكو منه. ويرى أن المسدسات الجديدة أثقل مما ينبغي. وهو لا يزال يشكو من هذا التغيير. إنها مسدسات آلية عيار 9 مم من نوع «بريتا». بضغطة واحدة يمكنك تحويلها إلى نصف آلية. أنا متأكد أن ميتسوبيشي تصنعها الآن محلياً بتوكيل. إننا لم نشهد تقريباً أي تبادل لإطلاق نار بالمسدسات في اليابان؛ ليس ثمة حاجة إلى مثل هذا المسدس عالي الكفاءة، بل على النقيض، يجب على رجال الشرطة الآن أن يخشوا من إمكانية سرقة مسدساتهم. ولكن تحديث قدرات قوات الشرطة كان وقتئذٍ سياسة حكومية».

سألت أَوْمَامِه، وقد خفضت صوتها قدر استطاعتها: «وماذا جرى للمسدسات القديمة؟».

قال النادل: «أنا واثق تماماً أنها جُمعت وفُكِّكت. أتذكر أني شاهدت ذلك عبر التلفزيون. لقد كان تفكيك كلّ تلك المسدسات والتخلُّص من كل ذخيرتها عملاً ضخماً».

قال موظف الشركة صاحب الشعر المتقصف: «كان ينبغي لهم بيع كل شيء في الخارج وحسب».

أوضح النادل في تواضع: «الدستور يحظّر تصدير الأسلحة».

«هل ترين؟ النُدُل في فنادق الدرجة الأولى- ».

قاطعت أَوْمَامِه الرجل وسألت: «إذاً أنت تقول إن الشرطة اليابانية لم تعُد تستخدم المسدسات القديمة مطلقاً منذ عامين حتى الآن؟».

«بحسب معلوماتي».

قطّبت أَوْمَامِه جبينها قليلاً. هل أصابني الجنون؟ لقد رأيتُ للتو رجل شرطة يرتدي الزي القديم ويحمل مسدساً قديماً هذا الصباح. لم أسمع قط عن التخلص من المسدسات القديمة، ولكني لا أستطيع أن

أصدق أيضاً أن هذين الكهلين على خطأ أو يكذبان علي. وهو ما يعني أنني لا بد قد أخطأت.

قالت للنادل: «أشكرك جزيلاً. لقد عرفتُ منك كل ما أريده بشأن ذلك». ابتسم النادل لها ابتسامة مصطنعة بدت مثل علامة ترقيم في أوانها، ثم انصرف إلى عمله.

سألها الرجل متوسط العمر: «هل لديك اهتمام خاص برجال الشرطة؟».

أجابت أَوْمَامِه: «لا، ليس كذلك تقريباً». وأضافت على نحو مبهم: «كل ما هنالك أن ذاكرتي قد شُوِّشت قليلاً».

احتسيا كوبيهما الجديدين من ويسكي «كاتي سارك» - شرب الرجل كوبه الطويل وأَوْمَامِه كوبها الذي أضيفت إليه مكعبات الثلج. تحدث الرجل عن القوارب الشراعية. قال إنه أرسى قاربه الشراعي في مرفأ يخوت نشينوميا. كان يُبحر به إلى المحيط خلال الإجازات وعطلات نهاية الأسبوع. تحدث حديثاً مفعماً بالشغف عن روعة إحساسه وهو ينطلق بالقارب ويجدف وحيداً وسط الرياح. لم تكن أَوْمَامِه راغبة في سماع أي شيء عن القوارب الشراعية. الأجدر به أن يتحدث عن تاريخ رولمان البلي أو التوزيع الجغرافي للثروة المعدنية في أوكرانيا. تطلعت في ساعتها وقالت: «اسمع، الوقت يتأخر. هل أستطيع أن أسألك سؤالاً مباشراً؟».

أجاب: «بكل تأكيد».

«لكنه سؤال شخصي نوعاً ما».

«سوف أجيب إن استطعت».

«هل قضيبك حجمه معقول؟ هل هو من النوع الكبير؟».

فَغر الرجل فاه وضاقت حدقتاه ونظر نحوها للحظة. لم يصدِّق تماماً أنه سمعها بوضوح. ولكن ملامح وجهها كانت في غاية الجدية. لم تكن تمزح. كانت عيونها تشي بذلك.

قال بنبرة جادة: «دعيني أرى. لا أستطيع أن أجزم بذلك فعلاً. أظنه من الحجم الطبيعي تقريباً. لا أدري ماذا عليّ أن أقول عندما تفاجئيني بهذا الشكل».

سألت أَوْمَامِه: «كم عمرك؟».

أجاب: «أتممتُ الحادية والخمسين الشهر الماضي، ولكن...».

«ظللت تعيش بعقل طبيعي لأكثر من خمسين سنة، وتشغل وظيفة مجزية، بل وحتى تمتلك قارباً شراعياً خاصاً، وما زلت لا تستطيع أن تجزم إنْ كان قضيبك أكبر أو أصغر من الحجم الطبيعي؟».

قال بقدر من الصعوبة بعد أن فكر في الموضوع: «حسناً، أعتقد أنه ربما يكون أكبر قليلاً».

«هل أنت متأكد، الآن؟».

«وماذا يثير قلقك إلى هذا الحدّ؟».

«قلقي؟ مَن قال إني قلقة؟».

قال، وهو ينكمش قليلاً على مقعد البار: «حسناً، لا أحد قال، ولكن... يبدو أن تلك هي المشكلة التي نحن بصددها الآن».

قالت أَوْمَامِه: «مشكلة؟ لا توجد مشكلة. لا توجد مشكلة على الإطلاق، لكن تصادف أنني أُعجَب بالقضيب الكبير وحسب. أتحدث من الناحية البصرية. لا أقول إنني أحتاج قضيباً كبيراً حتى أشعر بأيّ شيء، لا لا. أو أنني سأرضى بأيّ شيء طالما أنه كبير الحجم. كل

ما أقوله هو أنني أميل إلى الحجم الكبير. هل هناك ما يعيب في ذلك؟ الناس مذاهب فيما يعشقون. والقضيب الكبير للغاية ليس جيداً. إنه يسبب ألماً وحسب. هل تفهم قصدي؟».

«حسناً، إذاً، ربما أستطيع أن أسعدك بقضيبي. إنه أكبر قليلاً من العادي، بحسب ظني، ولكنه ليس كبيراً للغاية أيضاً. إنه ـ هل أقول؟ - معقول وحسب. . .».

«ألست تكذب عليّ، الآن؟».

«وما الفائدة من الكذب في مثل ذلك؟».

«حسناً، إذاً، ربما عليك أن تسمح لي باختلاس نظرة».

«هنا؟».

قطبت أَوْمَامِه جبينها وهي تجاهد كي تكبح جماحها: «هنا؟! هل جننت؟ ألا تدرك كم عمرك الآن؟ إنك ترتدي بذلة فخمة، بل وربطة عنق أيضاً، ولكن أين ذوقك العام؟ لا يمكنك أن تُخرج قضيبك في مثل هذا المكان؟ تخيَّل ما سيفكر فيه الناس من حولك! لا، دعنا نذهب إلى غرفتك الآن، وسوف أسمح لك أن تخلع بنطالك وتريني. حيث نكون نحن الاثنين فقط. ينبغي أن يكون ذلك واضحاً لديك».

سأل بقلق: «إذاً وعندما أريك، ماذا سيحدث لاحقاً؟».

سألت أَوْمَامِه، وهي تحبس نفسها وتظهر عبوساً جلياً وغير منضبط: «ماذا سيحدث بعد أن تريني؟ نمارس الجنس، بطبيعة الحال. وماذا غير ذلك؟ أعني، نذهب إلى غرفتك، أنت تريني قضيبك، فأقول لك، 'أشكرك جزيلاً أنك أريتني مثل ذلك القضيب الجميل. نوماً هانئاً'، ثم أعود إلى البيت. لا بد أنّ خللاً ما قد أصاب عقلك».

شهق الرجل وهو يرى بعينيه وجه أَوْمَامِه وقد اعترته كل تلك التغيرات الحادة. حالما تعبس أَوْمَامِه في وجه أي رجل، ترتعد فرائصه. أما الأطفال الصغار فقد يبولون في سراويلهم، فعبوسها ذو تأثير بالغ القوة. قالت في نفسها، **ربما أكون قد بالغت في عبوسي. ما كان ينبغي لي في الواقع أن أخيفه بهذه الدرجة. على الأقل ليس قبل أن أنتهي من حاجتي.** سرعان ما أعادت وجهها إلى حالته الطبيعية واصطنعت ابتسامة. ثم قالت وكأنها تتهجى له حروف الكلمات: «هذا هو ما سيحدث. نتوجه إلى غرفتك. نذهب إلى الفراش. نمارس الجنس. أنت لست مثلياً أو عاجزاً جنسياً، أليس كذلك؟».

«لا، لا أظن ذلك. لدي طفلان...».

«اسمع، لا أحد سألك عن عدد الأطفال الذين أنجبتهم. هل أبدو مثل موظف في إحصاء سكاني؟ احتفظ بالتفاصيل لنفسك. ما أسأل عنه هو هل سينتصب عندما تصبح في الفراش مع امرأة. لا شيء أكثر من ذلك».

قال: «بقدر ما تسعفني به ذاكرتي، فإني لم أفشل في ذلك مطلقاً عندما يلزم الأمر. ولكن قُولي لي هل أنت محترفة؟ هل هذه هي وظيفتك؟».

«لا، إنها ليست وظيفتي، لذلك توقف عن ذلك فوراً. لست محترفة أو منحرفة جنسياً وإنما مثل كل مواطن عادي. مواطنة عادية لا ترغب في أكثر من مضاجعة مع شخص من الجنس الآخر. لست مختلفة في أي شيء. أنا طبيعية تماماً. ما العيب في ذلك؟ انتهيت لتوي من مهمة صعبة، وقد غابت الشمس، واحتسيت بعض الشراب، وأود أن أُروِّح عن نفسي بممارسة الجنس مع شخص غريب. كي

أهدئ أعصابي. ذلك هو ما أحتاجه. أنت رجل، وتعرف كيف يكون شعوري».

«بالطبع أعرف، ولكن...».

«لست أتطلع لأي نقود، بل سأدفع لك إن استطعتَ إشباعي. ولديَّ واقيات، ولذلك ليس لك أن تقلق من شيء. هل أنا واضحة بما يكفي؟».

«من المؤكد أنك واضحة، ولكن...».

«ولكن ماذا؟ يبدو أنك لست متلهفاً بما يكفي. ألا تراني مثيرة بالقدر الذي يكفيك؟».

«الأمر ليس كذلك على الإطلاق. كل ما هنالك أنني لا أفهم ذلك. أنت شابة وجميلة، وأنا عجوز في مثل سن والدك...».

«آه، لا تكمل، أرجوك. صحيح أنك تكبرني بسنين، ولكني لست ابنتك اللعينة، وأنت لست أبي اللعين. هذا أمر واضح. أعصابي تحترق عندما أتعرض لمثل هذه التعميمات فارغة المعنى. كل ما هنالك أنني أحب رأسك الصلعاء. أحب شكلها. هل تفهمني؟».

«حسناً، لكني لا أرى نفسي أصلعاً. أعرف أن خط الشعر لدي ينحسر...».

قالت أَوْمَامِه، وهي تبذل قصارى جهدها كي لا تعبس مرة أخرى: «اسكت، أرجوك». قالت في نفسها، **ينبغي ألا أخيفه كثيراً**، وراحت تُرقِّق من نبرتها وتقول: «ذلك ليس مهماً بدرجة كبيرة».

اسمع، يا سيدي، أنا لا أبالي بما تراه، فأنت أصلع. إذا وُجدت بالإحصاء السكاني فئة «صلعان»، فسوف تُصنف ضمنها، لا ضير في ذلك. إن أُدخلت الجنة، فسيكون مكانك هو سماء

الصلعان، وإن أُدخلت الجحيم، فسيكون مكانك هو جحيم الصلعان، هل ذلك واضح لديك؟ إذاً كُفّ عن نكران الحقيقة. هيا بنا الآن. سوف آخذك مباشرة إلى سماء الصلعان، دون توقف.

سدَّد الرجل قيمة الفاتورة وتوجها معا إلى غرفته.

كان قضيبه في واقع الأمر أكبر قليلاً من الطبيعي، وإن لم يكن كبيراً جداً، كما صرّح، لكن أنامل أَوْمَامِه الماهرة سرعان ما جعلته كبيراً وصلباً. خلعت قميصها وتنورتها.

قالت دون مبالاة وهي في ملابسها الداخلية وتنظر إليه شذراً: «أعرف أنك تستصغر نهديّ. لقد تبين أنّ لديك قضيب جيد الحجم وكل ما نِلته في المقابل هذين الشيئين الضئيلين. أراهن أنك تشعر بأنك خُدعت».

طمأنها: «لا، مطلقاً. ليسا صغيرين إلى ذلك الحد. وهما جميلان للغاية حقاً».

قالت: «أشكّ. اسمح لي أن أقول هذا رغم ذلك. أنا لا أرتدي مطلقاً هذه الصدريات المُكَشكَشة ذات الأهداب. اضطررت لارتداء هذه اليوم من أجل العمل، كي أظهر قليلاً من نهر النهدين».

«ما هو عملك؟».

«اسمع، قلت لك من قبل. لا أودّ الخوض في عملي هنا. يمكنني أن أقول 'ليس سهلاً أن يكون الإنسان امرأة'».

«حسناً، ليس سهلاً أيضاً أن يكون الإنسان رجلاً».

«ربما ليس سهلاً، لكنك لا تجد نفسك مضطراً لارتداء صدرية مكشكشة رغم أنك لا تريدها».

«صحيح...».

«إذاً لا تتظاهر بأنك على دراية بما تتحدث عنه. النساء يواجهن أوضاعاً أصعب ممّا يواجه الرجال. هل اضطررتَ ذات مرة لأن تهبط درجاً منحدراً وأنت منتعل لحذاء عالي الكعبين، أو تقفز من فوق حاجز وأنت بتنورة قصيرة؟».

قال الرجل ببساطة: «أنا مدين لك باعتذار».

مدَّت ذراعها إلى الخلف وفكت صدريتها، وألقت بها أرضاً. ثم خلعت جوربها وألقت به أرضاً أيضاً. ثم استلقت بجواره، وبدأت تداعب قضيبه مرة ثانية وقالت: «كم هو رائع. شكله جميل، حجمه مثالي تقريباً، وصلب مثل جذع شجرة».

قال بارتياح واضح: «يسعدني أنه لاقى استحسانك».

«والآن اسمح للشقيقة الكبرى أن تؤدي عملها. سوف تجعل هذا الرجل العادي يطير من السعادة».

«ربما علينا أن نأخذ دوشاً أولاً. فقد تعرق جسمي كثيراً».

قالت أَوْمَامِه، وقد شدَّت خصيته اليمنى بخفة، وكأنها توجِّه له إنذاراً: «آه، صهٍ. جئت إلى هنا لممارسة الجنس، وليس لأخذ دوش. هل فهمت؟ نمارس الجنس أولاً. نمارسه بجنون. سُحقاً لبعض العرق. لست فتاة في مدرسة يحمرّ وجهها خجلاً».

قال الرجل: «حسناً».

عندما انتهيا وفيما كانت تدلِّك مؤخر عنق الرجل وهو مستلقٍ على وجهه ومُرهَق، تملَّك أَوْمَامِه دافعٌ قوي لأن تغرز إبرتها الحادة في النقطة المعلومة. لمعت الفكرة في ذهنها، **ربما عليّ فعل ذلك حقاً**. كانت كسارة الثلج في حقيبتها، ملفوفة في قطعة القماش. الإبرة التي أمضت وقتاً طويلاً في شحذها كانت مغطاة بسدادة من الفلين بالغ

النعومة. سيكون ذلك سهلاً للغاية، دفعة سريعة من قبضة يدها اليمنى للمقبض الخشبي. سوف يصبح في عداد الموتى قبل أن يعرف ماذا ألمَّ به. من دون ألم. سوف تُعتبر ميتة طبيعية. ولكنها استوقفت نفسها. لم يكن هناك مبرر لإخراج هذا الرجل من المجتمع، ناهيك عن حقيقة أنه لم يعُد مجدياً لدى أَوْمَامِه. هزت رأسها وطردت الفكرة الخطيرة من ذهنها.

وقالت في نفسها، **هذا الرجل ليس سيئاً إلى ذلك الحد**. كان أيضاً جيداً للغاية في الفراش. استطاع أن يضبط قذفه حتى أشبع رغبتها. شكل رأسه ودرجة صلعه هما كما تحب أن يكونا تماماً. حجم قضيبه هو الحجم المناسب بالضبط. كان لطيفاً معها، ويتمتع بذوق جيد في انتقاء ملابسه، وليس متكبراً بأيّ حال. صحيح، أنه ممل للغاية، وهو ما أثار أعصابها فعلاً، ولكن ذلك ليس جريمة يستحق عليها الموت. ربما.

سألته: «هل تمانع في تشغيل التلفزيون؟».

قال، وهو لا يزال مستلقياً على بطنه: «تفضلي».

شاهدت وهي عارية في الفراش، نشرة أخبار الحادية عشرة حتى نهايتها. في الشرق الأوسط، كانت إيران والعراق لا تزالان متورطتين في حربهما الدموية. كانت مستنقعاً، لا تلوح لها تسوية في الأفق. في العراق، عُلِّق المتهربون من الخدمة العسكرية على أعمدة الهواتف كي يكونوا عبرة للآخرين. أما الحكومة الإيرانية فقد اتهمت صدام حسين باستخدام غاز الأعصاب والأسلحة البيولوجية. وفي أميركا، كان والتر مونديال وغاري هارت يتنافسان على نيل ترشيح الحزب الديمقراطي لمنصب الرئيس. لم يبدُ أنّ أيهما هو الشخص الألمع ذكاء في العالم. فالرؤساء الأكثر ذكاء عادة ما يصبحون هدفاً للقتلة

المحترفين، ولذلك فإنّ هؤلاء الذين يمتلكون ذكاء فوق المتوسط غالباً ما يبذلون قصارى جهدهم كي لا يُنتَخَبون.

وعلى القمر، كان العمل جارياً لإنشاء محطة رصد دائمة. وكانت الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي يتعاونان في هذا المشروع، على سبيل التغيير، مثلما فعلاً مع محطة الرصد في القارة القطبية الجنوبية. هزت أَوْمَامِه رأسها، **محطة رصد على القمر؟ لم أسمع عن أي شيء من ذلك القبيل. ماذا دهاني؟** ولكنها قررت ألا تستطرد في التفكير حول ذلك. كانت لديها مشكلات أكثر إلحاحاً يتعين عليها التفكير فيها. قضى عدد كبير من الأشخاص في حريق اندلع في منجم في كيوشو، وكانت الحكومة تحقق في الأمر. لم يكن هناك شيء يثير دهشة أَوْمَامِه أكثر من كون الناس لا يزالون يستخرجون الفحم من الأرض في عصرٍ تُقام القواعد فيه على سطح القمر. وكانت أميركا تمارس ضغطاً على اليابان لفتح أسواقها المالية، فيما راحت وكالتا مورغان ستانلي ومريل لينش تحفزان الحكومة كي تبحث عن موارد جديدة لجني الأرباح. وأعقب ذلك عرض تقرير يدور حول قطة ماهرة في محافظة شيمانه يمكنها أن تفتح النافذة وتخرج منها. وما إن تخرج حتى تغلقها. صاحبها هو مَن درَّبها على ذلك. كانت أَوْمَامِه تشاهد ذلك بإعجاب فيما القطة السوداء نحيلة الجسم تستدير، وتمدّ مخالبها، بنظرة خبيرة في عينيها، ثم تغلق النافذة.

شاهدت طائفة واسعة من التقارير الإخبارية، ولكنها لم تجد أي تقرير حول اكتشاف جثة في فندق شيبويا. بعد انتهاء نشرة الأخبار، أغلقت أَوْمَامِه التلفزيون مستخدمة الريموت كنترول. خيَّم الصمت على الغرفة، وأصبح الصوت الوحيد المسموع هو الأنفاس الهادئة المنتظمة للرجل النائم بجوارها.

أما ذلك الرجل الآخر، الموجود في غرفة الفندق، فلا يزال غالباً منكفئاً على مكتبه، وكأنه يغطّ في النوم، مثل هذا الرجل. لولا الأنفاس. ذلك الجرذ لن يستيقظ أو ينهض مرة أخرى أبداً. حدقت أَوْمَامِه إلى السقف، وتخيلت منظر الجثة. هزَّت رأسها قليلاً وأسلمت وجهها لعبوس انفرادي. بعدئذٍ انسلَّت من الفراش وجمعت ملابسها من الأرض، قطعة قطعة.

الفصل السادس

تنغو
أهذا يعني أننا سوف نذهب بعيداً عن المدينة؟

جاءت المكالمة التالية من كوماتسو صباح الجمعة باكراً، بعد الخامسة بقليل. كان تنغو قد رأى لتوه حلماً يعبر فيه جسراً حجرياً طويلاً فوق نهر. كان ذاهباً لاستعادة وثيقة نسيها على الشاطئ الآخر. عبر الجسر وحيداً وكان النهر كبيراً وجميلاً تناثرت فيه الكثبان الرملية هنا وهناك. يتدفق النهر هادئاً فيما تنمو أشجار الصفصاف على كثبانه الرملية. رأى سمك السلمون المرقط بأشكاله الأنيقة في الماء. أوراق الصفصاف ذات اللون الأخضر اليانع كانت تتدلى فتلامس بلطف سطح الماء. ربما يكون هذا المشهد مستلهَماً من طبق خزف صيني منقوش. استفاق تنغو ونظر إلى ساعة المنبه الموضوعة بجوار وسادته في الظلام. أدرك بالطبع قبل أن يرفع السماعة مَن الذي قد يتصل في مثل هذا الوقت.

سأله كوماتسو: «هل لديك برنامج لمعالجة الكلمات، يا تنغو؟» لم يقُل «صباح الخير»، ولم يسأله «هل كنت مستيقظاً؟» لو أنّ كوماتسو كان مستيقظاً الآن، فلا بد أنه قد أمضى ليلته عاكفاً على عمل ما. وهو قطعاً لم يستيقظ في الصباح الباكر مع شروق الشمس.

لا بد أنه تذكر شيئاً أراد أن يخبر تنغو به قبل أن يأوي إلى فراشه.

أجاب تنغو: «لا، بالطبع لا». كان لا يزال غارقاً في ظلام حالك، في منتصف الجسر الطويل. نادراً ما يرى تلك الأحلام المفعمة بالحيوية. «ليس ذلك شيئاً أتباهى به، ولكني لا أحتمل ثمن شيء مثل ذلك».

«هل تعرف كيف تستخدم أحدها؟».

«نعم أعرف. أستطيع التعامل تقريباً مع معالج كلمات خاص أو حاسوب. إنه موجود لدينا في المدرسة. وأنا أستخدمه طول الوقت في العمل».

«حسناً. أريد منك أن تشتري واحداً اليوم. ليس لدي أدنى فكرة عن الأجهزة، ولذلك سوف أترك لك حرية اختيار النوع والطراز. أرسل لي فاتورة بعد ذلك. أريد منك البدء في مراجعة 'الشرنقة الهوائية' في أسرع وقت».

«لعلك تعرف، إننا نتحدث عن 250 ألف ين على الأقل - كثمن لشراء معالج رخيص الثمن».

«لا بأس بذلك».

هزّ تنغو رأسه مستغرباً: «إذن، سوف تشتري لي معالج كلمات؟».

«نعم سأفعل - من مالي الخاص. هذه المهمة تستحق على الأقل ذلك القدر من الاستثمار. لن ننجز أي شيء إذا بخلنا. كما تعرف، فقد وصلتنا 'الشرنقة الهوائية' كنصٍّ مكتوب على برنامج لمعالجة الكلمات، وهو ما يعني أنه لا بدّ لنا من استخدام معالج الكلمات لإعادة كتابتها. أريدك أن تجعل النص الجديد مثل القديم. هل بوسعك البدء في إعادة الكتابة اليوم؟».

فكّر تنغو في ذلك هنيهة: «أستطيع البدء فيها وقتما أقرر ذلك، ولكن فوكا-إري تريدني أن ألتقي شخصاً ما هذا الأحد قبل أن تمنحني الإذن، وبطبيعة الحال، فأنا لم ألتقِ هذا الشخص بعد. إذا فشلت هذه المفاوضات، فإنّ أي شيء نقوم به الآن ربما يصبح مجرد مضيعة للوقت والمال».

«لا عليك، سوف تنجح. ولا تقلق بشأن التفاصيل. ابدأ في العمل فوراً. نحن في سباق مع الزمن».

«هل أنت واثق أن لقائي هذا سوف يسير على ما يرام؟».

قال كوماتسو: «ذلك ما يخبرني به شعوري الغريزي. إنني أسير وفق شعوري الغريزي. ربما لا يبدو أنني أمتلك أي موهبة، ولكني أمتلك قدراً كبيراً من الشعور الغريزي - إذا جاز لي الفخر بذلك. وبفضله استطعتُ البقاء كلّ هذه السنين. بالمناسبة، يا تنغو، هل تعرف ما هو الفرق الأكبر بين الموهبة والشعور الغريزي؟».

«لا أدري».

«يمكنك أن تمتلك الكثير من الموهبة، ولكن ليس بالضرورة أن تطعمك. أما إنْ كانت لديك غرائز حادة، مع ذلك، فلن تجوع أبداً».

قال تنغو: «سوف أضع ذلك نصب عيني».

«كل ما أودّ قوله هو، لا تقلق. يمكنك بدء العمل اليوم».

«إذا كان ذلك هو قولك، فأنا موافق. كنت أحاول وحسب أن أتفادى الشعور بالندم على البداية المتعجلة».

«دع القلق حيال ذلك لي. سوف أضطلع بكامل المسؤولية».

«اتفقنا، إذاً. سوف أقابل شخصاً ما هذه الظهيرة، وسأكون مستعداً لبدء العمل بعد ذلك. يمكنني شراء معالج كلمات هذا الصباح».

«رائع، يا تنغو. أنا معتمد عليك. سوف نتَّحد معاً ونقلب العالم رأساً على عقب».

اتصلت صديقة تنغو المتزوجة بعد التاسعة بقليل، وذلك بعدما أوصلت زوجها وأطفالها إلى محطة القطار الذي يستقلونه في رحلتهم اليومية. كان مُفترضاً أن تأتي لزيارة تنغو في شقته في تلك الظهيرة. فهما يلتقيان دائماً في أيام الجُمعات.

قالت: «لست على ما يرام. آسفة، ولكن لا أظن أني أستطيع المجيء اليوم. إلى اللقاء في الأسبوع القادم».

كانت عبارة «لست على ما يرام» هي عبارتها المُلطَّفة للإشارة إلى دورة الحيض. لقد تربَّت على إيثار التعبيرات الرقيقة والملطَّفة. أمَّا وهي في الفراش، فلا تعرف شيئاً عن الرقة أو التلطف، ولكن تلك حكاية أخرى. قال لها تنغو إنه يشعر بالحزن لكونه سوف يفتقدها ذلك اليوم، ولكن ذلك أمراً لا مفرّ منه.

لكنه في حقيقة الأمر لم يحزن بشدة لعدم التقائها تلك الجمعة تحديداً. كان دائماً ما يستمتع بالجنس معها، ولكن مشاعره كانت تنحو فعلاً نحو إعادة كتابة 'الشرنقة الهوائية'. فالأفكار كانت تنبجس داخله مثل أشكال الحياة التي تتحرك في السائل الأزلي. قال في نفسه، **ومن هذه الناحية، فأنا لا أختلف في شيء عن كوماتسو. لا شيء تَقرَّر رسمياً، ومع ذلك أجد مشاعري من تلقاء نفسها تتدفق في ذلك الاتجاه.**

في الساعة العاشرة توجه إلى شنجوكو واشترى معالج كلمات فوجيتسو مستخدماً بطاقته الائتمانية. كان البرنامج هو أحدث إصدار،

ووزنه أخف كثيراً من الإصدارات السابقة. واشترى أيضاً خرطوشة حبر وورق. حمل كل شيء وعاد إلى شقته، ثم قام بتشغيل الآلة على مكتبه، وأوصلها بمنفذ للكهرباء. اعتاد أن يستخدم معالج كلمات فوجتسو كامل المقاس في المدرسة، إلا أن الوظائف الأساسية لهذا النموذج المحمول لم تكن تختلف كثيراً. وكي يطمئن قلبه لسلامة البرنامج، فقد قرَّر الشروع في إعادة كتابة 'الشرنقة الهوائية'.

لم يكن لديه خطة واضحة المعالم بشأن إعادة كتابة الأقصوصة، ولم يضع منهجاً متسقاً أو خطوطاً عريضة، وإنما بضع أفكار مُفصَّلة لأجزاء بعينها. لم يكن تنغو واثقاً حتى من إمكانية اضطلاعه بإعادة كتابة معقولة لعمل مفعم بالفانتازيا والمشاعر. صحيح، مثلما قال كوماتسو، إن الأسلوب يحتاج إلى ترقية شاملة، ولكن هل يستطيع ذلك فعلاً دون أن يدمِّر أجواءها وطبيعتها الأصلية؟ ألن يكون ذلك بمثابة إلباس هيكل عظمي لفراشة؟ لم تَزِدْه مثل هذه الأفكار إلا ارتباكاً وقلقاً. ولكن العجلة كانت قد بدأت بالفعل في الدوران، وليس لديه سوى قدر ضئيل من الوقت. ليس بوسعه أن يكتفي بالجلوس والتفكير دون أن يفعل شيئاً. كل ما يستطيعه هو أن يتعامل مع المشكلات الصغيرة والملموسة واحدة تلو أخرى. ربما لأنه اشتغل على كلّ تفصيلة بيده، فإن صورة شاملة سوف تتبلور لديه تلقائياً.

«أعرف أن بوسعك إتمامها، يا تنغو»، ذلك هو ما قاله كوماتسو واثقاً، ولسبب غير مفهوم، فقد ابتلع تنغو نفسه كلمات كوماتسو كلها - حتى الآن. قياساً على أقواله وأفعاله، فإن كوماتسو شخص يثير الشكوك، وهو لا يفكر إلا في نفسه بالدرجة الأولى. وإذا واتته الفرصة، فإنه سوف يضحي بتنغو دون أن يطرف له رمش. ولكنه مثلما يحب كوماتسو نفسه أن يقول، يمتلك شعوراً غريزياً كمحرِّر. فهو

يتخذ كل قراراته عفو الخاطر وينفذها بحسم، غير عابئ بما قد يقوله الآخرون. وهي خصلة لا بد منها للقائد الذكي الموجود في الخطوط الأمامية للجبهة، لكن تنغو نفسه كان يفتقدها.

عندما شرع تنغو في إعادة كتابة 'الشرنقة الهوائية' كانت الساعة هي الثانية عشرة. انتهى من كتابة بضع صفحات مستعيناً بمعالج الكلمات، وكان يتوقف عند الفواصل المناسبة من القصة. سوف يعيد كتابة هذه الكتلة من النص أولاً، دون أن يغيِّر شيئاً في المحتوى ولكن مع إعادة صياغة كاملة للأسلوب. كان ذلك أشبه ما يكون بإعادة تصميم منزل. تترك الهيكل الأساسي سليماً لا تمسّه، وتُبقي على المطبخ والحمام في مكانهما، ولكن تزيل الأرضية والسقف والجدران والفواصل وتستبدلها. قال تنغو في نفسه، وكأنِّي نجَّار ماهر أصبح مسؤولاً عن كل شيء. ليس لدي مخطط مرسوم، وليس أمامي سوى الاعتماد على حدسي وخبرتي في التعامل مع كل مشكلة تواجهني على حدة.

بعد انتهائه من كتابة النص، أعاد قراءة نص فوكا-إري، وراح يضيف حواشي شارحة لأجزاء يشوبها غموض شديد، ويُحسِّن تدفق اللغة، ويحذف فقرات يرى فيها إطناباً زائداً أو حشواً. ويُغير ترتيب الجمل أو الفقرات هنا وهناك. لقد كانت فوكا-إري شديدة التقتير في استخدامها للصفات والأحوال، وأراد أن يحافظ على تلك السمة في أسلوبها، ولكنه إذا استشعر ضرورة لمزيد من الوصف في أماكن بعينها، كان يضيف شيئاً ملائماً. أسلوبها عموماً كان طفولياً وبلا محسنات، ولكن الفقرات الجيدة والسيئة كانت تُظهر بعضها بعضاً، ممّا جعل الاختيار بينها يستغرق وقتاً وجهداً أقلّ ممّا توقع بكثير. وبينما جعلت بساطة أسلوبها بعض الفقرات مكثفة وصعبة فإنها أضفت

نضارة مدهشة على فقرات أخرى. كان بحاجة فقط إلى أن يتخلَّص من النمط الأول ويستبدله، ويترك الثاني كما هو.

مع انتهائه من إعادة كتابة عملها، تولَّد لدى تنغو إحساس متجدِّد بأن فوكا-إري قد كتبت هذه الأقصوصة دونما أي نية لخلق عمل أدبي. كل ما فعلته هو أنها سجلت قصة - أو، على حد قولها، سجلت أحداثاً شهدتها بالفعل - موجودة بداخلها، وتَصادف أنها عبَّرت عنها بالكلمات. ربما كان الأحرى بها أن تستخدم وسيلة أخرى غير الكلمات، ولكنها لم تصادف ما هو أكثر ملاءمة. هذا هو الأمر بكل بساطة. لم يكن لديها أي طموح أدبي على الإطلاق، ولم يخطر لها قطّ أن تحوِّل النص الذي كتبته إلى سلعة، ولذلك لم تعبأ بالصياغة، وكأنها كانت تُشيد لنفسها مأوى ولا تحتاج سوى إلى جدران وسقف كي تقي نفسها عوامل الطقس. وهذا هو السبب في كونها لم تكترث بالدرجة التي سوف يعيد بها تنغو صياغة أسلوبها. فقد حققت هدفها بالفعل. وعندما قالت، «نقحها كيفما تشاء»، كانت تعبر غالباً عن مشاعرها الحقيقية.

ولا شك أن الجمل والفقرات في ’الشرنقة الهوائية‘ قد وضعتها مؤلفة تكتب لنفسها وحسب. لو أن هدف فوكا-إري كان تسجيل الأشياء التي شهدتها أو تخيلاتها، ورصها كمعلومات محضة وحسب، لكان بوسعها أن تضع الكثير من ذلك في إطار قائمة. وما كان ينبغي لها أن تتجشَّم عناء تأليف قصة، كان جلياً أنّ القصد وراء كتابتها هو أن يقتنيها «الناس الآخرون» ويقرؤونها، وهذا تحديداً هو السبب الذي جعل ’الشرنقة الهوائية‘، ورغم كونها لم تُكتب بغرض خلق عمل أدبي، وكونها صيغت بلغة بسيطة تفتقر إلى المُحسنات، لا تزال تمتلك القدرة على النفاذ مباشرة إلى القلوب. رغم ذلك، كان تنغو كلما

استزاد من قراءتها، ترسّخت لديه قناعة بأنّ هؤلاء «الناس الآخرين» ليسوا غالباً هم أنفسهم «عامة الجمهور» الذي دائماً ما يضعه الأدب الحديث نصب عينيه.

حسناً، إذن، ما هي نوعية القارئ الذي يستهدفه هذا العمل؟

لم يكن تنغو يدري عن ذلك شيئاً.

كلّ ما كان يعرفه يقيناً هو أنّ 'الشرنقة الهوائية' عملٌ أدبيٌّ فريد اجتمعت فيه نقاط قوة هائلة ومَواطن ضعف مريعة، وأنّ هدفها الذي تتغياه هو هدف بالغ الخصوصية.

وجد تنغو أنّ النص الذي أعاد صياغته قد زاد في طوله عن النص الأصلي بأكثر من الضعف. فالنص الأصلي قد كُتب بلغة مقتضبة لا تنميق فيها، ولذلك فإنّ إعادة صياغته لخلق الترابط والاتساق لا يمكن إلا أن تزيد من حجمه. كان نص فوكا-إري بالغ الابتذال! صحيح، أن النسخة الجديدة بأسلوبها الأكثر منطقية وزاوية رؤيتها الأكثر اتساقاً، قد أصبحت أكثر قابلية للقراءة، ولكن التدفق بات يشوبه التباطؤ عموماً. وأصبح التسلسل المنطقي للأحداث مكشوفاً أكثر ممّا ينبغي، وأقلّ حدة عمّا هو في النسخة الأصلية.

عندما انتهى تنغو من صياغة هذه الكتلة الأولى من النص، كانت مهمته التالية هي حذف كل ما هو ليس بالغ اللزوم من نسخته المتخمة وإزالة كلّ ذرة من الترهل. كان الاختزال عملية أكثر بساطة من الإضافة، وقلّصت نصّه بما نسبته ثلاثين في المائة. كان الأمر أشبه بلعبة ذهنية من نوع ما. كان يحدِّد وقتاً معيناً لبسط النص قدر الإمكان، ثم يحدِّد وقتاً معيناً لاختزال النص قدر الإمكان. وقد ظل يراوح بين العمليتين حتى تضاءل حجم الفرق بينهما شيئاً فشيئاً، واستقر حجم

النص بشكل طبيعي، وبلغ نقطة لا يجوز عندها بسطه أو اختزاله. قام باجتثاث كلّ أثر للأنا الذي بداخله، وتخلّص من كلّ المحسنات الزائدة، ووارى كلّ الإشارات الجلية للمنطق المحتوم للأحداث. كان تنغو يتمتع بموهبة تؤهله الاضطلاع بهذا العمل. إنه شخص فني بالفطرة، ويمتلك قدرة عالية على التركيز يضاهي بها طائراً يحلّق في الهواء بحثاً عن فريسة، ويتمتع بقدرة على الصبر يضاهي بها حماراً يحمل المياه، وهو دائماً ما يتحرى الصدق في تعامله مع الآخرين.

انهمك تنغو تقريباً في العمل حتى فوجئ بالساعة وقد قاربت الثالثة. وحين خطر بباله الطعام، وجد أنه لم يتناول غداءه بعد. قصد المطبخ، ووضع الغلاية على الموقد، وطحن بعض البن. تناول بعض الرقائق بالجبن، وأتبع ذلك بتفاحة، وأعدّ لنفسه قهوة بعدما غلى الماء. وبينما كان يحتسي القهوة من كوب كبير، ألهى نفسه بالتفكير في الجنس مع صديقته التي تكبره سناً. كان يمارسه معها عادة في مثل هذا الوقت تقريباً. راح يتخيل ما كان سيأتيه من أفعال، وما كانت ستأتيه من أفعال. أغمض عينيه، ورفع وجهه صوب السقف، وأطلق زفرة حارة مفعمة بالإيحاء والإمكانات.

عاد تنغو بعدئذٍ إلى مكتبه، وأعاد تشغيل دوائر ذهنه مرة أخرى، وراح يقرأ بتمعن في مقدمة 'الشرنقة الهوائية' المُعاد صياغتها عبر شاشة معالج الكلمات، وذلك على شاكلة الجنرال في المشهد الافتتاحي لفيلم «**دروب المجد**» للمخرج ستانلي كيوبريك، وهو يقوم بجولاته التفتيشية على الخنادق. استحسن ما رأى. ليست سيئة. لقد تحسنت الكتابة كثيراً. إنه يحرز تقدماً. ولكن ذلك لا يكفي. ما زال عليه عمل الكثير. جدران الخندق تبدو متداعية هنا وهناك. وذخيرة

البنادق الآلية آخذة في النفاد. وحواجز الأسلاك الشائكة بها فتحات صغيرة وملحوظة.

قام بطباعة نسخة غير نهائية، وحفظ الوثيقة، وأطفأ معالج الكلمات، ثم أزاح الجهاز إلى طرف المكتب. والآن، أمسك بالقلم الرصاص في يده، وراح يقرأ النص قراءة متمعنة مرة أخرى، ولكن هذه المرة على الورق. ومرة أخرى، أخذ يحذف فقرات بدت زائدة ويبسط أخرى بدت مقتضبة، ثم ينقح أجزاء كي تصبح أكثر انسجاماً مع بقية القصة. كان ينتقي كلماته مثلما ينتقي الحِرفي قطعة القرميد الأنسب لسدّ فتحة ضيقة في سقف حمام، ويتفحص التركيب من كل زواياه. وحيثما يجد أنّ التركيب يفتقر للإتقان، كان يُعدِّل الشكل. إن أبسط الفروق وأدقها إمّا أن تبعث في الفقرة الحياة أو تقضي عليها.

كان يلمس اختلافاً دقيقاً بين النص، عندما يُقرأ من الصفحات المطبوعة، والنص ذاته عندما يُقرأ من شاشة معالج الكلمات. وكان إحساسه بالكلمات التي ينتقيها يتغيَّر بحسب ما إن كان يخطها على ورقة بالقلم الرصاص أو يكتبها عبر لوحة المفاتيح. كان لزاماً عليه أن يقوم بالعملين. أعاد تشغيل الجهاز وأدخل كل تصويب وضعه بالقلم الرصاص ضمن وثيقة معالج الكلمات. ثم راح يقرأ النص الذي تمت مراجعته عن الشاشة. قال في نفسه، **ليس بالسيئ**. كان لكلّ جملة وزنها الملائم، وهو ما منح العمل برمَّته إيقاعاً طبيعياً.

اعتدل تنغو في جلسته على مقعده، ومدَّ ظهره، ثم رفع رأسه نحو السقف وأطلق زفرة طويلة. لقد أتمّ مهمته من دون شك. عندما قرأ النص بعد بضعة أيام، عثر على مزيد من الأشياء التي تحتاج إلى ضبطٍ. ولكنه كان على ما يرام الآن. توشك قدرته على التركيز أن تنفد. أمسى بحاجة إلى وقت يُسَرِّي فيه عن نفسه. عقارب الساعة

كانت تقترب من الخامسة حيث ضوء النهار في انحسار. سوف يقوم غداً بإعادة صياغة الكتلة التالية. لقد استغرق اليوم كله في إعادة صياغة الصفحات الأولى فقط. أدرك أنه إزاء عمل يستنفد وقتاً أطول كثيراً ممّا توقع. ولكن ينبغي للعملية أن تتسارع بمجرد إرساء القواعد وتثبيت الإيقاع. وفوق ذلك، فإن المقدمة ستكون أكثر الأجزاء استنفاداً للوقت. وحالما ينتهي منها، فإن البقية -

لاحت فوكا-إري بخاطره، فراح يتساءل كيف سيكون شعورها عندما تقرأ النص الذي أعيدت صياغته. لكنه أدرك عندئذٍ أنه لا يدري شيئاً عن شعور فوكا-إري حيال أي شيء. لم يكن يعرف شيئاً عنها تقريباً عدا كونها في السابعة عشرة من عمرها، وفي السنة الأولى من المرحلة الثانوية، وغير متحمسة لاختبار القبول بالكلية، وتتحدث بطريقة بالغة الغرابة، وتحب النبيذ الأبيض وتمتلك وجهاً جميلاً لدرجة الإزعاج.

مع ذلك، بدأ تنغو يخالجه شعور قوي بأنّ إدراك فوكا-إري للعالم الذي تحاول تسجيله في 'الشرنقة الهوائية' هو إدراك دقيق في عمومه. فالمَشاهِد التي خلقتها فوكا-إري عبر مفرداتها الغريبة والمحدودة قد اكتسبت وضوحاً وحيوية جديدتين بعدما أعاد تنغو صياغتها وأَولى عناية كبيرة بالتفاصيل. إنها تتدفق الآن. وأصبح بوسعه أن يرى ذلك. كان كلّ ما وفَّره للعمل لا يتجاوز قدراً من الدعم الفني، ولكن النتائج جاءت طبيعية للغاية، وكأنه هو نفسه مَن كتب النص من البداية. والآن بدأت قصة 'الشرنقة الهوائية' تتبلور بقوة هائلة.

كان ذلك مدعاة سعادة كبيرة لدى تنغو. تركته ساعات من التركيز الذهني منهك البدن وإنْ بروح معنوية مرتفعة. وظلّ تنغو لبعض الوقت حتى بعدما أطفأ معالج الكلمات وترك مكتبه، لا يستطيع كبح جماح

رغبته في مواصلة إعادة كتابة القصة. كان يستمتع بالعمل أيَّما استمتاع. إذا واصل العمل وفقاً لهذا المعدل، فربما أمكنه ألا يُخيب أمل فوكا-إري، وإن كان لا يستطيع في حقيقة الأمر أن يتخيل فوكا-إري وهي محبطة أو راضية، بل لا يستطيع حتى أن يتخيل فوكا-إري وهي تصطنع ابتسامة أو تُظهر أدنى قدر من الاستياء. فوجهها خالٍ من أي تعبير. وهو لا يستطيع أن يجزم إن كان انعدام التعبير لديها يُعزى لانعدام المشاعر أو لانفصام مشاعرها عن تعبيراتها. وعلى كلٍّ، فهي فتاة غامضة.

إن بطلة 'الشرنقة الهوائية' هي فوكا-إري نفسها على الأرجح ولكن في الماضي. طفلة في العاشرة من عمرها، عاشت في بلدة (أو ما يشبه البلدة) جبلية حيث كُلِّفت بالعناية بماعز عمياء. وكان كل أطفال البلدة يُكلَّفون بمهام عمل. ورغم أن الماعز كانت كبيرة، إلا أنها كانت ذات أهمية خاصة لدى أهل البلدة، ولذلك كان واجب الفتاة هو ضمان ألّا يصيبها أذى أو مكروه. لم يكن مسموحاً أن تغفل عنها ولو للحظة. وذات يوم، رغم ذلك، وفي لحظة سهو، غفلت عنها، وماتت الماعز. وعقاباً لها، فُرضت على الفتاة عزلة كاملة دامت عشرة أيام، حُبست خلالها في مخزن قديم مع جثة الماعز.

أصبحت الماعز بمثابة المعبر لدى «الناس الصغار» نحو هذا العالم. لم تكن الفتاة تعرف إن كان «الناس الصغار» أخيار أم أشرار (وهو ما لم يعرفه تنغو أيضاً). كان الناس الصغار يعبرون إلى هذا العالم عبر الجثة مع حلول الظلام، ليعودوا إلى الجانب الآخر مع بزوغ الفجر. وكان بوسع الفتاة أن تتحدث إليهم. وقد علَّموها كيف تصنع شرنقة هوائية.

كانت التفاصيل الدقيقة التي صوّرت من خلالها صفات الماعز العمياء وأفعالها هي أكثر ما أثار إعجاب تنغو. فتلك التفاصيل هي ما أضفى على العمل برمته حيوية بالغة. هل كانت فوكا-إري فعلاً حارسة على ماعز عمياء؟ وهل عاشت فعلاً في بلدة جبلية كتلك التي ورد ذكرها في القصة؟ خمَّن تنغو أن جواب كلا السؤالين هو نعم. فإذا كانت فوكا-إري لم تمر بتلك التجارب مطلقاً، فهذا معناه أنها حكَّاءة نادرة وموهوبة بالفطرة.

قرر تنغو أن يسأل فوكا-إري عن الماعز والبلدة في المرة التالية للقائهما (وهو ما كان مقرراً الأحد). ربما لن تجيب عن أسئلته بطبيعة الحال. وقد بدا له، قياساً على حوارهما السابق، أن فوكا-إري لا تجيب إلا عن الأسئلة التي تروقها. وعندما لا تريد الإجابة، أو لا تتوفر لديها نية الإجابة، تكتفي بتجاهل السؤال، وكأنما لم تسمعه على الإطلاق. مثلما يفعل كوماتسو. وهما في ذلك يتشابهان كثيراً، ويغايران تنغو كثيراً. فهو إن سُئل سؤالاً، أيّاً كان السؤال، يبذل قصارى جهده كي يجيب عنه. وهو على الأغلب قد وُلد هكذا.

في الخامسة والنصف، هاتفته صديقته التي تكبره سناً.

سألته: «ماذا عملت اليوم؟».

أجابها بنصف الحقيقة: «قضيت اليوم كله أكتب قصة». لم تكن قصته. ولكنه لم يكن يستطيع البوح لها بأيّ تفاصيل عن ذلك.

«هل سار الأمر على ما يُرام؟».

«تقريباً».

«أنا آسفة على إلغاء موعدنا اليوم دون إشعار كافٍ. أعتقد أننا نستطيع اللقاء الأسبوع القادم».

«أتشوق لذلك».

قالت: «وأنا أيضاً».

وكما هو دأبها مع تنغو، تطرقت بعد ذلك للحديث عن أطفالها. لديها طفلتان. أما تنغو فلم يكن لديه أي أشقاء وجليٌّ أنه لم ينجب أطفالاً، ومن ثم لا يعرف كثيراً عن عالم الأطفال، لكن ذلك لم يمنعها قط من الحديث مع تنغو عن طفلتيها. كان تنغو نادراً ما يبتدئ حواراً، ولكنه يأنس بالاستماع للآخرين. ولذلك كان يصغي إليها باهتمام. قالت له إن ابنتها الكبرى، وهي في الصف الثاني، ربما تعرضت لتنمُّر في مدرستها. لم تكن ابنتها قد أخبرتها شيئاً عن ذلك بنفسها، ولكن والدة إحدى زميلات ابنتها هي مَن أبلغتها على ما يبدو. لم يلتقِ تنغو الفتاة قط، وإنْ رأى لها صورة ذات مرة. لم تكن تشبه والدتها كثيراً في ملامحها.

سألها تنغو: «ولماذا يتنمرون بها؟».

«إنها غالباً ما تتعرض لنوبات ربو، ولذلك يتعذر عليها مشاركة الأطفال الآخرين في كثير من الأنشطة. ربما ذلك هو السبب. فهي طفلة محبوبة، وأقرانها ليسوا سيئين».

قال تنغو: «لم أفهم. هل كنت تظنين أنهم سوف يشفقون على طفلة تعاني من الربو، بدلاً من أن يتنمروا بها؟».

قالت متنهدة: «الأمر ليس بتلك البساطة أبداً في عالم الأطفال. فالأطفال يتعرضون للإقصاء من أقرانهم لا لشيء إلا لكونهم مختلفين عن غيرهم. والأمر نفسه يحدث في عالم الكبار، ولكنه في عالم الأطفال يصبح أكثر صراحة».

«هل لديكِ مثال ملموس على ذلك؟».

ضربت له عدة أمثلة، لم يكن منها أي مثال سيئ في حدّ ذاته،

ولكنها أمثلة، إن مورست يومياً، قد تُخلِّف أثراً شديد الوطأة داخل الطفل: إخفاء حاجيات الطفلة، ومقاطعتها، أو تقليدها على نحوٍ ساخر. «هل تعرضتَ ذات مرة لأي تنمُّر عندما كنت طفلاً؟».

عاد تنغو بذاكرته إلى أيام الطفولة وأجاب: «لا أظن ذلك. أو ربما لم أنتبه لذلك قط وحسب».

«إذا كنت لم تنتبه لذلك قط، فهذا يعني أنه لم يحدث قط. أعني، أن المهم في التنمر هو أن تجعل الشخص الآخر ينتبه لما تعرض له. ولا يمكن للتنمر أن يتحقق دون انتباه الضحية».

كان تنغو، حتى وهو طفل، يمتلك بنياناً ضخماً وقوياً، واعتاد الناس أن يعاملوه باحترام، وهذا هو السبب الأرجح وراء كونه لم يتعرض للتنمر قط. لكنه كان يواجه عندئذٍ مشكلات أخطر بكثير من مجرد التنمر.

سألها تنغو: «هل تعرَّضتِ للتنمر من قبل؟».

أجابت بجلاء: «مطلقاً». ولكن اعترى صوتها بعدئذٍ بعض التردد وأضافت: «لكني مع ذلك مارستُ بعضَ التنمر».

«أكنت تمارسينه ضمن مجموعة؟».

«أجل، في الصف الخامس. تجمعنا وقررنا مقاطعة طفل ما. لا أتذكر لماذا. لا بد أنه كان ثمة سبب، ولكنه لم يكن غالباً سبباً وجيهاً حتى وإن كانت ذاكرتي لا تسعفني به. لا أزال أشعر بالذنب. وأخجل من نفسي كلما تذكرت ذلك. لا أدري ما الذي كان يدفعني لذلك».

ذكَّر ذلك تنغو بحادثة معينة، شيء من الماضي البعيد يستحضره من حين إلى آخر. شيء لا يستطيع نسيانه أبداً. ولكنه قرَّر ألّا يذكره. كان الحديث سيطول وكانت الحادثة من نوعية الأشياء التي تفقد أهم

الفروق الدقيقة عندما نختزلها في كلمات. لم يخبر أحداً بها قطّ، والأغلب أنه لن يفعل أبداً.

قالت صديقته: «وفي النهاية، فإن المرء يستشعر الأمان عندما لا يجد نفسه ضمن الأقلية المُقصاة وإنما ينتمي إلى الأغلبية الممارسة للإقصاء. لعلك تعرف، إنني لست كذلك. وهذا ينطبق بالأساس على جميع العصور وجميع المجتمعات. إذا كنت تنتمي إلى الأغلبية، فبوسعك ألّا تشغل نفسك بكثير من الأمور المزعجة».

«وتلك الأمور المزعجة تصبح جميعها أموراً عليك الانشغال بها عندما تكون واحداً من الأقلية».

قالت بصوت خالطه الحزن: «ذلك فيما يخصّ الحجم. ولكن ربما، إنْ تعرَّضت لموقف مثل ذلك، فإنك ستتعلم أن تعتمد على نفسك».

«أجل، ولكن ربما يصبح ما تعتمد فيه على نفسك في النهاية هو تلك الأمور المزعجة».

«تلك مشكلة أخرى، بحسب ظني».

قال تنغو: «الأحرى بك ألّا تشغلي نفسك بذلك أكثر مما ينبغي. أظن ذلك سوف يؤرقك كثيراً. أنا واثق أنه لا بد أن بضعة أطفال في صفها يعرفون كيف يستخدمون عقولهم».

قالت: «أظن ذلك». ثم أطرقت لبعض الوقت وهي تفكر مع نفسها. انتظرها تنغو في صبر والسماعة على أذنه، حتى تُلملم شتات أفكارها.

وأخيراً قالت: «أشكرك. أشعر بأنني أفضل حالاً بعد حديثي معك». بدا أنها عثرت على بعض الإجابات.

قال تنغو: «وأنا أيضاً أشعر بأني أفضل حالاً».

«لماذا ذلك؟».

«لحديثي معك».

قالت: «وداعاً حتى الجمعة القادمة».

بعدما وضع السماعة، خرج تنغو قاصداً المتجر الكائن في المنطقة. عاد إلى البيت يحمل كيساً كبيراً من سلع البقالة. لفّ الخضروات والأسماك بالبلاستيك ووضعها في الثلاجة. كان يعد عشاء على أنغام موسيقى تبثها إذاعة أف أم عندما رنّ الهاتف. أربع مكالمات هاتفية في يوم واحد هي عدد كبير لدى تنغو. وربما كان بوسعه أن يحصي الأيام التي حدث فيها ذلك خلال أي سنة من السنوات. في هذه المرة كانت فوكا-إري. «بخصوص الأحد»، هكذا قالت مباشرة ودون أي تحية.

كانت تتناهى إلى سمعه أبواق سيارات من الطرف الآخر. بدا أن كثيرين من قائدي المركبات غاضبين من شيء ما. أغلب الظن أنها تتصل من هاتف عمومي في شارع مزدحم.

قال: «نعم»، وراح يضيف بعض التفاصيل إلى عبارتها الجافة: «صباح الأحد - أي بعد غد - سوف أقابلك وألتقي شخصاً آخر».

قالت وهي توضح ثلاث حقائق بالترتيب: «الساعة التاسعة. محطة شنجوكو. في العربة الأولى من القطار المتجه إلى تاشيكاوا».

«بعبارة أخرى، تريدينني أن أقابلك على رصيف القطارات المغادرة في خط «تشو لاين» حيث تتوقف العربة الأولى، أليس كذلك؟».

«بلى».

«إلى أين ينبغي أن تكون التذكرة؟».

«إلى أي مكان».

قال مضيفاً مادة مساعدة إلى كلماتها مثلما كان يفعل مع 'الشرنقة الهوائية': «ليس عليّ إذن سوى أن أشتري أيّ تذكرة وأضبط الأجرة بناء على المكان الذي سننزل فيه. أهذا يعني أننا سوف نذهب بعيداً عن المدينة؟».

سألته متجاهلة سؤاله: «ماذا كنت تفعل تواً».

«أُعدّ عشاء».

«تعدّ ماذا».

«لا شيء مميَّز، مجرد عشاء أطهوه لنفسي. أشوي سمكة ماكريل مجفّفة وأقطع بعض الفجل الأبيض. وأجهز طبقاً من حساء الميسو ومعه بصل أخضر ومحار صغير لأتناوله مع التوفو. وشرائح خيار وأعشاب واكامي البحرية المُغطسة في الخل. ثم أنتهي بأرز وخيار مخلَّل. ذلك هو كل شيء».

«يبدو طيباً».

قال تنغو: «ليس طعاماً مميزاً. ذلك هو ما أتناوله تقريباً في كل الأوقات».

ظلت فوكا-إري صامتة. لا يبدو أن فترات الصمت الطويلة تزعجها، ولكن ذلك ليس هو الحال لدى تنغو.

ابتدرها قائلاً: «آه صحيح. ينبغي أن أخبرك بأني شرعت في إعادة كتابة 'الشرنقة الهوائية' اليوم. أعرف أنك لم تمنحينا إذنك النهائي، ولكن الوقت المتاح لدينا ضيق للغاية، والأجدر بي أن أشرع فيها كي يتسنى لنا اللحاق بالموعد النهائي».

سألت، دون علامة استفهام: «السيد كوماتسو قال ذلك».

«أجل، هو مَن أمرني بالبدء».

سألت: «هل أنت مقرَّب من السيد كوماتسو».

أجابها تنغو: «حسناً، نوعاً ما». قال تنغو في نفسه، لا أحد في هذا العالم يستطيع أن يكون «مقرباً» حقاً من كوماتسو، لكن محاولة شرح ذلك لفوكا-إري سوف تستغرق وقتاً طويلاً للغاية.

«هل إعادة الكتابة تسير على ما يرام».

«حتى الآن، جيدة للغاية».

قالت فوكا-إري: «ممتاز». كان يبدو أنها تقصد ذلك. بدا لتنغو أن فوكا-إري سُرَّت بطريقتها الخاصة عندما علمت أن إعادة كتابة قصتها تسير على نحو طيب، ولكن نظراً إلى قدرتها المحدودة على التعبير عن مشاعرها، فإنها لم تستطع الذهاب إلى حدِّ التصريح بذلك.

قال لها: «آمل أن يروقك عملي».

«لست قلقة».

سألها تنغو: «ولماذا لست قلقة؟».

لم تُجِبْه فوكا-إري، وغرقت في الصمت من طرفها. كان يبدو أنه صمت مقصود، يهدف لجعل تنغو يفكر، ولكن مهما حاول تنغو، فإنه لن يستطيع أن يفسر السبب الذي يجعلها تضع فيه مثل هذه الثقة.

تحدث كي يقطع الصمت: «لعلك تعرفين، هناك شيء أودّ أن أسألك بشأنه. هل سبق لك أن عشت فعلاً في مكان يشبه البلدة واعتنيت بماعز؟ الأوصاف التي أوردتيها شديدة الواقعية، كنت أود أن أسألك إن كانت تلك الأشياء قد حدثت بالفعل».

سلَّكت فوكا-إري حنجرتها: «لن أتحدث عن الماعز».

قال تنغو: «حسناً. ليس عليك أن تتحدثي عنها إن كنت لا ترغبين بذلك. خطر ببالي أن أسأل وحسب. لا تقلقي. إن العمل هو كل شيء بالنسبة إلى المؤلف. ليس ملزماً بتقديم تفسيرات. دعينا

نلتقي يوم الأحد. هل ثمة شيء يتعين عليّ أخذه بعين الاعتبار لدى مقابلتي ذلك الشخص؟».

«ماذا تقصد».

«حسناً... على سبيل المثال، هل يجب أن ألبس بشكل لائق، أو أُحضر هدية أو شيئاً. إنك لم تقدمي لي أي تلميح عن هوية ذلك الشخص».

لاذت فوكا-إري بالصمت مرة أخرى، لكن صمتها هذه المرة بدا غير مقصود. لم يكن بوسعها أن تدرك الغرض من وراء سؤاله أو ما الذي دفعه لتوجيهه. لم يستقر سؤاله في أي منطقة من مناطق وعيها. يبدو أنه تجاوز حدود المعنى، وعلقت في عدم أزلي مثل سفينة فضاء وحيدة وقد تجاوزت كوكب بلوتو.

قال وقد استيأس منها: «لا عليك. لا يهم ذلك». لقد أخطأ حتى في سؤاله فوكا-إري مثل ذلك السؤال. كان يظن أن بوسعه أن يحمل معه سلة فاكهة أو شيئاً ما إلى هناك.

قال تنغو: «اتفقنا إذاً، أراك في التاسعة صباح الأحد».

تلعثمت فوكا-إري بضع لحظات، ثم وضعت السماعة دون أن تتلفظ بكلمة، لم تقل «إلى اللقاء»، ولا قالت «أراك يوم الأحد» ولا أي شيء. لم يأته سوى صافرة انقطاع الاتصال. ربما تكون قد أومأت إلى تنغو قبل أن تضع السماعة. لسوء الحظ، مع ذلك، فإن لغة الجسد عموماً تعجز عن تحقيق أثرها المنشود عبر الهاتف. وضع تنغو السماعة، وأخذ نفسين عميقين، وحوَّل دوائر ذهنه إلى شيء أكثر واقعية، وواصل تحضيره لعشائه البسيط.

الفصل السابع

أَوْمَامِه

بهدوء، لئلا توقظ الفراشة

تماماً بعد الواحدة من ظهيرة السبت، زارت أَوْمَامِه «بيت الصفصاف». تحيط بالمكان العديد من أشجار الصفصاف الضخمة والقديمة التي تجثم فوق السور الحجري المحيط بالمنزل وتتمايل أغصانها في سكون وسط الرياح وكأنها أرواح ضالة. وهو ما دعا أهل المنطقة بطبيعة الحال لأن يطلقوا على البناية العتيقة ذات الطراز الغربي منذ زمن اسم «بيت الصفصاف». يشرف البيت على منحدر حادّ في منطقة أزابو الراقية. عندما وصلت أَوْمَامِه قمة المنحدر، لفت انتباهها سرب من الطيور الصغيرة الموجودة على أغصان الصفصاف العليا، حتى تكاد من ثقلها أن تهوي بها أرضاً. ثمة قطة كبيرة أغفت إغفاءة خفيفة فوق السطح الذي تسطع عليه الشمس، فيما عيناها شبه مغمضتين. الشوارع هنا ضيقة وملتوية، ولا يمرّ بها سوى عدد ضئيل من السيارات. تضفي الأشجار السامقة على الحي أجواء من الكآبة، حتى يبدو أن إيقاع الزمن يتباطأ عندما يأتي المرء إلى هذا الحي. توجد بعض السفارات هنا، ولكن قلة من الناس هم من يترددون

عليها. ولا تتغير هذه الأجواء جذرياً إلا مع قدوم الصيف، وذلك عندما تصك الآذان أصوات حشرات الزيزان.

ضغطت أَوْمَامِه على زر البوابة وذكرت اسمها أمام جهاز «الإنتركَم». ثم وجَّهت ابتسامة واهية نحو الكاميرا التي تعلو رأسها. انفتحت البوابة الحديدية ببطء، وما إن دلفت إلى الداخل حتى انغلقت من ورائها. كدأبها دائماً، مشت عبر الحديقة قاصدة الباب الأمامي. ولكونها تعلم أن كاميرات المراقبة مسلطة عليها، فقد مشت مباشرة عبر المسار منتصبة القامة وقد أسندت ذقنها إلى صدرها، وكأنها عارضة أزياء. كانت ترتدي اليوم ملابس غير رسمية هي سترة جلدية قصيرة ذات لون أزرق بحري فوق سترة ذات قلنسوة رمادية اللون وبنطال من الجينز الأزرق وحذاء رياضي أبيض. وكما هو دأبها تحمل حقيبتها، ولكن دون كسارة الثلج، التي تقبع في دُرج تسريحتها ساكنة عندما لا يكون ثمة حاجة إليها.

تراصت بضعة مقاعد خشبية خارج الباب الأمامي، وبأحدها جلس محشوراً رجلٌ قوي البنيان. لم يكن فارع الطول، ولكن الجزء العلوي من جسمه يجعل الآخرين يجفلون لدى رؤيته. ربما يناهز الأربعين من عمره، وقد اعتاد أن يُبقي رأسه حليقاً ويُطلق شارباً تم تهذيبه بعناية. كان يُسدل بذلة رمادية على منكبيه العريضين. أما قميصه ناصع البياض فيتباين مع ربطة عنق حريرية ذات لون رمادي داكن وحذاء أسود لامع. هنا يقف رجل لا يمكن أن تحسبه إلا مسؤول خزانة في إدارة الحي أو موظفاً في شركة تأمين. نظرة واحدة من أَوْمَامِه كانت كافية لأن تفهم أنه حارس شخصي محترف، وهي مهنته ومجال خبرته في واقع الأمر، وإنْ عمل أحياناً سائقاً أيضاً. وفضلاً عن كونه خبيراً رفيع المستوى في الكاراتيه، فهو يجيد استخدام

الأسلحة إذا لزم الأمر. ورغم أنه يستطيع أن يكشر عن أنيابه ويغدو بالغ الشراسة، فإنه هادئ الطباع عادة ورابط الجأش، بل ومفكر. وحين تحدق في عينيه - هذا إن سمح لك - ترى وهجاً دافئاً.

أما في حياته الخاصة، فهو يجدُ متعة في استعمال الآلات والأجهزة. وهو يجمع أسطوانات أغاني الروك في الستينيات والسبعينيات، ويقطن قسماً آخر من منطقة أزابو مع صديقه الشاب الوسيم وخبير التجميل. يُدعَى تامارو، لكن أَوْمَامِه لم تكن تعرف إن كان هذا هو اسمه الأول أو اسم العائلة، أو كيف تُتَهجى حروفه. كان الناس يدعونه «تامارو» وحسب.

دون أن يقوم من مقعده الخشبي، أومأ «تامارو» إلى أَوْمَامِه، فجلست في مقعد مقابل وحيَّته تحية بسيطة قائلة، «مرحباً».

قال الرجل، وهو يدقق النظر في لمعان حذائه «الكوردوفان»: «سمعتُ أن رجلاً مات في فندق في شيبويا».

قالت أَوْمَامِه: «لا علم لي بذلك».

«حسناً، لم يكن يستحق الذكر في الصحف. مجرد نوبة قلبية، بحسب ظني. شيء مؤسف: كان في مطلع الأربعينيات».

«عليكَ أن تعتني بقلبك».

أومأ تامارو، وقال: «نمط الحياة هو أهم شيء. ساعات العمل غير المنتظمة وضغوط الحياة والحرمان من النوم: تلك هي الأشياء التي سوف تقتلكِ».

«طبعاً، كل إنسان سوف يقتله شيءٌ ما عاجلاً أو آجلاً».

«كلام معقول».

«هل تظنين أن الجثة سيتم تشريحها؟».

انحنى تامارو ونفض بإصبعة بقعة دقيقة تكاد لا تُرى على مقدمة حذائه: «مثلما هو حال الجميع، فإن رجال الشرطة لديهم مليون شيء وشيء عليهم إنجازه، ولديهم ميزانية محدودة للعمل بها. لا يمكنهم تشريح كل جثة تأتيهم لا أثر لخدش فيها. وأغلب الظن أن عائلة الرجل لن تريد له أن يُشرَّح دون سبب بعدما تُوفي في هدوء».

«ولا سيما، أرملته».

بعد هنيهة صمت، مدّ تامارو كفه اليمنى الغليظة الأشبه بالقفاز إلى أَوْمَامِه. قبضت عليها، وراحا يتصافحان مصافحة قوية.

قال: «لا بد أنك متعبة. ينبغي لك الحصول على قسط من الراحة».

وسّعت أَوْمَامِه زاويتي فمها نوعاً ما، على النحو الذي يفعله الناس العاديون عندما يبتسمون، ولكنها في الحقيقة لم تُظهر سوى ظلٍّ طفيف لابتسامة.

سألت: «كيف حال بان؟».

أجاب: «إنها على ما يرام». وبان هي أنثى «جيرمن شبرد» تعيش في هذا المنزل، وهي كلبة حسنة العشرة وذكية، برغم بضع عادات غريبة.

سألته أَوْمَامِه: «ألا تزال تأكل السبانخ؟».

«كدأبها دائماً. وفي ظلّ الارتفاع الحالي لأسعار السبانخ، فهذه ليست تكلفة هينة!».

«لم أرَ في حياتي من قبل أنثى جيرمن شبرد تأكل السبانخ».

«إنها لا تعرف أنها كلبة».

«وماذا تحسب نفسها إذاً؟».

«حسناً، يبدو أنها تحسب نفسها كائناً من نوع خاص يستعصي على التصنيف».

«كلبة سوبر؟».

«ربما ذلك».

«أيكون ذلك هو سبب حبها للسبانخ؟».

«لا، تلك مسألة أخرى. إنها تحب السبانخ وحسب. فهي تأكلها منذ كانت جرواً».

«ولكن ربما كوَّنت أثناء ذلك هذه الأفكار الخطيرة عن نفسها».

قال تامارو: «ربما ذلك». نظر في ساعته وقال: «موعدك اليوم في الواحدة والنصف، أليس كذلك؟».

أومأت أَوْمَامِه: «بلى. ما زال هناك بعض الوقت».

تحرر من مقعده وقال لها: «انتظري هنا دقيقة، إذا سمحت؟ ربما استطعت أن أُدخلك قبل موعدك بقليل». تلاشى عبر الباب الأمامي.

وبينما كانت واقفة رهن الانتظار، أجالت أَوْمَامِه نظرها في أشجار الصفصاف الخلابة. عندما لا توجد رياح تحركها، فإن أغصانها تتدلى على الأرض، وكأنها أشخاص مستغرقون في التفكير.

عاد تامارو متأخراً قليلاً: «سوف أصطحبك إلى خلف البيت. إنها تودّ أن تراك اليوم في الدفيئة».

دار كلاهما حول الحديقة بمحاذاة أشجار الصفصاف صوب الدفيئة الموجودة خلف البيت الرئيس في منطقة مشمسة لا تظلّلها الأشجار. فتح تامارو الباب الزجاجي بحذرٍ وبقدر يكفي أن تنسلّ عبره أَوْمَامِه دون أن تسمح لأي من الفراشات بالهرب. انسلَّ إلى الداخل بعدها، وأوصد الباب سريعاً. لم تكن هذه بالحركة التي

يجيدها عادة رجل ضخم البنيان، رغم أدائه لها بكفاءة عالية. لكنه لم يعتبرها إنجازاً خاصاً.

كان الربيع قد حلَّ داخل الدفيئة الزجاجية الكبيرة تماماً. فالأزهار من كلّ شكل ولون تتفتح بغزارة، لكن معظمها كانت أزهاراً عادية تستطيع رؤيتها في أي مكان تقريباً. كان سيف الغراب وشقائق النعمان وزهرات الربيع تصطف في أُصص فوق الأرفف. وكان من بين هذه الأزهار نباتات لا تعدو أن تكون حشائش ضارة في رأي أَوْمَامِه. لم ترَ أي زهرة تصلح لأن تكون هدية - لا توجد أزهار من الفصيلة السحلبية الغالية، ولا أزهار نادرة، ولا أزهار بولينزيا الملونة. لم يكن لدى أَوْمَامِه اهتمام خاص بالنباتات، ولكنها أحبت مع ذلك انعدام التكلف في تلك الدفيئة.

عوضاً عن ذلك، كان المكان يَغص بالفراشات. كان جلياً أن صاحبة هذه الدفيئة الزجاجية الكبيرة تولي اهتماماً كبيراً لتربية الفراشات غير العادية يفوق ذلك الذي توليه لفصائل النباتات النادرة. ومعظم الأزهار المزروعة هنا هي أزهار غنية بالرحيق الذي تفضِّله الفراشات. كانت أَوْمَامِه قد سمعت أن حفظ الفراشات داخل دفيئة زجاجية هو أمر يستدعي قدراً كبيراً من العناية والمعرفة والجهد.

اعتادت الأرملة الثرية، صاحبة الدفيئة، أن تدعو أَوْمَامِه من حين إلى آخر إلى الدفيئة كي تتبادلا بعض الأحاديث الخاصة، لكنها لم تفعل ذلك قطّ والحرارة في ذروتها في فصل الصيف. كان السياج الزجاجي يَحُول دون أي تنصّت على ما يدور بينهما. لم تكن أحاديثهما من النوعية التي تقال في أي مكان وبأعلى صوت، وكانت صاحبة الدفيئة تقول إنها تشعر بالسكينة عندما تَحُوطها الأزهار

والفراشات. وهو ما كانت أَوْمَامِه ترى أثره على وجهها. كانت الدفيئة حارة أكثر ممّا ينبغي من وجهة نظر أَوْمَامِه، لكنها محتملة.

كانت الأرملة الثرية في منتصف السبعينيات وذات قوام نحيل. اعتادت أن تُبقي شعرها الأبيض الجميل قصيراً. وكانت ترتدي اليوم قميصاً من الجينز بكُمين، وبنطالاً سمني اللون من القطن، وحذاء رياضياً متسخاً. بقفاز عمل أبيض اللون ومصنوع من القطن في يديها، كانت تمسك مِرشة ماء معدنية كبيرة وتقوم بترطيب التربة في زهرية تلو أخرى. كل ملابسها تبدو فضفاضة عليها، وإن كانت كل قطعة تنسدل على جسمها بأُلفة مريحة. وكلما نظرت إليها أَوْمَامِه، لا تملك إلا أن تشعر إزاءها بنوع من التقدير لوقارها الطبيعي وغير المتصنع.

ولكونها وُلدت لأسرة فاحشة الثراء من تلك الأسر التي هيمنت على الثروة والصناعة قبل الحرب العالمية الثانية، فقد تزوجت الأرملة ضمن الطبقة الأرستقراطية، ولكنها لم تكن تحب البهرجة والترف. عندما فقدت زوجها بعد وقت وجيز من اندلاع الحرب، ساهمت في إدارة شركة استثمارية صغيرة تعود ملكيتها لأحد أقربائها وأظهرت براعة جلية في سوق الأسهم. وقد أقر لها الجميع بموهبة فطرية في ذلك. وبفضل جهودها، شهدت الشركة نمواً سريعاً، ونمت ثروتها الشخصية نمواً هائلاً. بهذه الأموال، اشترت عدة عقارات راقية في المدينة كانت مملوكة لأفراد سابقين من الطبقة الأرستقراطية أو العائلة الإمبراطورية. تقاعدت من عملها قبل الأوان بعشر سنوات، وزادت ثروتها مرة أخرى عبر بيعها لبعض ممتلكاتها في أوقات مواتية. ولأنها كانت تتحاشى دوماً الظهور في العلن، فقد ظلَّ اسمها غير معروف على نطاق واسع، وإن أصبح كل شخص في الأوساط المالية يسمع عنها. وقد أشيع أيضاً أنها تحظى بعلاقات قوية مع دوائر سياسية. أما

على المستوى الشخصي، فكانت امرأة ذكية وودودة لم يعرف الخوف لقلبها طريق، وهي تثق في فطرتها، وتتمسك بقراراتها.

حالما رأت الأرملة أَوْمَامِه قادمة، وضعت مرشة الماء أرضاً وأشارت إليها بالجلوس في مقعد حديدي صغير بالقرب من مدخل الدفيئة. جلست أَوْمَامِه، فيما جلست المرأة في الكرسي المواجه لها. تحركاتها لا يصدر عنها أي صوت، فقد كانت أشبه بأنثى ثعلب تشقّ طريقها عبر غمار غابة.

سأل تامارو: «هل أُحضر لكما شراباً؟».

قالت الأرملة: «شاي أعشاب لي». ثم نظرت إلى أَوْمَامِه وسألتها: «وأنتِ. . .؟».

«سأشرب مثلك».

أومأ تامارو وغادر الدفيئة. بعدما تلفَّت حوله ليتأكد أنه لا توجد فراشات بالقرب منه، فتح الباب قليلاً، وانسل خارجاً، ثم أغلق الباب مرة أخرى وراءه بدقة تضاهي دقة راقص محترف.

خلعت الأرملة قفازي العمل ووضعتهما على الطاولة، وبعناية وضعت أحدهما فوق الآخر وكأنهما قفازان حريريان كانت ترتديهما في حفل ساهر. بعدئذٍ حدقت مباشرة نحو أَوْمَامِه بعينيها السوداوين البراقتين. هاتان العينان شهدتا الكثير. ردَّت أَوْمَامِه التحديقة بالقدر الذي تسمح به أصول اللياقة.

قالت الأرملة: «يبدو أننا فقدنا فرداً عزيزاً من أفراد المجتمع. وهو شخص معروف ولا سيما في دوائر النفط، على ما يبدو. ما زال شاباً، ولكنه ذو نفوذ كبير، بحسب ما سمعت».

كانت دائماً ما تتكلم بصوت هادئ حتى إنّ صوتها قد يتلاشى وسط هبة ريح بسيطة. ولذلك كان يتعين على الناس أن يرهفوا السمع

لما تقول. وكانت أَوْمَامِه تشعر غالباً بحاجة ملحة إلى أن تمد يدها وترفع الصوت - لو كان ثمة مفتاح لذلك! لم يكن أمامها خيار سوى الإصغاء باهتمام.

قالت أَوْمَامِه: «ولكن مع ذلك، لا يبدو أن غيابه المفاجئ قد ضايق أي أحد. ولا يزال العالم يمضي قُدماً».

ابتسمت الأرملة: «لا أحد في هذا العالم لا يمكن تعويضه. قد يمتلك الشخص معرفة أو قدرة هائلة، ولكن هناك غالباً من يَخلُفه. سيكون مريعاً لو أن العالم امتلأ بأناس لا يمكن تعويضهم. ورغم ذلك» - وهنا رفعت سبابتها لإيضاح نقطة - «لا أتخيل أن بوسعي أن أجد أحداً يحلّ محلك».

استدركت أَوْمَامِه قائلة: «ربما لا تجدين ذلك بسهولة، ولكن يمكنك على الأرجح أن تجدي دون عناء كبير».

سددت الأرملة نظرة هادئة إلى أَوْمَامِه، فيما افترَّت شفتاها عن ابتسامة رضا. وقالت: «ربما يكون ذلك صحيحاً. ولكني أكاد أجزم بأني لن أجد أي شيء يحلّ محلّ ما نتشاركه هنا الآن. أنتِ هو أنتِ ولا أحد سواك. وأنا في غاية الامتنان لذلك، بل إن امتناني تعجز عن وصفه الكلمات».

مالت إلى الأمام، ومدت يدها ووضعتها فوق أَوْمَامِه. أبقتها كذلك عشر ثوانٍ كاملة. عندئذٍ، وبنظرة رضا غامرة فاضت على وجهها، سحبت يدها واستدارت مولية وجهها شطر الناحية الأخرى. جاءت فراشة ترفرف وحطت على كتف قميصها الأزرق. كانت فراشة بيضاء صغيرة، وتظهر على جناحيها بضع بقع أرجوانية اللون. بدا أن الفراشة لا يعتريها أي خوف وهي تحطّ على كتفها للنوم.

قالت الأرملة وهي تُلمح بعينها إلى كتفها، وبصوت مفعم بالفخر: «أنا واثقة أنك لم تَرَيْ قط هذا النوع من الفراشات. حتى في أوكيناوا بالأسفل، سوف تجدين صعوبة في العثور على إحدى هذه الفراشات. إنها تُحصِّل غذاءها من نوع واحد من الورود - وردة خاصة لا تنمو إلا في جبال أوكيناوا. عليك أن تأتي بالوردة إلى هنا وتزرعيها أولاً إذا كنت تريدين لهذه الفراشة أن تبقى في طوكيو. إنها مسألة شاقة. ناهيك عن التكاليف».

«يبدو أنها تشعر بارتياح بالغ معك».

«هذه الصغيرة تعتبرني صديقتها».

«هل يمكن للمرء أن يصادق فراشة؟».

«نعم، ولكن إذا أصبحتِ أولاً جزءاً من الطبيعة. اقمعي وجودك البشري، وابقي في مكانك ساكنة، واقنعي نفسك بأنك شجرة أو عشبة أو وردة. سوف يستغرق ذلك وقتاً، ولكن ما إن تتخلى الفراشة عن حذرها، يمكنك أن تصبحي صديقتها بطبيعة الحال».

سألت أَوْمَامِه، بفضول: «هل تسمينها بأسماء؟ مثلما هو الحال مع الكلاب والقطط؟».

هزت الأرملة رأسها هزة خفيفة: «لا، لا أسميها، ولكن بوسعي أن أميز واحدة عن أخرى عبر أشكالها وأساليبها. وفوق ذلك، لا فائدة كبيرة من تسميتها بأسماء؛ فهي تموت سريعاً جداً. يظلّ أصدقاءك مجهولي الأسماء مدة قصيرة وحسب. وأنا أجيء إلى هنا كل يوم، وأقول «مرحباً» للفراشات، وأتحدث إليها. وحالما يحين الأجل، تنصرف وتتلاشى. أنا واثقة أنّ ذلك يعني موتها، ولكني لا أستطيع مطلقاً العثور على أجسامها. فهي لا تترك أي أثر وراءها.

يبدو وكأن الهواء قد ابتلعها. إنها كائنات صغيرة وجميلة تكاد أن تكون غير موجودة: فهي تأتي من حيث لا ندري، وتبحث بهدوء عن بضعة أشياء محدودة، ثم تذوب في العدم مرة أخرى، ربما تنتقل إلى عالم آخر».

كان هواء الدفيئة دافئاً رطباً ومشبعاً برائحة النباتات. مئات الفراشات تغدو وتروح مثل علامات ترقيم قصيرة الأجل في تيار وعي لا أول له ولا آخر. كانت أَوْمَامِه كلما جاءت إلى هنا، شعرت وكأنها فقدت كل إحساس بالوقت.

عاد تامارو يحمل صينية فضية وعليها إبريق شاي من الخزف الأخضر وكوبي شاي متماثلين ومنشفتين وطبق رقائق صغير. امتزجت رائحة الشاي الأخضر بعبير الورود المحيطة.

قالت الأرملة: «أشكرك، يا تامارو. سوف أتولى أنا البقية».

وضع تامارو الصينية على الطاولة القريبة، وانحنى احتراماً للأرملة، ثم انصرف في صمت حيث فتح باب الدفيئة وأوصده وخرج بخطاه الرشيقة ذاتها. رفعت المرأة غطاء إبريق الشاي، واستنشقت الرائحة وتفحصت درجة تفتُّح أوراق الشاي. بعدئذٍ ملأت على مهل كوبيهما، متوخية كلّ الحرص على أن يكونا متساويين في قوتهما.

سألتها أَوْمَامِه: «أعرف أنه ليس شأني، ولكن لمَ لا تضعين باباً شبكياً على المدخل؟».

رفعت الأرملة رأسها ونظرت إلى أَوْمَامِه: «باب شبكي؟».

«أجل، إذا أضفتِ باباً شبكياً داخل الباب الزجاجي، فلن يتعين عليك الحذر إلى هذا الحدّ لئلاً تهرب أيّ من الفراشات».

رفعت الأرملة طبق فنجانها بيدها اليسرى، وبيدها اليمنى قرَّبت

فنجانها إلى فمها وارتشفت رشفة هادئة من شاي الأعشاب. استطابت مذاقه وأومأت إيماءة خفيفة. أعادت الفنجان إلى الطبق، والطبق إلى الصينية. بعد أن مسحت فمها بفوطتها، أعادت المنشفة إلى حجرها. كانت تستغرق على الأقل ثلاثة أضعاف ما يستغرقه شخص عادي من الوقت كي تقوم بتلك الحركات. شعرت أَوْمَامِه أنها ترى حورية في أعماق الغابة ترشف ندى الصباح واهب الحياة.

نظَّفت المرأة حنجرتها بهدوء، وقالت: «لا أحب الأبواب الشبكية».

انتظرت أَوْمَامِه أن تكمل الأرملة كلامها، ولكنها لم تفعل. هل يُعزى نفورها من الشبكات إلى رفضها العام لكلّ ما يقيد الحرية، أو أن ذلك لاعتبارات جمالية، أو أنه لا يعدو ميلاً داخلياً ليس وراءه أي سبب واضح؟ ليس معنى ذلك أنّ الأمر يمثل مشكلة ذات أهمية. كان سؤال أَوْمَامِه عن الأبواب الشبكية مجرد سؤال عنَّ لها وحسب.

مثلما فعلت الأرملة، تناولت أَوْمَامِه فنجانها وطبقها معاً وراحت ترشُف الشاي في صمت. لم تكن مولعة كثيراً بشاي الأعشاب. كانت تفضل القهوة وهي ساخنة وسوداء كشيطان في منتصف الليل، ولكن لعلّها لم تكن الشراب الملائم لدفيئة زجاجية بعد الظهيرة. ولذلك كلما التقيتا داخل الدفيئة كانت تطلب دوماً الشراب ذاته الذي تختاره سيدة المنزل. وعندما عرضت عليها بعض الرقائق، تناولت واحدة. فطيرة زنجبيل. خُبزت لتوها، وبها طعم الزنجبيل الطازج. تذكرت أَوْمَامِه أن الأرملة قد مكثت مدة في إنجلترا في أعقاب الحرب. أخذت الأرملة أيضاً إحدى الرقائق وراحت تقضم منها كسرات صغيرة، على مهل وبهدوء لئلا توقظ الفراشة النادرة النائمة على كتفها.

قالت المرأة: «تامارو سوف يعطيك المفتاح عندما تغادرين. أرجو أن ترسليه عبر البريد ثانية عندما تنتهين منه. كما تفعلين دائماً».

«بالطبع».

سادت لحظة صمت هادئة. لم تكن تتسرّب إلى الدفيئة المغلّفة أي أصوات من العالم الخارجي. واصلت الفراشة نومها.

قالت المرأة وهي تنظر مباشرة إلى أَوْمَامِه: «نحن لم نقترف أيّ جرم».

عضّت أَوْمَامِه على شفتها السفلى بشكل خفيف ثم أومأت: «أعرف».

قالت المرأة: «انظري فيما هو داخل هذا المظروف».

من مظروف موضوع على الطاولة، أخرجت أَوْمَامِه سبع صور فوتوغرافية بولارويد ورصّتهم صفاً، مثل أوراق تاروت غير محظوظة، بجوار إبريق الشاي. كانت لقطات مقربة لجسد امرأة شابة: تُظهر الصور ظهرها ونهديها ومؤخرتها ومنطقة الحوض وحتى باطن قدميها. وجهها هو الجزء الوحيد غير الموجود. كان كلّ جزء من جسمها يحمل آثار عنف نجمت عن ضرب مبرح استخدم فيها حزام جلدي غالباً. شعرُ عانتها كان حليقاً، فيما دُمغ جلدها بما يشبه حروق سيجارة. وجدت أَوْمَامِه نفسها تجفل من ذلك. لقد رأت صوراً شبيهة من قبل، ولكنها لم تكن بتلك البشاعة.

«لعلك لم تَرَيْ مثل هذه الصور من قبل، أليس كذلك؟».

هزت أَوْمَامِه رأسها في صمت: «سمعت عن مثل ذلك، ولكن هذه هي الصور الأولى التي أراها».

قالت الأرملة: «صاحبنا هو من اقترف ذلك. لقد عالجنا الكسور الثلاثة التي لحقت بها، ولكنها تعاني أعراض فقدان السمع بإحدى

أذنيها وربما لن تعود كما كانت عليه أبداً». كدأبها دائماً، كانت تتحدث بصوت هادئ، ولكن صوتها هذه المرة اعتراه بعض الجمود والحدة، وهو ما أخاف فيما يبدو الفراشة النائمة على كتفها. بسطت جناحيها وطارت بعيداً.

أردفت: «لا يمكننا أن ندع أحداً يُفلت بمثل هذه الفعلة. لا يمكننا البتة».

جمعت أَوْمَامِه الصور وأعادتها إلى المظروف.

سألتها الأرملة: «ألا توافقيني الرأي؟».

قالت أَوْمَامِه: «أوافقك قطعاً».

قالت الأرملة: «لقد أدينا العمل الصحيح».

قامت عن كرسيها، وربما لتهدئة نفسها، حملت مرشة الماء ووضعتها بجانبها وكأنها تمسك بيدها سلاحاً معقداً. كان وجهها قد امتقع نوعاً ما الآن، وأصبحت عيناها مسلطتين بحدّة على إحدى زوايا الدفيئة. تعقبت أَوْمَامِه نظرتها ولكن دون أن ترى سوى نبات شوكي في أصيص.

قالت الأرملة، وهي لا تزال تحمل مرشة الماء الفارغة: «أشكرك على قدومك لرؤيتي. وأقدر جهودك». كان يبدو أن ذلك يؤذن بنهاية مقابلتهما.

نهضت أَوْمَامِه واقفة والتقطت حقيبتها: «أشكرك على الشاي».

قالت الأرملة: «اسمحي لي أن أشكرك ثانية».

ابتسمت أَوْمَامِه لها ابتسامة واهية.

قالت الأرملة: «ليس هناك ما يقلق على الإطلاق». استعاد صوتها نبرته الودودة. ولمع وهج دافئ في عينيها. ربتت على ذراع أَوْمَامِه. «لقد أدينا العمل الصحيح، صدقيني».

أومأت أَوْمَامِه. اعتادت المرأة أن تنهي محادثاتهما على النحو ذاته. ربما تردِّد الشيء ذاته لنفسها مراراً وتكراراً، مثل صلاة أو تعويذة: «ليس هناك ما يُقلق على الإطلاق. لقد أدينا العمل الصحيح، صدقيني».

بعدما تأكدت أنه لا توجد فراشات بالقرب منها، فتحت أَوْمَامِه باب الدفيئة بما يكفي لانسلالها عبره، ثم أوصدته وراءها ثانية. بقيت الأرملة بالداخل حاملة مرشة الماء في يدها. وجدت الهواء خارج الدفيئة بارداً ومشبعاً بأريج الأشجار والأعشاب. هذا هو العالم الحقيقي. الزمن يتدفق هنا بالطريقة الطبيعية. راحت أَوْمَامِه تستنشق هواء العالم الحقيقي برئتيها بعمق.

وجدت تامارو جالساً في الكرسي ذاته بجوار المدخل الأمامي، في انتظارها. مهمته هي أن يسلِّمها مفتاح صندوق بريد.

سألها: «انتهى العمل؟».

أجابت أَوْمَامِه: «أظن ذلك». جلست بجواره، وأخذت المفتاح، ودسَّته في أحد جيوب حقيبتها.

وبدلاً من أن يتحدثا، انصرفا يشاهدان الطيور التي تحطّ في الحديقة بعض الوقت. كان الهواء ساكناً، فيما تتدلى أغصان الصفصاف المتهدِّلة بلا حراك، ويكاد العديد منها يلامس الأرض.

سألته أَوْمَامِه: «هل حال المرأة على ما يرام؟».

«أي امرأة؟».

«زوجة الرجل الذي تعرّض لنوبة قلبية في فندق شيبويا».

قال تامارو وقد قطَّب جبينه: «على ما يرام؟ ليست على ما يرام

تماماً. ليس بعد. لا تزال في طور الصدمة. لا تستطيع الكلام تقريباً. سوف يستغرق ذلك وقتاً».

«كيف تبدو؟».

«في مطلع الثلاثينيات. ليس لديها أطفال. وهي جميلة. تبدو لطيفة الشخصية. أنيقة. لسوء حظها، فإنها لن ترتدي بذلات سباحة هذا الصيف. وربما لن تتمكن من ذلك أيضاً حتى في العام التالي. هل رأيتِ صور البولارويد؟».

«نعم، رأيتها لتوي».

«بشعة، أليس كذلك؟».

قالت أَوْمَامِه: «للغاية».

قال تامارو: «زوجها من ذلك النمط الشائع. شخص موهوب، يحظى بسمعة طيبة، ويتحدر من أسرة كريمة، وينتظره مستقبل مهني رائع، وذو مكانة مجتمعية مرموقة».

قالت أَوْمَامِه نسجاً على فكرته: «ولكنه في المنزل يغدو شخصاً آخر. ولا سيما عندما يشرب، يصبح عنيفاً. ولكن مع النساء فقط. زوجته هي الوحيدة التي تتعرض لأذاه. أما مع الآخرين، فلا يظهر سوى وجهه الطيب. الجميع يرونه زوجاً لطيفاً ومُحبّاً. وحين تخبر الزوجة الناس بما يقترفه من فظائع معها، لا أحد يصدقها. ولأن الزوج يدرك ذلك، فهو عندما يمارس العنف معها ينتقي مناطق من جسمها لا تستطيع كشفها للآخرين بسهولة، أو يحرص على ألا تَترك ضرباته ندوباً. أهذا هو النمط الذي تقصد؟».

أومأ تامارو: «تقريباً. عدا أن هذا الشخص لم يكن يشرب. كان لا يقرب الخمر ويعلن ذلك صراحة. يا لها من قضية قبيحة فعلاً. كانت تريد الطلاق، ولكنه رفض رفضاً مطلقاً. مَن يدري؟ ربما كان

يحبها. أو ربما لم يكن يريد لهذه الضحية السهلة أن تفلت من بين يديه. أو ربما كان يستمتع باغتصاب زوجته وحسب».

رفع تامارو إحدى قدميه، ثم الأخرى، ليتأكد من لمعان حذائه مرة ثانية. ثم أردف: «بالطبع، يمكنك عادة الحصول على الطلاق إذا كنت تملكين دليلاً على العنف المنزلي، ولكن ذلك يستغرق وقتاً ويتطلّب المال. إذا استعان الزوج بمحامٍ ماهر، فإنّ بوسعه أن يحيل حياتك إلى جحيم. فمحاكم الأسرة تغصّ بالقضايا، وتعاني نقصاً في القضاة. وإذا حصلت على الطلاق، رغم كل ذلك، وأصدر القاضي حكمه بالطلاق أو بالنفقة، فإنّ عدد الرجال الذين سوف يسددون فعلاً سيكون ضئيلاً. يمكنهم التحايل على ذلك بشتى أنواع السبل؟ في اليابان، الأزواج السابقون لا يتمّ إيداعهم السجن غالباً بسبب التخلف عن السداد. إذا تظاهروا بالرغبة في السداد ثم دفعوا قليلاً من المال، فإن المحاكم عادة ما تغضّ الطرف. ما زال للرجال اليد العليا في المجتمع الياباني».

قالت أَوْمَامِه: «ربما يكون ذلك صحيحاً، ولكن تصادف أنّ أحد هؤلاء الأزواج العنيفين قد تعرض لنوبة قلبية في إحدى غرف فندق شيبويا قبل بضعة أيام».

قال تامارو بطرقعة من لسانه: «إن كلمة 'تصادف' هي كلمة مباشرة أكثر مما ينبغي في رأيي. أُفضل قول 'بسبب تدخل إلهي'. على أية حال، فإن سبب وفاته لم تثر أي شكوك، فضلاً عن أن وثيقة التأمين على الحياة التي يملكها لم تكن مرتفعة القيمة على نحوٍ يلفت الانتباه، ولذلك فلن ترتاب شركة التأمين في الأمر. سوف تدفع قميتها دون مشاكل على الأرجح. في نهاية المطاف، فإنّ قيمتها تمثل مبلغاً معقولاً من المال، ويمكن لزوجته الاستعانة به في بدء حياة جديدة.

وفوق ذلك، فإنه سوف يوفر عليها الوقت والمال اللذين كانت سوف تبدِّدهما طلباً للطلاق عبر التقاضي. عندما ينتهي الأمر، سوف تكون قد جُنِّبت كلّ الإجراءات القانونية المعقدة والعبثية وما يصاحبها من معاناة نفسية».

«ولا تنسَ أن هذا الوغد لن يصبح طليقاً ليفتك بأيّ ضحية جديدة».

قال تامارو: «تدخُّل إلهي. حُلَّت كل المشكلات بفضل نوبة قلبية. الأمور بخواتيمها».

قالت أَوْمَامِه: «هذا إنْ سلمنا بأن ثمة خاتمة في مكان ما».

صنع تامارو بعض تغضنات قصيرة بجانب فمه فيما يشي بابتسامة واهية: «لا بد أن يكون ثمة خاتمة في مكان ما. المشكلة هي أنه ليس هناك شيء يحمل علامة 'هذه هي الخاتمة'. هل الدرجة الأعلى في السلم تحمل علامة 'هذه هي الدرجة الأخيرة. رجاء لا تصعد أعلى من ذلك'؟».

هزت أَوْمَامِه رأسها.

قال تامارو: «والشيء نفسه هنا».

قالت أَوْمَامِه: «إذا استخدمت حسَّك الفطري وأبقيت عينيك مفتوحتين، فسوف يتجلى لك بوضوح أين هي الخاتمة».

أومأ تامارو: «وحتى إذا لم تتجل - صنع بإصبعة علامة السقوط - فإن الخاتمة هناك مباشرة».

صمتا هنيهة فيما كانا يستمعان للطيور وهي تغرد. كانت ظهيرة أبريل هادئة لم يتخللها أي أثر لضغائن أو عنف.

سألت أَوْمَامِه: «كم عدد النساء اللائي يعشن هنا الآن؟».

أجاب تامارو بدون تردد: «أربع».

«وجميعهن يعانين الوضع ذاته؟».

ضم تامارو شفتيه: «تقريباً. ولكن حالة الثلاثة الأخريات ليست بخطورة حالة الأخيرة. أزواجهن جميعاً أوغاد أنذال، كالعادة، ولكن لا أحد منهم يضاهي الرجل الذي تحدثنا عنه في سوئه. هؤلاء هواة يميلون إلى التظاهر بأنهم عدوانيون، ولا يستحقون أن تشغلي بالك بهم. نستطيع أن نتعامل معهم بأنفسنا».

«بطريقة قانونية».

«تقريباً - حتى وإن اضطررنا لممارسة بعض الضغوط عليهم. بالطبع، فإن نوبة قلبية تُعتبر سبباً 'قانونياً' جداً للوفاة».

قاطعته أَوْمَامِه: «بالطبع».

صمت تامارو هنيهة، ووضع كفيه على ركبتيه وراح ينظر إلى الأغصان الساكنة لأشجار الصفصاف.

بعد تردد قليل، قررت أَوْمَامِه أن تفتح موضوعاً مع تامارو: «هل تعرف، ثمة شيء أودّ أن أسألك بشأنه».

«ما هو؟».

«منذ متى حصلت الشرطة على زي ومسدسات جديدة؟».

قطّب تامارو جبينه دون أن ينتبه لذلك تقريباً: «كيف خطر لك ذلك السؤال فجأة هكذا؟».

«لقد عنَّ لي وحسب».

حدق تامارو النظر إلى عينيها. جاءت نظرته محايدة وبلا أي تعبير. اعتاد أن يدع لنفسه مجالاً يستطيع معه أن يسلك أي وجهة.

«حدث تبادل إطلاق نار كبير بالقرب من بحيرة موتوسو بين شرطة محافظة ياماناشي والجماعة المتطرفة في منتصف أكتوبر 1981، وفي

السنة التالية قامت الشرطة بعملية إعادة تنظيم واسعة داخل صفوفها. أي قبل عامين».

أومأت أَوْمَامِه دون أن تُغير تعبيرات وجهها. لا تحضرها أي ذكريات عن تلك الواقعة، ولكن كل ما عليها فعله الآن هو أن تسايره فيما يقول.

«كانت حادثة دموية للغاية. مسدسات عتيقة محشوة بست طلقات في مواجهة الكلاشنكوف إيه كيه 47 إس. لقد لحقت برجال الشرطة هزيمة ساحقة. مساكين: ثلاثة منهم مُزقوا إرباً إرباً. بدوا وكأنما قد خيطوا بماكينة خياطة. ثم تدخلت على الفور قوة الدفاع الذاتي، وأرسلوا مظليين من القوات الخاصة. الشرطة فقدت ماء وجهها تماماً. ولذلك أخذ رئيس الوزراء نكاسونه مسألة تعزيز قوة الشرطة على محمل الجد. ونُفذت على الفور عملية إعادة هيكلة شاملة؛ وتمّ إنشاء قوة أسلحة خاصة، وتم تزويد الدوريات العادية بمسدسات آلية عالية الكفاءة - من طراز بريتا 92. هل سبق أن استخدمتِ أحدها؟».

هزت أَوْمَامِه رأسها. مطلقاً. فهي لم تستعمل حتى بندقية هواء قطّ.

قال تامارو: «لقد جربتُ هذه المسدسات. الواحد منها يطلق 15 طلقة آلياً. ويستخدم طلقات عيار 9 مم. إنه أحد أعظم المسدسات. الجيش الأميركي يستخدمها. ليست رخيصة، ولكن رواجها يعود إلى كونها ليست في مثل غلاء مسدسات 'إس آي جي' أو 'غلوك'. لكنها مع ذلك، ليست سهلة الاستخدام، وهي قطعاً ليست للهواة. المسدسات القديمة كانت تزن 490 غراماً فقط، أما هذه فتزن 850 غراماً. إنها تصبح معدومة الجدوى عندما تكون في أيدي شرطي ياباني غير مدرَّب. واستخدام هذا السلاح عالي الكفاءة في دولة

مزدحمة مثل اليابان، سوف يؤدي في نهاية الأمر إلى إصابة المارة الأبرياء».

«ومتى أتيح لك أن تستخدم هذا المسدس؟».

«لعلك تعرفين، القصة المعتادة. ذات مرة وفيما كنت أعزف على قيثارتي بجوار ينبوع ماء، إذا بجنية تظهر من حيث لا أدري، وتُسلمني مسدس بريتا طراز 92، وأخبرتني أن أطلق النار تجاه الأرنب الأبيض هناك بغرض التدريب».

«تحدث بجدية».

تعمَّقت تغضنات فم تامارو أكثر قليلاً، وقال: «أنا جاد دائماً. على أية حال، فإن المسدسات والزي الرسمي للشرطة تغيرت منذ سنتين. خلال فصل الربيع. في مثل هذا الوقت تقريباً من السنة. هل في ذلك جواب عن سؤالك؟».

قالت أَوْمَامِه: «منذ سنتين».

رمقها تامارو بنظرة حادة أخرى: «إن كان هناك ما يضايقك، فالأجدر بك أن تخبريني. هل تورّط رجال الشرطة في شيء ما؟».

قالت أَوْمَامِه، وهي تبدِّد شكوكه بكلتا يديها: «لا، الأمر ليس كذلك. كنت أتساءل وحسب عن زيهم، مثلاً، ومتى تمّ تغييره».

تلا ذلك صمت، كان بمثابة النهاية الطبيعية لحوارهما. مدَّ تامارو يده اليمنى مرة ثانية: «على أية حال، فأنا مسرور لأن كل شيء سار بلا مشاكل». وضعت أَوْمَامِه يدها في يده. **وقالت في نفسها، إنه يفهم. بعد مهمة صعبة تكون فيها حياتك على المحك، ما تحتاجه هو التشجيع الدافئ والهادئ الذي يصاحب لمسة الجسد البشري.**

قال تامارو: «خذي قسطاً من الراحة. أحياناً يكون عليك أن

تتوقفي وتأخذي نفساً عميقاً، وتفرغي رأسك ممّا فيه. اذهبي إلى جوام أو مكان آخر بصحبة صديق».

نهضت أَوْمَامِه واقفة، وعلقت حقيبتها في كتفها، وضبطت قلنسوة سترتها. انتصب تامارو واقفاً أيضاً. كان طويلاً دون شك، لكنه عندما يقف يبدو وكأن جداراً حجرياً قد برز أمامها بغتة. ودائماً ما كانت صلابته تفاجئها.

أبقى تامارو عينيه مسلطتين عليها وهي تمشي منصرفة. كانت تستشعر نظراته الموجهة نحوها خلال ذلك. ولذلك أبقت ذقنها منكفئة على صدرها فيما ظلّ ظهرها منتصباً، وهي تمشي بخطى ثابتة وكأنها تتبع خطاً مستقيماً. ولكنها كانت في داخلها، الذي يتعذّر الاطّلاع عليه، مرتبكة. ففي أماكن تجهلها تماماً، تحدث أشياء تجهلها تماماً الواحد تلو الآخر. وقبل وقت وجيز، كانت تضع العالم في يدها، دون أن يشوب ذلك أي اضطراب أو تضارب. ولكن ذلك كان يتداعى الآن.

إطلاق نار متبادل في بحيرة موتوسو؟ بريتا طراز 92؟

ماذا دهاها؟ ليست أَوْمَامِه بالتي تفوتها مطلقاً مثل هذه الأخبار المهمة. ثمة خلل ما قد اعترى نظام العالم. ظلَّت تُقلِّب الأمر في ذهنها خلال سيرها. أياً ما كان الذي حدث، فإن عليها أن تفعل شيئاً لاستعادة وَحدة العالم مرة أخرى، وجعله متسقاً مع المنطق مرة أخرى. وهو ما عليها فعله الآن. وإلا، فسوف يقع ما يثير العجب.

لعل تامارو كان بوسعه أن يلمس الارتباك الذي يعتريها من الداخل. فهو شخص حذر ويمتلك قدرة رائعة على الحدس، لكنه بالغ الخطورة. كان تامارو يُكنّ احتراماً كبيراً ويحمل ولاء مطلقاً لربة عمله. وهو مستعد لأن يفعل أي شيء لحمايتها. كانت أَوْمَامِه وتامارو

يعترفان بقدرات بعضهما بعضاً ويأنس كل منهما بالآخر أو هكذا كان يبدو. ولكنه إذا ما وصل لقناعة مفادها أن وجود أَوْمَامِه لم يعد في مصلحة ربة عمله، لأي سبب كان، فلن يتردد لحظة في التخلص منها. ولم تكن أَوْمَامِه لتلومه على ذلك. فهذه وظيفته، على أية حال.

انفتحت البوابة لدى بلوغها الطرف الآخر من الحديقة. رسمت أوسع ابتسامة ودودة لديها أمام كاميرا المراقبة، ولوَّحت بيدها تلويحاً خفيفاً كما لو أنّ شيئاً لا يضايقها. وحالما أصبحت خارج السور، انغلقت البوابة من خلفها ببطء. وبينما كانت أَوْمَامِه تهبط منحدر أزابو الحاد، جاهدت كي ترتِّب أفكارها وتُعدّ قائمة مفصَّلة وشاملة لما ينبغي لها عمله من هذه اللحظة فصاعداً.

الفصل الثامن

تنغو
الالتقاء بأشخاص جدد في أماكن جديدة

يرى معظم الناس في صبيحة الأحد وقتاً للراحة، لكن تنغو وخلال سنوات شبابه، لم يرَ في صبيحة الأحد قطّ وقتاً للمتعة. بدلاً من ذلك، كان يغتمّ لها ويكتئب. وعندما تحلّ عطلة نهاية الأسبوع، يعتري جسمه تثاقلٌ وألم، وتتلاشى شهيته للطعام. كان يوم الأحد لدى تنغو مثل قمر ممسوخ لا يظهر منه سوى جانبه المظلم. **ليت الأحد لا يجيء أبداً!** هكذا دأب على أن يُحدِّث نفسه وهو صبي صغير. **كم ستكون الحياة أكثر بهجة لو أصبح الذهاب إلى المدرسة كل يوم دون عطلة!** بل لقد دعا الله ألّا يأتي يوم الأحد، وإن كان دعاؤه لم يُستجب قطّ. وحتى الآن، وهو كبير، لا تزال المشاعر السلبية تتملكه بشكل غير مبرَّر في صباحات الآحاد. فيشعر بمفاصله تُطقطق وتنتابه رغبة في التقيؤ. لقد تغلغلت فيه ردة الفعل هذه إزاء الأحد ونفذت إلى قلبه منذ زمن حتى استقرَّت، ربما في منطقة سحيقة من اللاوعي.

كان والد تنغو يعمل مُحصلاً لرسوم الاشتراكات في تلفزيون «إن إتش كيه» NHK - شبكة البث شبه الحكومية في اليابان - واعتاد

اصطحاب تنغو صغيراً خلال جولات تحصيل الرسوم متنقلاً من باب إلى باب. بدأت هذه الجولات قبل التحاق تنغو بالروضة واستمرت حتى وصوله إلى الصف الخامس دونما أن يحصل على يوم عطلة واحد في نهاية الأسبوع، عدا أيام الآحاد التي تقيم المدرسة خلالها فعاليات خاصة. ولأنه كان يستيقظ في السابعة، فقد كان والده يجعله يغسل وجهه بالماء والصابون، وينظف أذنيه وأظافره، ويُلبسه أنظف الثياب لديه (ولكن أقلّها بهرجة)، وفي المقابل، يَعده بأن يشتري له طعاماً لذيذاً.

لم يكن تنغو يدري ما إن كان محصلو رسوم الاشتراكات الآخرين يعملون في أيام العطلات الأسبوعية والإجازات، ولكن بقدر ما يتذكر، فقد كان والده دائماً ما يفعل ذلك، بل على العكس، كان يعمل بحماسة أكبر، لأنه في أيام الآحاد غالباً ما يجد هؤلاء الذين يوجدون عادة خارج بيوتهم في أيام الأسبوع الأخرى.

كان والد تنغو يصطحبه معه في جولاته لعدة أسباب أيام الآحاد؛ أولها هو أنه ما كان ليترك الطفل وحيداً في البيت. وأمّا في أيام الأسبوع وأيام السبت، فكان يستطيع أن يودع تنغو في دار رعاية نهارية أو روضة أو مدرسة ابتدائية، وهذه جميعها تغلق أيام الآحاد. وثمة سبب آخر، بحسب قوله، وهو أنه من المهم لدى الأب أن يُري ابنه نوعية العمل الذي يؤديه. فالطفل ينبغي له أن يعرف منذ وقت باكر نوعية النشاط الذي وفَّر له مقومات الحياة اليومية، وينبغي له أن يقدر أهمية العمل. كان والد تنغو يُرسَل للعمل في الحقول، سواء كان اليوم أحداً أو غير ذلك، منذ بدأ يعي ويدرك، وكان يُمنع من الذهاب إلى المدرسة في ذروة المواسم الزراعية. وكانت مثل هذه الحياة من وجهة نظره قَدَراً مسلَّماً به.

أما السبب الثالث والأخير فكان سبباً يتّسم بالدهاء، ممّا جعله يترك أعمق الندبات في قلب تنغو. فقد أدرك والده أن اصطحابه طفلاً صغيراً سوف يجعل عمله أكثر يُسراً. فعندما يصطحب محصل رسوم طفلاً، يجد المشتركون صعوبة أكبر في أن يقولوا: «لا نريد أن ندفع، اخرج من هنا». أما عندما يجدون صغيراً يحدق في وجوههم، فعادة ما ينتهي الأمر بهؤلاء الذين يتمنّعون عن السداد بأن يُسلّموه النقود المستحقة، وهو السبب الذي جعله عادة ما يُرجئ أصعب المسارات إلى يوم الأحد. أحسَّ تنغو من البداية أن هذا هو الدور الذي كان يُنتظر منه تأديته، وهو دورٌ كَرِهَه كرهاً شديداً. ولكنه شعر أيضاً أن عليه أن يؤدي دوره على أكمل وجه لنيل رضا والده. وربما يَحسن به حتى أن يصبح قرداً مدرَّباً. وكان إذا ما أرضى والده، لقي معاملة حسنة في ذلك اليوم.

ولم يكن ينقذ تنغو سوى مسار والده الذي كان بعيداً نوعاً ما عن البيت. فقد كانا يعيشان في حي سكني خارج مدينة إتشيكاوا، فيما كانت جولات والده في وسط المدينة. وكانت المدرسة تقع في حي مختلف أيضاً. وهو ما أتاح له أن يتفادى على الأقل تحصيل الرسوم من بيوت زملائه في الروضة والمدرسة الابتدائية. أما عندما يسيران في منطقة التسوق في وسط المدينة، فإنه يلمح أحياناً زميلاً له في الشارع. وعندما يحدث ذلك، كان يتوارى خجلاً وراء والده كي لا يلحظه أحد.

كان معظم آباء أصدقاء تنغو في المدرسة يشغلون وظائف مكتبية تقع مقارها وسط العاصمة طوكيو. وكان هؤلاء يعتبرون منطقة إتشيكاوا جزءاً من العاصمة ولكن تصادف أنها أُلحقت بمحافظة تشيبا. وفي صباح الاثنين من كلّ أسبوع يتبادل أصدقاؤه في المدرسة بحماسة

الأحاديث عن الأماكن التي قصدوها والأنشطة التي زاولوها يوم الأحد. فكانوا يقصدون متنزهات التسلية وحدائق الحيوان ويحضرون مباريات البيسبول. وخلال الصيف يذهبون للسباحة وفي الشتاء للتزلج. ويصحبهم آباؤهم في رحلات التنزه إما بالسيارة أو سيراً على الأقدام. وبينما يقصُّون تجاربهم بحماسة ويتبادلون المعلومات عن الأماكن الجديدة، لم يكن تنغو يجدُ ما يتحدث عنه لكونه لم يذهب قطّ إلى مقصد سياحي أو متنزه للتسلية. فهو يقضي مع والده أيام الآحاد من الصباح حتى المساء، ويلازمه في جولاته حيث يدقان أجراس بيوت غرباء وهما يُطأطئان رأسيهما ويتسلّمان النقود من الشخص الذي يأتي إلى الباب. وإذا وُجد مَن لا يريد السداد، فإن والده إما يتوعده أو يتملقه. أما مع هؤلاء الذين يحاولون التنصل من الدفع عبر الجدال، فيدخل والده معهم في مشاحنات. وأحياناً يسبهم وكأنه يسب كلاباً ضالة. لم تكن هذه بتجارب يمكن لتنغو أن يقصها على أصدقاء المدرسة.

عندما أصبح تنغو في الصف الثالث، سرى خبر مفاده أنّ والده يعمل محصلَ رسوم في شبكة «إن إتش كيه». الأرجح أن أحداً قد رآهما خلال إحدى جولاتهما معاً. كان يقضي اليوم كله مشياً على قدميه خلف والده حتى يبلغا كلّ ركن في المدينة يوم الأحد من كل أسبوع، ولذلك كان حتماً أن يلمحه شخص ما في مكان ما (ولا سيما أنه قد أصبح الآن أكبر من أن يتوارى خلف والده). والحق أنه من دواعي الدهشة أنّ ذلك لم يحدث من قبل.

منذ تلك اللحظة فصاعداً، أصبح يُكنَّى «إن إتش كيه». لم يكن بوسعه تفادي أن يصبح غريباً وسط أطفال ينتمي آباؤهم ذوو الياقات البيضاء إلى الطبقة الوسطى. وكثير من الأشياء التي كانوا يرونها

حقوقاً مكتسبة، كان تنغو محروماً منها. كان يعيش حياة مغايرة في عالم مغاير. إنه يحقق علامات دراسية رائعة، وكذلك الأمر مع قدراته الرياضية. وهو صاحب بنيان قوي وضخم، وأولاه المعلمون اهتمامهم. ولذا، ورغم كونه «غريباً»، فإنه لم يكن قطّ منبوذاً، بل على العكس، كان يحظى بالاحترام في معظم الأحوال، لكن عندما كان أقرانه يدعونه للذهاب معهم إلى مكان ما أو لزيارتهم في يوم أحد، لم يكن يجد بديلاً عن رفض دعوتهم. كان يعرف أنه إن أخبر والده بأن «أطفالاً آخرين سوف يلتقون هذا الأحد في منزل الشخص الفلاني»، فلن يكترث. ولذلك سرعان ما توقف زملاؤه عن دعوته. ولم يمضِ وقت طويل حتى أصبح يدرك أنه لا ينتمي إلى أيٍّ من المجموعات. وكان وحيداً دائماً.

كانت جولات التحصيل يوم الأحد قاعدة ثابتة: لا محيد عنها ولا تغيير. إذا أصيب بنزلة البرد، وإذا أصيب بسعال مزمن، وإذا تعرض لحمى خفيفة، وإذا أصيب باضطراب معوي، فإنّ والده لم يكن ليقبل أي أعذار. وعندما كان يمشي خلف والده مترنحاً في مثل تلك الأيام، كان غالباً ما يتمنى لو سقط أرضاً ومات في الحال. عندئذٍ، ربما يعيد والده النظر في مسلكه؛ وربما يخطر بباله أنّ صرامته قد بلغت حدّ القسوة مع ابنه. وفي كل الأحوال، فقد كان تنغو صاحب بنيان قوي. وحتى إن أصابته حمى أو توعكت معدته أو شعر بغثيان، فإنه دائماً ما يُكمل المسار الطويل كله مع والده، ولم يحدث قطّ أن سقط أرضاً أو أُغشي عليه، ولم يكن يتذمر مطلقاً.

كان والد تنغو قد أعيد من منشوريا فقيراً مُعدَماً، عندما وضعت الحرب أوزارها عام 1945. ولأنه كان الابن الثالث لأسرة تعمل

بالزراعة في منطقة توهوكو القاحلة، فقد التحق بإحدى مجموعات الاكتفاء الذاتي وانتقل إلى منشوريا في ثلاثينيات القرن العشرين رفقة أصدقاء من الإقليم ذاته. لا أحد منهم صدَّق تماماً مزاعم الحكومة بأن منشوريا جنة مترامية الأطراف وذات أراض خصبة، وأنها سوف توفِّر للوافدين إليها أجمعين حياةً رغيدة. كانوا يعرفون ما يكفي لأن يدركوا أن «الجنة» لا وجود لها في أي مكان. عانوا فقراً وجوعاً واضحين. أقصى أمانيهم إذا بقوا في بيوتهم هي العيش على حافة الجوع. كانت حقبة فظيعة عانت خلالها جموع هائلة من البطالة. لم تكن الحياة في المدن تمنح ساكنيها أمل العثور على فرصة عمل كريمة، ممّا جعل عبور البحر إلى منشوريا السبيل الوحيد للنجاة والبقاء على قيد الحياة. وبينما كان الفلاحون يستصلحون أراضي جديدة، كانوا يتلقون تدريبات أساسية حول استخدام الأسلحة النارية في حالات الطوارئ، ولا يجدون سوى معلومات ضئيلة فيما يخصّ ظروف الزراعة في منشوريا، وكانوا يُرسلون إلى هناك من قراهم يحفّهم الحب والتأييد، ثم يُنقلون بعد ذلك بالقطار من مرفأ داليان إلى مكان على مقربة من الحدود بين منشوريا ومنغوليا. وهناك كانوا يحصلون على قطعة أرض وبعض معدات الزراعة والأسلحة الصغيرة، حيث يبدأون معاً فلاحة الأرض. كانت التربة جدباء وذات طبيعة صخرية، وفي الشتاء تكسو الثلوج كل شيء. وكانت الكلاب الضالة أحياناً هي كلّ ما يتوفر بين أيديهم ليقتاتوا عليه، لكن ومع ذلك، وبفضل الدعم الحكومي خلال السنوات الأولى القليلة، كان بوسعهم أن يتدبروا شؤون حياتهم بشق الأنفس.

وأخيراً، أضحت حياتهم أكثر استقراراً حين نقض الاتحاد السوفياتي، في أغسطس عام 1945، معاهدة الحياد مع اليابان وشنَّ

غزواً شاملاً على منشوريا. وبعد انتهاء الجيش السوفياتي من عملياته على الجبهة الأوروبية، استخدم 'سكة حديد عبر سيبريا' لنقل قوات عسكرية هائلة إلى الشرق الأقصى تمهيداً لعبور الحدود. كان والد تنغو يتحسَّب لذلك، بعدما أخطره مسؤول سراً بالظروف المحدقة بالمنطقة، وهو مسؤول تعرَّف عليه بفضل أواصر قُربى بعيدة. كان الرجل قد أخبره سراً أن جيش كوانتونج الياباني المنهك لن يقوى على صدّ ذلك الغزو، وأن عليه أن يتجهز للفرار بالملابس التي عليه فور حدوث ذلك - وكلما عجَّل، كان خيراً له. وفي اللحظة التي تناهى إلى سمعه أخبار مفادها أن الجيش السوفياتي قد انتهك الحدود على ما يبدو، امتطى صهوة جواده، وأطلق له العنان قاصداً أقرب محطة قطار محلية، حيث استقل أسوأ قطار متجه إلى داليان. ومن بين رفقائه المزارعين كان هو الوحيد الذي تمكن من العودة إلى اليابان قبل نهاية العام.

انتقل إلى طوكيو بعد نهاية الحرب وحاول كسب قوته من العمل كتاجر في السوق السوداء ومساعد نجَّار، بيْد أنه لم ينجح في أيهما. كان بالكاد يستطيع أن يقيم أَود نفسه. وكان يعمل كرجل توصيل لدى متجر مشروبات كحولية في حي أزاكوزا عندما التقى مصادفة في الشارع شخصاً كان قد تعرَّف عليه أثناء إقامته في منشوريا. كان ذلك الشخص هو نفسه المسؤول الذي حذَّره من الغزو السوفياتي الوشيك لمنشوريا. كان الرجل قد ذهب في الأصل للعمل لدى هيئة البريد في دولة مانشوكو العميلة لليابان، والآن وقد عاد أدراجه إلى اليابان فقد استردّ وظيفته القديمة لدى وزارة الاتصال. كان يبدو أنه يحب والد تنغو، لأنهما يتحدَّران من القرية ذاتها ولأنه كان يدرك مدى جديته في عمله. وقد دعاه لمشاركته بعض الطعام.

ولمّا علم الرجل أن والد تنغو يواجه صعوبة في العثور على وظيفة مجزية، سأله إن كان يريد العمل كمحصل رسوم لدى شبكة «إن إتش كيه». عرض عليه أن يزكيه لدى صديق يعمل في تلك الإدارة، وهو ما قبله والد تنغو بحبور. لم يكن يعرف شيئاً تقريباً عن «إن إتش كيه»، بيد أنه كان مستعداً لأن يجرِّب أي عمل يضمن له مدخولاً ثابتاً. كتب له الرجل رسالة تزكية، بل وحتى قدم نفسه ضامناً له، مما ذلَّل له الطريق ليصبح محصل رسوم اشتراكات لدى الشبكة. قدموا له تدريباً وزيّاً وحددوا له نسبة مئوية من قيمة ما يُحصله. كان الناس وقتئذٍ قد بدأوا لتوّهم يستفيقون من صدمة الهزيمة ويبحثون عن وسائل ترفيه في خضم حياتهم البائسة. كان المذياع هو أرخص وسائل الترفيه وأيسرها، ولأنه أصبح عقب الحرب يقدم موسيقى وبرامج فكاهية ورياضية، فقد بات أكثر جماهيرية ممّا كان عليه إبَّان الحرب عندما كانت برامجه تحض بشدة على التضحية بالذات في سبيل رفعة الوطن. كانت «إن إتش كيه» تحتاج إلى أعداد هائلة من الأشخاص الذين يمكنهم تحصيل رسوم الاستماع عبر الانتقال من باب إلى باب.

أدى والد تنغو عمله بحماس كبير. وكانت نقاط قوته الأبرز هي بنيته القوية وصبره في وجه الصعاب. هنا كان لدينا رجل قلَّما تناول وجبة طعام مشبعة منذ مولده. وبالنسبة إلى مثل هذا الشخص، لم يكن تحصيل رسوم «إن إتش كيه» بالعمل المضني. ولم يكن يعبأ بأقذع اللعنات التي تُصبّ عليه. وفوق ذلك، كان يشعر برضا كبير كونه ينتمي إلى مؤسسة عملاقة، حتى وإن كان من أقل أعضائها مكانة. ظلَّ يعملِ على مدى سنة كاملة محصلاً مفوضاً دون أمان وظيفي، وكان دخله الوحيد هو نسبة مئوية من قيمة ما يحصِّله من رسوم، ولكن أداءه وسلوكه كانا لافتين حتى إنه رُقي مباشرة إلى

موظف كامل الحقوق، وكان ذلك إنجازاً لم يُسمع به من قبل في أروقة «إن إتش كيه». وكان ذلك يُعزى في جزء منه إلى النتائج الرائعة التي حققها في منطقة عرف عنها الصعوبة البالغة في التحصيل، ولا يمكن أيضاً إغفال نفوذ ضامنه، مسؤول وزارة الاتصال، الذي كان فعالاً في ذلك الصدد. سرعان ما حصل على راتب أساسي مضافاً إليه النفقات. واستطاع بناء على ذلك الانتقال إلى شقة مملوكة للمؤسسة والاستفادة من برنامج الرعاية الصحية. كان الفرق في المعاملة مثل الفرق بين الليل والنهار. كانت هذه هي ضربة الحظ الكبرى التي واتته في حياته. بتعبير آخر، فقد شق طريقه أخيراً إلى أدنى نقطة على عمود الرسوم الطوطمية.

سمع الصغير تنغو هذه القصة من والده مرات ومرات حتى سئمها. لم يهدهده والده قط بأغنية قبل النوم، ولم يقرأ له قط حكايات الكتب قبل النوم. بدلاً من ذلك، كان يقص على الطفل قصصاً من تجاربه الواقعية - المرة تلو المرة، بداية من نشأته في أسرة فقيرة تعمل في الزراعة في توهوكو، وصولاً إلى الخاتمة السعيدة النهائية (والحتمية) وهي عمله كمحصل رسوم كامل العضوية في «إن إتش كيه».

كان والده يجيد رواية الحكايات. لم يكن لدى تنغو سبيل كي يتأكد من صحة هذه الحكايات، ولكنها كانت على الأقل متماسكة ومتسقة منطقياً. لم تكن تأتي مُحمَّلة تماماً بالدلالات العميقة، ولكن التفاصيل كانت حيوية فيما السرد يميل إلى المبالغة الشديدة. كانت تأتي تارة مفعمة بالمرح، وتارة تكون مؤثرة، وتارة أخرى تتضمن عنفاً. بعضها كان مدهشاً ولكن حدوثه محال، فيما كان تنغو يجد صعوبة في استيعاب بعضها الآخر بغض النظر عن مرات سماعه لها.

وإذا كان لحياة أن تقاس بلون وتنوع مشاهدها، فإنه يمكن القول إن حياة والده كانت ثرية بطريقتها الخاصة، ربما.

ولكن حكايات والده كانت تفقد فجأة كلّ حيويتها وواقعيتها، حالما يتطرق فيها إلى الفترة التي أصبح خلالها موظفاً كامل العضوية في «إن إتش كيه». إذ كانت تنقصها التفاصيل والاكتمال، كما لو أنه كان يعتبرها مجرد تتمة لا تستحق السرد. التقى امرأة، ثم تزوجها وأنجب منها طفلاً - وهذا هو تنغو. وبعد بضعة أشهر من مولد تنغو، أصيبت والدته بمرض ثم ماتت. تعهده والده وحده بالرعاية، ولم يتزوج ثانية مطلقاً، واكتفى بالكد في عمله لدى «إن إتش كيه». النهاية.

كيف التقى والدة تنغو وتزوجها، وأي نوع من النساء كانت، وما هو سبب وفاتها (هل كان ذلك يتصل على نحو ما بمولد تنغو؟)، وهل جاء موتها سهلاً نسبياً أو أنها عانت بشدة - لم يخبره والده شيئاً عن كل ذلك تقريباً. وإذا حاول تنغو أن يستفسر، فإن والده يروغ من السؤال وحسب، ولكنه في النهاية، لن يجيب أبداً. وفي معظم الأوقات، كانت مثل تلك الأسئلة توصله إلى حالة مزاجية مزرية وتستثير أعصابه. لم تبقَ صورة واحدة لوالدة تنغو، ولم تبقَ صورة واحدة لحفل الزفاف. وهو ما يوضحه والده قائلاً: «لم نكن نحتمل تكاليف الحفل. ولم يكن لدي كاميرا».

لكن تنغو لم يكن يصدق رواية والده. كان والده يحجب عنه الحقائق، وهو يعيد صياغة القصة. فوالدته لم تمُت بعد بضعة أشهر من مولده. ففي ذكراها الوحيدة التي يحفظها لها، كانت لا تزال على قيد الحياة عندما كان عمره سنة ونصف. وبالقرب من مكان نومه، كانت بين ذراعي رجل آخر ليس بوالده.

خلعت والدته سترتها، وأزاحت حمالتي كتف قميص نومها، وسمحت لرجل لم يكن والده أن يلعق نهديها. كان تنغو ينام بجوارهما فيما تُسمع أنفاسه. ولكن في الوقت ذاته، لم يكن تنغو نائماً. كان يرقُب والدته.

كانت هذه هي الصورة التذكارية التي يحتفظ بها تنغو لوالدته. مشهد الثواني العشر المنقوشة في ذهنه بوضوح تام. كانت هذه هي معلوماته الواقعية الوحيدة عن والدته، والرباط الوحيد الهش الذي يستطيع عقله أن يوجده معها. كانا يرتبطان معاً بحبل سُري افتراضي. وكان عقله عائماً في سائل سَلَويّ من الذكريات، ويستمع إلى صدى الماضي. لم يكن والده، في تلك الأثناء، يدري أن مثل ذلك المشهد الحي قد نقش في ذهن تنغو أو أن تنغو، مثلما هو حال بقرة في مرج أخضر، يجتر بلا نهاية بقايا المشهد ليمضغها، ويتخذها طعاماً يستمد من خلالها العناصر الغذائية الأساسية. أب وابن: كان كلاهما حبيس كهف عميق ومظلم لأسراره.

كان صباحُ أحدٍ صحواً ومبهجاً. مع ذلك، كانت هناك لفحة برد لا تزال تتخلل هواء منتصف أبريل، ما يذكّر بمدى السهولة التي تنقلب بها أحوال الطقس رأساً على عقب. ارتدى تنغو كنزة خفيفة سوداء اللون وضيقة الرقبة، ثم ارتدى فوقها جاكيت من الصوف كانت لديه منذ أيام الجامعة. كان يلبس أيضاً بنطالاً من ماركة «تشينو» وينتعل حذاء بنياً من ماركة «هاش بابيز». حذاء جديد نوعاً ما. هذا الهندام هو أقصى ما يستطيعه عندما يودّ أن يبدو أنيقاً في ملبسه.

عندما وصل تنغو إلى الطرف الأمامي للقطار المغادر لرصيف خط «تشو لاين» في محطة شنجوكو، وجد فوكا-إري هناك بالفعل،

جالسة وحدها على مقعد دون أن تحرك ساكناً وتحدّق في الفراغ بعينين مضيقتين. كانت ترتدي فستاناً قطنياً كثير الألوان يجب أن يُلبس في منتصف الصيف. وفوق الفستان كانت ترتدي سترة «كارديجان» شتوية ثقيلة ذات لون أخضر فستقي، وفي قدميها العاريتين انتعلت حذاء خفيفاً حال لونه الرمادي - وهو ما يعدُّ مزجاً غريباً نوعاً ما في هذا الوقت من السنة. الفستان شفاف للغاية فيما السترة ثقيلة للغاية. رغم ذلك، لم تبدُ هذه الثياب غير ملائمة بشدة. ربما كانت تعبِّر بهذا التباين عن نظرتها الخاصة للعالم. لا يمكن استبعاد ذلك. ولكن الأرجح أنها اختارت ملابسها اعتباطاً دون أن تفكر كثيراً.

لم تكن تقرأ في صحيفة أو كتاب، ولم تكن تستمع إلى الموسيقى عبر «ووكمان»، وإنما كانت تجلس صامتة وحسب، وتحدق أمامها مباشرة بعينيها الواسعتين السوداوين. ربما تحدق في شيء أو ربما لا تنظر نحو أي شيء على الإطلاق. وربما تفكر في شيء أو ربما لا تفكر على الإطلاق. من بعيد، كانت تشبه تمثالاً حياً مصنوعاً من بعض المواد الخاصة.

سأل تنغو: «هل جعلتك تنتظرين؟».

رمقته فوكا-إري بنظرة وهزت رأسها من جانب إلى آخر مقدار سنتيمتر أو سنتيمترين. عيناها السوداوان كانتا تُشعان بريقاً ونعومة، ولكنهما كما كانتا من قبل، خاليتان من أي تعبير محسوس. بدت وكأنها لا تريد الحديث مع أي أحد الآن، ولذلك توقف تنغو عن أي محاولة لمتابعة الحوار واكتفى بالجلوس إلى جوارها على المقعد، دون أن يقول شيئاً.

عندما وصل القطار، نهضت فوكا-إري واقفة، واستقلاه معاً. لم يكن على متن القطار السريع الذي تنتهي رحلته عند جبال طاكاو،

سوى قليل من المسافرين في عطلة نهاية الأسبوع. جلس تنغو وفوكا-إري كلاهما قبالة الآخر، والتزما الصمت فيما راحا يشاهدان مناظر المدينة التي يمر بها القطار عبر النوافذ. لم تتلفظ فوكا-إري بأي شيء، كعادتها، ولذلك لاذَ تنغو بالصمت أيضاً. ضمَّت طَوقي سترتها وكأنها تتقي موجة برد قارس، وكانت تنظر أمامها مباشرة وقد بسطت شفتيها حتى أصبحتا تشكلان خطاً مستقيماً تماماً.

أخرج تنغو كتاباً صغيراً كان يحمله معه وأخذ يقرأه، ولكن بعد تردد لبعض الوقت توقف عن القراءة. وأعاد الكتاب إلى جيبه، ووضع يديه على ركبتيه وأخذ يحدق أمامه مباشرة، متخذاً وضعية فوكا-إري وكأنه يريد أن يؤنسها في سفرها. فكر في الاستفادة من الوقت في التفكير، بيد أنه (لا يستطيع أن يفكر في أي شيء يمكن التفكير فيه). ولأنه كان يوجه كل تفكيره إلى إعادة صياغة 'الشرنقة الهوائية'، على ما يبدو، فقد رفض عقله أن ينسج أي أفكار متماسكة. كانت توجد في ذهنه كتلة خيوط متشابكة.

كان تنغو يشاهد المناظر الطبيعية التي تظهر عبر النافذة ويستمع إلى الصوت الرتيب الذي تصنعه القضبان. كان خط تشو لاين يواصل امتداده المباشر نحو الغرب، كما لو أنه يتبع خطاً رُسِم بمسطرة على خريطة. في الحقيقة، فإن «كما لو» ليست ضرورية في هذا السياق: لا بد أن هذا هو ما فعلوه بالضبط عندما وضعوا تصميمه قبل مائة عام. في هذا الجزء من سهول كانطو، لم تكن هناك أي عقبات طبوغرافية تستحق الذكر، وهو ما سمح بإنشاء الخط دون أي انحناءات أو ارتفاعات أو انخفاضات أو جسور أو أنفاق يمكن تخيلها. لم يكونوا بحاجة وقتها إلّا إلى مسطرة، وأصبحت القطارات جميعها الآن تقطع خطاً مستقيماً تماماً وصولاً إلى الجبال الغربية.

عند نقطة معينة، غلب النعاسُ تنغو فنام. عندما أيقظته هزهزة القطار، كان القطار يُبطئ من سرعته قبل التوقف في محطة أوجيكوبو، حيث لا تفصله عن شنجوكو أكثر من عشر دقائق - إغفاءة قصيرة. كانت فوكا-إري تتخذ الهيئة ذاتها في جلستها وهي تحدق أمامها مباشرة. لم يكن تنغو يدري، في حقيقة الأمر، ما الذي تنظر إليه. قياساً على درجة تركيزها، لم تكن لديها نية النزول من القطار الآن.

سأل تنغو فوكا-إري بعدما سار القطار عشر دقائق أخرى وتجاوزا ميتاكا: «ما نوعية الكتب التي تقرئينها؟» لم يطرح هذا السؤال مدفوعاً بملل محض وحسب، وإنما لأنه كان يقصد سؤالها عن عادات القراءة لديها.

رمقته فوكا-إري بنظرة ثم عادت تنظر أمامها مرة أخرى. وأجابت ببساطة: «لا أقرأ كتباً».

«على الإطلاق؟».

أومأت له إيماءة سريعة.

سألها: «ألا تهتمين بقراءة الكتب؟».

قالت: «إنها تستغرق وقتاً».

سألها، وهو غير واثق تماماً إن كان قد فهمها على نحو صحيح: «إذاً أنت لا تقرئين كتباً لأنها تستغرق وقتاً؟».

ظلت فوكا-إري تنظر أمامها ولم تَحِر جواباً. بدا أن هيئة جلستها توصل رسالة مفادها أنها ليست لديها النية لدحض إيحاء كلامه.

إن قراءة كتاب تستغرق وقتاً بطبيعة الحال. وهي تختلف عن مشاهدة التلفزيون مثلاً، أو عن قراءة قصص المانجا المصورة. إن قراءة كتاب هي نشاط ينطوي على بعض الاستمرارية؛ ويتم تنفيذه عبر إطار زمني طويل نسبياً. ولكن فوكا-إري عندما تقول: «إنها تستغرق

وقتاً» فيبدو أنها تومئ إلى فَرْق دقيق نوعاً ما يختلف عن تلك العموميات.

سألها تنغو: «عندما تقولين 'إنها تستغرق وقتاً' هل تقصدين . . . إنها تستغرق وقتاً طويلاً؟».

قالت فوكا-إري: «طويلاً».

«أطول من معظم الناس؟».

أومأت فوكا-إري إيماءة حادة.

«لا بد أنك تواجهين مشكلة في المدرسة أيضاً. أنا متأكد أن عليك قراءة كتب كثيرة في دراستك».

قالت بهدوء: «أتظاهر بذلك وحسب».

سمع تنغو طرقة إنذار في منطقة ما برأسه. تمنى لو استطاع تجاهلها، ولكن ذلك كان مستحيلاً. لا بد له أن يعرف الحقيقة.

سألها: «أيكون ما تتحدثين عنه هو ما يُسمى 'عسر القراءة'؟».

«عسر القراءة».

«إحدى صعوبات التعلم. إنها تعني أنك تجدين صعوبة في قراءة الحروف التي أمامك».

«لقد ذكروا ذلك. عسر-».

«مَن الذي ذكر ذلك؟».

هزت كتفيها هزة خفيفة.

تابع تنغو كلامه، وهو يبحث عن الكلمة الملائمة ليقولها: «بعبارة أخرى، هل كنت تعانين من ذلك الشيء منذ طفولتك؟».

أومأت فوكا-إري.

«إذاً هذا هو ما يفسِّر السبب في أنك نادراً ما تقرئين أي روايات».

قالت «بنفسي».

وهذا يفسر أيضاً السبب في كون كتابتها خالية من أي تأثير لكتّاب معروفين. أصبح الأمر بالغ الوضوح الآن.

قال تنغو: «لم تقرئيها 'بنفسك'».

«هناك شخص يقرأها لي».

«والدك، مثلاً، أو والدتك يقرآن لك الكتب بصوت عال؟».

لم تجب فوكا-إري عن هذا السؤال.

سألها تنغو بقلق متزايد: «ربما لا تستطيعين القراءة، ولكنك تستطيعين أن تكتبي بشكلٍ جيد، هذا ما أتخيله».

هزت فوكا-إري رأسها: «الكتابة أيضاً تستغرق وقتاً».

«وقتاً طويلاً؟».

هزت فوكا-إري كتفيها هزة خفيفة مرة ثانية. كانت هذه تعني نعم.

غيَّر تنغو من جلسته على مقعد القطار: «وهو ما يعني، ربما، أنك لم تكتبي نص 'الشرنقة الهوائية' بنفسك».

«لم أفعل».

صمت تنغو بضع ثوانٍ. بضع ثوان مرت ثقالاً. «إذاً من كتبها؟».

قالت: «أزامي».

«ومن تكون أزامي؟».

«تصغرني بسنتين».

ساد صمت قصير مرة أخرى: «هذه الفتاة الأخرى هي مَن كتبت لك 'الشرنقة الهوائية'؟».

أومأت فوكا-إري كما لو أن ذلك شيء طبيعي تماماً.

أدار تنغو تروس عقله: «بعبارة أخرى، أنتِ أمليتِ القصة، وأزامي كتبتها لك. أليس كذلك؟».

قالت فوكا-إري: «كتبتْها وطبعتها».

عضّ تنغو شفته وحاول أن يرتب بعض الحقائق التي قدِّمت إليه حتى الآن. عندما انتهى من إعادة الترتيب، قال: «بعبارة أخرى، أزامي طبعت المخطوطة وأرسلتها إلى المجلة باعتبارها مشارَكة ضمن جائزة الكتَّاب الجُدد، ربما دون أن تخبرك بما تنوي. وهي مَن أسمتها بهذا الاسم 'الشرنقة الهوائية'».

هزت فوكا-إري رأسها في اتجاه واحد بما لا يعني «نعم» واضحة ولا «لا» واضحة. ولكنها لم تنفِ كلامه. وهذا يعني غالباً أنه قد توصل عموماً إلى الفكرة الصحيحة.

«أزامي هذه - هل هي صديقتك؟».

«تعيش معي».

«هل هي شقيقتك الصغرى؟».

هزت فوكا-إري رأسها: «ابنة البروفيسور».

قال تنغو: «البروفيسور. هل تودين القول بأن هذا البروفيسور أيضاً يعيش معك؟».

أومأت فوكا-إري، وبدت كأنها تريد أن تقول، **لماذا تسأل عن شيء بديهي جداً؟**

«إذاً لا بد أن الشخص الذي سألتقيه الآن هو البروفيسور، أليس كذلك؟».

استدارت فوكا-إري نحو تنغو ونظرت إليه هنيهة وكأنها ترقب حركة غيمة بعيدة أو تفكر في أفضل السبل للتعامل مع كلب بطيء التعلم. ثم أومأت.

قالت بصوت غير معبر: «سنلتقي البروفيسور».

اختتم ذلك محادثتهما مؤقتاً. مرة أخرى، توقف كل من تنغو وفوكا-إري عن الكلام، وعادا وهما يجلسان جنباً إلى جنب، يشاهدان مناظر المدينة وهي تتعاقب عبر نافذة القطار المقابلة. منازل عديمة الشكل تمتد بلا نهاية عبر أرض منبسطة عديمة الشكل، تبرز فوقها أعداد لا حصر لها من هوائيات التلفزيونات المشرعة نحو السماء وكأنها أعداد هائلة من الحشرات. تُرى هل يسدد هؤلاء الأشخاص الذين يسكنون تلك المنازل رسوم اشتراكاتهم لدى «إن إتش كيه»؟ كان تنغو غالباً ما يجد نفسه يتساءل أيام الآحاد عن رسوم استقبال البث التلفزيوني والإذاعي. لم يكن يريد لتفكيره أن ينصرف إلى ذلك، ولكن ذلك شيء لا خيار له فيه.

اليوم، في هذا الصباح الصحو والرائع من أبريل، تَكشَّفت مجموعة من الحقائق التي لا ترقى لأن تكون حقائق سارة. أولاً، فوكا-إري لم تكتب 'الشرنقة الهوائية' بنفسها. إذا كان له أن يصدِّق ما قالته (وهو حتى الآن لا يرى أن ثمة ما يجعله لا يصدق)، فإن فوكا-إري قد أملت القصة وحسب فيما دوَّنتها فتاة أخرى. أما فيما يخصّ عملية إنتاجها، فإنها لا تختلف عن بعض أعظم الأعمال في تاريخ الأدب الياباني - كُتب «كوجيكي»، بما تحويه من تاريخ أسطوري للسلالة الحاكمة، مثلاً، أو السرد المبهج عن قبائل الساموراي المتحاربة في القرن الثاني عشر، «قصة الهايكي». هذه الحقيقة كان من شأنها أن تخفف نوعاً ما من الذنب الذي شعر به لدى إعادته صياغة نص 'الشرنقة الهوائية'، ولكنها في الوقت ذاته قد زادت الموقف برمته تعقيداً.

وفوق ذلك، فإن فوكا-إري كانت تعاني درجة حادة من عسر القراءة ولا تستطيع حتى قراءة كتاب بالطريقة العادية. استعرض تنغو في ذهنه ما يعرفه عن عسر القراءة. كان قد حضر محاضرات عن هذا الاضطراب أثناء تلقيه دورات تدريبية في التدريس في الجامعة. مبدئياً، يستطيع الشخص الذي يعاني عسر القراءة أن يقرأ ويكتب. لا صلة لذلك بدرجة الذكاء. القراءة ببساطة تستغرق وقتاً. ربما لا يجد الشخص مشكلة في قراءة فقرة قصيرة، ولكن كلما طالت الفقرة، واجهت قدرة معالجة المعلومات لدى الشخص صعوبة أكبر، حتى يصبح غير قادر على مواكبة تلك الإطالة. تضيع الصلة بين الحرف وما يرمز له. هذه كانت هي الأعراض العامة لعسر القراءة. أما الأسباب فهي لا تزال غير مفهومة تماماً، ولكنه ليس ممّا يستدعي الدهشة أن تجد طفلاً أو اثنين في أيّ صف دراسي يعانون عسر القراءة. آينشتاين عانى عسر القراءة، كما كان توماس إديسون وتشارلز مينجوس.

لم يكن تنغو يعلم ما إن كان الأشخاص الذين يعانون عسر قراءة يواجهون عموماً الصعوبات ذاتها في الكتابة كما في القراءة، ولكن يبدو أن هذه هي الحال مع فوكا-إري. فالعملان يتساويان في الصعوبة.

ماذا سيفعل كوماتسو عندما يكتشف ذلك؟ ضبط تنغو نفسه متلبساً بالتنهُّد. هذه الفتاة ابنة السابعة عشرة تعاني عسراً خِلقياً في القراءة ولا تستطيع أن تقرأ كتباً أو تكتب فقرات مطولة. حتى عندما تدخل في حوار، فهي لا تستطيع أن تقول أكثر من جملة واحدة في كل مرة (هذا إذا افترضنا أنها لا تفعل ذلك عن عمد). وسيكون مستحيلاً أن تجعل شخصاً بهذه الحال روائياً محترفاً (حتى إن كان الغرض هو لفت الانتباه وحسب). وحتى لو فُرض أن تنغو قد نجح في إعادة صياغة

’الشرنقة الهوائية‘، وأنها فازت بجائزة الكتّاب الجُدد، ونُشرت ككتاب وحظيت بثناء النقاد، فلن يكون بوسعهم الاستمرار في خداع الجمهور إلى الأبد. ربما يسير الأمر على ما يرام في أوله، ولكن لن يمر وقت طويل حتى تُداخِل الظنون الناس بأن شيئاً غريباً يجري. إذا انكشفت الحقيقة في تلك النقطة، فسوف تكون نهاية كل المشاركين فيها. وسوف تُجهض مسيرة تنغو الروائية حتى قبل أن تبدأ.

لم يكن ثمة طريقة لإنجاح مثل تلك الحيلة المعيبة. لقد شعر منذ البداية أنهم يمشون على طبقة رقيقة من الجليد، ولكنه بات يدرك الآن أن هذا التعبير ينطوي على تهوين بالغ للموقف. إن الجليد يتشقق بالفعل حتى قبل أن يطأوه. الشيء الوحيد الذي يستطيعه هو العودة إلى البيت كي يتصل بكوماتسو ويخبره بقراره: «أنا منسحب من الخطة. إنها تنطوي على مخاطر لا أحتملها». ذلك هو ما كان أي شخص يحظى بقدر من العقل السليم سوف يفعله.

ولكن تنغو عندما بدأ التفكير في ’الشرنقة الهوائية‘، انتابته حالة من الحيرة والارتباك. برغم الخطورة التي ربما تكتنف الخطة التي رسمها كوماتسو، فإنه لا يستطيع على الأرجح التوقف عن إعادة صياغة الأقصوصة في هذه النقطة. ربما كان بوسعه أن يتخلى عن الفكرة قبل أن يبدأ العمل عليها، ولكن ذلك أصبح أمراً غير وارد الآن. كان قد غرق فيها حتى أذنيه. كان يتنفس هواء عالمها، ويتأقلم مع جاذبيتها. كان جوهر القصة يتغلغل داخل كيانه كله، وصولاً إلى جدران أحشائه. الآن القصة تستجديه كي يعيد صياغتها: كان يشعر أنها تترجاه أن يساعدها. كان ذلك عمل لا يستطيع سوى تنغو أن يؤديه. كانت مهمة تستحق عناء القيام بها، مهمة كان عليه الاضطلاع بها.

أغمض تنغو عينيه وهو جالس على مقعد القطار وحاول أن يتخذ

قراراً بشأن الموقف. ولكنه لم يستقر على رأي. لا أحد يعاني هذا القدر من الحيرة يمكنه أن يتخذ قراراً معقولاً.

سألها تنغو: «هل أزامي تدوِّن ما تملينه عليها بالضبط؟».

«بالضبط ما أقوله لها».

«أنتِ تملين وهي تُدون».

«ولكن عليّ أن أخفض صوتي».

«ولماذا عليك خفض صوتك؟».

تلفتت فوكا-إري حولها في عربة القطار. وجدتها شبه خاوية. لم يكن هناك ركاب آخرون سوى أم وطفليها الصغيرين على المقعد المقابل وكانت تفصلهم مسافة قصيرة عن تنغو وفوكا-إري. كان يبدو أن ثلاثتهم في طريقهم لقضاء بعض الوقت الممتع. يوجد مثل هؤلاء الناس في العالم.

قالت فوكا-إري بصوت خفيض: «كي لا يسمعوني».

سأل تنغو «لا يسمعونك؟» عندما نظر إلى عيني فوكا-إري الزائغتين، كان جلياً أنها لا تتحدث عن الأم وطفليها. كانت تشير إلى أشخاص معينين تعرفهم جيداً ولم يكن تنغو يعرفهم على الإطلاق. خفض تنغو أيضاً من صوته «من هؤلاء الذين تقصدين؟».

لم تَحر فوكا-إري جواباً، ولكن تغضناً صغيراً ظهر بين حاجبيها. وكانت شفتاها مزمومتين تماماً.

سألها تنغو «هل تقصدين الناس الصغار؟».

لكنها لم تجب.

«هل هم أناس قد يغضبون منك إن طبعتِ قصتك ووصلَت أيدي الناس وأصبحت محور أحاديثهم؟».

لم تجب فوكا-إري عن هذا السؤال أيضاً. لم تكن عيناها مركزتين على نقطة بعينها. انتظر حتى تأكد تماماً أنها لن تجيب، ثم ألقى سؤاله الآتي.

«هل يمكنك أن تحدثيني عن «البروفيسور»؟ كيف هو؟».

حدجته فوكا-إري بنظرة حائرة، كما لو أنها تقول، عمّ يتحدث هذا الشخص؟ ثم قالت: «سوف تقابله».

قال تنغو: «نعم، بالطبع. أنت محقة تماماً. سألتقيه على أيّ حال. ينبغي لي أن أقابله ثم أقرّر بنفسي».

في محطة كوكوبونجي، صعِدَ إلى القطار بعض الأشخاص من كبار السن ممَّن توحي هيئتهم بأنهم في رحلة. كانوا عشرة معاً، منهم خمسة رجال وخمس نساء في أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات. كانوا يحملون حقائب ظهر ويعتمرون قبعات ويثرثرون فيما بينهم مثل أطفال مدارس. كانوا جميعاً يحملون قنينات مياه فيما يتمنطق بعضهم بأحزمة على خواصرهم، ويغلق بعضهم الآخر جيوب حقائب ظهورهم. تساءل تنغو إنْ كان بوسعه أن يصل إلى ذلك العمر وهو لا يزال يحمل هذا القدر من المتعة. ثم هزّ رأسه. مستحيل. تخيَّل هؤلاء الأشخاص كبار السن يقفون مزهوين فوق قمة جبل، ويشربون من قنينات المياه التي بحوزتهم.

بالرغم من أحجامهم الصغيرة، كان الناس الصغار يشربون كميات هائلة من المياه. كانوا يفضلون شرب مياه المطر أو مياه الجداول القريبة على مياه الصنبور. ولذلك كانت الفتاة تغترف الماء من الجدول خلال ساعات النهار وتقدِّمها للناس الصغار كي يشربوا. وعندما كانت تمطر، كانت تجمع الماء في دلو لأنّ الناس الصغار

يفضلون ماء المطر على مياه الجداول. ولذلك كانوا يشعرون بالامتنان إزاء كرم الفتاة معهم.

لاحظ تنغو أنه يواجه صعوبة في التركيز على فكرة واحدة. لم تكن هذه علامة جيدة. تملكته حالة من الارتباك الداخلي. ثمة عاصفة رملية مشؤومة كانت تتشكل في مكان وتعصف بمشاعره. كان ذلك غالباً ما يحدث أيام الآحاد.

سألته فوكا-إري دون علامة استفهام: «هل أصابك مكروه». بدا أنها استشعرت التوتر الذي اعترى تنغو.

«لا أدري إن كان بوسعي عمل ذلك».

«عملُ ماذا».

«إن كان بوسعي أن أقول ما يجب عليّ قوله».

سألته فوكا-إري: «تقول ما يجب عليك قوله». تعذَّر عليها فهم ما يقصده.

«إلى البروفيسور».

كررت: «قُلْ ما يجب عليك قوله إلى البروفيسور».

بعد تردُّد، اعترف تنغو قائلاً: «لدي هاجس بأنّ الأمور لن تمرّ بسلام، وأن كل شيء سوف ينهار».

أدارت فوكا-إري مقعدها حتى غدت وجهاً لوجه مع تنغو، وسألته: «خائف».

أعاد تنغو صياغة سؤالها: «ممّ أخاف؟».

أومأت في صمت.

«ربما أخاف التقاء أشخاص جدد. ولا سيما في صباح الأحد».

سألت فوكا-إري: «لماذا الأحد؟».

أخذ تحت الإبطين لدى تنغو يتعرق. شعر بضيق خانق في صدره. الالتقاء بأشخاص جدد وفرض أشياء جديدة عليه. وتعرّض وجوده الراهن للتهديد من قبلهم.

أعادت فوكا-إري السؤال: «لماذا الأحد».

استحضر تنغو أيام الآحاد خلال صباه. اعتاد والده بعدما يمضيان اليوم كله مشياً على الأقدام، أن يصحبه إلى مطعم مقابلٍ للمحطة حيث يطلب منه اختيار ما يشتهي. كان ذلك بمثابة المكافأة له، وعملياً كانت هذه هي المرة الوحيدة التي يتناول فيها الثنائي المقتصد طعاماً خارج المنزل، بل إن والده كان يطلب زجاجة من الجعة (رغم أنه لا يشرب المسكرات تقريباً). ورغم العرض الذي يقدِّمه له والده، فإنّ تنغو لم يكن يشعر مطلقاً بالجوع في تلك الأيام. ورغم أنّ الشعور بالجوع كان يلازمه عادة طوال الوقت، فإنه لم يتلذَّذ قطّ بأيّ طعام تناوله يوم الأحد. ولذلك لم يكن تناوله لكلّ لقمة طعام طلبها - وهو أمر يتحتم عليه فعله - سوى صنف من صنوف العذاب، حتى كاد أحياناً يتقيأ. وذلك هو ما كان يعنيه يوم الأحد لدى تنغو أيام صباه.

نظرت فوكا-إري في عيني تنغو وهي شاردة وكأنها تبحث عن شيء. ثم مدَّت يدها وأمسكت بيده. جعله ذلك يجفل، لكنه حاول ألّا يظهر ذلك على وجهه.

أبقت فوكا-إري قبضتها اللطيفة على يد تنغو حتى وصل القطار محطة كيونيتاشي، بالقرب من نهاية الخط. كانت يدها على غير المتوقع قوية وناعمة، ولا هي بالدافئة ولا بالباردة. ربما كانت في نصف حجم يد تنغو.

قالت، وكأنها تقرّر حقيقة معروفة: «لا تَخف. إنه ليس مجرد يوم أحد آخر».

وجد تنغو أن هذه ربما هي المرة الأولى التي يسمعها تتلفظ بجملتين معاً.

الفصل التاسع

أَوْمَامِه
منظر جديد وقواعد جديدة

توجهت أَوْمَامِه إلى مكتبة الحي الأقرب إلى بيتها. قصدت قسم المراجع وطلبت النسخ المُجمَّعة للصحف لثلاثة أشهر هي سبتمبر وأكتوبر ونوفمبر عام 1981. أوضحت لها الموظفة أن لديهم تلك النسخ لأربع صحف هي أساهي ويوميوري ومايينيشي ونيكاي، ثم سألتها عن أيتها تفضِّل. بدت المرأة التي بلغت من العمر أوسطه وترتدي نظارة أقرب إلى ربة منزل تؤدي عملاً إضافياً منها لأمينة مكتبة تعمل في وظيفة نظامية. لم تكن بالغة البدانة، بَيْد أن رسغيها كانا ممتلئين ويشبهان فخذي خنزير.

قالت أَوْمَامِه إنها لا يهمها أي صحيفة: فهي جميعاً متماثلة تقريباً.

قالت المرأة بصوت رتيب قصدت منه صدّ أيّ نقاش إضافي: «ربما ذلك صحيح، لكن أريدك فعلاً أن تحددي أيها تريدين».

لم تكن لدى أَوْمَامِه نية للدخول في أي نقاش، ولذلك اختارت مايينيشي، دون سبب معين. جلست في حجيرة، وفتحت كرّاستها،

وراحت تستعرض التقارير الصحفية الواحد تلو الآخر وهي ممسكة بقلم جاف في يدها.

لم تقع أحداث كبار في مطلع الخريف من عام 1981. كان تشارلز وديانا قد تزوجا في شهر يوليو، وكانت أصداء ذلك لا تزال حاضرة - فصادفت تقارير عن الأماكن التي ذهبا إليها، وما فعلاه، وما كانت ترتديه، وإكسسورات الزينة التي استعملتها. كانت أَوْمَامِه تعرف بطبيعة الحال عن الزواج، لكنه لم يكن موضع اهتمام خاص من جانبها، ولم يكن بوسعها أن تفهم الأسباب التي تجعل الناس ينشغلون هذا الانشغال البالغ بمصير أمير وأميرة إنجليزيين. كان تشارلز يبدو أشبه بمعلم فيزياء في مدرسة ثانوية يعاني تلبكاً معوياً أكثر ممّا يبدو أميراً.

وفي بولندا، كانت حركة «تضامن» التي أسَّسها ليخ فاليسا تُصعِّد مواجهتها مع الحكومة، فيما كان الاتحاد السوفياتي يُعرب عن «قلقه». وسرعان ما هدد السوفيات بإرسال الدبابات، تماماً مثلما فعلوا قبل «ربيع براغ» في عام 1968، إذا ما أخفقت الحكومة البولندية في السيطرة على الأوضاع. كانت أَوْمَامِه تتذكر عموماً تلك الأحداث أيضاً. كانت تعرف أن الحكومة السوفياتية في نهاية المطاف تخلَّت عن أي فكرة للتدخل في الموقف، ولذلك لم يكن ثمة داعٍ لأن تقرأ هذه التقارير بتمعن. مع ذلك، فقد لفت انتباهها شيء واحد فقط. عندما أصدر الرئيس ريغان بياناً استهدف من ورائه ثني السوفيات عن التدخل في الشؤون الداخلية البولندية، وقال فيه: «إننا نأمل ألّا يعوق الوضع المتوتر في بولندا الخطط الأميركية-السوفياتية المشتركة لإنشاء قاعدة على سطح القمر». إنشاء قاعدة على سطح القمر؟ لم تسمع قطْ عن مثل هذه الخطة. عندما أمعنت التفكير فيها، مع ذلك، تذكرت

أنها سمعت ذلك ضمن الأخبار التي بثها التلفزيون مؤخراً - وتحديداً في تلك الليلة التي ضاجعت فيها ذلك الرجل الأصلع متوسط العمر الذي كان آتياً من منطقة كانساي في فندق أكازاكا.

وفي 20 سبتمبر، أقيمت كبرى مسابقات الطائرات الورقية في العالم في جاكرتا، حيث شارك فيها ما يربو على عشرة آلاف مشارك. لم تكن أَوْمَامِه قد سمعت بذلك الخبر، ولكن لم يكن هناك شيء غريب بشأنه. من يمكنه أن يتذكر خبراً عن مسابقة ضخمة للطائرات الورقية أقيمت في جاكرتا قبل ثلاث سنوات؟

وفي 6 أكتوبر، اغتيل الرئيس المصري أنور السادات على أيدي إسلاميين متطرفين. استحضرت أَوْمَامِه الواقعة وشعرت بالأسى مجدداً على السادات. لطالما أُغرِمت برأس السادات الصلعاء، ولم تشعر إلا بالنفور إزاء المتطرفين الدينيين بشتى أنواعهم. كان مجرد تفكيرها في رؤية هؤلاء المتطرفين للعالم، وإحساسهم المتضخم بالتفوق، وجرأتهم في فرض أفكارهم على الآخرين، يكفي لجعلها تستشيط غضباً. وغالباً ما يكون غضبها عارماً. ولكن لا صلة لذلك بالمشكلة التي هي بصددها الآن. أخذت عدة أنفاس عميقة لتهدئة أعصابها، ثم قلبت الصفحة.

في 12 أكتوبر، في منطقة سكنية من حي إيتاباشي في طوكيو، دخل محصل رسوم اشتراكات لدى شبكة «إن إتش كيه» (يبلغ 56 عاماً) في مشادة كلامية مع طالب جامعي رفض سداد الرسوم المستحقة. وما كان من المحصل إلا أن سحب سكين جزار اعتاد حملها في حقيبته، وطعن الطالب في بطنه طعنة ألحقت به إصابة بالغة. هَرع رجال الشرطة إلى المكان وألقوا القبض على المحصل في الحال. كان المحصِّل يقف مذهولاً والسكين المُدمى في يده. لم يُبد

أي مقاومة. وبحسب أحد زملائه المُحصلين، فقد أصبح الرجل موظفاً نظامياً منذ ست سنوات وكان يتحلى بالجدية الشديدة في عمله وصاحب سجل وظيفي مميز.

لم تكن أَوْمَامِه تتذكر أي شيء عن تلك الحادثة. اعتادت دائماً أن تقرأ جريدة **يوميوري** من الصفحة الأولى إلى الصفحة الأخيرة، وتبدي اهتماماً بالغاً بالموضوعات ذات البُعد الإنساني - ولا سيما تلك التي تنطوي على جرائم. (وكانت هذه القضية تشغل نصف مساحة الموضوعات ذات البعد الإنساني في الطبعة المسائية). ولا سبيل تقريباً لاحتمال أن يكون موضوعاً بهذا الطول قد فاتها. بالطبع، ربما برز شيء ما ألهاها عن ذلك الخبر، ولكن ذلك كان احتمالاً بعيداً للغاية - احتمالاً بعيداً، ولكنه ليس مستحيلاً.

عقدت حاجبيها وراحت تفكر في احتمالية أن يكون مثل هذا التقرير قد فاتها. بعدئذٍ، دوَّنت التاريخ في كراستها، مضيفة إليه ملخصاً للواقعة.

كان اسم المحصل هو شينوسوكه أكوتاجاوا. رائع. يبدو مثل عملاق الأدب ريونوسوكه أكوتاجاوا. لم تُنشر صورة للمحصِّل، وإنما الصورة كانت للطالب الذي طُعن، واسمه أكيرا تاجاوا، يبلغ من العمر 21 عاماً. كان تاجاوا طالباً في السنة الثالثة من كلية الحقوق في جامعة نيهون ويحمل الرتبة الثانية في ممارسة المبارزة اليابانية. ولو أنه كان يحمل وقتئذٍ سيف تدريب من البامبو، لما استطاع المحصل طعنه بهذه السهولة، ولكن الأشخاص العاديين لا يحملون في أيديهم سيوفاً من البامبو وهم يتحدثون إلى مُحصِّلي «إن إتش كيه». وبطبيعة الحال، فإن محصلي «إن إتش كيه» العاديين لا يدورون على البيوت وهم يحملون سكين جزار في حقائبهم، أيضاً. تابعت أَوْمَامِه التقارير التي

نشرت خلال الأيام اللاحقة حول القضية ولكنها لم تجد ما يشير إلى أن الطالب قد مات. الأرجح أنه نجا.

وفي 16 أكتوبر وقع حادث كبير في منجم فحم يقع في يوباري، في محافظة هوكايدو. اندلعت نيران في نقطة الاستخراج الموجودة تحت الأرض بعمق ألف متر، ومات أكثر من خمسين عاملاً من عمال المنجم اختناقاً. انتشرت النيران إلى أعلى باتجاه السطح، فمات عشرة رجال آخرين. وللحيلولة دون امتداد النيران أكثر من ذلك، ضخَّت الشركة ماء في المنجم حتى امتلأ دون التأكد أولاً من مكان وجود العمال الباقين. ارتفع عدد الضحايا النهائي إلى ثلاثة وتسعين قتيلاً. كان حادثاً مُفجعاً. إن الفحم مصدر طاقة ملوث للبيئة، واستخراجه عمل محفوف بالمخاطر. كانت شركات التعدين تتباطأ في شراء معدات الأمان، وكان العمل يتمّ وسط ظروف بالغة السوء. ورغم أنّ وقوع الحوادث أمر شائع ورئات عاملي المناجم تالفة، إلا أنه كان هناك أناس وشركات كثيرة بحاجة إلى فحم بسبب رخص أسعاره. وجدت أَوْمَامِه أنها تحتفظ بذاكرة واضحة لتلك الحادثة.

كانت الصحيفة لا تزال تتابع حادثة منجم فحم يوباري عندما وجدت أَوْمَامِه الحدث الذي كانت تبحث عنه. لقد وقع في 19 أكتوبر 1981. وقد ظلت أَوْمَامِه لا تعي بأن مثل تلك الحادثة قد وقعت حتى أخبرها تامارو عنها قبل عدة ساعات. إنه أمر لا يمكن تصوره البتة. ظهر العنوان الرئيس على الصفحة الأولى في الطبعة الصباحية بأحرف كبيرة:

مصرع ثلاثة ضباط في اشتباك مسلح مع متطرفين في ياماناشي

أُرفقت بالتقرير صورة كبيرة، وكانت صورة فوقية للموقع الذي دارت فيه المعركة بالقرب من بحيرة موتوسو، في تلال محافظة

ياماناشي. وقد صاحَبَ التقرير أيضاً خريطة مبسَّطة للموقع، الذي كان يوجد في الجبال بعيداً عن منطقة بيوت العطلات المطلة على البحيرة. نشرت أيضاً ثلاث صور للضباط القتلى الثلاثة من شرطة محافظة ياماناشي. أُرسلت وحدة مظليين تابعة لقوات الدفاع الذاتي عبر طائرة مروحية. كانوا يرتدون ملابس مموَّهة ويحملون أسلحة قناصة مزودة بمنظار للرؤية وبنادق آلية قصيرة الماسورة.

تجهمت أَوْمَامِه تجهماً شديداً. ولكي تعبر عمّا انتابها من مشاعر بشكل سليم، فقد شدّت كل عضلة في وجهها بأقصى ما تستطيع. وبفضل الحاجزين اللذين يحيطان بها، لم يستطع أيٌّ من رواد المكتبة مشاهدة هذا التحوّل المخيف الذي اعترى ملامحها. بعدئذٍ أخذت نفساً عميقاً، سحبت به أكبر قدر تستطيعه من الهواء المحيط بها، ثم أخرجته دفعة واحدة، وكأنها حوت يطفو على السطح لاستبدال كل الهواء الموجود في رئتيه العملاقتين. أخاف الصوت طالباً في المرحلة الثانوية كان يدرس على الطاولة الكائنة خلفها، وكان ظهره لظهرها، فاستدار حول نفسه لينظر إليها. ولكن دون أن يعلق بشيء. شعر بالفزع وحسب.

بعد أن لوت قسمات وجهها هنيهة، سعت جهدها لأن ترخي كل عضلة في وجهها حتى استعادت ملامحها الطبيعية. ظلت وقتاً طويلاً بعد ذلك، تنقر بطرف قلمها الجاف على أسنانها الأمامية محاولة استجماع شتات أفكارها. ينبغي أن يكون ثمة سبب وراء ذلك. **لا بد أن ثمة سبب وراء ذلك. كيف يمكن أن تفوتني هذه الحادثة الخطيرة، تلك التي هزت اليابان كلها؟**

وهذه الحادثة ليست الوحيدة. فأنا لم أكن أدري شيئاً عن إقدام محصل الرسوم لدى «إن إتش كيه» على طعن طالب جامعي. إنه

شيء محير للغاية. ما كان ينبغي أن تفوتني تلك الحوادث الواحدة تلو الأخرى. لدي قوة ملاحظة بالغة وأهتم بأدق التفاصيل في هذه الأمور. أستطيع اكتشاف أي خلل مهما كان طفيفاً. وأدرك أنني أمتلك ذاكرة حديدية. وهذا هو السبب في كوني لم أخطئ ولو مرة وأنا أرسل بضع رجال إلى «العالم الآخر». وهذا هو السبب في كوني أستطيع أن أنجو. إنني أقرأ الصحف قراءة متأنية يومياً، وعندما أقول «أقرأ الصحف قراءة متأنية» فذلك معناه أنه لا يفوتني مطلقاً أي شيء ذات أهمية من أي ناحية.

على مدى أيام ظلَّت الصحف تُفرِد مساحة كبيرة لـ«حادثة بحيرة موتوسو». فقد تعقَّبت قوات الدفاع الذاتي وشرطة محافظة ياماناشي عشرة متطرفين هاربين، وذلك عندما شنت عملية مطاردة واسعة النطاق في التلال المحيطة، وأردت ثلاثة منهم قتلى، فيما ألحقت إصابات بالغة باثنين آخرين، واعتقلت أربعة (تبيّن أن من بينهم امرأة). أما الشخص العاشر فقد أغفله التقرير. امتلأت الصحيفة بتقارير كثيرة حول الحادثة، بينما طُمست تماماً أي متابعة بشأن محصل «إن إتش كيه» الذي طعن الطالب الجامعي في حي إيتاباشي.

ورغم أن أحداً في «إن إتش كيه» لم يصرّح بذلك مطلقاً، فلا بد أن القائمين على التلفزيون، بطبيعة الحال، قد شعروا بارتياح كبير لذلك. فلولا واقعة بحيرة موتوسو، لكانت وسائل الإعلام قد صبَّت جام غضبها غالباً على نظام تحصيل الرسوم الذي تطبقه «إن إتش كيه» أو لأثارت البلبلة حول الوضعية شبه الحكومية التي تحظى بها «إن إتش كيه». وفي مطلع ذلك العام، سُرِّبت معلومات بشأن اعتراضات أثارها الحزب الليبرالي الديمقراطي الحاكم على التقرير الخاص الذي بثه تلفزيون «إن إتش كيه» حول فضيحة «لوكهيد»، وهو ما كشف عن

قيام «إن إتش كيه»، رداً على ذلك، بتغيير بعض المحتوى. وعقب افتضاح ذلك، بدأت قطاعات واسعة من الشعب، وهو أمر مفهوم تماماً - تتشكك في استقلالية «إن إتش كيه» وتثير الشكوك حول نزاهتها السياسية. وهو ما أضفى بدوره زخماً على حملة ترمي لثني المشتركين عن سداد الرسوم المستحقة عن اشتراكاتهم في «إن إتش كيه».

وعدا واقعتي بحيرة موتوسو واعتداء محصل الرسوم لدى «إن إتش كيه» على الطالب، تذكرت أَوْمَامِه بوضوح كل الأحداث والوقائع والحوادث الأخرى التي وقعت في ذلك الوقت، وتذكّرت بوضوح أنها قد طالعت بالفعل كلّ التقارير الصحفية التي نشرت بشأنها. ويبدو أنّ ذاكرتها لا تخونها سوى في هاتين الحالتين. **تُرى ما السبب وراء ذلك؟ لماذا لا يوجد في ذاكرتها أثر يذكر لهاتين الحادثتين وحدهما؟ حتى وإن افترضنا أنّ كل ذلك يعزى إلى خلل وظيفي أصاب دماغي، فهل يعقل أن أكون قد محوت هاتين الحادثتين تماماً، وتركت كل ما عداهما لم يُمس؟**

أغمضت أَوْمَامِه عينيها وضغطت بأناملها على صدغيها بشدة. **ربما يكون حدوث مثل ذلك الشيء، في الواقع، ممكناً. ربما يكون عقلي قد طوَّر وظيفة من نوع ما تحاول إعادة صياغة الواقع، وتنتقي أخباراً بعينها ثم تحجبها بحجاب معتم كي تحول بيني وبين رؤيتها أو تذكرها - مثل تبني هيئة الشرطة لمسدسات وزيٍّ جديدين، وإنشاء قاعدة أميركية سوفياتية مشتركة فوق القمر، وطعن محصل رسوم «إن إتش كيه» لطالب جامعي، والاشتباك المسلح الشرس عند بحيرة موتوسو بين جماعة متطرفة ووحدة خاصة من قوات الدفاع الذاتي.**

ولكن ما هو الشيء المشترك الذي يجمع بين هذه الأشياء؟

لا شيء على الإطلاق، حسبما أرى.

واصلت أَوْمَامِه نقرها فوق أسنانها بطرف قلمها الجاف فيما كانت تروس عقلها تدور بلا هوادة.

لبثت على هذه الحال وقتاً طويلاً حتى خطرت ببالها الفكرة:

ربما يكون بوسعي أن أنظر إلى ذلك على النحو الآتي - إن المشكلة ليست فيّ أنا وإنما في العالم من حولي. إن إدراكي أو عقلي لم يُصبه خلل، وإنما ثمة قوة مبهمة من نوع ما قد غيَّرت العالم من حولي.

كلما أمعَنَت التفكير في ذلك، بدا الافتراض الثاني لديها أكثر قابلية للتصديق لأنها، بغض النظر عن المدة الزمنية التي بحثت خلالها، لا تستطيع أن تجد فجوة في داخلها أو تشوهاً في ذهنها.

ولذلك فقد انساقت مع هذا الافتراض.

لست أنا من اختلّ عقلها وإنما العالم هو الذي اختلّ نظامه.

نعم، هذا يحلّ المشكلة.

في لحظة من لحظات الزمن، يبدو أن العالم الذي عهدته إما قد تلاشى أو انحسر، وجاء عالم آخر ليحلّ محله. أمر يشبه تحويل قطار من مسار إلى آخر. وبعبارة أخرى، فإنّ عقلي يتبع في الوقت الراهن العالم الذي كان، بيدَ أن العالم ذاته قد تبدَّل فعلاً وأصبح شيئاً آخر. ولا تزال التغيُّرات التي تمت فعلاً عبر هذه العملية تغيرات محدودة في عددها، فقد بقي جلّ ما عهدته في العالم القديم ضمن العالم الجديد، ومن ثم لم تُعِق هذه التغيرات مسار حياتي اليومية. ولكن ما وقع من تغيرات فعلاً سوف يولِّد غالباً اختلافات أخرى أشدّ وطأة من حولي مع مضيّ الوقت. وهي اختلافات سوف

تكبر شيئاً فشيئاً، وفي بعض الحالات سوف تقوض المنطق الذي ترتكز إليه أفعالي. ويمكنها حتى أن تجعلني أقترف أخطاء فادحة.

عوالم موازية.

عبس وجه أَوْمَامِه كأنما قضمت طعاماً بالغ المرارة، ولكنه عبوس لا يضاهي في شدّته عبوسها السابق. راحت تنقر مرة أخرى على أسنانها بقلمها الجاف، وأخرجت من جوفها آهة حارة تناهت حشرجتها إلى طالب المرحلة الثانوية الجالس خلفها، وإن تظاهر هذه المرة بأنه لم يسمعها.

بدأ الأمر يشبه روايات الخيال العلمي.

أيعقل أنني أختلق افتراضاً ذاتياً كشكل من أشكال الدفاع عن الذات؟ أو لعلني جُننت. إنني أرى أن عقلي لا يزال طبيعياً تماماً، ولم يعتره أي تشوه. ولكن ألَا يصر ذوو الأمراض العقلية على كونهم أناساً طبيعيين للغاية وأن العالم الذي يحيط بهم هو الذي أصيب بالجنون؟ ألا يمكن أن يكون افتراضي المجنون بشأن هذه العوالم الموازية ما هو إلا تسويغ لجنوني؟

هذا يتطلب رأياً مستقلاً من طرف ثالث.

ولكن لجوئي إلى طبيب نفسي لتشخيص حالتي غير وارد. فالموقف أشدّ تعقيداً من ذلك، وثمة أمور كثيرة لا يسعني التطرق إليها. خذ مثلاً «مهمتي» الأخيرة التي هي ولا شك عملاً يجرِّمه القانون. أقصد أنني كنت أقوم في الخفاء بقتل الرجال بكسارة ثلج منزلية الصنع، وهو عمل لا أستطيع بأي حال أن أخبر به طبيباً، حتى وإن تجسدت في هؤلاء الرجال كل معاني الخسّة والحقارة.

وَهَبْ أني استطعت مواراة أفعالي غير القانونية، فإنّ فترات حياتي التي عشتها منذ مولدي دون أن أقترف أي عمل يجرمه

القانون لا يمكن وصفها بأنها طبيعية هي الأخرى. فحياتي تشبه صندوقاً محشواً بملابس متسخة. وهي تحوي ما يكفي وزيادة لأن يُذهب عقل أي إنسان، بل وربما اثنين وثلاثة أشخاص، بل إن حياتي الجنسية وحدها بها ما يكفي. وليس هذا بالشيء الذي يمكنني التحدث عنه لأي أحد.

لا، لا يمكنني اللجوء إلى طبيب. يتعين عليَّ حلّ هذه المسألة بنفسي.

دعني أمعن التفكير قليلاً في هذا الافتراض إذا كان لي ذلك.

لو أن شيئاً من هذا القبيل قد حدث بالفعل - وهو أنّ العالم الذي أقف فيه الآن قد حلّ في واقع الأمر محل العالم القديم - فمتى وأين وكيف حدث تحويل المسارات إذن، بالمعنى الحرفي لذلك؟

حاولت أَوْمَامِه استجماع طاقتها الذهنية مرة أخرى كي تعود بذاكرتها إلى الوراء.

لم تنتبه إلى التغيرات التي اعترت العالم من حولها إلا قبل بضعة أيام، عندما كانت تتولى أمر خبير حقول النفط في غرفة أحد الفنادق في شيبويا. لقد ترجَّلت من السيارة الأجرة التي كانت تقلها فوق الطريق السريع العلوي رقم 3، وهبطت درجاً للطوارئ إلى الطريق رقم 246، ثم بدَّلت جوربها، وقصدت محطة سانجنجايا على خط طوكيو. وفي طريقها إلى المحطة، مرَّت برجل شرطة شاب ولاحظت لأول مرة أن تغيراً ما قد طرأ على مظهره. **هنا كانت بداية كل شيء.**

ما يعني أن العالم قد بدل مساراته قبيل ذلك بقليل. فقد كان رجل الشرطة الذي رأيته بالقرب من البيت في ذلك الصباح يرتدي الزي القديم ذاته ويحمل مسدساً قديم الطراز.

استحضرت أَوْمَامِه الإحساس الغريب الذي اعتراها لدى سماعها لافتتاحية سيمفونية ياناتشيك وهي داخل سيارة أجرة عالقة في زحام مروري. لقد استشعرت ذلك كنوع من الألم الجسماني، كما لو أن بدنَها يُعتصر مثل خِرقة بالية. **ثم أخبرني السائق عن درج الطوارئ الخاص بالطريق السريع. خلعت حذائي بكعبه العالي وهبطت. وأثناء هبوطي ذلك الدرج المحفوف بالمخاطر مرتدية جوربي فيما تضرب الرياح في تنورتي، ظلّ صدى افتتاحية سيمفونية ياناتشيك يتردد في أذنيّ.** وقالت في نفسها، **ربما بدأ ذلك عندئذٍ.**

كان ثمة شيء غريب في سائق تلك السيارة أيضاً. لا تزال أَوْمَامِه تذكر كلماته الأخيرة لها. استعادتها بأكبر قدر من الدقة في ذهنها:

وبعد أن تفعلي شيئاً من هذا القبيل، فإنّ الشكل المألوف للأشياء ربما يبدو وقد تغير قليلاً. ربما تبدو الأشياء مختلفة في نظرك عمّا كانت عليه من قبل. ولكن لا تدعي المظاهر تخدعك. هناك دائماً حقيقة واحدة فقط.

كانت أَوْمَامِه وقتئذٍ تستغرب ذلك الكلام، ولم تكن تدري شيئاً عمّا يريد قوله لها، ولذلك لم تفكر كثيراً في كلامه. كانت متعجلة ولا وقت لديها لإمعان التفكير في تلك الألغاز، لكن مع عودتها الآن للتفكير في ذلك، وجدت كلماته تخطر ببالها فجأة، واستبان لها مدى غرابة تلك الكلمات. تستطيع اعتبارها نصيحة تحذيرية أو رسالة موحية. **ما الذي كان يحاول قوله لي؟**

وبعدئذٍ تأتي موسيقى ياناتشيك.

كيف تسنى لي أن أجزم على الفور بأنها سيمفونية ياناتشيك؟

وكيف عرفت أنها أُلفت في عام 1926؟ سيمفونية ياناتشيك ليست بالموسيقى الشعبية التي يستطيع أيّ أحد التعرف عليها فور سماعه لبضعة فواصل من افتتاحيتها. ولا أنا كنت يوماً من المعجبين الشغوفين بالموسيقى الكلاسيكية. ولا أستطيع أن أميز هايدن عن بيتهوفن. مع ذلك، استطعت فور سماعي لها تتدفق عبر مذياع السيارة أن أعرف ما هي. أي سبب وراء ذلك، ولماذا أحدثت لديّ تلك الهزة الشديدة خارجياً وداخلياً؟

أجل لقد كانت تلك الهزة بالغة التأثير داخلي. بدا وكأنّ شيئاً قد أيقظ ذاكرة ظلَّت نائمة داخلي عبر سنوات. بدا أن شيئاً يمسك بكتفي ويهزني. وهو ما يعني أن ثمة صلة وثيقة قد جمعتني بتلك الموسيقى في وقت ما عبر حياتي. وحالما بدأ عزف الموسيقى، تحول زرٌّ ما تلقائياً إلى وضعية الفتح، ما أدى ربما إلى إيقاظ ذاكرة ما وجعلها في أوجّ يقظتها. سيمفونية ياناتشيك.

حاولت أَوْمَامِه أن تفتِّش في ذاكرتها، لكنها لم تخرج بأيّ شيء آخر. نظرت حولها وحدقت في كفيها، وأمعنت النظر في شكل أظافر يديها، وأمسكت بنهديها عبر قميصها كي تستوثق من شكلهما. لا تغيير يذكر. ولا تغيُّر في الحجم والشكل. ما زلت أنا هو أنا. وما زال العالم هو العالم. ولكن ثمة شيء بدأ يتغير. كان بوسعها أن تستشعر ذلك. كان أمراً أشبه بالبحث عن الفروق بين صورتين متماثلتين. صورتان معلقتان على الحائط جنباً إلى جنب. يشبهان بعضهما بعضاً تماماً، حتى مع إخضاعهما لمقارنة دقيقة. ولكن عندما تتفحص أدق التفاصيل، تظهر لك فروق طفيفة.

بدَّلت أَوْمَامِه التروس الذهنية، وقلبت صفحة النسخة المدمجة من الجريدة، وبدأت تدون تفاصيل دقيقة بشأن حادثة تبادل إطلاق النار

التي جرت عند بحيرة موتوسو. ساد ظنٌّ بأنّ خمس بنادق من طراز كلاشينكوف إيه كي- 47 صينية الصنع قد هُرِّبت إلى داخل البلاد عبر شبه الجزيرة الكورية. والأرجح أنها كانت فائض أسلحة مستعملة في حالة جيدة وأن كميات كبيرة من الذخيرة قد هربت معها. تمتلك اليابان ساحلاً بحرياً ممتداً. ولم يكن من الصعوبة بمكان إدخال أسلحة وذخيرة إلى اليابان تحت جنح الليل والاستعانة بسفينة تجسُّس تتخفى في شكل مركب صيد. فهكذا تُهرَّب المخدرات والأسلحة إلى اليابان لقاء مبالغ طائلة من الين الياباني.

لم تكن شرطة محافظة ياماناشي تدري أن المتشددين مدججين بالسلاح إلى هذا الحدّ. حصل رجال الشرطة على إذن تفتيش بموجب اتهام بإلحاق إصابات جسدية، ولم يكونوا يحملون سوى أسلحتهم المعتادة عندما تكدسوا في سيارتي دورية وحافلة وتوجهوا صوب «المزرعة». كانت هذه هي وكر جماعة تسمي نفسها «أكيبونو»، أو «الضوء الأول». كانت الجماعة في ظاهر الأمر تدير مزرعة عضوية. وقد رفضوا السماح لرجال الشرطة بتفتيش المزرعة، ممّا أفضى إلى المواجهة التي تحولت عند نقطة ما إلى تراشق بالرصاص الحي.

كان بحوزة جماعة «أكيبونو» قنابل يدوية صينية الصنع وعالية القدرة، ومن حسن الحظ أنهم لم يستخدموها، لا لشيء إلا لأنهم كانوا قد حصلوا عليها لتوِّهم، ولم يُسعفهم الوقت كي يتعلموا طريقة استخدامها. ولو كان المتشددون استخدموا القنابل اليدوية، لأحدثت في الغالب خسائر أفدح بكثير وسط صفوف رجال الشرطة وقوة الدفاع الذاتي. وفي الأصل، لم تكن الشرطة قد جلبت معها حتى الصدريات الواقية من الرصاص. وقد انصبَّت الانتقادات على التحليلات الاستخباراتية السيئة ومستوى التسليح العتيق لدى قوات الشرطة، لكن

ما أصاب الناس بالصدمة أكثر من غيره هو حقيقة أن تلك الجماعات المتشددة المسلحة لا تزال موجودة في اليابان وتعمل بنشاط بالغ في الخفاء. لقد تلاشت فعلاً النداءات الطنانة بـ «الثورة» التي انطلقت أواخر الستينيات، وظنّ الجميع أنّ فلول المتشددين قد استُؤصلوا خلال الحصار الذي فرضته قوات الشرطة على 'نُزل جبل أساما لودج' في عام 1972.

حالما انتهت أَوْمَامِه من تدوين ملاحظاتها، أعادت الصحيفة المدمجة إلى طاولة المراجع. انتقت من قسم الموسيقى كتاباً ضخماً بعنوان **موسيقيو العالم**، ثم عادت إلى طاولتها وفتحت الكتاب على «ياناتشيك».

لويش ياناتشيك وُلد في إحدى قرى مورافيا في عام 1854 وتوفي سنة 1928. ضمَّت المقالة صورة له وهو في سنواته الأخيرة. لم يكن الصلع قد زحف على شعره، فرأسه فوقها شعر قوي وكثيف ولكن غزاه الشيب. كان شعره كثيفاً إلى درجة لا تستطيع أَوْمَامِه معها معرفة الكثير عن شكل رأسه. أُلفت السيمفونية في عام 1926. احتمل ياناتشيك تجربة زواج بلا حب، ولكنه في عام 1917، أي وهو في الثالثة والستين، التقى امرأة متزوجة اسمها كاميلا ووقع في غرامها. كان يعاني تردياً في حالته الصحية، ولكن لقاءه بكاميلا أعاد إليه حيوية الإبداع، فراح يؤلف روائع مقطوعاته الواحدة تلو الأخرى في أواخر حياته الفنية.

وذات يوم وبينما كان وكاميلا يتمشيان في أحد المتنزهات، إذا بهما يصادفان حفلاً موسيقياً أقيم في الهواء الطلق فتوقفا للاستماع. شعر ياناتشيك بدفقة فرح غامرة تسري في أوصاله، وخطرت له الفكرة

الرئيسة في مقطوعته «سينفونييتا» (سيمفونيته القصيرة). وقد استحضر ذلك بعد سنوات قائلاً إن ثمة شيئاً لمع في رأسه، وإن إحساساً بالنشوة قد اجتاحه. وفي غضون ذلك تقريباً، تصادف أن تلقى طلباً لتأليف مقطوعة قصيرة احتفالاً بمهرجان رياضي كبير. امتزجت الفكرة التي تولَّدت لديه وهو في المتنزه مع فكرة المقطوعة القصيرة، ومن رحم ذلك وُلدت «السينفونييتا». ولذلك كان طبيعياً أن تعرف بـ«السيمفونية القصيرة»، لكن بناءها ليس تقليدياً البتة، حيث مزج بين الآلات النحاسية المستخدمة في المقطوعة الاحتفالية والموسيقى الهادئة لأوروبا الوسطى، مخرجاً بذلك حالة مزاجية فريدة.

أخذت أَوْمَامِه تدون بتأنٍّ ملاحظاتها حول التعقيب وحقائق السيرة الذاتية، ولكن الكتاب خلا من أي إشارة إلى نوعية الصلة التي جمعتها - أو يمكن أن تجمعها - بالسينفونييتا. غادرت المكتبة ومشت لا تلوي على شيء عبر الشوارع حتى اقترب المساء، فيما كانت غالباً ما تُحدِّث نفسها أو تهز رأسها.

قالت أَوْمَامِه في نفسها وهي تمشي، لا شك أن ذلك كله لا يعدو كونه افتراضاً. ولكنه الافتراض الأكثر إقناعاً لي حتى هذه اللحظة. سوف يتعين عليّ التصرف بموجب هذا الافتراض، أظن ذلك، ريثما أصل إلى افتراض أكثر إقناعاً. وإلا، قد ينتهي بي المطاف أن أجدني ملقاة على الأرض في مكان ما. لو كان ذلك هو السبب، فالأجدر بي أن أجد اسماً ملائماً لهذا الموقف الجديد الذي أجد نفسي فيه. هناك حاجة، أيضاً، إلى اسم خاصّ كي أميز بين العالم الراهن والعالم السابق الذي كان رجال الشرطة فيه يحملون مسدسات قديمة. حتى القطط والكلاب تحتاج أسماء. ولا بد أن العالم الذي تغير مؤخراً يحتاج اسماً أيضاً.

حسمت أومامي أمرها قائلة، 1Q84- هذا هو الاسم الذي سأطلقه على العالم الجديد.

Q تشير إلى «علامة الاستفهام». أي عالم يحمل سؤالاً.

أومأت أَوْمَامِه لنفسها فيما تابعت سيرها.

شئت أم أبيت، ها أنا ذا هنا الآن، في سنة 1Q84. أما سنة 1984 التي كنت أعرفها فما عاد لها وجود. إنها الآن 1Q84. لقد تغير الهواء، وتغير المشهد. يتعين علي أن أتأقلم مع هذا العالم الذي يحمل علامة استفهام في أسرع وقت ممكن. مثل حيوان أُطلق وسط غابة جديدة. وكي أحمي نفسي وأحافظ على وجودي، يجب أن أتعلم قواعد هذا المكان وأكيِّف نفسي عليها.

قصدت أَوْمَامِه متجراً للأسطوانات على مقربة من محطة جيوجاوكا للبحث عن سيمفونية ياناتشيك. لم يكن ياناتشيك موسيقياً يحظى بشهرة كبيرة. كان القسم الخاص بأعمال ياناتشيك بالغ الصغر، ولم تَجد سوى أسطوانة واحدة تحتوي على سينفونييتا، وهي نسخة كان جورج سزيل يقود فيها أوركسترا كليفلاند. كان الوجه الأول للأسطوانة هو بارتوك كونشرتو للأوركسترا. لم تكن تدري شيئاً عن هذه العروض، ولكن لانعدام أي خيارات أخرى أمامها، فقد اشترت الأسطوانة. عادت إلى شقّتها، وأخرجت من الثلاجة زجاجة نبيذ «شابلي» وفتحتها، ثم وضعت الأسطوانة على المُشغل، وأنزلت الإبرة داخل التجويف. أخذت تحتسي النبيذ المبرد للغاية على أنغام الموسيقى. بدأت المعزوفة بالمقدمة الحماسية ذاتها. هذه هي الموسيقى التي استمعت إليها في سيارة الأجرة، لا شك في ذلك. أغمضت عينيها واستغرقت بكلّ حواسها مع الموسيقى. لم يكن

العرض سيئاً. ولكن شيئاً لم يحدث. كانت مجرد موسيقى تُعزف. لم تشعر بأيّ أوجاع في جسدها. ولم تكتنف مداركها أيّ تحولات.

بعد سماعها للمقطوعة حتى آخرها، أعادت الأسطوانة إلى حافظتها، وجلست أرضاً وقد أسندت ظهرها إلى الحائط، وراحت تحتسي الخمر. ذهبت إلى حوض غسيل الوجه، وغسلت وجهها بالماء والصابون، وهذّبت حاجبيها بمقص صغير، ونظفت أذنيها بماسحة قطنية.

إما أنني أصبحت غريبة أو أن العالم هو ما بات غريباً، لست أدري أيّاً منا كذلك. الزجاجة وغطاؤها لا يتناسبان. ربما الخلل في الزجاجة أو ربما في الغطاء. أياً كان الأمر، فليس ثمة شك في أنهما غير متناسبين.

فتحت أَوْمَامِه ثلاجتها وتفحَّصت محتوياتها. لم تكن قد تسوّقت منذ بضعة أيام، ولذلك لم تكن الثلاجة تحوي الكثير. أخرجت ثمرة بابايا ناضجة، وشطرتها نصفين، ثم تناولتها بالملعقة. بعد ذلك أخذت ثلاث خيارات وغسلتها، ثم تناولتها بعد مزجها بالمايونيز، وراحت تمضغ كل قضمة ببطء واضح. شربت بعدئذٍ كوباً من حليب الصويا. ذلك هو عشاؤها. كانت وجبة بسيطة، ولكنها مثالية للوقاية من الإمساك. فالإمساك هو أحد الأشياء التي تبغضها بغضاً شديداً في العالم، وهو في ذلك يقف على قدم المساواة مع الرجال الأخسَّاء الذين يمارسون العنف مع زوجاتهم، والمتطرفين الدينيين متحجِّري العقول.

عندما انتهت أَوْمَامِه من طعامها، خلعت ثيابها وأخذت دوشاً ساخناً. خرجت من الحمام، وأخذت تجفف جسمها وتنظر إلى جسدها العاري في مرآة ضخمة مثبتة خلف الباب. بطن مستوية

وعضلات مفتولة. نهدان غير متناسقين وشعر عانة يشبه ملعب كرة قدم يفتقر للعناية. بينما كانت تنظر إلى جسدها العاري، تذكرت فجأة أنها سوف تكمل عامها الثلاثين في غضون أسبوع. **عيد ميلاد بغيض آخر. عندما أتذكر أنني سأحتفل بعيد ميلادي الثلاثين في هذا العالم المستعصي على الفهم، من دون كل الأماكن الأخرى!** قطّبت جبينها.

.1Q84

ذلك هو حيث توجد الآن.

الفصل العاشر

تنغو
ثورة حقيقية تُسفَك فيها دماء حقيقية

قالت فوكا-إري: «لِنبدِّل القطار». ثم التقطت يد تنغو مرة أخرى. كان ذلك قبيل توقف القطار في محطة تاشيكاوا بقليل.

ترجَّلا من القطار وهبطا مجموعة من الأدراج ثم صعدا مجموعة أخرى وصولاً إلى رصيف آخر. لم تَدَع فوكا-إري يد تنغو لحظة. ربما كانا يبدوان للناس من حولهما وكأنهما عاشقان متيَّمان. كان فارق السن بينهما واضحاً، وإن كان تنغو يبدو أصغر من عمره الحقيقي. وربما تندر بعض المارة بفارق الطول بينهما. مواعدة سعيدة في صباح الأحد في فصل الربيع.

لكن تلك اليد الممسكة بيد تنغو لم تثِر لديه أي ميل نحو الجنس الآخر. لم تتغير قوة قبضتها قطّ، وتميزت أصابع يديها باحترافية دقيقة وكأنها طبيب يقيس نبض مريض. وخطر لتنغو بغتة: **لعل هذه الفتاة تحسب أن بوسعنا التواصل دون كلمات وعبر ملامسة الأصابع والأيدي**. ولكن حتى إن فُرض أن مثل هذا التواصل قد حدث بالفعل، فإنه تواصل يتدفق في وجهة واحدة ولا يسير في اتجاهين. ربما كانت يد فوكا-إري تستطيع استيعاب ما يدور في عقل تنغو،

ولكن ذلك لا يعني أنّ بمقدور تنغو أن يقرأ ما يدور في عقل فوكا-إري. مع ذلك، لم يَقلَق تنغو من ذلك كثيراً. فلم يكن في عقله - لا أفكار ولا مشاعر - يَقلَق إنْ اطَّلعت عليها.

وخمَّن تنغو، وحتى إذا لم تكن تحمل لي شعوراً باعتباري من الجنس الآخر، فلا بد أنها تحبني بقدر ما. أو لا يُحتمل أن لديها انطباعاً سيئاً على الأقل عني. وإلا، مهما كانت غايتها، لما ظلّت تمسك بيدي على هذا النحو وطوال هذا الوقت.

بعدما انتقلا الآن إلى رصيف خط أومي، صعدا على متن القطار المنتظر. كانت هذه المحطة، تاشيكاوا، هي بداية خط أومي، الذي يتجه بعيداً صوب التلال الواقعة شمال غربي طوكيو. كانت العربة مزدحمة على غير المتوقع، واكتظّت بكبار السن والعديد من الأسر التي ارتدى أفرادُها ملابس مشاركين في نُزهة. وقف تنغو وفوكا-إري بالقرب من الباب.

قال تنغو، وهو يُجيل نظره في المسافرين: «يبدو أننا انضممنا إلى نزهة».

سألت فوكا-إري تنغو: «هل توافق أن أظلّ ممسكة بيدك». لم تكن قد أفلتت يده من يدها حتى بعد صعودهما القطار.

قال تنغو: «لا بأس، بالطبع».

بدت علامات الارتياح على فوكا-إري وواصلت الإمساك بيده. أصابعها وراحة يدها بالغتا النعومة كما هما دائماً، وغير متعرِّقين. يبدو أنها لا تزال تحاول استكشاف شيء داخله والتحقق منه.

سألته دون علامة استفهام: «لستَ خائفاً الآن».

أجابها تنغو: «لا، لستُ خائفاً». لم يكن يكذب. فقد تلاشت نوبة الهلع التي تنتابه صباح كل أحد، ربما بفضل إمساك فوكا-إري

بيده. لم يعد جسمه يتعرق، ولم يعد يَسمَع خفقان قلبه. ولم تُصبه نوبة الهلوسة، وبقيت أنفاسه كما هي منتظمة الإيقاع.

قالت دون أي تغيُّر في نبرة صوتها: «هذا جيد».

قال تنغو في نفسه أيضاً، **نعم، جيد.**

تكرر نداء واضح وقصير عن مغادرة القطار للمحطة في الحال، وأُغلقت أبواب القطار بصوت هادر، أحدثت رجَّة هائلة عبر القطار كما لو أن حيواناً ضخماً عجوزاً ينفض عن نفسه آثار نوم طويل. وكما لو أن القطار قد حسم رأيه أخيراً، انطلق من الرصيف بحركة بطيئة.

راح تنغو يتابع المناظر الطبيعية عبر نافذة القطار فيما لا تزال يده في قبضة فوكا-إري. في البداية كانت المناظر مقصورة على المنطقة السكنية المعتادة، ولكن كلما مضى القطار، أفسحت الأرض المنبسطة في سهل موساشينو المجال لرؤية جبال نائية. بعد عدة وقفات تقريباً، تحول خط السكة الحديد ذو المسارين إلى خط أحادي المسار، وكان عليهما الانتقال إلى قطار يتألف من أربع عربات. كانت الجبال المحيطة تزداد بروزاً. أصبحت تفصلهم الآن عن قلب طوكيو مسافة بعيدة للغاية. كانت التلال هنا لا تزال تحتفظ بلون الشتاء الذابل، ممّا أبرز نضارة الأشجار دائمة الخضرة. ولدى انفتاح أبواب القطار عند كل محطة جديدة، كان تنغو يدرك أن رائحة الهواء قد اختلفت، وأن تغيراً دقيقاً قد اعترى الأصوات. تتراصّ الحقول بمحاذاة مسار القطار، فيما يزداد عدد البيوت الريفية ويزيد عدد الشاحنات عن سيارات الصالون. قال تنغو في نفسه، **لقد قطعنا شوطاً كبيراً. كم المسافة المتبقية؟**

قالت فوكا-إري، وكأنما كانت تقرأ ما يدور في ذهنه: «لا داع للقلق».

أومأ تنغو بصمت. وقال في نفسه، **لا أدري، يبدو وكأني ذاهب للقاء والديها كي أطلب يدها للزواج.**

وأخيراً، وبعد خمس وقفات خلال الجزء أحادي المسار من الخط، نزلا في محطة اسمها فوتاماتاو. لم يسمع تنغو بهذا المكان من قبل قطّ. **يا له من اسم غريب. الذيل المتشعب**. كانت المحطة الصغيرة تتألف من بناء خشبي عتيق. نزل معهم خمسة ركاب آخرين. ولم يصعد القطار أحد. كان الناس يأتون إلى فوتاماتاو طلباً للهواء العليل فوق الجبال، وليس لرؤية عرض مسرحية 'رجل لا مانشا' أو الذهاب إلى ديسكو يحظى بسمعة سيئة أو زيارة معرض لأستون مارتن أو تناول ثمار البحر في مطعم فرنسي شهير. كان ذلك جلياً من ملابس الركاب الذين ترجلوا من القطار هنا.

لا وجود لأي متاجر أو أشخاص بجوار المحطة تقريباً. مع ذلك، كانت توجد سيارة أجرة واقفة. يبدو أن سائقها ينتظر هناك كلما حان موعد وصول قطار. نقرت فوكا-إري على النافذة، فانفتح الباب الخلفي. أحنت رأسها ودخلت وأشارت إلى تنغو كي يتبعها. أُغلق الباب، فيما أخبرت فوكا-إري السائق بكلمات مقتضبة بوجهتها، فأومأ رداً على ذلك.

لم يستقلا السيارة طويلاً، ولكن الطريق كان بالغ التعقيد. فقد صعدا تلاً حاد الارتفاع ثم نزلا تلاً آخر عبر طريق زراعي ضيق يكاد لا يسمح بتجاوز المركبات الأخرى وتتخلله منحنيات وزوايا لا تحصى ولا تُعد. ولكن السائق قلَّما كان يُخفض السرعة لدى مروره بأيّ منها. كان تنغو يمسك بمقبض الباب وقد تملكه الفزع. وأخيراً توقفت السيارة بعد صعودها تلاً شديد الانحدار يُستخدم كمنحدر تزلج

فوق ما تبدو أنها قمة جبل صغير. لم يبدُ الطريق الذي قطعوه بسيارة الأجرة سفراً بقدر ما بدا جولة في مُتنزه ترفيهي. أخرج تنغو من حافظة نقوده ورقتين نقديتين مجموعهما ألفي ين، ثم تسلم من السائق الفكة وإيصالاً في المقابل.

أمام منزل ياباني قديم كانت تقف سيارة متسوبيشي من طراز باجيرو وأخرى جاغوار كبيرة خضراء اللون. الباجيرو لامعة وجديدة، أما الجاغوار فمن طراز قديم وتعلوها طبقة كثيفة من غبار أبيض يكاد يحجب لونها. بدا أن أحداً لم يحركها منذ مدة. انساب النسيم عليلاً فيما خيَّم السكون على الأجواء المحيطة. كان سكوناً مطبقاً ويتعين على المرء أن يُكيِّف قدرته السمعية عليه. وأما السماء الصافية فقد بدت وكأنها ترتفع عالياً، فيما تُملِّس أشعة الشمس الدافئة برفق أي بشرة تتعرض لها. كان يتناهى إلى سمع تنغو من حين إلى آخر صوتٌ عالٍ وغير مألوف لطائر، لكن دون أن يرى الطائر نفسه.

كان المنزل ضخماً وأنيقاً. لقد شُيِّد منذ زمن طويل بلا ريب، لكنه ظلّ يحظى بعناية كبيرة. الأشجار والشجيرات الموجودة في باحته الأمامية شُذِّبت على نحو جمالي، وأخذ العديد منها أشكالاً متماثلة. امتدت ظلال واسعة لشجرة صنوبر كبيرة الحجم على الأرض. لا يوجد ما يحجب الرؤية هنا، ومع ذلك لا يظهر منزلٌ واحد في مرمى البصر. خمَّن تنغو أن مَن يُشيد بيتاً في هذا المكان غير الملائم لا بدّ أنه يمقت التواصل البشري.

أدارت فوكا-إري مقبض الباب، ثم دلفت عبر البوابة الخارجية التي لم تكن مُقفلَة وأشارت إلى تنغو كي يتبعها. لم يأتِ أحد للترحيب بهما. خلعا حذائيهما في الردهة الأمامية الواسعة التي يعمها السكون. استشعرا برودة الأرضية الخشبية اللامعة للردهة وهما يسيران

عبرها بأقدام عارية إلا من الجوارب وصولاً إلى غرفة الاستقبال. كشفت النوافذ عن منظر بانورامي للجبال ونهر يسير متعرجاً، فيما تنعكس أشعة الشمس فوق سطحه. كان منظراً خلاباً، ولكن تنغو لم يكن في مزاج يسمح له بالتمتع بذلك. أجلسته فوكا-إري على أريكة كبيرة وغادرت الغرفة دون أن تتفوه بكلمة. كانت الأريكة تحمل عبق زمن بعيد، بيْدَ أن تنغو لم يكن بوسعه أن يجزم بمقدار هذا الزمن.

خلت غرفة الاستقبال من أي ديكور تقريباً بشكل يبعث على الخوف. تضم طاولة منخفضة الارتفاع صنعت من لوح خشبي سميك. لا يوجد عليها أي شيء - لا منفضة سجائر ولا مفرش قماش. لا صور تزين الحوائط ولا ساعات ولا روزنامات ولا مزهريات. لا يوجد خِوان ولا مجلات ولا كتب. فُرِش على الأرضية بساطٌ عتيق حال لونه بشدة حتى بات يتعذّر على المرء أن يتبين رسومه، ولم تكن الأرائك والمقاعد المريحة تقلُّ قِدَماً. لا توجد سوى الأريكة الضخمة التي تشبه لوحاً خشبياً جلس عليها تنغو بالإضافة إلى ثلاثة مقاعد متماثلة. كانت هناك مدفأة ضخمة من النوع المفتوح، ولكنها لا توحي بأنّ نيراناً قد أوقدت فيها مؤخراً. كان يبدو أن شهوراً وسنوات طويلة قد انقضت منذ قرّرت الغرفة ألا تستقبل أي زوار. عادت فوكا-إري وجلست بجوار تنغو، دون أن تتفوه بكلمة.

ظلا صامتين وقتاً طويلاً. فوكا-إري تُغلق على نفسها عالمها الملغز، فيما يحاول تنغو التهدئة من روعه عبر أخذه أنفاساً عميقة للغاية. عدا صوت الطائر البعيد الذي يُسمع من حين إلى آخر، فقد خيَّم الصمت على الغرفة. كان تنغو يصغي إلى الصمت، وهو ما بدا أنه يحمل معاني مختلفة. لم يكن مجرد انعدام للصوت. بدا أن الصمت يحاول أن يُبلغه شيئاً عن نفسه. دون داعٍ لذلك، نظر في

ساعته. بعد أن رفع وجهه، تطلع نحو المنظر خارج النافذة، ثم عاد ينظر في ساعته مرة أخرى. يكاد لا يشعر بمرور الوقت. دائماً ما يمرّ الوقت بطيئاً في صباحات الأحد.

مرَّت عشر دقائق والحال على ما هو عليه. ثم فجأة، ودون سابق إنذار، فُتح الباب ودلف إلى غرفة الاستقبال رجل نحيل القوام يمشي بخطى قلقة. يبدو أنه في منتصف الستين من عمره. طوله لا يزيد عن خمسة أقدام وثلاث بوصات، لكن قوامه الممتاز لم يجعله يبدو عادياً. ظهره مستقيمٌ وكأنما بداخله قضيب من الصُلب، فيما يسند ذقنه إلى صدره بأناقة. لديه حاجبان كثيفان، ويرتدي نظارة سوداء ذات إطار سميك يبدو أنها صُنعت خصيصاً لإخافة الآخرين. حركاته تشي بآلة فريدة ذات مكونات رُوعيت في تصميمها الضآلة والكفاءة. هَمَّ تنغو بالوقوف والتعريف بنفسه، بيدَ أن الرجل سرعان ما أشار إليه أن يظلّ قاعداً. عاد تنغو للجلوس فيما سارع الرجل بالجلوس على المقعد المريح المواجه، وكأنه في سباق مع تنغو. لبرهة، اكتفى الرجل بتحديق النظر إلى تنغو، دون أن يقول شيئاً. لم تكن تحديقته شديدة الحدة، ولكن بدا أن عينيه تشملان كل شيء، وتضيقان وتتسعان مثل عدسة كاميرا يقوم المصور بضبط بؤرتها.

كان الرجل يرتدي كنزة خضراء داكنة فوق قميص أبيض وبنطال رمادي داكن من الصوف. بدت كل قطعة في ثيابه وكأنها ظلت تُلبس يومياً وعلى مدى عشر سنوات أو يزيد. كانت تتناسب جيداً مع جسمه، ولكنها أيضاً بالية نوعاً ما. لم يكن بالشخص الذي يُعنى بهندامه عناية كبيرة. ربما لم يكن لديه أقرباء يقومون بذلك لأجله. شعره الخفيف يُبرز استطالة رأسه من المقدمة إلى الخلف. له وجنتان

غائرتان وفكّ مربع. أما شفتاه اللتان تشبهان شفتا طفل بدين فهي السمة الوحيدة لديه التي لا تماثل الآخرين تماماً. كانت شفرة الحلاقة لديه قد تركت بعض المناطق دون حلاقة - أو ربما كان ذلك راجعاً إلى زاوية سقوط الضوء على وجهه. فضوء الشمس الجبلية الذي يتدفق عبر النوافذ كان مغايراً لضوء الشمس الذي اعتاد تنغو رؤيته.

قال الرجل متحدثاً بنبرة واضحة للغاية، وكشخص اعتاد التحدث أمام جمهور - وغالباً بشأن موضوعات منطقية: «آسف على جعلك تقطع كلّ هذه الطريق. ليس سهلاً عليَّ مغادرة هذا المكان، ولذلك لم يكن بوسعي إلّا أن أطلب منك تجشم عناء القدوم إلى هنا».

قال تنغو إن الأمر لم يكن به عناء على الإطلاق. أخبر الرجل باسمه واعتذر لكونه لا يحمل بطاقة تعريف.

قال الرجل: «اسمي هو إبيسونو. ليس لدي بطاقة تعريف أنا أيضاً».

سأل تنغو: «مستر إبيسونو؟».

«الجميع يدعوني 'بروفيسور'. لا أدري لماذا، ولكن حتى ابنتي تدعوني «بروفيسور»».

«بأي رموز تكتب اسمك؟».

«إنه اسم غير مألوف. لم أرَ أحداً سواي يَتَسمى به. اكتبي له الرموز يا إري، إذا سمحتِ؟».

أومأت فوكا-إري، وأخرجت ما يشبه الكراسة، وراحت تكتب الرموز على مهلٍ وبعناية لتنغو على ورقة بيضاء مستخدمة قلماً جافاً. المقطع «إبيسو» هو الرمز الذي يُستخدم عادة لقبائل الشمال الهمجية في اليابان. أما المقطع «نو» فهو الرمز المُعتاد لكلمة «حقل». بسبب

الطريقة التي كتبت بها فوكا-إري المقطعين، يُمكن نقشهما بمسمار على حجر، رغم النمط الخاص الذي يميزهما.

ارتسمت على شفتي البروفيسور الآن ما يشبه الابتسامة، ولكن عينيه لم تفقدا أيّ قدر من توقُّدهما: «بالإنجليزية، يمكن ترجمة اسمي إلى ’حقل الهمج‘ وهو اسم يلائم تماماً تخصصي في الإنثروبولوجيا الثقافية، وهو التخصُّص الذي شغلتُه حيناً. لكني انقطعت منذ زمن طويل عن الحياة البحثية. وأنا الآن أمارس عملاً مختلفاً تماماً. إنني أعيش في ’حقل همج‘ جديد».

لا شك أنّ اسم البروفيسور كان اسماً غير مألوف، ولكنه لم يكن كذلك لدى تنغو. فقد كان واثقاً إلى حدٍّ ما أنّ عالماً شهيراً اسمه ’إيبسونو‘ وُجد في أواخر الستينيات وألَّف عدداً من الكتب التي لاقت استحساناً من جمهور القراء. لا يتذكر في أي موضوع كان يكتب، ولكن الاسم، على الأقل، ظلّ قابعاً في ركنٍ قَصيٍّ من ذاكرته. ظلَّ موجوداً في مكان ما عبْر تلك السنين، وإنْ لم يصادفه.

قال تنغو ببعض التردُّد: «أظنني سمعت باسمك من قبل».

قال البروفيسور محدقاً إلى الفراغ، وكأنه يتحدَّث عن شخص غائب: «ربما. على أية حال، لا بد أنّ ذلك كان منذ زمن بعيد».

كان تنغو يحسّ بأنفاس فوكا-إري الهادئة وهي بجواره، وكانت أنفاساً بطيئة وعميقة.

قال البروفيسور كما لو كان يقرأ شارة تحمل اسماً: «تنغو كاوانا».

قال تنغو: «ذلك هو».

قال البروفيسور: «لقد تخصصتَ في الرياضيات في الكلية،

والآن تُدرِّس الرياضيات في مدرسة تأهيلية في يويوجي. ولكنك أيضاً تكتب قصصاً. هذا ما أخبرتني به إري. هل ذلك صحيح؟».

قال تنغو: «نعم، صحيح».

«إنك لا تشبه مدرِّس رياضيات. ولا تشبه كاتباً، أيضاً».

ابتسم تنغو ابتسامة متوترة وقال: «لقد قال لي أحدهم هذا الكلام من قبل. لعل بنياني القوي هو السبب».

قال البروفيسور، وهو يعيد ضبط جسر نظارته ذات الإطار الأسود: «لا أقصد معنى سلبياً من وراء ذلك. ليس هناك ما يُعيب في ألّا تشبه شيئاً ما. إنه يعني وحسب أنك لم تنسجِم بعد مع الصورة النمطية».

«يُشرِّفني أن أسمع ذلك منك. فأنا لم أصبح كاتباً بعد. لا أزال في طور المحاولات».

«في طور المحاولات».

«من وجهة نظري لا يزال الأمر رهن المحاولة والخطأ».

قال البروفيسور: «فهمت». ثم وكأنما أحسَّ لتوِّه ببرودة الغرفة، فرَك كفيه معاً: «سمعت أيضاً أنك بصدد مراجعة الأقصوصة التي كتبتها إري عسى أن تفوز بجائزة الكُتَّاب الجُدد التي تمنحها مجلة أدبية. وأنك تعتزم أن تقدمها إلى الجمهور ككاتبة. هل تفسيري صحيح؟».

قال تنغو: «صحيح في جوهره، لكن محرراً اسمه كوماتسو هو صاحب الفكرة. لا أدري إن كانت الخطة سوف تنجح أو لا. أو حتى إنْ كانت أخلاقية. دوري ينحصر في مراجعة الأسلوب الذي صيغت به 'الشرنقة الهوائية'. سأقوم بعمل فني محض. أما كوماتسو فهو مسؤول عن كلّ ما عدا ذلك».

راح البروفيسور يقلِّب أفكاره في رأسه لبرهة. في الغرفة التي يغلِّفها الصمت، كاد تنغو أن يسمع صوت ذهنه وهو يعمل. ثم قال: «هذا المحرِّر، السيد كوماتسو، هو صاحب الفكرة، وأنت تعاونه في الجانب الفني».

«صحيح».

«لقد أمضيت حياتي كلها باحثاً علمياً، لكنني والحقّ أقول، لم أشعر في حياتي بشغف كبير إزاء القصص. لا أدري شيئاً عن القواعد الثابتة في عالم الكتابة والنشر الأدبي، ولكن ما تنتويان عمله يبدو لي نوعاً من الغش. هل أنا مخطئ في ذلك؟».

قال تنغو: «لا، لستَ مخطئاً. إنه يبدو غشاً من وجهة نظري أنا أيضاً».

قطّب البروفيسور جبينه قليلاً: «واضحٌ أنك أنت نفسك تحمل شكوكاً أخلاقية إزاء هذه الخطة، ومع ذلك لا تزال تعتزم المضي قُدُماً فيها، بمحض إرادتك الحرة».

«حسناً، ليس بمحض إرادتي الحرة تماماً، ولكني أعتزم المضي قُدماً فيها. ذلك صحيح».

«ولِم ذلك؟».

قال تنغو صادقاً: «ذلك هو السؤال الذي ظللتُ أسأله لنفسي مراراً وتكراراً طول الأسبوع».

التزم البروفيسور وفوكا-إري الصمت انتظاراً لأن يُكمل تنغو كلامه.

«العقل والفطرة السليمة والغريزة - جميعها ترجو مني الانسحاب من هذه الخطة في أسرع وقت. وأنا بطبيعتي أميل للحيطة وأَركن إلى الفطرة السليمة. لا أحب المقامرة أو انتهاز الفرص، بل على

النقيض، فأنا جبان إلى حدٍّ ما. ولكن الأمر مختلف هذه المرة. لا أستطيع أن أحمل نفسي على قول لا لخطة كوماتسو، رغم ما يكتنفها من مخاطر جمَّة. ودافعي الوحيد لذلك هو انجذابي الشديد إلى 'الشرنقة الهوائية'. لو كان ذلك مع أيّ عمل آخر، لرفضتُ المسألة دون تفكير».

حدج البروفيسور تنغو بنظرة حائرة: «بعبارة أخرى، فأنت لستَ متحمِّساً للجزء الذي ينطوي على غشّ في الخطة، ولكن لديك حماسة بالغة لإعادة كتابة العمل. أهذا هو الحال؟».

«بالضبط، لكن الأمر يتجاوز مجرد 'حماسة بالغة'. إذا كان لـ'الشرنقة الهوائية' أن تُعاد كتابتها، فلا أريد أن أدعَ أيّ أحدٍ غيري يقوم بذلك».

قال البروفيسور: «أتفهَّمُ ذلك». ثم بدا الامتعاض على وجهه وكأنه قد وضع في فمه دون قصد طعاماً لاذع الطعم. «أظنّ أنني أتفهم مشاعرك في هذا الأمر. ولكن ماذا عن ذلك المدعو كوماتسو؟ ما دافعه لعمل ذلك؟ هل هو المال؟ هل هي الشهرة؟».

قال تنغو: «إن شئت الحق، فأنا لستُ متيقناً ممّا يريده كوماتسو. ولكن أظنّ أن ما يدفعه هو شيء يتجاوز المال والشهرة».

«وماذا يمكن أن يكون ذلك يا تُرى؟».

«حسناً، لعل كوماتسو نفسه لا يراها من ذلك المنظور، ولكنه شخصٌ شغوف بالأدب. وأمثاله يبحثون عن شيء واحد وحسب، وهو العثور، ولو لمرة واحدة في حياتهم، على عمل يكون صاحبه يتمتع بمَلَكة خاصة. فهم يريدون أن يضعوه فوق صينية ويقدمونه إلى العالم».

ظل البروفيسور محدقاً في تنغو بعض الوقت. ثم قال: «بعبارة

أخرى، أنت وهو لديكما دوافع مختلفة تماماً - دوافع لا صلة لها بالمال أو الشهرة».

«أظنك محقاً».

«لكن وأياً كانت دوافعك، فإنّ الخطة، مثلما أسلفتَ، محفوفة بمخاطر جمَّة. إذا انكشفت الحقيقة عند نقطة معينة، فلا شك أن الأمر سوف يتحول إلى فضيحة، ولن يتوقف استنكار الناس عندك وعند السيد كوماتسو، بل يمكن أن يُسدِّد ضربة قاضية لحياة إري وهي لا تزال في السابعة عشرة من عمرها الغضّ. ذلك هو أكثر ما يقلقني في الأمر».

قال تنغو وهو يومئ برأسه: «وينبغي لك أن تقلق. أنت محق تماماً».

تقلَّصت المسافة بين الحاجبين الكثيفين الأسودين للبروفيسور بمقدار نصف بوصة وقال: «ولكنك تقول إنك تودّ أن تكون الشخص الذي يُعيد كتابة 'الشرنقة الهوائية' حتى وإن كان في ذلك بعض الخطر على إري».

«مثلما قلتُ قبلاً، ذلك لأنّ رغبتي نابعة من مكان يتعذَّر على العقل أو الفطرة السليمة أن تبلغه. بطبيعة الحال فإنني أودّ أن أحمي إري قدر استطاعتي، ولكني لا أستطيع أن أعدَ بأنها لن تُضار من ذلك أبداً. فذلك، إن قلته، سيكون كذباً».

قال البروفيسور: «أدرك ذلك». ثم سلَّك حنجرته كما لو أنه يعلن عن نقطة تحول في النقاش: «حسناً، يبدو أنك شخص صادق، على الأقل».

«إنني أحاول أن أكون صريحاً معك قدر استطاعتي».

حدق البروفيسور في يديه الموضوعتين على ركبتيه وكأنما لم

يرهما من قبل قطّ. فحدق أولاً في ظهر كفيه، ثم قلبهما وحدَّق في راحتيه. ثم رفع رأسه وقال: «إذاً، هل هذا المحرِّر، هذا السيد كوماتسو، يعتقد أن خطته سوف تنجح حقاً؟».

قال تنغو: «وجهة نظر كوماتسو هي أنه يوجد دوماً وجهان لكل شيء. وجه حسن ووجه حسن نوعاً ما».

ابتسم البروفيسور: «يا لها من وجهة نظر غريبة. هل هذا السيد كوماتسو متفائل، أم أنه واثق في نفسه؟».

قال تنغو: «ليس أيّاً من ذلك. إنه ساخر وحسب».

هزَّ البروفيسور رأسه هزة خفيفة: «عندما يكون ساخراً، يصبح متفائلاً. أم تُراه يصبح واثقاً في نفسه. هل هذا هو الحال؟».

«لعلّ لديه ميول من هذا القبيل».

«يبدو أنه رجل صعب المراس».

قال تنغو: «إنه شخص صعب المراس للغاية. ولكنه ليس أحمق».

أطلق البروفيسور زفرة طويلة وبطيئة، ثم التفت إلى فوكا-إري: «ما رأيك إري؟ ما رأيك في هذه الخطة؟».

حدقت فوكا-إري في الفراغ هنيهة، ثم قالت: «موافقة».

«بعبارة أخرى، لا مانع لديك أن يقوم السيد كاوانا الموجود هنا بإعادة كتابة 'الشرنقة الهوائية'؟».

قالت: «لا مانع لدي».

«ربما يُعرِّضك ذلك لمتاعب جمَّة».

لم تَحر فوكا-إري جواباً. كلّ ما فعلته هو أنها ضمَّت ياقة كنزتها «الكارديجان» من عند الرقبة، وهي حركة كانت تعبيراً صريحاً عن عزمها الأكيد.

قال البروفيسور بنبرة استسلام: «لعلها على صواب».

حدق تنغو في يديها الصغيرتين اللتين تكوَّرتا حتى صارتا قبضتين.

قال البروفيسور لتنغو: «توجد مشكلة أخرى مع ذلك. أنت وهذا السيد كوماتسو تعتزمان نشر 'الشرنقة الهوائية' وتقديم إري إلى الجمهور كروائية، ولكنها تعاني عسراً في القراءة. هل كنت تُدرك ذلك؟».

«استخلصت فكرة مجملة عن ذلك ونحن على متن القطار هذا الصباح».

«لقد ولدَت على الأرجح بهذا الاضطراب. في المدرسة، يحسبون أنها تعاني نوعاً من التخلف العقلي، ولكنها في حقيقة الأمر حادة الذكاء - بل لديها حكمة بالغة، لكن عسر القراءة الذي تعانيه لن يفيد خطتنا مع ذلك، إذا تحدثنا بصراحة».

«كم عدد الذين يعلمون ذلك؟».

قال البروفيسور: «عدا إري نفسها، ثلاثة. أنا، بطبيعة الحال، وابنتي أزامي، وأنت. لا أحد سوى هؤلاء يعرف بالأمر».

«هل تعني أنّ معلميها لا يعرفون بذلك؟».

«أجل، لا يعرفون. إنها تذهب إلى مدرسة صغيرة في قرية. وهم غالباً لم يسمعوا قط عن عسر القراءة. وفوق ذلك، فهي لم تذهب إلى المدرسة سوى مدة قصيرة».

«إذن لعلّنا نستطيع إخفاء الأمر».

نظر البروفيسور إلى تنغو هنيهة، كما لو أنه يقدِّر قيمة وجهه.

قال بعد برهة: «يبدو أن إري تثق بك. لا أدري لماذا، ولكنها تثق بك. وأنا-».

انتظره تنغو كي يكمل.

«وأنا أثق في إري. ولذلك عندما تقول إنها موافقة على السماح لك بإعادة صياغة أقصوصتها، فليس أمامي إلا أن أوافق. ومن ناحية أخرى، إذا كنت تعتزم حقاً المضيّ قُدماً بهذه الخطة، فثمة أشياء يجب أن تعرفها عن إري». مسح البروفيسور بيده فوق ركبته اليمنى عدة مرات وكأنما عثر على خيط صغير هناك: «مثلاً، كيف كانت طفولتها، وأين أمضتها، وكيف أصبحتُ مسؤولاً عن رعايتها. كل هذا ربما يتطلب وقتاً كي تعرفه».

قال تنغو: «إنني مصغٍ إليك».

كانت فوكا-إري تجلس بجواره على الأريكة معتدلة الظهر، وهي لا تزال تضمّ ياقة كنزتها «الكارديجان» من عند حنجرتها.

قال البروفيسور: «حسناً، إذاً. القصة تعود إلى الستينيات. ظللتُ أنا ووالد إري صديقين حميمين زمناً طويلاً. وكنت أكبره بعشر سنين، ولكننا كنا ندرس في القسم نفسه والجامعة ذاتها. وكانت شخصية كلّ منا ورؤيته للعالم مختلفتين للغاية، ولكن لسبب ما انسجمنا معاً. كلانا تزوّج في سن متأخر، وكلانا أنجب بنتاً عقب الزواج بزمنٍ وجيز. وسكنَّا معاً في بناية الكلية نفسها، وكانت أسرتانا دائماً معاً. وعلى المستوى المهني، أيضاً، كنا نؤدي أداء حسناً للغاية. وبدأ الناس ينظرون إلينا باعتبارنا 'نجمين صاعدين في الأكاديمية'. وظهرنا كثيراً في وسائل الإعلام، ونَعِمْنا خلال ذلك بسعادة غامرة.

لكن ومع نهاية الستينيات، بدأت الأشياء تتغير إلى الأسوأ. كان موعد التجديد الثاني للاتفاقية الأمنية بين الولايات المتحدة الأميركية واليابان سوف يحين في عام 1970، وهو ما كانت الحركة الطلابية

تعارضه. فحاصروا أحرام الجامعات، واشتبكوا مع شرطة مكافحة الشغب، ودخلوا في نزاعات حزبية دموية، وبالمحصلة، أزهقت أرواح. كان كلّ ذلك يفوق احتمالي، ولذلك قررتُ ترك الجامعة. لم أنسجم مزاجياً قطّ مع الحياة الأكاديمية، ولكن حالما اندلعت هذه الاحتجاجات وأعمال الشغب، ضقتُ ذرعاً بها. ولم أعُد أبالي سواء بتيار المؤسساتية أو بتيار معاداة المؤسساتية. في النهاية، كان الأمر لا يعدو كونه صراع مؤسسات، وأنا ببساطة لم أكن أثق في التنظيمات بشتى أنواعها، صغيرة كانت أو كبيرة. أظنّ أنك لم تكن قد بلغت سنّ الالتحاق بالجامعة في تلك الأيام».

«لا، لقد انحسرت الاضطرابات كلها مع بداية دخولي الجامعة».

«تقصد أنّ عهد الحرية كان قد انتهى».

«تقريباً».

رفع البروفيسور كفّيه هنيهة ثم وضعهما على ركبتيه مرة أخرى: «وهكذا تركت الجامعة، وعقب سنتين تركها والد إري. وأثناء ذلك، كان من أشدّ المؤمنين بالأيديولوجية الثورية لماو تسي تونغ ومؤيداً للثورة الثقافية في الصين. في تلك الأيام لم نكن قد سمعنا شيئاً تقريباً عن الفظاعات والوحشية التي تخلّلت الثورة الثقافية، بل لقد شاعت بين بعض المفكرين صرعة حَمْلِهم لكتيِّب ماو الأحمر. وقد ذهب والد إري إلى حدّ تشكيل نوع من الحرس الأحمر داخل الجامعة يتمّ انتقاؤه من الطلاب، وشارك في الإضرابات التي نظِّمت ضد الجامعة. وقد توافد عدد آخر من الطلاب المؤمنين من جامعات أخرى كي يلتحقوا بالتنظيم الذي أنشأه، وظلّ التنظيم مدة ينمو نمواً كبيراً في ظلّ قيادته. وبعدئذٍ استدعت الجامعة شرطة مكافحة الشغب لاقتحام الجامعة. وقد حوصر هناك هو وطلابه، ومن ثم اعتقل معهم، ثم أدين وصدر ضده

حكم قضائي. وقد أفضى ذلك تلقائياً إلى فصله من الجامعة. كانت إري لم تزلْ عندئذٍ طفلة صغيرة ولا تتذكر غالباً أياً من هذه الحوادث».

ظلت فوكا-إري على صمتها.

«والدها يُدعى تاموتسو فوكادا. بعد تركه للجامعة، اصطحب معه عشرة من أخلص طلابه من وحدة الحرس الأحمر والتحقوا بأكاديمية تاكاشيما. كان معظم الطلاب قد طردوا من الجامعة. وكانوا جميعاً بحاجة إلى مكان يلتحقون به، ولم تكن أكاديمية تاكاشيما بالاختيار السيئ من وجهة نظرهم. كانت وسائل الإعلام قد سلَّطت بعض الضوء على حركاتهم في ذاك الوقت. هل لديك أي معرفة بذلك؟».

هز تنغو رأسه: «لا، لا شيء».

«ذهبت أسرة فوكادا برفقته - أعني زوجته وإري الموجودة هنا. التحقوا جميعاً بأكاديمية تاكاشيما. لا بد أنك تعرف أكاديمية تاكاشيما، أليس كذلك؟».

قال تنغو: «في المجمل. إن تنظيمها أشبه بكومونة. ويعيش سكانها وفق نمط حياة مشتركة تماماً ويعتاشون من ممارسة الزراعة. وأيضاً مزارع منتجات الألبان على المستوى الوطني. لا يؤمنون بالملكية الشخصية ويمتلكون كل شيء ملكية جماعية».

قال البروفيسور وقد عبس وجهه: «ذلك صحيح. لعلّ فوكادا كان يبحث عن طوباوية عبر نظام تاكاشيما. ولكن الطوباوية غير موجودة، بطبيعة الحال، في أيٍّ مكان بالعالم. مثل الكيمياء القديمة أو الحركة الأبدية. وإذا سألتني، فإن ما تفعله تاكاشيما لا يعدو كونه صناعة روبوتات لا عقول لها. إنهم يزيلون الدوائر الكهربية من أدمغة الناس، وبفضل هذه الدوائر كان باستطاعتهم التفكير لأنفسهم. وعالم هؤلاء

أشبه بذلك الذي صوّره جورج أورويل في روايته. أنا واثق أنك تدرك أن هناك أناساً كثيرين يبحثون تحديداً عن ذلك النوع من موت الدماغ. فهو يجعل الحياة أيسر كثيراً. ليس عليك التفكير في الأمور الصعبة، وليس عليك إلا أن تلزم الصمت وتفعل ما يأمرك به رؤساؤك. ولن يكون عليك أبداً أن تتضور جوعاً. ولدى هؤلاء الأشخاص الذين يبحثون عن ذلك النوع من الحياة، فربما تكون أكاديمية تاكاشيما نظاماً طوباوياً.

ولكن فوكادا ليس من هذه النوعية من الأشخاص. فهو يحب الاستقلالية في التفكير، واستقصاء كل مسألة من شتى جوانبها. وهذه هي الطريقة التي تكسَّب بها عيشه طوال كل تلك السنين: كانت هذه هي مهنته. ولم يكن وارداً بأيّ حال أن يرضى بمكان مثل تاكاشيما. كان يُدرك كل ذلك منذ البداية. بعدما طُرِد من الجامعة رفقة مجموعة من الطلاب المولعين بالقراءة والدراسة، لم يكن لديه مكان آخر يذهب إليه، ولذلك اختار تاكاشيما كملاذٍ مؤقت. ولم يذهب إلى هناك بحثاً عن نظام طوباوي، وإنما فهم نظام تاكاشيما. كان أول ما تعين عليهم عمله هو تعلم طرق الزراعة. فقد كان فوكادا وطلابه جميعاً من سكان المدن. لا يعرفون عن الزراعة شيئاً، إلا بمقدار ما أعرفه عن علوم الصواريخ. وكان هناك الكثير الذي عليهم أن يتعلموه: مثل نظم التوزيع وإمكانات وحدود اقتصاد الاكتفاء الذاتي، والقواعد العملية للحياة الجماعية، إلى آخره. عاشوا في تاكاشيما سنتين، تعلموا خلالهما كل ما استطاعوا. وبعد ذلك، اصطحب فوكادا مجموعته وغادروا تاكاشيما، وخرج وحده».

قالت فوكا-إري: «تاكاشيما كانت تثير المرح».

ابتسم البروفيسور: «أنا متأكد أنّ تاكاشيما مكان يثير المرح لدى

الأطفال الصغار. ولكن عندما تكبرين وتبلغين سناً معينة ويغدو لديك ذات، تصبح الحياة في تاكاشيما لدى معظم الشباب أقرب إلى جحيم معاش. فالزعماء يستغلون سلطتهم في سحق الرغبات الطبيعية لدى الناس في التفكير باستقلالية. الأمر أشبه بعملية تقييد الأقدام ولكنه هنا تقييد للعقل».

سألت فوكا-إري: «تقييد الأقدام».

أوضح لها تنغو: «في الأزمنة الغابرة، اعتاد الصينيون أن يحشروا أقدام الفتيات الصغيرات في أحذية صغيرة لمنعها من النمو».

تصورت أن ذلك يحصل لها، ولم تعقب بشيء.

تابع البروفيسور: «كانت نواة جماعة فوكادا المنشقة تتألف، بطبيعة الحال، من الطلاب السابقين الذين انضموا إليه لدى تأسيسه للحرس الأحمر، ولكن آخرين التحقوا به أيضاً، ولذلك تضاعفت أعداد الجماعة بسرعة كبيرة تفوق كل التوقعات. التحقت أعداد كبيرة من الأشخاص بتاكاشيما مدفوعين بغايات مثالية ولكنهم شعروا بالنقمة والإحباط ممّا وجدوه. ومن هؤلاء أناس كانوا يتطلعون لحياة مشتركة وفق نمط الهيبيز، ويساريون أثرت فيهم الانتفاضات الطلابية في الجامعات، وآخرون كانوا ناقمين على الحياة العادية ويبحثون عن عالم جديد مفعم بالروحانية، وعُزاب، وأناس اصطحبوا أسرهم معهم مثل فوكادا - وكل هؤلاء يشكلون مجموعة متنافرة إنْ كانت هناك مجموعة من الأصل، وكان فوكادا هو زعيمهم. كان زعيماً بالفطرة، مثل موسى في قيادته لبني إسرائيل. وكان ذكياً وبليغاً ويتمتّع بقدرات فائقة في تقديره للأمور. ويحظى بشخصية كاريزمية وله بنيان ضخم. في مثل قامتك تقريباً، تذكّرت ذلك تواً. وقد وضعه الناس على رأس الجماعة بطبيعة الحال، وانصاعوا لأحكامه».

رفع البروفيسور ذراعيه ليبين حجم بنيان فوكادا. حدقت فوكا-إري أولاً في ذراعي البروفيسور ثم بعدئذٍ في تنغو، ولكنها لم تعلِّق بشيء.

«كنت أنا وفوكادا على طرفي نقيض، سواء في المظهر أو الشخصية. لكننا رغم كل اختلافاتنا ظللنا صديقين حميمين. كان كلانا يقدِّر قدرات الآخر ويثق فيه. أستطيع القول دون مبالغة إن صداقتنا هي مِن الصداقات التي لا تتحقق سوى مرة واحدة في العمر».

تحت قيادة تاموتسو فوكادا، وجدت الجماعة قرية مهجورة في جبال محافظة ياماناشي توافق غاياتهم. كانت القرية على حافة الهلاك. فالعجائز القليلون الذين بقوا هناك كانوا لا يستطيعون حصاد محاصيلهم بأنفسهم، ولم يكن لديهم أحد يتابع أعمال الزراعة بعد أن يرحلوا. تمكنت الجماعة من شراء الحقول والمنازل بثمن بخس، بما في ذلك الدفيئات الزراعية المصنوعة من الفنيل. كان مكتب القرية يقدم لهم الدعم شريطة أن تواصل الجماعة فلاحة الأراضي الزراعية الموجودة، وفي المقابل حصلوا على معاملة تفضيلية ضريبية خلال السنوات الأولى القليلة على الأقل. وفوق ذلك، كان فوكادا لديه مصادر تمويل خاصة، لكن البروفيسور إيبسونو لم يكن يدري شيئاً عن مصدر هذه الأموال.

«كان فوكادا يرفض الكلام بشأن ذلك، ولم يكشف هذا السرّ لأحد مطلقاً، ولكنه عثر في مكان ما على قدر كبير من المال المطلوب لتأسيس الكومونة. استخدموا الأموال في شراء الآلات الزراعية ومواد البناء ولإنشاء صندوق احتياطي. قاموا بإصلاح المنازل القديمة

بأنفسهم، وشيدوا مرافق يمكنها أن تعين أعضاء الجماعة الثلاثين على سبل العيش. كان ذلك في عام 1974. وأطلقوا على الكومونة الجديدة اسم 'ساكي جاكِه'، أو 'الرائد'».

ساكي جاكِه؟ بدا الاسم مألوفاً لدى تنغو، ولكنه لا يتذكر أين سمعه من قبل. عندما عجز عن الرجوع بذاكرته إلى الوراء لتذكُّر ذلك، شعر بإحباط شديد.

تابع البروفيسور: «وطّد فوكادا نفسه على أنّ تشغيل الكومونة سيكون صعباً خلال السنوات الأولى وذلك ريثما يعتادوا على المنطقة، ولكن سارت الأمور على نحوٍ أفضل ممّا توقع. فقد صادفهم طقس جيد وجيران كانوا دائماً في عونهم. أذعن الناس دون تردد لفوكادا باعتباره الزعيم، نظراً إلى إخلاصه، وأُعجبوا بشباب الجماعة الكادحين الذين رأوهم يتصببون عرقاً وسط الحقول. لم يبخَل أهل القرية بإسداء النصح المفيد. وتمكَّن أعضاء الجماعة على هذا النحو من اكتساب المعرفة العملية فيما يخصّ طرق الزراعة وتعلموا كيف يعيشون من خير الأرض.

وبينما واصلوا تطبيق ما تعلموه في تاكاشيما، فقد شهدت ساكي جاكِه أيضاً العديد من ابتكاراتهم الخاصة. فمثلاً، تحولوا إلى الزراعة العضوية، متفادين استخدام المبيدات الحشرية وزرعوا خضرواتهم مستخدمين مخصِّبات عضوية خالصة. ودشنوا أيضاً خدمة طلب الطعام عبر البريد التي كانت موجهة مباشرة إلى سكان الحضر الأثرياء. وبهذه الطريقة استطاعوا جني قدر أكبر من المال. وكانوا هم أول من سُمي بالمزارعين البيئيين، وعرفوا كيف يحقِّقون أعظم الفائدة من ذلك. ولكونهم تربوا في المدينة، فقد كان أعضاء الكومونة يدركون أنّ سكان المدن سوف يدفعون أثماناً عالية للحصول على خضروات طازجة

وطيبة المذاق وخالية من الملوثات. أنشأوا نظام توزيع خاص بهم عبر التعاقد مع شركات توصيل وزللوا لهم الطرق. كانوا أيضاً أول مَن استغلّ حقيقة كونهم يبيعون «خضروات متنوعة لا تزال آثار التربة عالقة بها».

استطرد البروفيسور: «زرت فوكادا في مزرعته مرات كثيرة. كان يبدو مبتهجاً بالبيئة الجديدة وبالفرصة التي أتاحت له استكشاف إمكانات جديدة. لعلّ هذه المدة كانت أكثر أوقات حياته هناء وامتلاء بالأمل، وبدا أيضاً أن أسرته قد تأقلمت جيداً مع هذا النمط الجديد للعيش.

أصبح أناس كثيرون ما إن يسمعوا بمزرعة ساكي جاكِه حتى يشدّون الرِّحال إليها ويطلبون الانضمام إلى عضويتها. وشيئاً فشيئاً، أصبح الاسم معروفاً على نطاق واسع من خلال خدمة الطلب عبر البريد، وسلّطت وسائل الإعلام الضوء عليها كنموذج للكومونة الناجحة. أصبح هناك أشخاص كثر يتوقون للفرار من السعي المجنون لجني الأموال في العالم الحقيقي وتدفق المعلومات فيه، إلى حيث يمكنهم اكتساب قوت يومهم بعرق جبينهم. لقد راقَ لهم نموذج ساكي جاكِه. عندما كان هؤلاء الناس يفدون إلى هناك، كانت مزرعة ساكي جاكِه تعقد لهم المقابلات وتستجوبهم، ثم تمنح العضوية للواعدين منهم. لم يكن بوسعهم قبول كلّ مَن يأتيهم. كان عليهم المحافظة على النوعية العالية للأعضاء وأخلاقياتهم. كانوا يبحثون عن ذوي المهارات الزراعية وأصحاب البنية الجسمانية السليمة الذين يمكنهم تحمّل العمل البدني الشاقّ. رحّبوا أيضاً بالنساء أملاً في الحفاظ على نسبة النصف مقابل النصف بين الذكور والإناث. كانت زيادة الأعداد

تعني توسيع نطاق المزرعة، ولكن كانت توجد حقول ومنازل كثيرة إضافية بالقرب من المزرعة، ولذلك لم يجدوا مشكلة في ذلك التوسع. ظلّ صغار السن من العزاب يشكلون غالبية أعضاء المزرعة في أول الأمر، ولكن أعداد الأشخاص الذين يلتحقون رفقة أسرهم أخذت تزداد شيئاً فشيئاً. ومن بين الوافدين الجدد كان يوجد اختصاصيون حصلوا على قدر كبير من التعليم - مثل الأطباء والمهندسين والمدرسين والمحاسبين وما شابه. وقد استُقبل مثل هؤلاء الأشخاص بكل ترحاب من مجتمع المزرعة نظراً إلى الفائدة التي يمكن جنيها من وراء مهاراتهم».

سأل تنغو: «هل تبنَّت الكومونة الشيوعية البدائية التي انتهجتها تاكاشيما؟».

هزّ البروفيسور رأسه: «لا، لقد تجنب فوكادا نظام الملكية المشتركة. رغم أنه كان صاحب توجهات متشددة سياسياً، فقد كان أيضاً واقعياً وصاحب أعصاب هادئة. كان يتطلع إلى بناء مجتمع أكثر مرونة، وليس مجتمعاً يشبه مستعمرة نمل. منهجه كان يقوم على تقسيم الكلّ إلى عدد من الوحدات، تعيش كل منها حياتها المشتركة المرنة الخاصة. كانوا يعترفون بالملكية الفردية ويوزعون مكافآت. وفي حال لم ترضَ بوحدتك، يمكنك الانتقال إلى أخرى، ولك مطلق الحرية في ترك ساكي جاكِه ذاتها وقتما تشاء. توفرت أيضاً وسائل الاتصال بالعالم الخارجي، ولم تكن هناك تقريباً أي محاولات لغرس توجُّه أيديولوجي أو غَسل أدمغة. لقد تعلم عندما كان في تاكاشيما أنّ النظام الطبيعي المفتوح سوف يرفع معدلات الإنتاجية»..

تحت قيادة فوكادا، ظلَّ تشغيل مزرعة ساكي جاكِه يمضي حسبما

هو مخطّط له، ولكن في نهاية المطاف انقسمت الكومونة إلى فصيلين مختلفين. كان ذلك الانقسام محتوماً طالما أنهم أبقوا على نظام الوحدات المرن الذي أرساه فوكادا. ففي ناحية كان يوجد فصيل متشدد وجماعة ثورية ترتكز إلى وحدة الحرس الأحمر التي أسسها فوكادا في الأصل. ولدى هؤلاء كانت الكومونة الزراعية لا تعدو كونها مرحلة تحضيرية لا مناص منها على طريق الثورة. وظلّ النشاط الزراعي لديهم مجرد غطاء حتى حان أوان حمل السلاح. كان ذلك هو موقفهم الراسخ.

أما على الجانب الآخر فكان هناك فصيل يتّسم بالاعتدال. وباعتباره يمثل الغالبية، فقد اشتركوا مع الفصيل المناضل في مناهضتهم للرأسمالية، ولكنهم اختاروا النأي عن السياسة، وآثروا عوضاً عن ذلك إرساء حياة جماعية تقوم على الاكتفاء الذاتي في طبيعتها. وفيما يتعلق بالنشاط الزراعي، فقد تشارك الفصيلان في الأهداف ذاتها، ولكن عندما يتعين على أيٍّ منهما اتخاذ قرارات بشأن السياسة التشغيلية للكومونة برمتها، فإن آراءهما تفترق. وغالباً ما كانوا لا يجدون مجالاً للتقارب، ممّا يُفضي إلى مشاحنات عنيفة. وأصبح انقسام الكومونة مسألة وقت.

أصبح الحفاظ على موقف حيادي يزداد صعوبة يوماً وراء يوم. وفي نهاية الأمر، وجد فوكادا نفسه عالقاً بين الفصيلين. كان يدرك عموماً أنّ يابان عقد السبعينيات ليست المكان أو الزمان الأمثل لإشعال ثورة. ما كان يحمله في ذهنه دائماً هو إمكانية اندلاع ثورة - ثورة كمجاز أو فرضية. كان يؤمن أن ممارسة ذلك النوع من معاداة المؤسساتية، والأعمال التخريبية هي أمرٌ لا مناص منه للوصول إلى مجتمع سليم. ولكن طلابه كانوا يريدون ثورة حقيقية تُسفَك فيها دماء

حقيقية. بطبيعة الحال فإن فوكادا كان يتحمل بعض الوزر في ذلك. فهو مَن غرس مثل هذه الخرافات الباطلة في رؤوسهم. ولكنه لم يخبرهم قط أن «ثورته» كانت موضوعة بين مزدوجين.

وهكذا افترقت سبل الفصيلين الموجودين في ساكي جاكِه. ظلّ الفصيل المعتدل يسمي نفسه «ساكي جاكِه» وبقي أعضاؤه في القرية الأصلية، فيما انتقل الفصيل المتشدِّد إلى قرية أخرى مهجورة تبعد بضعة أميال واتخذوها قاعدة لحراكهم الثوري. بقيت أسرة فوكادا في ساكي جاكِه رفقة الأسر الأخرى كلها. وقع الانفصال بين الفريقين ودياً. يبدو أن فوكادا قد حصل على التمويل الخاص بالكومونة الجديدة من مصدر تمويله المعتاد والمجهول. وحتى بعد انفصالهم، حافظت المزرعتان على علاقات تعاونية. فقد تبادلا المواد الضرورية و، لأسباب اقتصادية، استخدموا طرق التوزيع نفسها لمنتجاتهم. كان لزاماً على المجتمعين الصغيرين أن يتعاونا معاً إذا كان لهما أن يبقيا على قيد الحياة.

لكن ثمة شيء واحد تغير بعد الانقسام بمدة وجيزة: ألا وهو وقف الزيارات بين الأعضاء القدامى في ساكي جاكِه والكومونة الجديدة. لم يكن سوى فوكادا نفسه الذي بقي على تواصل مع طلابه المتشددين السابقين. كان فوكادا يشعر بمسؤولية كبيرة إزائهم، باعتباره هو مَن نظَّمهم في الأصل وقادهم إلى جبال ياماناشي. وفوق ذلك، كانت الكومونة الجديدة بحاجة إلى التمويل السري الذي يتحكَّم فيه فوكادا.

قال البروفيسور: «لعلّ فوكادا كان يعاني عندئذٍ نوعاً من اضطراب الشخصية الانطوائية. لم يعُد يؤمن في قرارة نفسه بإمكانية أو

رومانسية الثورة. ولا كان بوسعه أن يتبرأ منها تماماً. فالتبرؤ منها كان يعني أن يتبرأ من حياته ويعترف بأخطائه على الملأ. كان ذلك شيء لا يستطيعه. فقد كان شخصاً معتدّاً بنفسه، وخشي الإرباك الذي سوف يسود حتماً بين طلابه نتيجة ذلك. في تلك المرحلة، كان لا يزال يحظى بقدر من السيطرة عليهم.

وهكذا وجد نفسه يعيش حياة يغدو ويروح فيها بين ساكي جاكِه والكومونة الجديدة. اضطلع بواجبات الزعيم في واحدة وبواجبات المستشار في الثانية في آن معاً. وهكذا فإن شخصاً لم يعُد يؤمن حقاً بالثورة ظلّ يبشر بنظرية ثورية. واصل أعضاء الكومونة الجديدة نشاطهم الزراعي فيما خضعوا للنظام القاسي الذي يفرضه التدريب العسكري والتلقين الأيديولوجي. أما سياسياً، وعلى النقيض من فوكادا، فقد باتوا أكثر تشدداً. وانتهجوا سياسة مفرطة في السرية، وأصبحوا لا يسمحون للغرباء بالدخول. ولأن قوات الأمن كانت على علم بنداءاتهم لثورة مسلحة، فقد اعتبرتهم جماعة يجب متابعتها ووُضعت تحت المراقبة، وإن كانت لا تستدعي درجة عالية من الإنذار».

راح البروفيسور يحدق في ركبتيه مرة أخرى ثم نظر إلى أعلى.

تابع: «انقسمت ساكي جاكِه إلى مجتمعين في عام 1976. فرَّت إري من ساكي جاكِه وجاءت للعيش معنا في السنة التالية. في غضون ذلك الوقت بدأت الكومونة الجديدة تسمي نفسها 'أكيبونو'».

رفع تنغو بصره وضيَّق حدقتي عينيه، وقال: «مهلاً». **أكيبونو. أنا واثق تماماً أنني سمعت ذلك الاسم أيضاً.** ولكن ذاكرته كانت مشوشة وغير متماسكة. كل ما تسعفه به الذاكرة هو بضع تفاصيل غير مكتملة تشبه الحقائق. «هذه الأكيبونو... ألم يتسببوا في حادثة كبيرة منذ مدة؟».

قال البروفيسور إيبسونو، وهو ينظر إلى تنغو بانتباه أكبر ممّا فعل حتى الآن: «بالضبط. نحن نتحدث عن أكيبونو الشهيرة، بطبيعة الحال، تلك التي دخلت في اشتباك مسلح مع الشرطة في الجبال بالقرب من بحيرة موتوسو».

قال تنغو في نفسه، **اشتباك مسلح. أتذكّر أني سمعت بذلك. كانت أخباراً مثيرة. لكنني لا أتذكر التفاصيل، ولست متأكداً من تسلسل الأحداث**. عندما حاول تذكر المزيد، سرى في جسده كله إحساس موجع، كما لو أن نصفيه العلوي والسفلي قد التويا في اتجاهين معاكسين. وشعر بوجع خفيف في رأسه، وبأن الهواء قد بدأ يتناقص فجأة من حوله. أصبحت الأصوات مكتومة كما لو كان تحت الماء. لعل «النوبة» كانت توشك أن تأتيه.

سأله البروفيسور بقلق واضح: «هل أصابك سوء؟» بدا كأن الصوت آتياً من مكان سحيق.

هز تنغو رأسه وقال بصوت متهدج: «أنا بخير. سوف يزول ذلك حالاً».

الفصل الحادي عشر

أَوْمَامِه

الجسم البشري مثل المعبد

لا بد أن عدد هؤلاء الذين يستطيعون أن يسدِّدوا ركلة للخصيتين بالإتقان الذي تستطيعه أَوْمَامِه هو عدد ضئيل فعلاً. فقد بذلت جهداً مضنياً في دراستها لأنماط الركل ولم تُفوت قطّ تمريناتها اليومية. والأهم لدى توجيه ركلة للخصيتين، هو ألّا تتردّد. فعلى المرء أن يسدد ضربة خاطفة إلى النقطة الأضعف لدى الخصم، وأن يُنفذ ذلك دون رحمة وبأقصى شراسة ممكنة - تماماً مثلما أسقط هتلر فرنسا بسهولة عبر مهاجمة النقطة الأضعف في خط ماجينو. ولا ينبغي للتردُّد أن يعتري المرء؛ فلحظة تردد واحدة يمكن أن تكلِّف المرء حياته.

وعموماً، ليس ثمة طريقة أخرى تستطيع امرأة من خلالها أن تطيح رجلاً يفوقها بنياناً وقوة وهي تواجهه وجهاً لوجه. كانت هذه قناعة راسخة لدى أَوْمَامِه. فذلك الجزء من الجسم هو النقطة الأضعف الملتصقة - أو بالأحرى، المتدلية من - ذلك المخلوق المسمى رجلاً، وهي نقطة لا ينجح الدفاع عنها غالباً. ومن غير المعقول ألّا يتم استغلال تلك الحقيقة.

ولكونها امرأة، لم يكن لدى أَوْمَامِه فكرة ملموسة عن مدى الألم الذي تسببه ركلة قوية في خصيتي رجل، وإن كان بوسعها وقياساً على

ردات الفعل وتعبيرات الوجه لدى الرجال الذين سددت لهم هذه الضربة، أن تتخيل ذلك على الأقل. وكان يبدو لها أن أقوى الرجال وأشدهم لا يستطيعون احتمال الألم الناجم أو الفقدان الكبير لاحترام الذات الذي يصاحب ذلك.

وعندما طلبت أَوْمَامِه من أحد الرجال أن يوضح لها ذلك، قال لها بعدما فكَّر ملياً: «إنها تؤلم ألماً شديداً حتى يخال المرء أن نهاية العالم سوف تأتي الآن. لا أدري بأيّ طريقة أخرى أعبِّر عن ذلك. إنها تختلف عن الألم العادي».

فكرت أَوْمَامِه في القياس الذي أجراه. نهاية العالم؟

وقالت: «إذاً وبالعكس، هل يمكنك القول إن نهاية العالم عندما تأتي الآن، فسوف تبدو أشبه بركلة قوية في الخصيتين؟».

قال الرجل وهو يحدق في الفراغ بعينين زائغتين: «لم أُجرِّب نهاية العالم قط، ومن ثم لا يمكنني الجزم بذلك، ولكن ربما يكون ذلك صحيحاً. كل ما هنالك هو إحساس عميق بالوهن. إحساس بالظلام والاختناق والعجز».

بعد ذلك بوقت، تصادف أن أَوْمَامِه شاهدت فيلم «أون ذا بيتش» On the Beach على شاشة التلفزيون في وقت متأخر من الليل. وهو فيلم أميركي أنتج عام 1960 تقريباً. وتدور أحداثه حول حرب شاملة اندلعت بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي وأُطلقت خلالها أعداد هائلة من الصواريخ عابرة القارات فكانت أشبه بأسراب من السمك الطائر. دُمرِّت الأرض وأُبيد البشر في كل ركن من أركان العالم تقريباً. وبفضل الرياح السائدة أو شيء من هذا القبيل، مع ذلك، لم يكن رماد الموت قد بلغ بعد أستراليا في نصف الكرة الجنوبي، رغم أنها كانت مجرد مسألة وقت حتى يبلغها هي الأخرى.

أصبح فناء الجنس البشري أمراً محتوماً. ولم يعُد بوسع البشر الذين لا يزالون على قيد الحياة هناك سوى انتظار نهايتهم. وقد اختاروا طرقاً مختلفة لقضاء آخر أيامهم. تلك كانت هي قصة الفيلم. إنه فيلم يبعث على التشاؤم ولا يطرح أي أمل للخلاص. (مع ذلك، فإن أَوْمَامِه قد عزّزت بمشاهدتها له قناعتها بأن كل شخص ينتظر في قرارة نفسه نهاية العالم).

على أية حال، فبعد مشاهدتها للفيلم في منتصف الليل، وحدها، شعرت أَوْمَامِه ببعض الرضا، فقد أصبحت لديها على الأقل فكرة عمّا يشعر به الرجل عندما تُسدد له ركلة في خصيتيه.

عقب تخرّجها من كلية التربية البدنية، أمضت أَوْمَامِه أربع سنوات في العمل لدى شركة تختص بصناعة المشروبات الرياضية والأطعمة الصحية. كانت عضواً أساسياً ضمن الفريق النسائي للشركة في لعبة «السوفتبول». كان الفريق يبلي بلاء حسناً واستطاع بلوغ دور ربع النهائي في البطولة الوطنية عدة مرات. رغم ذلك، فقد استقالت أَوْمَامِه من الشركة عقب شهر من وفاة تاماكي أوتسوكا، وهو ما مثّل نهاية لمسيرتها الرياضية في السوفتبول. وتلاشت مع ذلك أي رغبة ربما كانت لديها بشأن تلك اللعبة، وشعرت بالحاجة إلى بدء حياة جديدة. وبمساعدة صديق قديم، استطاعت العثور على وظيفة مدرِّبة في أحد الأندية الرياضية في حي 'هيرو ديستريكت' الراقي في طوكيو.

كانت أَوْمَامِه مسؤولة في المقام الأول عن حصص تمرينات العضلات والفنون القتالية. كان نادياً شهيراً ومقصوراً على الصفوة ويفرض رسومَ عضويةٍ ومستحقات باهظة، ويضمّ مشاهير كُثر بين أعضائه. وقد قدَّمت أَوْمَامِه حصصاً عديدة في مجال تخصصها، ألا

وهو طرق الدفاع عن النفس لدى المرأة. صنعت دمية كبيرة محشوة بالقماش على هيئة رجل، وخاطت قفازاً أسود في منطقة مغبن الفخذ كي تقوم مقام الخصيتين، وبدأت تقدِّم لأعضاء النادي من الإناث تدريباً دقيقاً حول كيفية تسديد الركلة في تلك المنطقة. وإمعاناً في الواقعية، فقد قامت بحشو القفاز بكرَتي سكواش. وكان على النساء ركل هذا الهدف سريعاً ودون رحمة وعلى نحو متكرِّر. كثيرات منهن تلذَّذن للغاية لدى أدائهن هذا التمرين، وحقَّقن تحسناً ملحوظاً في مهاراتهن، ولكن آخرين، (ولا سيما الرجال، بطبيعة الحال) نظروا إلى المشهد بامتعاض وشكوها إلى إدارة النادي متهمين إياها بتجاوز الحدود. ونتيجة ذلك، استدعيت أَوْمَامِه وأُمرت بإيقاف تمرين ركل الخصيتين.

لكنها احتجَّت قائلة: «إذا تحدثنا بواقعية، رغم ذلك، فإنّ من المستحيل على النساء حماية أنفسهن من الرجال دون اللجوء إلى ركلة في الخصيتين. فمعظم الرجال أضخم وأقوى بنية من النساء. والفرصة الوحيدة لدى المرأة هي توجيهها لضربة سريعة للخصيتين. وقد عبَّر عن ذلك ماو تسي تونغ أحسن تعبير: حدِّد نقطة الضعف لدى خصمك وبادر بالهجوم موجِّهاً ضربة مركّزة. إنها الفرصة الوحيدة التي يمكن من خلالها لمجموعة مسلحة غير نظامية أن تهزم جيشاً نظامياً».

لم يستسغ المدير دفاعها المحموم، فقال وقد قطب جبينه: «إنك تعرفين تماماً أننا أحد الأندية القليلة الراقية فعلاً في المدينة. معظم أعضائنا من المشاهير. علينا أن نصون مكانتنا في شتى جوانب التشغيل. صورتنا ذات أهمية بالغة. لا يهمني السبب الذي يجعلك تقدمين هذه التمارين، لا يليق أن يكون لدينا مجموعة من الفتيات في سنّ الزواج يقُمن بركل دمية في منطقة انفراج الساقين وهنّ تزعقن

بأعلى أصواتهن. لدينا بالفعل حالة واحدة على الأقل سحب فيها عضو محتمل كان يقوم بجولة داخل النادي طلب عضويته بعد مشاهدته لحصتك مصادفة. لا يهمني ما قاله ماو تسي تونغ - أو جنكيز خان، في تلك المسألة: إن مشهداً من ذلك القبيل سوف يكون مدعاة للقلق والضيق والغضب لدى معظم الرجال».

لم تشعر أَوْمَامِه بذرة ندم كونها أثارت القلق والضيق والغضب لدى أعضاء النادي من الرجال. فمثل هذه المشاعر السلبية لا تساوي شيئاً إذا ما قورنت بالألم الذي تتعرَّض له ضحية من ضحايا الاغتصاب. مع ذلك لم يكن بوسعها أن تتحدى أوامر مديرها، ولذلك اضطرّت إلى خفض مستوى العدوانية في حصصها الخاصة بالدفاع عن النفس. أصبح محظوراً عليها أيضاً استخدام الدمية. ونتيجة ذلك، أصبحت تدريباتها فاترة وأكثر رسمية. لم تكن أَوْمَامِه نفسها راضية عن ذلك، وأثار ذلك اعتراض عضوات كثيرات، ولكن كونها موظفة، لم يكن بيدها شيء.

كانت أَوْمَامِه ترى أنها إن عجزت عن توجيه ركلة ناجعة إلى الخصيتين عندما يهاجمها رجلٌ بشراسة، فلن يكون لديها سوى القليل الذي تفعله. ففي خضم الاشتباك الفعلي، كان مستحيلاً تقريباً أن تنفِّذ حركات عالية المستوى مثل الإمساك بذراع الخصم وليِّها خلف ظهره. فذلك لم يكن يحدث سوى في عالم الأفلام. وسيكون الأجدر بالمرأة أن تلوذ بالفرار وتنأى عن الاشتباك عوضاً عن محاولتها تنفيذ تلك الحركة الصعبة.

وعلى كلٍّ، كانت أَوْمَامِه تتقن عشر حركات منفصلة على الأقل لركل الرجال في الخصيتين، بل لقد بلغ بها الأمر أن أصبح لديها العديد من الشباب الذين التقتهم خلال دراستها في الكلية والذين

ارتدوا واقيات وسمحوا لها بأن تتمرّن عليهم. وقد صرخ أحدهم من الألم قائلاً: «إن ركلاتك تؤلم حقاً، حتى في ظلّ وجود الواقي. كَفى، أرجوك!» وكانت تدرك أنه إذا لزم الأمر، فإنها لن تتردد أبداً في تطبيق حركاتها المتطورة في الاشتباك الفعلي. وكانت تقول في نفسها، **إذا كان هناك مجنون سوَّلت له نفسه أن يهاجمني، فسوف أريه نهاية العالم - عن قرب. سوف أجعله يرى بعينيه الملكوت قادماً. سوف أرسله مباشرة إلى النصف الجنوبي من الكرة الأرضية وأترك رماد الموت ينهال فوقه وفوق الكنغارو والولاوب.**

بينما كانت تتأمل في مجيء الملكوت، جلست أَوْمَامِه إلى بار الحانة ترشف رشفات قليلة من مشروبها 'توم كولينز'. كانت تنظر في ساعة يدها من حين إلى آخر، متظاهرة بأنها هناك للقاء شخص ما، لكنها لم تكُن على موعد مع أحد في واقع الأمر. وإنما كانت تترقب وحسب شخصاً مناسباً بين رواد الحانة. أشارت ساعتها إلى الثامنة والنصف. كانت ترتدي قميصاً أزرق فاتح أسفل سترة بنية داكنة من ماركة 'كلفين كلاين' وتنورة قصيرة زرقاء. لم تكن كسارة الثلج المصنوعة يدوياً بحوزتها اليوم. كانت ترقد بسلام، ملفوفة في منشفة داخل جارور تسريحتها في المنزل.

كانت هذه الحانة الكائنة في حي رابونجي معروفة بتردُّد العزاب عليها. يأتونها لاصطياد العازبات - أو العكس. وكثير من هؤلاء كانوا أجانب. روعي في تصميم الحانة أن تشبه مكاناً لعلّ همنغواي قد تسكع فيه وهو في جزر البهاما. فهناك سمكة سيف محنطة وقد علِّقت على الحائط، فيما تتدلى من السقف شِباك صيد السمك. وتوجد صور كثيرة لأشخاص التقطوا صوراً مع سمكة عملاقة

استطاعوا الإمساك بها، ولوحة لهمنغواي. بابا همنغواي السعيد، لكن رواد الحانة الذين يأتونها لا يعنيهم على ما يبدو أنّ المؤلف قد عانى إدمان الكحول ثم انتحر ببندقية صيد لاحقاً.

راود رجال عديدون أَوْمَامِه ذلك المساء، لكن أحداً منهم لم يرُق لها. دعاها طالبان جامعيَّان بدت عليهما علامات الطيش والانفلات، ولكنها لم تأبه بدعوتهما. ورداً على موظف في شركة يناهز الثلاثين من عمره وله عينان مخيفتان، قالت إنها على موعد مع شخص وصدّته صدوداً. لم يكن يروق لها الشباب وحسب. فقد كانوا شديدي العدوانية ويحظون بثقة عالية في النفس، وليس لديهم ما يتحدثون عنه، وكل ما يخوضون فيه يبعث على الضجر. وأما في الفراش، فيسلكون مثل حيوانات وليس لديهم أدنى فكرة عن المتعة الحقيقية لممارسة الجنس. ولذلك كانت تُؤثِر الرجال ممّن بلغوا أواسط أعمارهم ويعانون إرهاقاً بسيطاً، وهي تفضل أن يكونوا في بداية الصلع. ويجب أن يتَّسموا بالنظافة، وألا يحملوا أدنى أثر للابتذال، وأن يكون لديهم رؤوس حسنة الشكل. لم يكن العثور على رجال بهذه المواصفات أمراً ميسوراً، لكنها كانت تُضطر لتقديم تنازلات.

بعد أن أجالت نظرها في المكان، أطلقت أَوْمَامِه زفرة صامتة. لماذا لا يوجد هنا سوى قلة قليلة من «الرجال المناسبين»؟ لاح بخاطرها شون كونري. ما إن تخيَّلت شكل رأسه حتى دهمها خفقان بسيط. **لو أن شون كونري يظهر فجأة هنا، فسوف أفعل المستحيل كي يصبح لي. بالطبع ليس ثمة سبيل لأن يطل شون كونري في حانة عزاب تقع في حي روبونجي وتشبه زيفاً حانات البهاما.**

وعلى شاشة تلفزيون كبيرة علقت على حائط الحانة، كانت فرقة 'كوين' الموسيقية تؤدي. لم تكن أَوْمَامِه تحب موسيقى فرقة 'كوين'

كثيراً. بذلت كلّ ما بوسعها كي تتحاشى النظر في ذلك الاتجاه. وحاولت بشدة ألا تصغي إلى الموسيقى المتدفقة من مكبرات الصوت. بعد أن انتهى مقطع الفيديو الخاص بفرقة 'كوين'، بدأ عرض لفرقة «آبا» الموسيقية. **اللعنة، هذا غير ممكن. نفسي تحدثني بأنها سوف تكون ليلة سيئة.**

التقت أَوْمَامِه الأرملة الثرية صاحبة 'بيت الصفصاف' في النادي الرياضي حيث عملها. كانت المرأة مسجّلة ضمن حصة الدفاع عن النفس التي تقدِّمها أَوْمَامِه، وهي الحصة التي لم تدُم طويلاً وانصبّ التركيز فيها على ركل الدمية. كانت امرأة ضئيلة الجسم، وأكبر المُسجَّلات سناً في الحصة، ولكنها كانت تتمتع بخفة الحركة وتوجِّه ركلات قوية. **إذا وقعت في مأزق، فأنا واثقة بأنها تستطيع ركل خصمها في خصيتيه دون أدنى تردُّد. إنها لا تتحدث مطلقاً بأكثر ممّا يقتضيه الحال، وإذا تحدثت فهي لا تعرف اللف أو الدوران.** وذلك هو ما أحبته أَوْمَامِه فيها. وعقب انتهاء الحصة، قالت المرأة لأَوْمَامِه بابتسامة هادئة: «في عُمري هذا، ليس هناك حاجة ماسة للدفاع عن النفس».

لكن أَوْمَامِه ردَّت عليها: «ليس للعمر صلة بذلك. الأمر يتوقف على الكيفية التي تعيشين بها حياتك. المهم هو أن تكوني دائماً جادّة إلى أقصى مدى بشأن حماية نفسك. لا يمكنك الذهاب إلى أيّ مكان إذا استسلمت لفكرة أنك قد تتعرضين لاعتداء. لأن العجز المزمن ينخر في الشخص».

صمتت الأرملة الثرية برهة، مكتفية بالنظر في عيني أَوْمَامِه. بدا أن كلمات أَوْمَامِه أو نبرة صوتها قد تركت أثراً قوياً لديها. أومأت

بجدية، وأردفت: «أنت محقة. أنت محقة تماماً. من الواضح أنك فكرتِ كثيراً في هذه المسألة».

وعقب بضعة أيام، تلقَّت أَوْمَامِه مظروفاً تُرك لها في مكتب الاستقبال بالنادي. وبداخله وجدت أَوْمَامِه رسالة قصيرة كتبت بخط يدوي جميل وتحتوي عنوان الأرملة ورقم هاتفها. وقالت الرسالة: «أُدرك أنك في غاية الانشغال، ولكني سأكون ممتنة إن سمعتُ صوتكِ عندما تسنح لك فرصة».

ردّ رجل ما على الهاتف - على ما يبدو، سكرتير. عندما عرَّفت أَوْمَامِه بنفسها، قام بتحويلها إلى رقم دون أن ينبس بكلمة. جاءت الأرملة على الخط وشكرتها على اتصالها. وقالت: «لولا أن أُثقل عليك كثيراً، لدعوتك لعشاء خارج المنزل. أودّ أن أتحدث معك حديثاً جميلاً ومطولاً، لا يضم سوى كلينا فقط».

قالت أَوْمَامِه: «بكل سرور».

«ما رأيك في ليلة غد؟».

لم يكن ثمة ما يعوق أَوْمَامِه عن ذلك، ولكنها تساءلت عمّا يمكن لهذه العجوز الأنيقة أن تُحدِّث شخصاً مثلها بشأنه.

تناولتا العشاء في مطعم فرنسي في منطقة هادئة من حيّ أزابو. بدا واضحاً أنّ الأرملة تتردّد على المطعم منذ زمن. فقد اختار لها النادل واحدة من أفضل الطاولات في آخر المطعم، وكانت على ما يبدو تعرف النادل العجوز الذي قدّم لهم خدمة مميزة. كانت تلبس ثوباً جميل التصميم لونه أخضر باهت ولا رسوم فيه (ربما يكون من تصميم «جيفنشي» في ستينيات هذا القرن) وقلادة من الأحجار الكريمة. في منتصف الطعام، جاءهم مدير المطعم وقدم لها أجلَّ التحيات. هيمن النمط النباتي على معظم ما تضمّه قائمة الطعام، فيما اتّسمت

المنكهات بالروعة والبساطة. ومصادفة، كان حساء اليوم هو بازلاء خضراء، كما لو أن ذلك تكريماً لأَوْمَامِه. احتست الأرملة كوباً من نبيذ «شابلي»، ورافقتها أَوْمَامِه في ذلك. لم يكن النبيذ يقلّ روعة وبساطة عن الطعام. طلبت أَوْمَامِه قطعة سمك أبيض مشوية، أما الأرملة فلم تطلب سوى خضروات. كانت تتناول الخضروات بطريقة جميلة، تشبه عملاً فنياً. وقالت: «عندما تصبحين في مثل عمري، سوف يمكنك العيش على أقلّ القليل من الطعام». وأضافت شبه مازحة: «لكنه بالطبع أفضل طعام موجود».

كانت تريد من أَوْمَامِه أن تصبح مدرِّبتها الشخصية، وتعلمها الفنون القتالية في المنزل يومين أو ثلاثة من كل أسبوع. وإن أمكن أيضاً، كانت تريد أن تساعدها أَوْمَامِه في مدّ العضلات.

قالت أَوْمَامِه: «أستطيع ذلك بالطبع، ولكن عليك أن تتقدمي بطلب تدريب شخصي خارج القاعة الرياضية عبر مكتب استقبال النادي».

قالت الأرملة: «حسناً، ولكن دعينا نضع جدول الساعات مباشرة. من المؤكد أن دخول آخرين في الأمر سيحدث إرباكاً أود تفاديه. هل يناسبك ذلك؟».

«يناسبني تماماً».

قالت الأرملة: «إذن، نبدأ من الأسبوع القادم».

كان ذلك هو ما تطلَّبه إبرام الاتفاق.

قالت الأرملة: «تأثرت كثيراً بما قلتِه في قاعة التدريب ذاك اليوم. بشأن العجز. وحول الضرر الذي يلحقه العجز بالناس. هل تذكرين؟».

أومأت أَوْمَامِه: «نعم».

«هل تسمحين لي بسؤال؟ إنه سؤال مباشر جداً. حفاظاً على الوقت».

قالت أَوْمَامِه: «اسألي ما تشائين».

«هل أنت مناصرة للمرأة، أو سحاقية؟».

احمرّت وجنتا أَوْمَامِه قليلاً وهزت رأسها: «لا أظن ذلك. أفكاري حول هذه الأمور أفكار شخصية للغاية. لست مناصرة للمرأة عن عقيدة، ولست سحاقية».

قالت الأرملة: «هذا أمر طيب». وكما لو أنها شعرت بارتياح، رفعت إلى فمها بأناقة شوكة ملآنة بالبروكلي، وراحت تمضغ بأناقة، ثم ارتشفت رشفة صغيرة من النبيذ. وقالت: «حتى إذا كنتِ مناصرة للمرأة أو سحاقية، فلن يضايقني البتة. ولن يؤثر على أي شيء. ولكن كونك لست هذه أو ذاك، إذا جاز لي القول، سوف يجعل تواصلنا معاً أسهل. هل تفهمين ما أحاول قوله؟».

قالت أَوْمَامِه: «أجل».

كانت أَوْمَامِه تذهب مرتين أسبوعياً إلى مجمع الأرملة لتدريبها على الفنون القتالية. يوجد لدى الأرملة مكان فسيح للتدريب ومحاط بالمرايا جرى بناؤه قبل سنوات لأجل دروس رقص الباليه التي كانت تتلقاها ابنتها الصغيرة، وهناك أدت هي وأَوْمَامِه تمارينها المنتقاة بعناية. قياساً إلى عمرها، فقد كانت الأرملة تتمتع بقدرٍ عالٍ من المرونة العضلية، وتحرز تقدماً سريعاً. كانت ذات جسم ضئيل، ولكنه جسم ظلّ يحظى بالرعاية على مدار سنوات العمر. علمتها أَوْمَامِه أيضاً أساسيات مدّ العضلات المنتظم، وقامت بتدليكها لإرخاء عضلاتها.

تمتلك أَوْمَامِه مهارة خاصة في تدليك الأنسجة العميقة. فخلال دراستها في كلية التربية الرياضية، كانت تحقق علامات لم يبلغها أحد سواها، حتى إن أسماء العظام والعضلات جميعها التي تؤلف الجسم البشري كانت منقوشة في ذهنها. فهي تعرف وظيفة كل عضلة وخصائصها، بما في ذلك كيفية زيادة صلابتها والحفاظ عليها. كانت أَوْمَامِه تؤمن إيماناً راسخاً بأنّ الجسم البشري مثل المعبد، يجب إبقاؤه قوياً وجميلاً ونظيفاً قدر الإمكان، أياً كان ما يحفظه الإنسان داخله.

ولعدم قناعتها بالطب الرياضي العادي، تعلمت أَوْمَامِه طريقة العلاج بالإبر الصينية كهواية شخصية، وظلت تتلقى على مدى سنوات تدريباً رسمياً على أيدي طبيب صيني. ولإعجابه بما تحرزه من تقدُّم سريع، أخبرها الطبيب بأنها اكتسبت من المهارات ما يؤهلها وزيادة لاحتراف هذا الاختصاص. كانت تحظى ببديهة سريعة في التعلم، ولديها تعطش لا ينطفئ لاكتساب معرفة مُفصَّلة عن وظائف الجسم البشري. ولكن فوق كل شيء، كانت تمتلك أنامل وُهبت من خلالها حاسة سادسة تكاد تبعث على الخوف. وكما أن بعض الناس لديه أذن مرهفة للنغمات المميزة أو القدرة على العثور على عروق المياه الجوفية، فإن أنامل أَوْمَامِه بمقدورها أن تتبين من فورها النقاط المراوغة في الجسم التي تؤثر على وظائفه. لم يكن ذلك شيئاً تعلمته على أيدي أحد، وإنما اكتسبته بالفطرة.

لم ينقضِ وقت طويل حتى أضحت أَوْمَامِه والأرملة تتابعان حصص التدريب والتدليك وهما يتجاذبان أطراف الحديث على كوب من الشاي. كان تامارو يجلب دائماً أدوات الشاي موضوعة على صينية من فضة. لم يحدث قطّ أن تلفظ بكلمة في حضرة أَوْمَامِه خلال

الشهر الأول، وهو ما دفع أَوْمَامِه لأن تسأل الأرملة إن كان تامارو لا يستطيع الكلام.

وذات مرة، سألت الأرملة أَوْمَامِه إن كانت قد لجأت إلى ركل الخصيتين خلال موقف حقيقي للدفاع عن النفس.

أجابتها أَوْمَامِه: «مرة واحدة فقط».

سألتها الأرملة: «وهل أفادتك؟».

أجابت أَوْمَامِه، بحذرٍ وإيجاز: «حقَّقت الغاية المرجوة».

«هل تعتقدين أنها يمكن أن تفيد مع تامارو؟».

هزت أَوْمَامِه رأسها: «ربما لا. إنه يدرك مثل هذه الحركات. إذا كان الشخص الآخر لديه القدرة على استقراء حركاتك، فليس أمامك مخرج. فركلة الخصيتين تفعل مفعولها مع الهواة الذين يفتقرون إلى خبرات فعلية في الاشتباك الحقيقي».

«بعبارة أخرى، فأنت تُقرين بأن تامارو ليس هاوياً».

صمتت أَوْمَامِه هنيهة ثم قالت: «كيف أعبِّر عن ذلك؟ إنه صاحب حضور خاص. وليس شخصاً عادياً».

أضافت الأرملة بعض القشدة إلى كوب الشاي الخاص بها ثم قلَّبته ببطء.

«إذن الرجل الذي قمت بركله تلك المرة كان هاوياً، على ما أظنّ. هل كان ضخم البنيان؟».

أومأت أَوْمَامِه لكن دون أن تقول شيئاً. كان رجلاً قوي البنيان ويبدو قوياً. ولكنه كان متعجرفاً، وتخلى عن حذره مع امرأة عزلاء. لم يكن قد تعرَّض في حياته لركلة في خصيتيه من امرأة، ولم يتخيل قط أنّ مثل ذلك الشيء قد يحدث معه.

سألتها الأرملة: «هل أصيب بأي جروح إثر ذلك؟».

قالت أَوْمَامِه: «لا، لا جروح. كلّ ما هنالك هو ألم مبرح تملكه مدَّة».

صمتت الأرملة هنيهة. ثم سألت: «هل سبق أن اعتديتِ على رجل من قبل؟ ليس جعله يتألم وحسب وإنما إصابته إصابة متعمدة؟».

أجابت أَوْمَامِه: «أجل، فعلت». لم يكن من طبيعتها الكذب.

«هل يمكنك الحديث عن ذلك؟».

هزت أَوْمَامِه رأسها هزة تكاد لا تلحظ: «معذرة، ولكنه ليس شيئاً أستطيع الحديث عنه بسهولة».

قالت الأرملة: «بالطبع إنه ليس كذلك. حسناً. ليس هناك داعٍ لأن ترغمي نفسك على ذلك».

احتسيتا الشاي في صمت، كلّ منهما مستغرقة في أفكارها.

وأخيراً، قطعت الأرملة الصمت: «ولكن عندما ترغبين في الحديث عن ذلك، هل تستطيعين أن تخبريني بما جرى عندئذٍ؟».

قالت أَوْمَامِه: «ربما أستطيع ذات يوم. أو ربما لن أستطيع أبداً. صدقيني، أنا نفسي لا أدري».

سدَّدت الأرملة نظرة مباشرة نحو أَوْمَامِه. ثم قالت: «ليس مجرد الفضول هو ما يدفعني لهذا السؤال».

ظلَّت أَوْمَامِه على صمتها.

«حسبما أرى، فإنك تخفين شيئاً ما في أعماقك. شيئاً ثقيلاً. استشعرت ذلك منذ أول لقاء جمعني بك. لديك تحديقة قوية، تجعلك تبدين وكأنك قد عزمت أمرك على شيء. والحق أقول، أنا نفسي أحمل مثل تلك الأشياء في داخلي. أشياء ثقال. وذلك هو ما يمكّنني من رؤيتها داخلك. ليس هناك من داعٍ لأن تتعجلي، ولكنك سوف

تصبحين أفضل حالاً، في وقت ما، إن أفصحت من تلقاء نفسك عمّا في مكنونك. أهم صفة تميِّزني على الإطلاق هي كوني كتومة، ولدي العديد من الأدوات العملية رهن تصرفي. إذا سارت الأمور على ما يرام، فقد أصبح عوناً لك».

لاحقاً، وعندما أفصحت أَوْمَامِه أخيراً عمّا في مكنونها للأرملة، كانت تفتح أيضاً باباً جديداً في حياتها.

* * *

«أنت يا، ماذا تشربين؟» سأل شخص ما أَوْمَامِه وقد اقترب من أذنها. كان الصوت لامرأة.

رفعت أَوْمَامِه رأسها ونظرت إلى صاحبة الصوت. كانت شابة تعكص شعرها على هيئة ضفيرة من حقبة الخمسينيات وتجلس على مقعد البار المجاور. كانت ترتدي ثوباً نقشت عليه ورود صغيرة، وتحمل حقيبة من نوع «غوتشي» تعلِّقها في كتفها. كانت أظافرها مطلية بالزهري الفاتح. ولأنها كانت بدينة بكل المقاييس، فقد كانت مستديرة في كلّ مناطق جسمها، بما في ذلك وجهها، الذي كان يشعّ دفئاً صادقاً حقيقياً، وكانت ذات نهدين كبيرين.

انتابت أَوْمَامِه بعض الدهشة. لم يخطر ببالها أن تراودها امرأة. ففي هذه الحانة يراود الرجال النساء.

قالت أَوْمَامِه: «كوكتيل توم كولينز».

«هل هو جيد؟».

«ليس بدرجة كبيرة. ولكنه ليس معتَّقاً، وبوسعي أن أشربه».

«لا أدري لماذا يسمونه 'توم كولينز'».

قالت أَوْمَامِه: «لا أدري. لعلّ ذلك هو اسم مخترعه. ليس معنى ذلك أنه اختراع مبهر».

أشارت المرأة إلى النادل وقالت: «سوف أشرب توم كولينز أنا الأخرى». بعد بضع لحظات، جاءها شرابها.

سألتها: «هل تمانعين إن جلست هنا؟».

«على الإطلاق. إنه مقعد خالٍ». **وأنت تجلسين عليه بالفعل،** قالت أَوْمَامِه في نفسها دون أن تنطق بالكلمات.

سألتها المرأة: «ليس لديك مواعدة مع أحد هنا، أليس كذلك؟».

بدلاً من الجواب، راحت أَوْمَامِه تمعن النظر في قسمات وجه المرأة. قدرت أنّ المرأة تصغرها بثلاث سنوات أو أربع.

همست المرأة وكأنها تكشف لها سراً: «لا داع للقلق، لا أسعى لما لاح في خاطرك. إذا كان ذلك هو ما يقلقك. أنا أفضل الرجال أيضاً. مثلك».

«مثلي؟».

«حسناً، ألست هنا كي تجدين رجلاً؟».

«هل يبدو عليّ ذلك؟».

ضيقت المرأة حدقتيها نوعاً ما: «إنه واضح جداً. هذه هي الغاية التي وُجِد لأجلها هذا المكان. وأستطيع التخمين أن كلتينا ليستا عاهرتين».

قالت أَوْمَامِه: «بالطبع، لست كذلك».

«حسناً، لدي فكرة. لماذا لا نتَّحد معاً؟ ربما كان أسهل على رجل أن يبادئ امرأتين بالكلام عمّا لو كانت واحدة. ويمكننا أن نصبح أكثر اطمئناناً ونشعر بأمان أكبر طالما كنا معاً بدلاً من أن تكون كل منا بمفردها. إننا نبدو مختلفتين، أيضاً - قوامي من النوع

الأنثوي، أما أنت فقوامك ممشوق وصبياني - أنا واثقة أننا ثنائي جيد».

قالت أَوْمَامِه في نفسها، **صبياني. هذه هي المرة الأولى التي يصفني فيها أحدهم بهذا الوصف.** وقالت: «لكن مع ذلك، ربما تتباين ميولنا نحو الرجال. كيف لذلك أن ينجح إن أصبحنا «ثنائياً»؟».

زمَّت المرأة شفتيها وراحت تفكِّر: «صحيح، ولكن ها أنت أتيت على ذكر ذلك. الميل نحو الرجال، أليس كذلك؟ أي صنف تفضلين؟».

قالت أَوْمَامِه: «هؤلاء الذين في منتصف أعمارهم إنْ أمكن. لا أميل كثيراً إلى الشباب الصغير. أرغب في الرجال عندما يكون شعرهم قد بدأ لتوه يتساقط».

«رائع. فهمتك. رجل في منتصف العمر، أليس كذلك؟ أما أنا فأميل إلى الشباب الغض وحسن المنظر. لا أجد لدي ميلاً كبيراً إلى الرجال في منتصف أعمارهم، ولكني مستعدّة لمسايرتك وتجربة ذلك. الأمر كله خبرة. هل الرجال في أواسط أعمارهم جيدين؟ أقصد، في الجنس».

قالت أَوْمَامِه: «يتوقف ذلك على الشخص».

أجابت المرأة: «بالطبع». ثم ضيَّقت حدقتيها، كما لو أنها تتحقق من صدق نظرية ما: «لا يمكنك التعميم بشأن الجنس بطبيعة الحال، ولكن إنْ كان عليك أن تتحدثي بصفة عامة. . .».

«إنهم ليسوا سيئين. لقد نفد ما لديهم من وقود بالفعل، ولكنهم عندما يمارسون الجنس، فإنهم يمارسونه على مهل. لا يتعجلون. النوع الجيد منهم يجعلك تصلين للنشوة مرات ومرات».

أطرقت المرأة تفكر في ذلك بعض الوقت: «حسناً، ربما أتحمَّس لذلك. يمكنني أن أجربهم».

«ينبغي لك ذلك!».

«وأنت، هل جربت جنساً رباعياً؟».

«مطلقاً».

«وأنا أيضاً، لم أجرب ذلك. هل أنت مهتمة بذلك؟».

قالت أَوْمَامِه: «لا على الأرجح. لا أمانع أن نشكِّل ثنائياً، ولكن إذا كنا سنؤدي عملاً معاً، حتى ولو مؤقتاً، هل يمكنك أن تحدثيني قليلاً عن نفسك؟ لأننا ربما نكون مختلفتين تماماً في الشخصية».

قالت: «فكرة جيدة. إذن، ما الذي تريدين معرفته عني؟».

«حسناً، أول شيء، هو ما هو نوعية العمل الذي تؤدينه؟».

أخذت المرأة رشفة من شرابها 'توم كولينز' وأعادته إلى الصينية. جففت شفتيها بمنديل ورقي. ثم راحت تدقق النظر في بقع أحمر الشفاه التي علقت بالمنديل.

قالت: «هذا الشراب طيب المذاق. إنه يحوي قاعدة كحولية، أليس كذلك؟».

«جن وعصير ليمون وماء صودا».

«صحيح، إنه ليس اختراعاً كبيراً، ولكنه طيب المذاق للغاية».

«يسرّني أن أسمع ذلك».

«إذاً، أي نوع من العمل أمارسه؟ سؤال صعب نوعاً ما. حتى إنْ أخبرتك بالحقيقة، فربما لن تصدقيني».

قالت أَوْمَامِه: «سوف أبدأ بنفسي أولاً. أنا مدربة في نادٍ رياضي. أُعلِّم الفنون القتالية في أغلب الأوقات. ومدّ العضلات أيضاً».

اندهشت المرأة: «فنون قتالية! مثل بروس لي وهذه الحركات؟».

«إلى حدٍّ ما».

«هل تجيدين ذلك؟».

«أجل».

ابتسمت المرأة ورفعت كوبها وكأنها تشرب نخبها. «إذاً، لو وقعنا في مأزق، ربما نُشكل معاً ثنائياً لا يُقهر. ربما لا يبدو عليّ ذلك، ولكني مارست الآيكيدو على مدى سنوات. وكي أصدقك القول، فأنا شرطية».

فغرت أَوْمَامِه فمها، ولكن دون أن تنبس بكلمة: «شرطية؟!».

«إدارة شرطة العاصمة في طوكيو. لا يبدو عليّ ذلك، أليس كذلك؟».

«قطعاً، لا يبدو عليك ذلك».

«صحيح. تماماً. اسمي أيومي».

«وأنا أَوْمَامِه».

«أَوْمَامِه. هل هذا هو اسمك الحقيقي؟».

أومأت أَوْمَامِه لها إيماءة خفيفة، ثم قالت: «شرطية؟ تقصدين أنك ترتدين زياً وتحملين مسدساً وتستقلين سيارة شرطة وتجوبين الشوارع؟».

قالت أيومي: «ذلك هو ما أودّ فعله. وذلك هو ما التحقت بقوة الشرطة لعمله. ولكنهم لا يسمحون لي». تناولت حفنة من البسكويت المملح من وعاء بالقرب منها وبدأت تمضغها بصوت واضح: «إنني أرتدي زياً يثير السخرية، وأركب إحدى سيارات الدوريات الصغيرة - هي في الأصل، سكوتر بمحرك - وأُحرِّر مخالفات ركن السيارات

طول اليوم. لا يُسمح لي بحمل مسدس، بالطبع. ليس هناك ما يدعو لأن أطلق طلقات تحذيرية لمواطن ركن سيارة «تويوتا كورولا» أمام مضخة مياه للحريق. حصلتُ على علامات رائعة في تدريبات الرماية، ولكن أحداً لم يأبه لذلك. لمجرد كوني امرأة، جعلوني أطوف الشوارع حاملة قطعة من الطباشير مثبتة في عصا، كي أدون الوقت ورقم لوحة الرخصة على الإسفلت يوماً وراء يوم».

«بمناسبة المسدسات، هل تستطيعين استخدام مسدس نصف آلي من نوع بريتا؟».

«بالتأكيد. كل المسدسات الآن من نوع بريتا. إنها أثقل قليلاً عليّ. عندما تكون محشوة بالطلقات بشكل كامل، فإنها تزن غالباً قرابة الكيلو غرام».

قالت أَوْمَامِه: «إنّ جسم مسدس البريتا وحده يزن 850 جراماً».

نظرت أيومي مباشرة إلى أَوْمَامِه وكأنها شخص يقرض مالاً وتُقيِّم ساعة يد كَرَهْنٍ ثم سألتها: «كيف تسنى لكِ أن تعرفي شيئاً من هذا القبيل؟».

قالت أَوْمَامِه: «كنت دائمة الاهتمام بالمسدسات. لكني بطبيعة الحال، لم أستخدم أيها قط في إطلاق نار».

بدت أيومي مقتنعة: «حقاً؟ لدي اهتمام خاص بالرماية بالمسدسات. صحيح أن مسدسات البريتا معروفة بثقل وزنها، ولكن قوة ارتدادها أقل من المسدسات الأقدم، وهو ما يسمح لأي امرأة ضئيلة الجسم باستخدامه بعد حصولها على قدر كافٍ من التدريب، لكن كبار القادة في الشرطة لا يصدقون ذلك. فهم مقتنعون بأنّ المرأة لا تستطيع استعمال مسدس. كل الضباط من ذوي الرتب العالية في الإدارة هم من الذكور الفاشيين المتعصبين. لقد حققت علامات فائقة

في استخدام هراوة الشرطة، أيضاً، وأتساوى مع معظم الرجال في ذلك على الأقل، ولكن لم أحظَ بأي تقدير. الشيء الوحيد الذي أسمعه منهم هو تلك العبارات المبهمة السفيهة. «فيقولون، إنك تعرفين حقاً كيف تمسكين بهراوة الشرطة. لا تتردَّدي في إبلاغي إذا ما أردت الحصول على مزيد من التدريب». وكلام من هذا القبيل. تحكمهم عقول متأخرة بقرن ونصف من الزمان تقريباً».

أخرجت أيومي علبة سجائر 'فرجينيا سليمز' من حقيبتها، وبحركة احترافية استلت سيجارة من العلبة، ووضعتها بين شفتيها، ثم أشعلتها بقداحة ذهبية صغيرة، وراحت تنفث الدخان على مهل باتجاه السقف.

سألتها أَوْمَامِه: «لكن ما الذي جعلك ترغبين في أن تكوني ضابط شرطة؟».

أجابت أيومي: «لم تكن لديّ نية لذلك قط. ولكني لم أشأ أن أؤدي عملاً مكتبياً عادياً، ولم أكن أمتلك أي مهارات مهنية. ممّا قلَّص بشدة من خياراتي. ولذلك تقدّمت في السنة الأخيرة من الكلية لاختبار يؤهلني لنيل وظيفة في شرطة العاصمة. وكثير من أقاربي رجال شرطة - والدي وأخي وأحد أعمامي. ولأن الشرطة هي مجتمع يقوم على المحسوبية بشكل أو بآخر، فمن السهل أن يُعين فيها المرء طالما كان له قريب بين رجال الشرطة».

«أسرة شُرَطية».

«تماماً، لكن مع ذلك، وإلى أن دخلتها فعلاً، لم أكن أدري شيئاً عن مدى تفشي التمييز بين الجنسين هناك. فضابطات الشرطة يعاملن تقريباً معاملة مواطنين من الدرجة الثانية في عالم الشرطة. ولا يُعهد إليهن إلا بوظائف من قبيل التعامل مع المخالفات المرورية أو ترتيب أوراق مكتبية أو تقديم حصص الأمان في المدارس الابتدائية أو إجراء

التفتيش الذاتي للمتهمات: وهي أعمال مملة! وفي الوقت ذاته، يجري إرسال الضباط الذكور ممّن هم، دون شك، أقلّ كفاءة مني إلى مسرح جريمة مثير تلوَ آخر. صحيح أنّ الضباط ذوي الرتب العليا يتحدثون عن 'تكافؤ الفرص بين الجنسين'، لكن كلّ ذلك لا يعدو كونه واجهة زائفة، ولا تقنع أحداً. إن ذلك يقتل بداخلك الرغبة في أن تؤدين عملاً حسناً. هل تفهمين قصدي؟».

قالت لها أَوْمَامِه إنها فهمتها.

«إن ذلك يجعلني أفقد صوابي تماماً!».

سألتها أَوْمَامِه: «أليس لديك صديق أو شخص من هذا القبيل؟».

قطبت أيومي جبينها. أخذت تحدق في السيجارة النحيفة التي بين أصابعها مدة وقالت: «قد يكون مستحيلاً أن تجد شرطية صديقاً. عندما تكون ساعات عملك غير منتظمة، يصعب عليكِ أن تتوافقي مع أي أحد يمارس عملاً عادياً له نهاية أسبوعية. وحتى إذا تغلبتِ على ذلك، فما يكاد أي شخص عادي يسمع بكونك شرطية، حتى ينطلق مسرعاً مثل سلطعون البحر وهو يهرب من الأمواج. كم هي وظيفة سيئة، ألا توافقيني؟».

وافقتها أَوْمَامِه قائلة إنها تراها وظيفة سيئة.

«وهو ما يجعل نشوء علاقة عاطفية في مكان العمل هو الاحتمال الوحيد الممكن - عدا أنه لا يوجد هناك رجال محترمون. فهم جميعاً حمقى فاقدو العقل وليس لديهم سوى النكات المبتذلة. وهم إما حمقى بالفطرة أو لا يفكرون إلا في الترقي. وهؤلاء هم الأشخاص المسؤولون عن أمن المجتمع! ليس لليابان مستقبل زاهر».

قالت أَوْمَامِه: «أعتقد أن شخصية جذابة مثلك ينبغي أن تكون محبوبة من الرجال».

«حسناً، لست مكروهة - طالما لم أكشف مهنتي. ولذلك في مكان مثل هذا أدّعي أني أعمل في شركة تأمين».

«هل تأتين إلى هنا كثيراً؟».

قالت أيومي: «ليس كثيراً. من حين إلى آخر». وبعد تفكيرها للحظة، قالت، وكأنما كانت تكشف سراً: «أشتاق للجنس من حين إلى آخر. وكي أكون صريحة، أريد رجلاً. وهذا يحدث بشكل دوري تقريباً. وعندئذٍ أرتدي وأتزين بأفضل ما لدي، وألبس ملابس داخلية مثيرة، ثم آتي إلى هنا. أعثر على شخص مناسب ثم نمضي الليلة معاً. يُهدِّئني ذلك مدّة. رغبتي في الجنس سليمة - لست شبقة أو مدمنة جنس، أو شيء من ذلك، وأصبح على ما يرام عندما أُخمد رغبتي. وهي لا تدوم. في اليوم التالي أجدني أعمل بجد مرة أخرى، وأقوم بإصدار مخالفات ركن السيارات. وماذا عنك؟».

أمسكت أَوْمَامِه بكوبها من شراب توم كولينز وأخذت رشفة: «مثلك تقريباً، على ما أظن».

«أليس لديك صديق؟».

«استقرّ رأيي ألّا أتخذ صديقاً. لا أريد ذلك العبء».

«أتعتبرين رجلاً واحداً عبئاً؟».

«تقريباً».

قالت أيومي: «ولكن أحياناً تجتاحني رغبة لا تُقاوم لممارسته».

أَوْمَامِه: «أفضل ذلك التعبير الذي استخدمتيه منذ دقيقة، 'أخمد الرغبة'».

أيومي: «وماذا عن 'قضاء أمسية بازخة'؟».

قالت أَوْمَامِه: «لا بأس بذلك أيضاً».

«على أية حال، يجب أن يكون لقاء ليلة واحدة، لا تتبعه أي لقاءات أخرى».

أومأت أَوْمَامِه.

واضعة كوعها على طاولة البار، أسندت أيومي ذقنها فوق يديها وراحت تفكر في ذلك مدة، ثم قالت: «ربما تجمعنا خصال كثيرة».

وافقتها أَوْمَامِه الرأي قائلة: «ربما ذلك». **عدا أنك شرطية فيما أقتل أنا الرجال. نحن نعمل في إطار وخارج القانون. أراهن أن ذلك يمثل فارقاً كبيراً.**

قالت أيومي: «دعينا نتفق على ذلك. كلتانا تعملان في شركة التأمين ضدّ الحوادث ذاتها، ولكن اسم الشركة سرّ. وأنت تسبقيني ببضع سنوات. لقد واجهتنا بعض المنغصات في المكتب اليوم، وهذا هو ما دفعنا للمجيء إلى هنا لدفن أحزاننا، ونحن الآن نشعر بتحسُّن كبير. ما رأيك في ذلك؟».

«جيد، عدا أنني لا أعرف شيئاً عن التأمين ضد الحوادث».

«دعي ذلك لي. أنا أجيد تأليف القصص».

قالت أَوْمَامِه: «إذاً الأمر كله متروك لك».

«والآن، هناك رجلان في منتصف عمرهما يجلسان إلى الطاولة الواقعة خلفنا مباشرة، وهما ينظران حولهما بعيون جائعة. هل يمكنك النظر نحوهما دون أن تُظهري رغبتك؟».

أخذت أَوْمَامِه تنظر خلفها نظرات عابرة كما طُلب منها. كانت توجد طاولة يجلس إليها رجلان في منتصف عمرهما ولا تفصلها عن بار الشراب سوى طاولة واحدة. كان كلاهما يرتدي بذة وربطة عنق، وكل منهما يشبه موظفاً في شركة جاء لاحتساء بعض الشراب بعد يوم عملٍ شاق. لم تكن بذّتاهما مجعدتين، ولم تكن ربطتا عنقيهما تنمان

عن ذوق سيئ. ولم يبدُ أن أحدهما على الأقل يفتقر إلى النظافة. ربما نافَ أحدهما على الأربعين، فيما الآخر لم يبلغها بعد. كان أكبرهما سناً نحيفاً وله وجه بيضوي وخط شعره آخذ في الانحسار. أما الأصغر فتوحي هيئته بأنه لاعب «رغبي» سابق وقد بدأ مؤخراً يزداد وزناً لعدم ممارسته الرياضة. محياه لا يزال يحتفظ بحيوية واضحة، ولكن بدأت بعض الشحوم تتراكم حول ذقنه. كانا يتجاذبان أطراف الحديث في جو من البهجة وهما يحتسيان الويسكي والماء، ولكن أعينهما كانت ولا شكّ تستطلعان المكان.

بدأت أيومي تُحللهما: «أستطيع القول بأنهما لم يعتادا مثل هذه الأماكن. لقد جاءا إلى هنا يتطلعان لقضاء وقت ممتع، ولكنهما لا يعرفان كيف يتوددان للفتيات. أغلب ظني أن كليهما متزوج. تبدو على محياهما مسحة من الشعور بالذنب».

أعجبت أَوْمَامِه بالقدرة الفائقة على الملاحظة لدى أيومي. لا بد أنها فهمت كل ذلك دون أن يشعر بها أحد وهي تتجاذب أطراف الحديث مع أَوْمَامِه. ربما كانت ثمة فائدة من كونها فرداً ضمن عائلة شُرطية.

سألتها أيومي: «صاحب الشعر المتقصف هو الأكثر ملائمة لذوقك، أليس كذلك؟ سآخذ أنا الآخر صاحب الجسم الممتلئ، اتفقنا؟».

نظرت أَوْمَامِه إلى الخلف مرة أخرى. بدا لها شكل الرأس لدى صاحب الشعر المتقصف مقبولاً تقريباً - ما زالت تفصله عن شون كونري سنوات ضوئية، ولكن يمكنه الحصول على درجة القبول. ليس بوسعها المبالغة في شروطها في مثل هذه الليلة، التي لا توجد بها سوى فرقة «كوين» و«إيه بي بي إيه» للاستماع إليهما.

قالت أَوْمَامِه: «موافقة. ولكن كيف ستجعلينهما يدعوانا للانضمام إليهما؟».

«لن نبقى في انتظار الشمس حتى تشرق، هذا من المؤكد! سوف نقتحم جلستهما، ونحن مبتسمتان».

«هل أنت جادة؟».

«بالطبع جادة! اتركي الأمر لي وحسب - سوف أذهب إليهما وأبدأ محادثة. انتظري هنا». ازدردت أيومي جرعة كبيرة من شرابها «توم كولينز» وفركت كفيها. ثم علقت حقيبتها التي تحمل علامة «غوتشي» ورسمت على وجهها ابتسامة عريضة.

«حسناً، حان الوقت لتمرين قصير على هراوة الشرطة».

.

الفصل الثاني عشر

تنغو

ليأتِ ملكوتك

التفت البروفيسور إلى فوكا-إري قائلاً: «معذرة إن أثقلت عليك، إري، ولكن هل يمكنك أن تُعدِّي لنا بعض الشاي؟».

نهضت الفتاة وغادرت غرفة الاستقبال. انغلق الباب من ورائها بهدوء. انتظر البروفيسور ولم يقل شيئاً، فيما ظلّ تنغو جالساً على الأريكة، بعدما استطاع ضبط إيقاع أنفاسه واستعاد وعيه الطبيعي. خلع البروفيسور نظارته ذات الإطار الأسود، ومسحها بمنديل لا يبدو أنه بالغ النظافة، ثم لبسها مرة أخرى. خارج النافذة، لمعَ جسم صغير أسود اللون عبر السماء. لعله كان طائراً أو لعلها كانت روحاً بشرية وقد زُجَّ بها إلى الجانب الآخر من العالم.

قال تنغو: «معذرة. أنا بخير الآن. على ما يرام. من فضلك واصل ما كنت تقوله».

أومأ البروفيسور وبدأ الكلام: «لم يتبقَّ شيء من أكيبونو بعد ذلك الاشتباك المسلّح العنيف. حدث ذلك في عام 1981، أي قبل ثلاث سنوات - وبعد أربع سنوات من قدوم إري للعيش هنا. ولكن ليس هناك صلة بين مشكلة أكيبونو وما سأخبرك به الآن.

كانت إري في العاشرة من عمرها عندما أَتَت للعيش معنا. ذات يوم جاءت تطرق بابنا دون سابق إنذار، وقد تغيرت تماماً عن إري التي كنت أعرفها. صحيح أنها لم تكن قط كثيرة الكلام، ولم تكن تستريح للغرباء، بيْدَ أنها كانت دائماً مُحبة لي وتتحدث معي بأريحية حتى وهي طفلة. لكنها عندما أتت إلى هنا أول مرة، لم تكن في حال تسمح لها بالحديث إلى أحد. كان يبدو أنها فقدت تماماً القدرة على الكلام. وكان أقصى ما تستطيعه هو أن تومئ برأسها أو تهزها عندما نوجه لها بعض الأسئلة».

أصبح البروفيسور يتحدث الآن بوضوح أكبر وبإيقاع أسرع. أحسّ تنغو أنه يحاول المضي قدماً في حكايته قبل عودة إري إلى الغرفة.

«كان بوسعنا أن ندرك أن إري قد تجشمت صعاباً بالغة كي تصل إلينا هنا وسط الجبال. كان بحوزتها بعض النقود وقصاصة ورقية دُوِّن عليها عنواننا، ولكنها كانت قد كبرت في تلك الأجواء المعزولة ولم تكن في واقع الأمر تستطيع الكلام. لكنها ومع ذلك، استطاعت بمساعدة الورقة التي في يدها، القيام بكل التنقلات اللازمة والوصول إلى عتبة بابنا.

أدركنا من فورنا أن ثمة مكروهاً قد أصابها. اعتنت بها أزامي والسيدة التي تقوم على خدمتنا هنا. وبعد مرور بضعة أيام على مكوثها معنا واستعادتها لبعض هدوئها، اتصلتُ بكومونة ساكي جاكِه وطلبت الحديث إلى فوكادا، ولكني أُبلغت بأنه 'ليس بوسعه الوصول إلى الهاتف'. سألت عن السبب الذي ربما يمنعه من ذلك، ولكن لم أتلقَّ جواباً. وعندئذٍ طلبت الحديث إلى مدام فوكادا، فأُبلغت بأنه ليس بوسعها الوصول إلى الهاتف. لم أستطع الحديث إلى أي منهما».

«هل أخبرتَ محدِّثك على الهاتف بأن إري معك؟».

هز البروفيسور رأسه: «لا، استشعرت أن الأجدر بي ألا أتحدث عن ذلك ما دمتُ لم أستطع الكلام مباشرة مع فوكادا. بالطبع حاولت مرات ومرات الوصول إليه لاحقاً عبر كلّ السبل الممكنة، ولكن دون جدوى».

قطب تنغو جبينه: «هل تقصد أنك على مدى سبع سنوات لم تستطع الوصول إلى والديها ولا مرة واحدة؟».

«أُدرك أن ذلك محير جداً. إري كانت فلذة كبد والديها اللذين أحباها حباً فاق حبهما أي شيء آخر. وإذا كان ثمة أحد تستطيع إري اللجوء إليه طلباً للعون، فهذا المكان هو ملاذها الوحيد. كان فوكادا وزوجته قد قطعا علاقاتهما بأسرتيهما، ولذلك كبرت إري دون أن تعرف أياً من أجدادها. ولم يكن بوسعها الذهاب إلى أحد سوانا، بل لقد أبلغها والداها بأن هذا هو المكان الذي عليها أن تقصده إن أصابهما مكروه. رغم ذلك، لم أسمع منهما ولو كلمة. شيء لا يُصدق».

سأل تنغو: «ألم تقُل من قبل أن ساكي جاكِه كانت كومونة مفتوحة؟».

«قلت ذلك فعلاً. لقد ظلت كومونة ساكي جاكِه دائماً كومونة مفتوحة منذ إنشائها، ولكنها بدأت قبل وقت وجيز من هروب إري تنتهج تدريجياً سياسة العزلة عن الخارج. أدركت ذلك أول مرة عندما قلَّت وتيرة تواصل فوكادا معي. لقد ظلَّ دائماً حريصاً على موافاتي عبر رسائل مطولة بما يجري داخل الكومونة أو بأفكاره ومشاعره إزاء ما يجري. فجأة انقطعت رسائله، ولم أعُد أتلقى أيّ ردود على رسائلي. حاولت الاتصال به عبر الهاتف، ولكنهم لم يسمحوا له قط بالرد على اتصالاتي. وفي المرات القليلة التي سمحوا له بذلك، دار

بيننا حوار بالغ الاقتضاب والإيجاز. كان فوكادا فظاً في كلامه معي، كما لو أنه يدرك أن أحداً يتنصَّت علينا».

ضرب البروفيسور على ركبتيه بكفيه.

«لقد ذهبت بنفسي إلى ساكي جاكِه بضع مرات. أردتُ الحديث إلى فوكادا بشأن إري، ولأن رسائلي أو مكالماتي الهاتفية لم تجد طريقها إليه، فقد أصبح الذهاب إلى هناك مباشرة هو ملاذي الأخير. ولكنهم لم يسمحوا لي بدخول المجمع، بل والأدهى أنهم طاردوني حتى ابتعدت عن البوابة، ولم يُجْدِ كل ما قلته لهم نفعاً. كانوا عندئذٍ قد شيدوا سوراً عالياً يحيط بالمُجمّع كله، وباتوا يطردون كل مَن يأتيهم من الخارج شرّ طردة.

لم يكن هناك من سبيل لمعرفة ماذا يدور داخل الكومونة. لو أنها كانت أكيبونو، لفهمت لجوءهم إلى السرية؛ فقد كانوا يدعون إلى ثورة مسلحة ولديهم الكثير مما يريدون إخفاءه. أما ساكي جاكِه فكانت تدير مزرعة عُضوية، وانتهج القائمون عليها دائماً مواقف ودية إزاء العالم الخارجي، ممّا جعل أهلَها الأصليين يحبونهم. ولكن المكان أصبح منذئذٍ قلعة منيعة، بل حتى لقد تغيرت توجهات الناس داخلها وكذلك تعبيرات وجوههم تغيراً كلياً. وهو تغيير أصاب أهل الكومونة الأصليين بالإحباط بالقدر ذاته الذي أصابني به. انتابني قلق بالغ وخشيت أن يكون مكروه قد حلَّ بفوكادا أو زوجته، ولكن لم يكن بوسعي إلا أن أجعل إري في كنفي. انقضت على ذلك سبع سنوات الآن ولم يزل الموقف ضبابياً كما كان».

سأل تنغو: «هلِ تعني أنك لا تعرف حتى إن كان فوكادا على قيد الحياة؟».

أجاب البروفيسور بإيماءة من رأسه: «ولا حتى ذلك القدر. ليس

أمامي من سبيل لمعرفة ذلك. أفضِّل ألّا أفكر في أسوأ الاحتمالات، ولكني لم أتلقَّ كلمة واحدة من فوكادا على مدى سبع سنين. في ظروف عادية، يصبح ذلك أمراً لا يصدق. ليس بوسعي إلا أن أتصور أنّ مكروهاً قد ألَمَّ بهما». خفَّض من صوته، وقال: «لعلهما محتجزان هناك قسراً، أو ربما أصابهما ما هو أسوأ».

«أسوأ؟».

«ما أودّ قوله هو أنه لا يمكنني استبعاد أسوأ الاحتمالات. لم تعُد ساكي جاكِه ذاك المجتمع الزراعي المسالم».

«هل تظن أن جماعة ساكي جاكِه قد بدأت تنتهج نهجاً خطيراً؟».

«أجل. يخبرني أهل المنطقة أنّ عدد الداخلين والمغادرين قد بات يفوق كثيراً عددهم المعتاد. وحركة السيارات دخولاً وخروجاً لا تتوقف، ومعظمها يحمل لوحات طوكيو، وكثير منها سيارات «سيدان» كبيرة الحجم وفارهة لا يراها أحد غالباً في الريف. يبدو أن تعداد الأشخاص الموجودين في الكومونة قد شهد زيادة مفاجئة. وهو ما جرى أيضاً مع أعداد المباني والمرافق المجهزة تجهيزاً كاملاً. وأصبح لديهم نهم متزايد لشراء الأراضي المحيطة بأبخس الأثمان، وكذلك شراء الجرارات ومعدات الحفر وخلاطات الخرسانة وما شابه من معدات. لا يزالون يمارسون النشاط الزراعي، الذي هو غالباً مصدرهم الأهم للدخل. أصبحت علامة الخضروات التي تحمل اسم ساكي جاكِه تحظى بشهرة أوسع من ذي قبل، وباتت الكومونة تقوم بشحنها مباشرة إلى المطاعم التي تستغل استخدامهم لمكونات طبيعية في الزراعة. أبرموا أيضاً عقوداً مع مراكز تسوق راقية. لا بد أن أرباحهم قد شهدت زيادة مطردة، ولكن بموازاة ذلك، كانوا يخطون على ما يبدو بثبات في شيء آخر غير الزراعة. فلا يعقل أن تكون

مبيعات هذه المنتجات هي مصدر التمويل الأوحد لهذا التوسع الضخم الذي حققوه. أياً كان ذلك الشيء الآخر الذي يدبرونه، فقد ولَّدت السرية المطلقة التي انتهجوها انطباعاً لدى أهل المنطقة بأنه شيء لا يستطيعون غالباً كشفه لعموم الناس».

سأل تنغو: «هل يعني ذلك أنهم قد انخرطوا في نشاط سياسي ما مرة أخرى؟».

أجاب البروفيسور دون تردد: «لديّ شك في ذلك. لقد ظلَّت ساكي جاكِه دائماً تنأى بنفسها عن عالم السياسة. ولأجل ذلك السبب تحديداً، اضطروا ذات يوم للتخلي عن جماعة أكيبونو».

«أجل، ولكن عقب ذلك، ثمة شيء جرى داخل ساكي جاكِه اضطرت معه إري للهرب».

قال البروفيسور: «ثمة شيء حدث. شيء جلل. شيء جعلها تترك والديها وراءها وتهرب بمفردها. ولكنها لم تنبس بكلمة واحدة حول ذلك».

«ربما لا تستطيع أن تعبِّر عن ذلك بالكلمات لأن الصدمة قد فاقت قدرتها على الاحتمال، أو ربما يكون ذلك الشيء قد أحدث داخلها جرحاً لن يندمل مدى الحياة».

«لا، لم يكن بها مطلقاً ما يوحي بتلك التفسيرات، مثل أنها تعرضت لصدمة مريعة أو أنها تخاف شيئاً ما أو متبرمة من عيشها وحيدة وبمعزل عن والديها. كل ما هنالك أنها باتت جامدة الشعور. لكنها مع ذلك تأقلمت مع العيش هنا- وتقريباً بسهولة واضحة».

ألقى البروفيسور نظرة صوب الباب ثم أعاد تحديقه في تنغو.

«أياً كان ما ألمَّ بإري، فإنني لم أشأ إرغامها على البوح به. كنت أرى أن ما تحتاجه هو الوقت. ولذلك لم أستجوبها. تظاهرتُ بأني

لست قلقاً حيال صمتها. كانت دائماً في صحبة أزامي. عندما كانت أزامي تعود من المدرسة، كانتا تتناولان العشاء سريعاً ثم تغلقان باب غرفتهما على نفسيهما. ماذا كانتا تفعلان في الداخل، لم أكن أدري. ربما كانتا تجدان طريقة ما للحديث معاً وهما وحيدتان. تركتهما تعملان ما يحلو لهما، ولم أقحم نفسي. عدا أن إري لم تكن تتكلم، فإن عيشها معنا لم يُسبب لنا أي مشكلات. كانت طفلة رائعة ومطيعة. كانت هي وأزامي لا تفترقان، لكن إري لم تستطع الالتحاق بالمدرسة. لم تكن تستطيع النطق بكلمة واحدة. لم يكن إرسالها إلى المدرسة مفيداً وهي بتلك الحالة».

«هل كنت تعيش أنت وأزامي وحدكما قبل ذلك؟».

قال البروفيسور، وقد أطرق هنيهة: «زوجتي ماتت قبل نحو عشر سنوات. راحت ضحية حادث سيارة. قضت نحبها على الفور. ارتطمت بسيارة من الخلف. أصبحت أنا وأزامي وحيدين. لدينا قريبة من بعيد تسكن على مقربة من هنا وتساعدنا في إدارة المنزل. وهي تُعنى أيضاً بكلتا الفتاتين. كان فقدان زوجتي على هذا النحو مريعاً لي ولأزامي. لقد وقع ذلك بسرعة بالغة، ولم يتسنَّ لنا أن نهيئ نفسينا. ولذلك فأياً ما كان ذاك الذي جلبته إري معها، فقد ابتهجنا بوجودها معنا. وحتى إن كنا لا نستطيع أن ندير محادثة معها، فإنَّ مجرد وجودها معنا في المنزل قد بثَّ داخلنا وعلى نحو غريب حالة من حالات السَكينة. وعبر هذه السنوات السبع، استعادت إري، وإنْ ببطء شديد، القدرة على استخدام الكلمات. لعلها قد تبدو غريبة الأطوار أو لا سوية من وجهة نظر الآخرين، ولكننا نلمس مقدار التقدم الرائع الذي أحرزته».

سأل تنغو: «وهل تذهب إلى المدرسة الآن؟».

«تقريباً لا. هي مسجَّلة رسمياً، ولكنها لا تذهب. من وجهة نظر واقعية، كان مستحيلاً عليها مسايرة المدرسة. كنت أقوم بتدريسها بمفردها خلال أوقات فراغي، وكذلك كان طلابي الذين يأتون إلى المنزل يفعلون. إن ما تلقته هو شيء متقطع للغاية، بطبيعة الحال، ولا يمكن تسميته بتاتاً تعليماً منتظماً. لم تكن تستطيع قراءة الكتب بنفسها، ولذلك كنا نقرأ لها بصوت عالٍ كلما سنحت لنا فرصة، وكنت أقدِّم لها كتباً مسجلة على شرائط كاسيت. ذلك هو كلّ ما تلقته من تعليم. لكنها تبقى رغم ذلك فتاة ذات ذكاء لافت. عندما تعزم أمرها على تَعلُّم شيء، فإن بوسعها أن تستوعبه استيعاباً تاماً وسريعاً وناجعاً للغاية. وقدراتها في هذا الجانب مذهلة. أما إذا لم يثر اهتمامها شيء ما، فلن تفكر فيه. والفارق هائل».

كان باب غرفة الاستقبال ما زال موصداً. استغرقت إري وقتاً طويلاً بعض الشيء كي تغلي الماء وتعد الشاي.

قال تنغو: «أستطيع القول إن إري أَمْلَت قصة 'الشرنقة الهوائية' على أزامي. هل ذلك صحيح؟».

«كما أسلفت من قبل، فقد اعتادت إري وأزامي أن تغلقا الغرفة على نفسيهما خلال الليل، ولم أكن أعلم ماذا تفعلان. كان لديهما أسرارهما، لكن ومع ذلك يبدو أنه وعند نقطة ما، أصبح سرد إري للقصة جزءاً رئيساً من تواصلهما. كانت أزامي تدوِّن ما تسرده إري أو تقوم بتدوينه ثم تدخله على الحاسوب الموجود في مكتبي. كانت إري تستعيد تدريجياً قدرتها على الإحساس منذئذٍ، حسبما أظن. كان جمود الإحساس لديها يشبه غشاء يغلف كل شيء، ولكنه كان آخذاً في الزوال. عادت إلى وجهها بعض درجات التعبير، وأصبحت أقرب إلى الطفلة السعيدة التي كنا نعرفها».

«إذاً هي في سبيلها للتعافي؟».

«حسناً، ليس كلياً. ما زالت غير متزنة. ولكنها إجمالاً في سبيلها لذلك. لعلّ تعافيها قد بدأ مع سردها لقصتها».

أطرق تنغو يفكر في ذلك لبعض الوقت. ثم غيَّر موضوع الكلام.

«هل أبلغت الشرطة عن فقدانك للاتصال بالسيد فوكادا وزوجته؟».

«نعم، ذهبت إلى الشرطة المحلية. لم أبلغهم بشأن إري، ولكني قلت لهم إنني لم أستطع الوصول إلى أصدقائي بالداخل منذ مدة طويلة وأخشى أن يكونوا محتجزين قسراً. أبلغوني عندئذٍ أنهم لا يستطيعون عمل شيء. كان مجمع ساكي جاكِه ملكية خاصة، وفي غياب دليل واضح أن نشاطاً إجرامياً يُدار هناك، فليس لهم أن يطأوه بأقدامهم. ألححتُ عليهم، ولكنهم لم يعيروني انتباهاً. وبعد عام 1979، أصبح مستحيلاً فعلاً القيام بتحقيق جنائي داخل ساكي جاكِه».

سأل تنغو: «هل ثمة ما جرى في عام 1979؟».

«في ذلك العام نال ساكي جاكِه اعترافاً رسمياً بكونه ديناً».

علت الدهشة وجه تنغو: «دين؟!».

«أدرك ذلك. إنه شيء لا يصدق. لقد اعتُبر ساكي جاكِه 'شخصية اعتبارية دينية' بموجب قانون الهيئات الدينية. لقد منحها حاكم محافظة ياماناشي رسمياً هذا اللقب. وحالما اكتسبت ساكي جاكِه علامة 'شخصية اعتبارية دينية'، أصبحت محصَّنة ضدّ أي تحقيق جنائي تجريه الشرطة. وأي تحقيقات من هذا القبيل سوف تعتبر انتهاكاً لحرية المعتقد الديني التي يضمنها الدستور. ومن ثم لم يعُد بوسع شرطة المحافظة المساس بهم.

لقد دُهشت أنا نفسي عندما سمعت بذلك من الشرطة. لم أصدِّق ذلك لأول وهلة. وحتى بعدما عرضوها عليّ مكتوبة وبعدما رأيتها بأم عيني، ما زلت أجد صعوبة في تصديق أن ذلك يمكن أن يكون صحيحاً. لقد كان فوكادا أحد أصدقائي القدامى. كنت أعرفه، وأعرف شخصيته وخصاله. ولكوني مختصاً في الأنثروبولوجيا الثقافية فإن علاقتي بالدين لم تكن علاقة سطحية البتة، لكن وعلى العكس مني، كان فوكادا كائناً سياسياً بامتياز وترتكز مقارباته دائماً إلى العقل والمنطق، بل لقد كان يُبدي نفوراً عميقاً من الدين. ولا يمكن بحال تصوّر أنه يقبل بتسمية «شخصية اعتبارية دينية» حتى وإن توفَّرت لديه أسباب استراتيجية تدفعه للقبول بذلك».

«وأظن أنّ نيل مثل هذه التسمية ليس بالأمر الهين، أيضاً».

قال البروفيسور: «هذا ليس صحيحاً بالضرورة. صحيح أن عليك أن تجتاز كثيراً من الاختبارات والإجراءات الروتينية، ولكن إذا استطعت شدّ الخيوط السياسية السليمة، يمكنك التغلب على مثل تلك العوائق بكلّ يُسر. لقد ظلَّ التمييز بين الأديان والجماعات الدينية مسألة شائكة. لا يوجد تعريف صارم. فالتفسير هو كل شيء. وحيثما يفسح المجال أمام التفسير، فإن هناك دائماً مجالاً أمام الإقناع السياسي. وبمجرد أن تصبح 'شخصية اعتبارية دينية'، فإنّ بوسعك الحصول على معاملة ضريبية تفضيلية وحماية قانونية خاصة».

أضاف تنغو متجاسراً: «أياً كان الأمر، فإن ساكي جاكِه لم تعُد كومونة زراعية عادية وأصبحت تنظيماً دينياً - تنظيماً دينياً منغلقاً على نحوٍ رهيب».

قال البروفيسور: «أجل، ديانة جديدة. أو كي أكون أكثر صراحة، طائفة دينية».

قال تنغو: «لا أستطيع فهم ذلك. لا بد أنّ ثمة خطب جلل حدث لهم وجعلهم يقومون بمثل هذا التحول الجذري».

راح البروفيسور يحدِّق في ظهر يديه وما يظهر بهما من شعر أشيب وكثيف، ثم قال: «معك حق في ذلك، بالطبع. لقد ظللت مشغولاً بذلك زمناً طويلاً. وفكرت في الاحتمالات الممكنة كلها، ولكني لم أصل إلى جواب شافٍ. أي سبب أدى إلى ذلك يا تُرى؟ ولكنهم كانوا قد انتهجوا سياسة تعتمد السرية الكاملة، وأصبح محالاً أن تعرف ما يدور بالداخل. وليس ذلك وحسب، بل إن فوكادا الذي كان زعيماً لساكي جاكِه، لم يظهر علناً ولا مرة منذ هذا التحول».

قال تنغو: «وفي غضون ذلك، انتهى وجود جماعة أكيبونو عقب الاشتباك المسلح الذي وقع قبل ثلاث سنوات».

أومأ البروفيسور: «لقد كتبت النجاة لـ «ساكي جاكِه» عندما فصلوا أنفسهم عن أكيبونو، وهم الآن يتطورون بشكل ثابت باعتبارهم ديناً».

«وهو ما يعني حسب ظني أن الاشتباك المسلح لم يمثل ضربة كبيرة لساكي جاكِه».

قال البروفيسور: «مطلقاً، بل كان دعاية جيدة لهم. إنهم أذكياء. يعرفون كيف يجعلون الأشياء تصبّ في مصلحتهم. وعلى أية حال، فإنّ هذا كله حدث بعد مغادرة إري ساكي جاكِه. وكما أسلفت سابقاً، ليس لذلك صلة مباشرة بإري».

أحسّ تنغو أن البروفيسور يودّ أن يغير الموضوع، فسأله: «هل قرأت 'الشرنقة الهوائية' بنفسك؟».

أجاب البروفيسور: «بالطبع».

«وكيف رأيتها؟».

أجاب البروفيسور: «إنها قصة مثيرة. وموحية للغاية. ولكن موحية بماذا، لا أدري، كي أكون صريحاً معك. لا أدري ما الذي تعنيه الماعز العمياء، أو الناس الصغار، أو 'الشرنقة الهوائية' نفسها».

«هل ترى أن القصة تُلمح لشيء تعرضت له إري أو شهدته بالفعل في ساكي جاكِه؟».

«ربما، ولكني لا أستطيع الجزم بما هو مقدار الواقعي والخيالي فيها. تبدو أشبه بالأسطورة، أو ربما يجوز قراءتها باعتبارها قصة رمزية إبداعية».

قال تنغو: «إري أخبرتني أن الناس الصغار موجودون بالفعل».

اعترت وجه البروفيسور تكشيرة متأملة لدى سماعه ذلك. وسأله:

«هل تظن أن 'الشرنقة الهوائية' تحكي عن أشياء حدثت فعلاً؟».

هزّ تنغو رأسه: «كل ما أريد قوله هو أنّ كل تفصيلة في القصة قد حظيت بوصف بالغ الواقعية، وهذا موطن قوة كبير في العمل باعتباره عملاً روائياً».

«وعند إعادة كتابتك للقصة بكلماتك، وبأسلوبك، سوف تحاول أن تجعل ذلك الشيء الذي تلمح إليه القصة أوضح؟ أليس كذلك؟».

«بلى، إن سارَ كل شيء على ما يرام».

قال البروفيسور: «إن تخصصي هو الأنثروبولوجيا الثقافية. توقفت عن إجراء البحوث منذ زمن، ولكني ما زلت مشبعاً بروح الانضباط. إحدى غايات هذا الحقل المعرفي هي النظر في الصور التي لدى الأفراد، واكتشاف العناصر المشتركة في هذه الصور لدى كل البشر، ثم نقل هذه الحقائق إلى هؤلاء الأفراد أنفسهم. وسوف ينتج من هذه العملية أن الناس ربما يصبحون قادرين على الارتباط بشيء ما حتى وهم يحتفظون باستقلاليتهم. هل تفهم ما أقوله؟».

«أظن ذلك».

«ربما يكون مطلوباً منك القيام بالعملية ذاتها».

فتح تنغو يديه فوق ركبتيه: «تبدو صعبة».

«ولكنها تستحق غالباً المحاولة».

«لست واثقاً إن كنتُ مؤهلاً لعمل ذلك».

نظر البروفيسور إلى تنغو. أصبح ثمة بريق خاص يطلّ من عينيه الآن.

«ما أودّ معرفته هو ماذا حدث لإري داخل ساكي جاكِه. أود أيضاً معرفة مصير فوكادا وزوجته. لقد بذلت قصارى جهدي على مدى السبع السنين الماضية بحثاً عن جواب لهذه الأسئلة، ولكن لم أفلح في الوصول إلى جواب واحد. كنت دائماً أرتطم بحائط سميك صلب يعترض طريقي. ربما يكون مفتاح حلّ اللغز مخبوءاً في 'الشرنقة الهوائية'. وطالما بقي هذا الاحتمال، رغم كونه احتمالاً طفيفاً، فإني أودّ متابعته. لا أدري إن كنتَ أهلاً للاضطلاع بهذه المهمة، ولكني أعرف أنك معجب بالقصة وأنك مستغرق فيها بشدة. ربما يكون في ذلك أهلية كافية».

قال تنغو: «لكن لدي شيء أودّ أن أسألك عنه، وأحتاج منك جواباً واضحاً إما نعم أو لا. وهذا هو ما جئت لمقابلتك اليوم بشأنه. هل أنت موافق على قيامي بإعادة كتابة 'الشرنقة الهوائية'؟».

أومأ البروفيسور. ثم قال: «أنا نفسي أتطلع لقراءة النسخة المُعاد كتابتها، وأدرك أن إري، على ما يبدو، تضع فيك ثقة كبيرة. ليس لديها أي أحد آخر تلجأ إليه كما فعلت معك - عدا أزامي وأنا بطبيعة الحال. ولذلك عليك أن تحاول. سوف نضع العمل بين يديك. باختصار، جوابي هو نعم».

عندما توقف البروفيسور عن الكلام، ساد الغرفة صمت مطبق وكأنه نهاية محتومة. في تلك اللحظة تحديداً، دلفت إري إلى الغرفة وهي تحمل صينية الشاي.

في طريق العودة إلى المدينة، عاد تنغو بمفرده. كانت فوكا-إري قد خرجت لتمشية الكلب. اتصل البروفيسور بسيارة أجرة أقلت تنغو إلى محطة فوتاماتو في وقت مناسب للحاق بالقطار التالي. قام تنغو بالتحويل إلى خط تشو في تاشيكاوا.

عندما وصل القطار محطة ميتاكا، صعدت على متنه أمٌّ وطفلتها الصغيرة وجلستا قبالته. كانتا تلبسان ثياباً أنيقة. لم تكن ملابسهما غالية الثمن أو جديدة البتة، ولكن كل قطعة منها كانت نظيفة وحظيت بعناية جيدة، فالأبيض ناصع البياض، وكل شيء تم كيُّه على نحوٍ جميل. كانت الطفلة على الأرجح في الصف الثاني أو الثالث، وذات عينين واسعتين وقسمات وجه جميلة. أما الأم فكانت نحيفة القوام وشعرها معقوص من الخلف على شكل كعكة وترتدي نظارة ذات إطار أسود وتحمل حقيبة من قماش سميك بهت لونها. بدا أن الحقيبة ممتلئة بشيء ما. كانت الأم أيضاً ذات قسمات متسقة وجميلة، ولكن محيط عينيها كان يشي ببعض الإرهاق العصبي، مما يجعلها تبدو أكبر سناً ممّا هي عليه ربما. كان شهر أبريل قد انتصف، لكنها كانت تحمل مظلة، جرى لفّ قماشها بشدّة حول عمودها الذي بدا مثل هراوة جافة تماماً.

جلستا جنباً إلى جنب وظلّتا صامتتين. بدت الأم كما لو أنها ترسم خطة، أما الطفلة فلم تكن تدري ماذا عساها أن تفعل. فتنظر تارة إلى حذائها وتارة أخرى إلى الأرض ثم ترفع ناظريها إلى

الإعلانات المدلاة من سقف القطار، ومن حين إلى آخر تسترق لمحة إلى تنغو الجالس قبالتها. يبدو أن ضخامة بنيانه وأذنيه القرنبيطيتين قد أثارت اهتمامها. كان الأطفال الصغار غالباً ما ينظرون إلى تنغو على هذا النحو، وكأنه حيوان نادر من نوع ما ولكنه غير مؤذٍ. كانت الفتاة تبقي جسمها ورأسها ساكنين تماماً، ولا تسمح سوى لعينيها بالتنقل من شيء إلى آخر.

نزلت الأم والطفلة من القطار عند محطة أوجيكوبو. وعندما كان القطار يخفض سرعته استعداداً للوقوف في المحطة، إذا بالأم تنهض واقفة بسرعة ممسكة بالمظلة في يسراها وحقيبة من القماش في يمناها. لم تنبس بكلمة للطفلة التي بدورها سرعان ما تركت مقعدها وغادرت العربة في أثرها، لكن الطفلة وهي تنهض من مقعدها، سدَّدت نظرة أخيرة نحو تنغو. لمح في عينيها وميضاً غريباً، نوعاً من المناشدة أو الاستعطاف المُوجَّه نحوه. كان وميضاً خافتاً وعابراً، لكن تنغو استطاع أن يلحظه. شعر أنها ترسل بإشارة من نوع ما. وحتى إن صحّ ذلك، وكان هو المقصود بهذه الإشارة، فليس بوسعه شيء. فهو لا يدري عن ظروفها شيئاً، ولا يستطيع أن يقحم نفسه في شأنها. غادرت الطفلة القطار رفقة والدتها في محطة أوجيكوبو، فيما ظلّ تنغو في مقعده انتظاراً للمحطة التالية. جلس الآن ثلاثة طلاب في المرحلة الإعدادية حيثما كانت الفتاة تجلس. بدأوا يثرثرون حول اختبار عملي انتهوا منه لتوهم، ولكن طيف الفتاة الصامتة ظلّ مخيماً على المكان.

أعادت عينا الفتاة إلى ذاكرة تنغو فتاةً أخرى، وهي فتاة كانت مع تنغو في الصفين الثالث والرابع. فهي أيضاً كانت تنظر إليه، وتسدِّد إليه نظرات ثاقبة - بمثل هاتين العينين...

كان والدا الفتاة ينتميان إلى منظمة دينية اسمها جماعة الشهود. ولكونها طائفة مسيحية، فقد كانت تبشِّر بقرب نهاية العالم. كانوا دعاة متحمِّسين يعيشون حياتهم وفقاً لتعاليم الإنجيل. فلا يسمحون، مثلاً، بعمليات نقل الدم، مما قلَّص بشدة من فرص نجاتهم من الإصابات الخطيرة التي قد يتعرّضون لها في الحوادث المرورية. ويكاد يكون خضوعهم لعملية جراحية كبيرة أمراً محالاً. ومن ناحية أخرى، وعندما تحين نهاية العالم، فسوف تكون لهم النجاة باعتبارهم شعب الله المختار ثم يعيشون ألف سنة في عالم تسوده السعادة المطلقة.

وكما الفتاة الصغيرة التي كانت في القطار، فإن الفتاة التي ينتمي والداها إلى جماعة الشهود هي أيضاً ذات عينين واسعتين وجميلتين. عينان رائعتان. قسمات وجه جميلة. ولكن وجهها دائماً يبدو مغطى بغشاء من نوع غامض. يُقصد به طمس وجودها. لا تتحدث مطلقاً مع أحد إلا عند الضرورة القصوى. ولا يشي وجهها بأي تعبيرات. وتبقي شفتيها الرقيقتين مضمومتين.

لفتت الفتاة انتباه تنغو أول مرة عندما أصبح يراها رفقة والدتها خلال جولات نهاية الأسبوع، وهي تمارس بعض الأنشطة التبشيرية. كان يُنتظر من أطفال الأسر المنتمية إلى جماعة الشهود أن يرافقوا آباءهم في الأنشطة التبشيرية فور استطاعتهم المشي. ومنذ بلوغها الثالثة من عمرها، بدأت الفتاة تطرق الأبواب واحداً تلو آخر وهي برفقة والدتها التي توزِّع كتيبات تحمل عنوان «**قبل الطوفان**» وتشرح للأشخاص مبادئ جماعة الشهود. اعتادت الأم أن تشرح بلغة بسيطة الأمارات الكثيرة التي تنبئ بدمار وشيك للعالم الراهن. كانت تشير إلى الإله باسم «الرب». وبالطبع، كانت الأبواب تُصفع في وجوههم في معظم البيوت التي يقصدونها. وذلك لما تتَّسم به مبادئهم من ضيق

أفق وانحياز شديدين وانفصام تام عن الواقع - أو على الأقل ما يعتبره معظم الناس الواقع. لكنهما كانتا تجدان بين حين وآخر شخصاً مستعداً للاستماع إليهما. فهناك أشخاص في العالم يريدون التحدث إلى شخص ما حول أي شيء، بغض النظر عن ماهية ذلك الشيء. ومن بين تلك القلة، كانتا تجدان أحياناً ذاك الشخص بالغ الندرة الذي يقبل بحضور إحدى لقاءاتهم فعلاً. كانتا تذهبان من منزل إلى منزل تدقان الأجراس، بحثاً عن ذاك الشخص الواحد في كلّ ألف. وتريان أنهما مُكلَّفتان بذلك الواجب المقدس لإرشاد العالم نحو صحوة، مهما كانت محدودة، عبر مثابرتهما. وكلما ثقلت أعباؤهما، زادت قدرتهما على التحمّل، وعظُم الثواب الذي تحظيان به.

كانت الفتاة في كل مرة يراها تنغو، في صحبة والدتها في جولات التبشير. اعتادت الأم أن تحمل في يدٍ كيساً من قماش وقد امتلأ بنسخ من كتيب «**قبل الطوفان**»، فيما تحمل مظلة في الأخرى. تتأخر الفتاة عنها ببضع خطوات وهي تمشي في أثرها، وقد زمَّت شفتيها كما هو دأبها دائماً وخلا وجهها من كل تعبير. مرَّ تنغو بالفتاة عدة مرات وهي في الشارع على هذا النحو خلال مرافقته لوالده في جولات تحصيل الرسوم. كان يعرفها وتعرفه. وحين يلتقيان، يرى وميضاً خفياً ينبعث من عينيها. بالطبع، لم يتحدثا قط، ولم يتبادلا تحية. فوالد تنغو ينهمك في سعيه لزيادة حصيلته من الرسوم، فيما تنهمك والدة الفتاة في التبشير بنهاية العالم الوشيكة. اعتاد الفتى والفتاة أن يتبادلا نظرات عابرة وهما يسرعان الخطى عبر الشوارع أيام الآحاد في أعقاب والديهما.

كان جميع الأطفال في صفهما يعرفون أن الفتاة من أتباع جماعة الشهود. وهي «لأسباب دينية» لم تشارك مطلقاً في أي احتفال تقيمه

المدرسة خلال أعياد الميلاد أو في الرحلات المدرسية أو الجولات الدراسية عندما يتضمن برنامج الجولة زيارة لأضرحة شنتو أو معابد بوذية. كما لم تشارك قط في أي مناسبات رياضية أو تردد نشيد المدرسة أو النشيد الوطني. وقد عمَّقت مثل هذه السلوكيات، التي لا يمكن النظر إليها إلا باعتبارها تنمّ عن تشدُّد، من عزلة الفتاة عن زملائها في الصف. ودأبت الفتاة أيضاً على أن تتلو وبصوت عالٍ وواضح، كي تُسمع الأطفال الآخرين كل كلمة، صلاة خاصة قبل تناولها لغدائها في المدرسة. وكما هو متوقع، أثار ذلك خوفاً بالغاً لدى زملائها. لم تكن شديدة الحماسة لتلاوة الصلاة في حضرتهم، ولكنها لُقنت منذ نعومة أظفارها أن الصلاة لا بد وأن تؤدى قبل تناول الطعام، وأنه لا تجوز الغفلة عنها لمجرد أنه لا يوجد مؤمنون آخرون يرقبونك. فالرب يرى في عليائه كل شيء - كل شيء مهما دقّ أو صَغُر.

أبانا الذي في السموات، ليتقدس اسمك إلى أبد الآبدين، وليأتِ ملكوتك إلينا. اغفر لنا خطايانا الكثيرة، وأسبغ بركاتك على سُبلنا المتواضعة. آمين.

غريب هو أمر الذاكرة! كان بوسع تنغو أن يتذكر كل كلمة ردَّدتها في صلاتها رغم أنه لم يسمعها منذ عشرين سنة. 'ليأت ملكوتُك إلينا'. «أي نوع من الملكوت ذلك يا تُرى؟» هكذا كان تنغو وهو تلميذ في المدرسة الابتدائية يتساءل في كل مرة يسمع الفتاة تتلو صلاتها. هل يوجد في ذلك الملكوت شبكة «إن إتش كيه»؟ لا، على الأرجح لا. إذا لم يكن هناك «إن إتش كيه»، فلن يكون هناك تحصيل رسوم، بطبيعة الحال؟ إذا صح ذلك، فلعلّ الأفضل أن يأتِ الملكوت عاجلاً وليس آجلاً.

لم يتلفظ تنغو بكلمة قط إلى الفتاة. كانا يدرسان في صف واحد، ولكن لم تواتهما أي فرصة كي يتحدثا معاً مباشرة. فهي دائماً منطوية على نفسها، ولا تتحدث إلى أحد إلّا عند الضرورة. لم تُتِحْ له أجواء الصف فرصة الحديث إليها، لكن تنغو كان يتعاطف معها في قرارة نفسه. أيام الآحاد، ينبغي للأطفال أن يلعبوا مع أقرانهم حتي يشبعوا رغبتهم في اللعب، لا أن يُرغَموا على المشاركة في جولات منزلية يهددون الناس خلالها كي يسددوا الرسوم المستحقة أو يُخوِّفونوهم بقرب زوال العالم. فمثل ذلك العمل، وبقدر ما هو ضروري - ينبغي أن يؤديه الكبار.

وذات مرة مدّ تنغو يد العون للفتاة عقب حادثة بسيطة. وقع ذلك خلال الخريف حين كانا في الصف الرابع. فقد وبَّخ تلميذ آخر الفتاة وهم على طاولة واحدة يؤدون تجربة علمية. لا تسعف الذاكرة تنغو بشأن الخطأ الذي وقعت فيه الفتاة بالضبط، ولكنه يتذكر أنه خطأ جعل صبياً آخر يستهزئ بكونها «تُوزع كتيبات مملَّة من باب إلى باب». وكان يدعوها أيضاً «رب». كان ذلك تطوراً غير معتاد - وبعبارة أخرى، فبدلاً من التنمر بالفتاة أو تقريعها، اعتاد الأطفال الآخرون تجاهلها أو التعامل معها باعتبارها ليست موجودة، لكن وعندما يحين الوقت لنشاط مشترك مثل التجارب العلمية، لم يكن من سبيل لإقصائها. وفي هذه المناسبة، تضمَّنت كلمات الولد قدراً كبيراً من الضغينة إزائها. كان تنغو ضمن المجموعة التي تجلس على الطاولة الأخرى، ولكن تعذَّر عليه التظاهر بأنه لم يسمع شيئاً. لماذا حدث ذلك بالضبط، ذلك ما لا يستطيع تفسيره، ولكنه لا يستطيع غض الطرف عنه.

توجه تنغو إلى الطاولة الأخرى ودعا الفتاة للانضمام إلى مجموعته. فعل ذلك بصورة عفوية تقريباً، ودون تفكير عميق أو تردُّد. ثم قدَّم للفتاة شرحاً مفصَّلاً عن التجربة. أصغت بانتباه إلى كلماته، واستوعبتها، وأصلحت خطئها. كانت هذه هي السنة الثانية التي يضمّها صف واحد مع تنغو، ولكنها كانت المرة الأولى التي يتحدث إليها (والأخيرة). اعتاد تنغو أن يحقق علامات ممتازة، وكان وهو صبي يمتلك بنياناً قوياً وقامة طويلة، ويحظى باحترام الأولاد الآخرين، ولذلك لم يوبِّخه أحد حين انبرى للدفاع عن الفتاة - على الأقل عندئذٍ أو هناك. ولكن بدا أن مكانته داخل الصف تضررت لاحقاً، كما لو أن بعضاً من دَنَس الفتاة قد علِق به.

لم يدَعْ تنغو ذلك يؤثر فيه مطلقاً. كان يدرك أنها مجرد طفلة عادية.

ولكنهما لم يتحدثا ثانية قط عقب ذلك. لم يوجد ما يدعو للكلام أو لم تسنح فرصة لذلك، لكن وعندما يتصادف أن تلتقي أعينهما، كان يعلو وجهها شيء من التوتر. كان بوسعه أن يستشعر ذلك. ويقول في نفسه، لعلّ ما قام به لأجلها خلال التجربة العلمية قد ضايقها. لعلها قد غضبت منه وتمنّت لو أنه تركها وشأنها. وجد صعوبة في معرفة شعورها حيال ذلك. كان لا يزال طفلاً، على أية حال، ولا يستطيع قراءة التحولات النفسية الدقيقة عبر معاينة تعبيرات الوجه.

بعد ذلك، وذات يوم، أمسكت الفتاة بيد تنغو. حدث ذلك في ظهيرة يوم مشمس في مطلع ديسمبر. وكان بوسعه أن يرى عبر نافذة الصف السماء الصافية والسحب البيضاء. بعدما صُرف تلاميذ الصف، تصادف أنهما كانا آخر من غادر بعد الانتهاء من تنظيف غرفة الدرس. لم يوجد أحدٌ آخر سواهما. قطعت الغرفة بخطى واسعة وسريعة،

واتجهت مباشرة نحو تنغو، وكأنها قد عقدت العزم لتوها على عمل شيء ما. وقفت إزاءه، ودون أدنى تردُّد، قبضت على يده ونظرت إليه. (كان أطول قامة منها بعشرة سنتيمترات، ولذلك تعين عليها النظر إلى أعلى.) ولأنها أخذته على حين غرة، فقد نظر إليها تنغو هو الآخر. التقت أعينهما. في عينيها، رأى عمقاً شفافاً لم يره من قبل مطلقاً. ظلت ممسكة بيده مدة طويلة، دون أن تنبس بكلمة، ودون أن تخفِّف من شدة قبضتها ولو للحظة. بعدئذٍ، ودون سابق إنذار، تركت يده وأسرعت بالخروج من الصف، فيما تطايرت تنورتها مع الهواء.

لم يستوعب تنغو شيئاً ممّا حدث له تواً. ظلّ واقفاً هناك، ولم تسعفه الكلمات. كان أول ما خطر بباله هو إحساسه بالسعادة لأن أحداً لم يرهما. مَن يدري أي نوع من البلبلة كان ذلك سوف يحدثه؟ تلفَّت حوله، وتنفس الصعداء أولاً، لكنه عندئذٍ شعر بهزة تعتريه من أعماقه.

لعلّ الأم والبنت اللتان جلستا قبالته في المسافة ما بين محطتي ميتاكا وأوجيكوبو كانتا من أتباع جماعة الشهود. ربما كانتا حتى في طريقهما لأداء نشاطهما التبشيري الذي اعتادتا عليه يوم الأحد. ولكن لا، لقد كانتا على الأرجح أماً وابنة عاديتين في طريقهما إلى حصة درس تتلقاه الفتاة. وربما كان الكيس المصنوع من القماش يحوي داخله كتباً حول موسيقى البيانو أو فن الخط. قال تنغو في نفسه، **كل ما هنالك هو أنني شديد الحساسية إزاء أمور كثيرة**. أغمض عينيه وأطلق زفرة طويلة وبطيئة. الوقت يتدفق بطريقة غريبة أيام الآحاد، والرؤية تصبح ضبابية على نحو يدعو للاستغراب.

لدى عودته إلى البيت، أعدّ تنغو لنفسه وجبة عشاء خفيف. تذكَّر لتوه، أنه لم يتناول الغداء. خلال تناوله الطعام، فكر في الاتصال بكوماتسو، الذي سوف يرغب في سماع النتائج التي تمخض عنها لقائه. ولكن اليوم كان الأحد؛ ولن يوجد كوماتسو في مقر عمله. لم يكن تنغو يعرف رقم هاتفه المنزلي. **حسناً، إن رغب في معرفة ما آل إليه الاجتماع، فبوسعه أن يهاتفني.**

رن الهاتف بعدما تجاوزت الساعة العاشرة عندما كان تنغو يوشك أن يأوي إلى فراشه. ظنّ أنه كوماتسو، ولكن تبين أن الصوت كان لصديقته المتزوجة التي تكبره سناً. سألته: «لن أستطيع التغيب عن منزلي طويلاً، ولكن هل تمانع إن جئت في زيارة سريعة بعد غد وقت الظهيرة؟».

تناهت إلى سمعه بعض نغمات تعزف على بيانو في الخلفية. لا بدّ أن زوجها لم يأتِ إلى المنزل بعد، هكذا خمن. وقال: «حسناً». إذا جاءت، فسوف تعطِّله بعض الوقت عن إعادة كتابة ’الشرنقة الهوائية‘، ولكنه أدرك مدى اشتهائه لها فور سماع صوتها. بعد وضعه السماعة قصد المطبخ حيث صب لنفسه كوباً من نبيذ «وايلد تيركي»، وازدرده مباشرة، وهو واقف بجوار حوض الغسيل. بعدئذٍ أوى إلى فراشه، وقرأ بضع صفحات من كتاب، قبل أن يغط في نوم عميق.

وهكذا انتهى يوم أحدٍ طويل وغريب لدى تنغو.

الفصل الثالث عشر

أَوْمَامِه

ضحية بالفطرة

حالما استفاقت، أدركت أنّ صداع الكحول سيكون حاداً. لم تكن أَوْمَامِه قد تعرَّضت من قبل لذلك الصداع. ومهما كان مقدار ما تشربه، فإنها تجد ذهنها في الصباح التالي صافياً وبوسعها مباشرة عملها. وكان ذلك مثار فخرها. ولكن حالها اليوم مغاير. فقد شعرت بألم خفيف في صدغيها وغشيت عينيها غيمة رقيقة غطت كل شيء. أحست كما لو أن طوقاً من الحديد يعتصر جمجمتها. وجدت عقارب الساعة قد تجاوزت العاشرة، فيما اخترق ضوء الصباح الأخير مُقلتيها. كانت هناك دراجة بخارية تشق الطريق أمام منزلها فتملأ غرفتها بأنين يشبه أنين آلة تعذيب.

ألفت نفسها عارية في فراشها، لكنها لم تكن تدري شيئاً عن كيفية تمكُّنها من العودة إلى البيت. معظم الملابس التي كانت ترتديها ليلة البارحة متناثرة فوق أرضية الغرفة. لا بد أنها انتزعتها عن جسدها بعنف. وجدت حقيبة كتفها على المنضدة. وطأت بقدميها الملابس المبعثرة قاصدة المطبخ حيث أخذت تشرب الماء من الصنبور كوباً تلو آخر. ومن هناك توجهت إلى الحمام حيث غسلت وجهها بماء بارد

ونظرت إلى جسدها العاري في المرآة الكبيرة. تفحصت جسدها فلم تجد أثراً لكدمات. تنفست الصعداء. لكنها ما زالت تشعر في الجزء السفلي من جسمها ببعض ما ينتابها دائماً كل صباح عقب ليلة جنس محموم - وهو الوَهن اللذيذ الذي يتأتى عندما يُخَضخَض جوفها بشدة. انتبهت أيضاً لإحساس غريب بين ردفيها. **يا إلهي**، قالت أَوْمَامِه في نفسها وهي تعتصر صدغيها بأصابعها. **هل فعلاها هناك، أيضاً؟ تباً، لست أتذكر شيئاً.**

وبينما كان ذهنها لا يزال عليه بقية غشاوة، راحت تأخذ دوشاً ساخناً وقد استندت بيدها إلى الحائط، فيما بدأت تحكّ كل جسمها بالصابون والماء علَّها تمحو ذكرى - أو ذاك الشيء المبهم الذي يشبه الذكرى - البارحة. وبعناية خاصة غسلت أعضاءها التناسلية وشرجها. غسلت أيضاً شعرها. ثم طفقت تغسل أسنانها كي تخلص فمها من الطعم اللزج، وهي تتقزز من نكهة النعناع في معجون الأسنان. وأخيراً رفعت ملابسها الداخلية وجوربها من أرضية غرفة النوم، ثم ألقت بهم في سلة الغسيل وهي تتحاشى النظر فيهم.

فحصت محتويات حقيبتها الموضوعة فوق المنضدة. وجدت حافظة النقود كما هي لم تُمس، وكذا وجدت بطاقتها الائتمانية وبطاقة الصراف الآلي. معظم النقود كما هي أيضاً. النقود الوحيدة التي أُنفقت، على ما يبدو، هي أجرة السيارة التي أقلَّتها إلى المنزل، والأشياء الوحيدة المفقودة من الحقيبة هي بعض الواقيات - أربعة، إن شئت الدقة. لماذا أربعة؟ وجدت في الحافظة قصاصة ورق مطوية تحمل رقم هاتف في طوكيو. لا تتذكر شيئاً مطلقاً عن هذا الرقم ولمن يكون.

تمددت في السرير مرة أخرى وحاولت أن تتذكر ما تسعفها بها

الذاكرة عن الليلة السابقة. لقد قصدت أيومي طاولة الرجلين، ورتبت كل شيء بأسلوبها الساحر، احتسى أربعتهم الشراب حتى أصبحوا في مزاج طيب. ثم توالت بقية الأحداث كما هو معتاد. حجزوا غرفتين في فندق قريب. وحسب الاتفاق، مارست أَوْمَامِه الجنس مع صاحب الشعر الخفيف، فيما أخذت أيومي ذاك الأصغر سناً والأضخم بنياناً. لم يكن جنساً سيئاً. استحمت أَوْمَامِه مع صاحبها ثم انخرطا في نوبة جنس فموي طويلة ومتأنية. كانت حريصة على جعله يرتدي الواقي قبل أي إيلاج.

بعد ساعة رن الهاتف، وسألتهما أيومي إن كان بوسعها هي وصاحبها القدوم إلى غرفتهما كي يحتسوا معاً بعض الشراب مرة أخرى. وافقت أَوْمَامِه، وما هي إلا بضع دقائق حتى جاءت أيومي وصاحبها. طلبوا زجاجة ويسكي وبعض الثلج واحتساها أربعتهم.

أما ما حدث عقب ذلك، فلم تستطع أَوْمَامِه تَذَكُّره بوضوح. فقد ثملت على ما يبدو فور تجمعهم تقريباً مرة أخرى. ربما يكون الشراب الذي اختاروه هو ما أدى إلى ذلك؛ فأَوْمَامِه لم تشرب الويسكي قط تقريباً. أو ربما تكون قد أطلقت لنفسها العنان في الشراب لكونها مع رفيقة أخرى وليست بمفردها مع رجل. وهي لا تذكر سوى على نحو يكتنفه الغموض أنهما تبادلتا الرجلين. **كنت في الفراش مع أصغرهما سناً، فيما نامت أيومي مع صاحب الشعر الخفيف على الأريكة. أنا متيقنة أن هذا هو ما حدث. وعقب ذلك... كل ما جرى عقب ذلك مبهم تماماً. لا أذكر أي شيء. حسناً، ربما كان ذلك الحال أفضل. عليّ نسيان الأمر برمته. لقد أمضيت ليلة جنس محموم، هذا هو ما يهمني. وغالباً لن أرى هؤلاء الأشخاص أبداً مرة أخرى.**

ولكن هل كان الشخص الثاني يرتدي واقياً؟ ذلك هو الشيء الوحيد الذي أثار قلق أَوْمَامِه. لا أودّ أن أصبح حاملاً أو أصاب بعدوى جراء مثل هذا الخطأ الأحمق، لكن ربما كان الأمر على ما يرام. فلست ممّن يغفل عن مثل ذلك، حتى وإن كنت ثملة للغاية.

حسناً، هل لدي بعض الأعمال في جدولي اليوم؟ لا، ليس لدي عمل. اليوم هو السبت، ولا عمل نهار السبت. آه، مهلاً. لدي شيء واحد فعلاً. يفترض أن أتوجه في الساعة الثالثة إلى بيت الصفصاف كي أقوم بمدّ العضلات للأرملة الثرية. كان عليها الذهاب إلى الطبيب لإجراء بعض الفحوصات أمس. اتصل بي تامارو قبل بضعة أيام ليرى إن كان بوسعي تغيير موعدنا لليوم. نسيت ذلك تماماً. ولكن لا تزال هناك أربع ساعات ونصف تفصلني عن الثالثة. يفترض أن يزول الصداع عندئذٍ، وأن يصبح ذهني أكثر صفاء.

أعدت لنفسها بعض القهوة الساخنة وأفرغت بضعة أكواب في جوفها. ثم أمضت بقية الصباح في الفراش، لا ترتدي سوى لباس الحمام، وهي تحدق في السقف. كان ذلك هو أقصى ما تستطيع حمل نفسها عليه - التحديق في السقف. لا لأن السقف به ما يثير الاهتمام، وإنما لأنها لا تجد مَن تشكو إليه. فالأسقف لم تُصنع للغرف كي تسرّ الناظرين. تقدّمت عقارب الساعة حتى بلغت وقت الظهيرة، لكنها ظلت دون شهية للطعام. لا يزال صدى محركات الدراجات البخارية والسيارات يتردَّد داخل رأسها. كان ذلك هو أول صداع كحول حقيقي ينتابها.

بدا لها رغم ذلك أن الجنس قد أفاد جسدها كثيراً. فقد ساعدها أن تجد رجلاً يضمّها ويحدق في جسدها العاري ويُمسِّدها ويلعقها

ويعضها ويولج قضيبه داخلها ويوصلها للنشوة فتُفرغ شحنات التوتر المتراكمة داخلها. صحيح أن صداع الكحول يبدو فظيعاً، ولكن الشعور بالتحرُّر من التوتر يُعوض ذلك وزيادة.

تساءلت أَوْمَامِه ولكن إلى متى سأظل على تلك الحال؟ إلى متى يمكنني مواصلة ذلك؟ قريباً سوف أبلغ الثلاثين، ولن ينقضي زمن حتى أصبح على أعتاب الأربعين.

قررت أن تكف عن التفكير في ذلك. سوف أعاود ذلك لاحقاً، عندما يصبح لدي وقت أكثر. لا لأني مرتبطة بأي مواعيد الآن. وإنما لأن التفكير جدياً بشأن ذلك، يجعلني___.

في تلك اللحظة رنّ الهاتف. بدا وكأنه يزمجر في أذني أَوْمَامِه، مثل قطار فائق السرعة داخل نفق. نهضت من فراشها تترنح ورفعت السماعة. كانت عقارب ساعة الحائط الكبيرة تشير إلى الثانية عشرة والنصف.

سمعت صوت امرأة ينطق باسمها. كانت أيومي.

أجابتها: «أجل، إنه أنا».

«هل أنت بخير؟ تبدين وكأن حافلة قد دهستك».

«ربما ليس إلى ذلك الحد».

«صداع كحول؟».

قالت أَوْمَامِه: «نعم، صداع حاد. كيف عرفت رقم هاتف منزلي؟».

«ألا تذكرين؟ لقد كتبتيه لي. يفترض أن رقم هاتفي داخل حافظتك. لقد كنا نتحدث عن الالتقاء قريباً».

«آه، حقاً؟ لا أتذكر شيئاً».

قالت أيومي: «ظننت أنك لن تتذكرين. كنت قلقة بشأنك.

ولذلك قررت الاتصال بك. كنت أود الاطمئنان أنك قد بلغت بيتك سالمة. لقد تمكنت من وضعك داخل سيارة أجرة في روبونجي كروسنج وأعطيت السائق عنوانك».

تنهدت أَوْمَامِه: «لا أذكر ذلك، ولكني أظن أني وصلت هنا. عندما استفقت وجدتني في فراشي».

«حسناً، أمرٌ طيب».

«ماذا تفعلين الآن؟».

قالت أيومي: «أؤدي ما يُفترض أن أؤديه. أستقل سيارة دورية صغيرة وأسجل مخالفات ركن السيارات منذ الساعة التاسعة. أنا في استراحة الآن».

قالت أَوْمَامِه: «رائع للغاية». كانت تعني ما تقول.

«بالطبع، أشعر ببعض الحاجة إلى النوم. ليلة البارحة كانت رائعة، مع ذلك! أمتع وقت قضيته على الإطلاق، شكراً لك».

ضغطت أَوْمَامِه بأطراف أصابعها على صدغيها: «كي أكون صريحة معك، فأنا لا أذكر شيئاً من الشوط الثاني. أقصد بعدما جئتِ أنت وصاحبك إلى غرفتنا».

قالت أيومي بكل جدية: «يا للخسارة! لقد كان رائعاً! لم يدع أربعتنا شيئاً إلا وأتيناه. لن تصدقي. لقد كان الأمر أشبه بفيلم إباحي. أنت وأنا لعبنا دور سحاقيات. ثم بعدئذ-».

أسرعت أَوْمَامِه بمقاطعتها: «لا يهمني كل ذلك. كل ما أريد معرفته هو هل كنت أستخدم واقياً. ذلك هو ما يقلقني. لا أتذكر ذلك».

«بالطبع كنت تفعلين. أنا لا أتهاون في ذلك مطلقاً. أنا متأكدة

تماماً، لا داعيَ للقلق. أقصد أني عندما لا أكلف بتسجيل مخالفات، أقوم بجولات على المدارس الثانوية في الحي حيث أعقد جلسات للفتيات كي أعلمهن أشياء مثل الطريقة الصحيحة لاستعمال الواقي. أقدم لهن إرشادات شديدة التفصيل».

صُدِمت أَوْمَامِه: «الطريقة الصحيحة لاستعمال الواقي. أي شرطية تلك التي تقدم مثل هذه المواد التعليمية لطالبات المدارس الثانوية؟».

«حسناً، الفكرة في الأصل هي أن أزودهن بمعلومات تقيهن الوقوع ضحايا جرائم جنسية، مثل التعرض للاغتصاب أثناء المواعدات الغرامية أو ماذا يفعلن إزاء المتحرشين في قطار الأنفاق، ولكنني أرى أنه طالما أتيح لي ذلك، فبوسعي أن أوصل رسالتي الخاصة بشأن الواقيات. هناك قدر من الجنس بين الطلاب لا يمكن تفاديه، ولذلك أطلب منهن أن يجتنبن الحمل والأمراض التناسلية. بالطبع لا يمكنني أن أقولها بهذا القدر من الصراحة، في وجود المعلمين داخل الفصل. على أية حال، هذا الأمر أشبه بغريزة مكتسبة. لا أنسى ذلك مطلقاً مهما شربت. لذلك لا داعيَ للقلق. إنك بخير. 'لا واقي، لا إيلاج.' هذا هو شعاري».

قالت أَوْمَامِه: «أشكرك. لقد أرحتِ بالي كثيراً».

«مهلاً، ألا تريدين معرفة كل ما فعلنا؟».

قالت أَوْمَامِه وهي تنفث الهواء الراكد داخل رئتيها: «ربما لاحقاً. سوف أدعك تروين كل التفاصيل المثيرة في وقت آخر. إذا فعلتِ ذلك الآن، فسوف تنشطر رأسي نصفين».

قالت أيومي بحيوية: «حسناً، فهمت. عندما أراك لاحقاً إذاً. هل تعرفين، منذ استيقاظي وأنا أفكر في أننا نصنع ثنائياً رائعاً. هل

تمانعين إن اتصلت بك مرة أخرى؟ أقصد، عندما أشتهي ليلة كالبارحة مرة أخرى».

قالت أَوْمَامِه: «طبعاً».

«حسناً، هذا رائع».

«شكراً على اتصالك».

قالت أيومي وهي تضع السماعة: «اعتنِ بنفسك».

بحلول الثانية ظهراً، أصبح ذهنها أصفى كثيراً بفضل القهوة المُركَّزة وقيلولة نامتها. ولحسن حظها كان الصداع قد زال أيضاً. لم يكن قد بقي من صداع الكحول سوى شعور طفيف بثِقل في عضلاتها. غادرت الشقة وهي تحمل حقيبة التدريب - بالطبع دون كسارة الثلج الخاصة، ولم يكن بها سوى بعض غيارات الملابس ومنشفة. التقاها تامارو عند الباب الأمامي كعادته.

رافقها إلى غرفة شمس مستطيلة وضيقة. توجد بالغرفة نافذة كبيرة مفتوحة تطلّ على الحديقة، ولكن أسدلت عليها ستارة مطرزة حماية للخصوصية. كان صف من النباتات المزهرية يتراصّ على عتبة النافذة. وتنبعث من سماعة صغيرة في السقف موسيقى باروك هادئة. كانت تتوسط الغرفة طاولة تدليك. كانت الأرملة الثرية ترقد منبطحة عليها بالفعل، فيما ترتدي ثوباً أبيض.

عندما غادر تامارو الغرفة، بدلت أَوْمَامِه ملابسها لتصبح بملابس فضفاضة أكثر. أدارت الأرملة الثرية رأسها لتنظر إلى أَوْمَامِه وهي تبدل ملابسها. لم يكن يهم أَوْمَامِه أن يراها أحد من جنسها نفسه عارية. فقد كان ذلك شأن يومي لدى الفرق الرياضية، وكانت الأرملة الثرية نفسها شبه عارية خلال التدليك، ما يُسّهل تفحص حالة

عضلاتها. خلعت أَوْمَامِه سروالها القطني وسترتها، ثم ارتدت قميصاً وسروالاً رياضيين. طوت ثيابها التي خلعتها ووضعتها في زاوية.

ابتدرتها الأرملة الثرية قائلة: «يبدو قوامك ممشوقاً ومرناً». قعدت وخلعت ثوبها، حتى لم تعد ترتدي سوى غلالة رقيقة فوق نصفيها العلوي والسفلي.

ردت أَوْمَامِه: «شكراً لك».

«كنت في مثل قوامك وأنا في شبابي».

قالت أَوْمَامِه: «أستطيع أن أجزم بذلك». وحتى الآن، وهي في عقدها السابع، لا تزال الأرملة الثرية تحتفظ في جسمها ببقية من حيوية الشباب. لم يكن جسمها قد ترهل، وحتى نهديها لا يزال بهما قدر من الصلابة. وبفضل اعتدالها في الطعام والتمارين اليومية حافظت على جمالها الطبيعي. كانت أَوْمَامِه تظن أنها قد استعانت على ذلك ببعض جراحات التجميل من قبيل إزالة التجاعيد وإزالة ترهلات منطقتي العينين والفم.

قالت أَوْمَامِه: «لا يزال جسمك يفيض بالحيوية».

ضمت الأرملة الثرية شفتيها قليلاً: «شكرا لك، ولكنه لا شيء مقارنة بما كان عليه».

لم تعقب أَوْمَامِه على ذلك.

«كنت أتمتع بجسدي أيَّما متعة. وكنت أُمتِّع به كثيراً أيضاً، إن كنت تفهمين قصدي».

قالت أَوْمَامِه: «أفهم ذلك».

«وهل أنت أيضاً تتمتعين بجسدك؟».

قالت أَوْمَامِه: «من حين إلى آخر».

قالت الأرملة الثرية وهي تنبطح مرة أخرى على بطنها: «ما بين حين وآخر ربما لا يكفي. عليك التمتع به وأنت لا تزالين في ريعان الشباب. تمتعي به كاملاً. سوف يكون بوسعك الاستعانة بذكرياتك الماضية في إحماء جسدك عندما تشيخين ولا تستطيعين التمتع به».

استحضرت أَوْمَامِه ليلة البارحة. لا تزال تشعر ببعض آثار الإيلاج في عجيزتها. هل يمكن لمثل تلك المشاعر أن تُحدث إحماء لجسدها عندما يتقدم بها العمر؟

وضعت أَوْمَامِه يديها فوق جسد الأرملة وراحت تمدد حزمة من العضلات تلو أخرى. تلاشى الآن الخدر المتبقي في جسمها. حالما بدلت ملابسها ولمست بأصابعها جسد الأرملة استفاقت أعصابها تماماً.

كانت أصابع أَوْمَامِه تتعقب عضلات الأرملة الثرية وكأنها تتبع مسارات على خريطة. كانت تذكر بالتفاصيل درجة التوتر والتيبس والمقاومة في كل عضلة مثلما يحفظ عازف البيانو نوتة موسيقية. عندما يتعلق الأمر بالجسد، فإن أَوْمَامِه لديها ذاكرة قوية ودقيقة. وحتى إذا جاز لها أن تنسى، فإن أصابعها لا تنسى. وحالما تجد في عضلة أهون قدر من الاختلاف عما عهدته فيها، تعمد إلى تنشيطها من زوايا متنوعة مستعينة بدرجات متفاوتة من القوة، وتتحسسها كي ترى نوعية استجابتها، ألماً كان أو لذة أو خَدراً. وهي لا تكتفي وحسب بحلحلة العقد في العضلة المشدودة، وإنما ترشد الأرملة الثرية كيف تحركها بقوتها الخاصة. بطبيعة الحال، كانت هناك أجزاء من الجسم لا يمكن إرخاؤها بقوتها وحسب، ولذلك كانت أَوْمَامِه تركز على تمديد العضلات مع هذه الأجزاء.

سألتها أَوْمَامِه: «هل يؤلمك ذلك؟» كانت عضلات الفخذ لدى

الأرملة الثرية أشدّ تيبساً بكثير ممّا اعتادت أن تكون - بل كانت بالغة التيبس. عندما وضعت يدها في تجويف حوض الأرملة الثرية، كان على أَوْمَامِه أن تنحني انحناءة خفيفة للغاية وفق زاوية خاصة.

قالت الأرملة الثرية، وقد قطبت جبينها: «يؤلمني بشدة».

قالت أَوْمَامِه: «حسناً. أمر جيد أن تشعري بالألم. إذا توقف الإيلام، فهذا يعني أن ثمة خلل كبير قد أصاب العضلة. سوف يؤلمك ذلك قليلاً. هل بوسعك احتمال ذلك؟».

قالت الأرملة الثرية: «نعم، بالطبع». لم تكن بحاجة إلى سؤالها في كلّ مرة. تستطيع أن تحتمل قدراً كبيراً من الألم. كانت تحتمل ذلك معظم الوقت وفي صمت. ربما تقطب جبينها ولكنها لا تصرخ أبداً. كانت أَوْمَامِه غالباً ما تجعل الرجال ذوي البنيان الضخم والقوي يصرخون ألماً بسبب تدليكها. كان عليها أن تُعجَب بقوة الإرادة التي تتمتع بها الأرملة الثرية.

وبينما كانت أَوْمَامِه تُميل حوضها أكثر، جعلت كوعها الأيمن إزاء الأرملة الثرية وكأنه محور ارتكاز. تحرّك المفصل محدثاً صوت طقة مكتومة. شهقت الأرملة الثرية، ولكن دون أن يصدر عنها صوت.

قالت أَوْمَامِه: «ينبغي لذلك أن يعالج التيبس. سوف تشعرين بتحسن كبير».

أطلقت الأرملة الثرية تنهيدة طويلة. لمعت حبّات العرق فوق جبينها. تمتمت قائلة: «أشكرك».

أمضت أَوْمَامِه ساعة كاملة في تليين العضلات في شتى أنحاء جسم الأرملة الثرية، فتبدأ باستثارتها وتدليكها ثم تفكيك المفاصل. كان ذلك ينطوي على قدر كبير من الألم، ولكن شيئاً لن يتحقق دون هذا الألم. كانت أَوْمَامِه والأرملة الثرية تدركان ذلك تماماً، ولذلك

أمضيتا الساعة دون كلام تقريباً. انتهت المقطوعة الموسيقية في وقت ما، وتوقف مشغل الأقراص المدمجة. لم يعد يتناهى إلى سمعهما سوى تغريدات الطيور في الحديقة.

قالت الأرملة الثرية بعد انقضاء بعض الوقت: «أشعر بأنّ جسدي الآن في غاية الخفّة!» كانت مستلقية على وجهها فوق طاولة التدليك، فيما تنضح المنشفة الكبيرة المبسوطة تحتها بالعرق.

قالت أَوْمَامِه: «يسعدني ذلك».

«كم هو مفيد أن تكوني معي! سوف يحزنني أن تتركيني».

«لا تقلقي، ليس لديّ أي مواعيد حتى الآن».

بدت الأرملة الثرية مترددة، ولم ترد سوى بعد صمت قصير: «لا أقصد التدخل في حياتك الشخصية، ولكن هل لديك شخص تحبينه؟».

قالت أَوْمَامِه: «نعم».

«أنا سعيدة لسماع ذلك».

«لكن لسوء الحظ، فهو لا يبادلني الحب».

«ربما يبدو ذلك سؤالاً غريباً، ولكن لماذا تظنين أنه لا يحبك؟ من وجهة نظر موضوعية، فإني أراك شابة فاتنة».

«إنه لا يدري حتى أنني موجودة».

استغرقت الأرملة بضع دقائق للتفكير فيما قالته أَوْمَامِه.

«أليس لديك رغبة في إطلاعه على حقيقة أنك موجودة؟».

قالت أَوْمَامِه: «ليس في هذا الوقت».

«وهل هناك ما يَحول دون ذلك - شيء مثلاً يعوقك عن الأخذ بزمام المبادرة؟».

«هناك بضعة أشياء، ومعظمها يتعلق بمشاعري الخاصة».

نظرت الأرملة إلى أَوْمَامِه بإعجاب جليّ: «قابلت أشخاصاً كثيرين غريبي الأطوار في حياتي، ولكن ربما تكونين واحدة من بين أغرب هؤلاء».

أرخت أَوْمَامِه العضلات حول فمها على نحو ما: «لست غريبة في أي شيء. أنا صادقة في مشاعري وحسب».

«هل تقصدين أنك حالما تُقرّين قاعدة ما، فإنك تتبعينها؟».

«نعم».

«أنت عنيدة إذاً، وسريعة الغضب».

«ربما ذلك صحيح».

«ولكنك فعلت ما يحلو لك ليلة البارحة».

احمرت أَوْمَامِه خجلاً: «وكيف عرفتِ ذلك؟».

«بالنظر إلى بشرتك. وبوسعي أيضاً شمّ ذلك. لا يزال جسدك يحمل بعض أثر ذلك. خبرة السنين تعلِّم الكثير».

قطبت أَوْمَامِه جبينها برهة: «أجدني بحاجة إلى ذلك الشيء. ما بين حين وآخر. أدرك أنه ليس مدعاة للفخر».

مدَّت الأرملة يدها ووضعتها بلطف فوق يد أَوْمَامِه.

«تحتاجين ذلك الشيء بالطبع، ما بين حين وآخر. لا تنزعجي، أنا لا ألومك. لكني أشعر أنه ينبغي لك أن تحظين بسعادة أكثر طبيعية - تزوجي شخصاً تحبينه، وتوِّجي الحب بنهاية سعيدة».

«لا أمانع في ذلك شخصياً. لكنه لن يكون سهلاً».

«ولمَ لا؟».

لم تجب أَوْمَامِه عن ذلك السؤال. لم يكن لديها تفسير بسيط.

قالت لها الأرملة الثرية وهي تسحب يدها من يد أَوْمَامِه وتمسح بيدها العرق من على وجهها: «إذا رغبت يوماً في الحديث لأحد ما عن هذه الأمور الشخصية، فأرجوك أن تتحدثي إلي. عن أي شيء يعنّ لك. ربما كان بوسعي مساعدتك».

قالت أَوْمَامِه: «أشكرك جزيلاً».

«بعض الأشياء لا تُحلّ بمجرد أن يفعل المرء ما يحلو له ما بين حين وآخر».

«معكِ كل الحق».

قالت الأرملة: «ألا تفعلين أي شيء قد يكون فيه دمارك؟ لا شيء على الإطلاق؟ هل أنت على يقين من ذلك؟».

قالت أَوْمَامِه: «نعم، أنا على يقين». **إنها محقة. لن أفعل أي شيء يكون فيه دماري. لا يزال هناك شيء مهمل تماماً. مثل ثمالة في زجاجة نبيذ.**

لا تزال أَوْمَامِه حتى الآن تستحضر الأحداث التي أحاطت بوفاة تاماكي أوتسوكا. إنها تتمزق من الداخل كلما لاح بخاطرها أنها لن ترى تاماكي أو تتحدث إليها مرة أخرى. كانت تاماكي هي أول صديقة حقيقية لديها. كانتا تخبران بعضهما بعضاً بكل شيء. لم تقابل أَوْمَامِه صديقة مثل تاماكي، ولم تقابل أحداً مثلها بعد وفاتها. ولا يمكن لأيّ أحد أن يحلّ محلها. ولولا أن أَوْمَامِه التقت تاماكي، لعاشت حياة أشد بؤساً وأكثر قتامة.

كانت هي وتاماكي في عمر واحد. فقد كانتا زميلتين في فريق كرة السوفتبول في مدرستهما الثانوية. منذ المرحلة الإعدادية وصولاً إلى

الثانوية، كرَّست أَوْمَامِه نفسها بكلّ إخلاص للعبة السوفتبول. التحقت بالفريق أول الأمر وهي على مضض عندما رَجَوها أن تساعد في ملء استمارات الانضمام إلى فريق يعاني نقصاً في أعضائه، وجاءت جهودها الأولى يعوزها الحماس في أفضل الأحوال، ولكن في نهاية الأمر أصبحت السوفتبول دافعاً للحياة لديها. تشبَّثت باللعبة كما يتشبَّث شخص ما في عمود عندما تدهمه عاصفة تريد اقتلاعه. ورغم أنها لم تدرك ذلك من قبل قط، فقد كانت أَوْمَامِه رياضية منذ مولدها. أصبحت عضواً أساسياً في فريقها في المدرستين الإعدادية والثانوية وساعدتهما على عبور البطولات الواحدة تلو الأخرى. لقد منحها ذلك شيئاً أشبه بالثقة في النفس (ولكنه أشبه وحسب: لأنه لم يكن ثقة بالنفس، إن شئنا الموضوعية). كانت أعظم أسباب سعادتها في الحياة هي أن تعرف أن أهميتها لدى الفريق ليست هينة بأيّ حال، وأنه رغم ضيق العالم، فقد حظيت بمكان محدد فيه. وهناك شخص بحاجة إليها.

كانت أَوْمَامِه تلعب في مركزي ضارب الكرة وماسك الكرة - وهي اللاعبة المركزية في الفريق، في الهجوم والدفاع على السواء. أما تاماكي أوتسوكا فكانت تلعب في مركز لاعب القاعدة الثاني، وهي محور الفريق، وقائدته. كانت تاماكي ضئيلة الجسم، ولكنها تحظى بردات فعل رائعة وتعرف كيف تستخدم ذهنها. كانت تستطيع استقراء كل التعقيدات التي تكتنف أي موقف على الفور. ومع كل ضربة، كانت تعرف إلى أي ناحية سوف تُميل جسمها، وبمجرد أن يلمس الضارب الكرة، يمكنها أن تُقدِّر اتجاه الضربة ومن ثم التحرك لتغطية المكان المناسب. وليس هناك كثيرون يمكنهم ذلك. وقد أنقذت الفريق في مواقف عصيبة كثيرة. لم تكن تضرب من مسافات بعيدة كما أَوْمَامِه، ولكن تصويباتها كانت دقيقة وقوية، وكانت سريعة الحركة.

لقد كانت أيضاً مثال القائد البارز للفريق. تجمع الفريق على قلب لاعبة واحدة وترسم الخطة وتسدي لكل لاعبة في الفريق النصح وتبث فيهم الحماس في أرض الميدان. ورغم أن قيادتها للفريق كانت تتسم بالشدة، فقد فازت بثقة اللاعبات الأخريات، مما جعل الفريق يزداد قوة يوماً تلو يوم. وقد تمكن الفريق من بلوغ نهائيات البطولة في طوكيو، بل وحتى تأهل لبطولة المدارس الوطنية. وقد اختيرت أَوْمَامِه وتاماكي لتكونا ضمن قائمة فريق النجوم في منطقة كانتو.

كانت أَوْمَامِه وتاماكي كلتاهما تقدر موهبة الأخرى - ودون أن تكون أيتهما هي البادئة - وجدتا نفسيهما تتقاربان على نحو طبيعي حتى أصبحت كل منهما هي الصديقة الحميمة للأخرى. كانتا تمضيان معاً ساعات طوال خلال رحلات الفريق للعب في المباريات الخارجية. تحدثتا معاً حول ظروف نشأتهما، ولم تخفِ أيّ منهما شيئاً عن الأخرى. وعندما بلغت أَوْمَامِه الصف الخامس، قررت الانفصال عن والديها وذهبت للعيش مع أحد أخوالها. تفهمت أسرة خالها موقفها ورحبت بها ترحيباً كبيراً باعتبارها أحد أفراد الأسرة، ولكنها في نهاية المطاف، لم تكن أسرتها. انتابها الشعور بالوحدة وافتقدت الحب. ولأنها لم تكن تدري كيف تجد لحياتها غاية ومعنى، فقد عاشت أيامها المتشابهة يوماً بيوم. كانت تاماكي تنحدر من أسرة ثرية ذات وجاهة اجتماعية، ولكن العلاقة بالغة السوء بين والديها أحالت البيت إلى جحيم. كان والدها نادراً ما يعود إلى المنزل، أما والدتها فكانت تدهمها كثيراً حالات اضطراب ذهني. وتتعرض لنوبات صداع رهيب، فتلزم فراشها أياماً لا تستطيع مغادرته. كانت تاماكي وشقيقها الأصغر لا يجدان سوى التجاهل من الأبوين. فكانا غالباً ما يتناولان طعامهما في مطاعم المنطقة أو في مطاعم الوجبات السريعة

أو يكتفيان بالوجبات المعلبة للغذاء الجاهز. ولاحقاً، أصبح لكل فتاة منهما أسبابها الخاصة في الهوس بلعبة السوفتبول.

ونظراً إلى ما تعانيانه من مشكلات، كانت لدى الفتاتين الوحيدتين تلال من الأشياء التي تقصّها كل منهما على الأخرى. وعندما خرجتا معاً في رحلة صيفية ذات مرة، تحسَّست كل منهما جسد الأخرى العاري في سرير الفندق. لم يحدث ذلك سوى هذه المرة فقط، بعفوية، ولم تأتِ أيتهما قط على ذكر ذلك. ولكن لأن ذلك قد وقع، فقد زادت علاقتهما عمقاً وسرية.

واظبت أَوْمَامِه على ممارسة كرة السوفتبول بعد تخرُّجها من المدرسة الثانوية والتحاقها بكلية خاصة للتربية البدنية. وبعد أن حظيت بسمعة وطنية كلاعبة سوفتبول بارزة، تم توظيفها ونالت منحة دراسية خاصة. وفي الكلية، أيضاً، أصبحت لاعبة أساسية في الفريق. وبينما كانت تكرس قدراً كبيراً من طاقتها للسوفتبول، فقد أبدت اهتماماً أيضاً بالطب الرياضي وبدأت دراسته على نحو جدي، بالإضافة إلى فنون القتال.

أما تاماكي فقد التحقت بكلية القانون في جامعة خاصة مرموقة. وتوقفت عن ممارسة السوفتبول لدى تخرجها من المدرسة الثانوية. كانت السوفتبول هي مجرد مرحلة لدى طالبة متميزة مثل تاماكي. فقد عقدت عزمها على التقدم لاختبار المحاماة وأن تصبح محامية. ورغم أن سبل الحياة قد افترقت بهما، فقد ظلت أَوْمَامِه وتاماكي صديقتين حميمتين. عاشت أَوْمَامِه في مهجع الكلية في غرفة مجانية مع وجبات الطعام فيما واصلت تاماكي غدوها ورواحها ما بين الكلية ومنزل أسرتها. كان المهجع أشبه بأرض قفر جفت فيها العاطفة، ولكنه منحها على الأقل الحرية الاقتصادية. كانتا تلتقيان مرة في الأسبوع

تتناولان فيها الطعام معاً وتُطْلع كلتاهما الأخرى على مستجداتها. ولم تَعدما قط مادة للحديث كلما التقيتا.

فقدت تاماكي عذريتها في خريف السنة الأولى من الكلية. كان صاحب الفعلة يكبرها بسنة واحدة، وعضواً في نادي التنس بالكلية. دعاها إلى غرفته بعد حفلة أقامها النادي، وهناك أرغمها على ممارسة الجنس. كانت تاماكي تحبّه، ولذلك قبلت الذهاب إلى غرفته، ولكن إرغامها على مضاجعته ونرجسيته وأنانيته تسببت لها بصدمة مريعة. تركت نادي التنس وانتابتها حالة من الاكتئاب. خلّفت التجربة لديها شعوراً عميقاً بالعجز. تلاشت شهيتها للطعام، وفقدت خمسة عشر رطلاً من وزنها. كان أقصى ما تريده من ذلك الشخص هو قدر من التفهم والتعاطف. لو كان قد أظهر مثقال ذرة من ذلك وتمهل في تهيئتها، لما كان تسليم جسدها له بالأمر الكبير. وجدت أنه من المستحيل عليها أن تتفهم ما اقترفه. لماذا كان عنيفاً معها إلى هذا الحدّ؟ لم يكن هناك أدنى لزوم لذلك!

واست أَوْمَامِه تاماكي ونصحتها أن تبحث عن طريقة ما لعقابه، ولكن تاماكي لم توافقها. وقالت إن طيشها كان سبباً من أسباب ذلك، وأن الأوان قد فات الآن للتقدم بأي شكاوى. وقالت: «أنا أتحمل بعض المسؤولية لذهابي إلى غرفته بمفردي. كل ما أستطيعه الآن هو نسيان ما جرى». ولكنه كان جلياً تماماً لدى أَوْمَامِه مدى عمق الجرح الذي خلفته الحادثة لدى صديقتها. لم تكن المشكلة هي فقدانها عذريتها وحسب وإنما أيضاً حرمة الروح البشرية للفرد. ليس لأحد الحق في أن ينتهك أرض هذا الحرم بقدمين موحلتين. وما إن يقع ذلك لإنسان، حتى يظل الشعور بالعجز ينخر فيه.

آلت أَوْمَامِه على نفسها أن تُنزل العقاب بهذا الرجل. حصلت

على عنوانه من تاماكي وذهبت إلى شقته وهي تحمل معها مضرب كرة سوفتبول في أنبوب بلاستيكي. كانت تاماكي موجودة في كانازاكي ذلك اليوم، لحضور تأبين أحد الأقارب أو شيء من هذا القبيل، وهو ما يعتبر دليلاً متقناً للبراءة عند التحقيق. تحرَّت أَوْمَامِه ألا يكون الرجل في البيت. استعانت بمفك ومطرقة لكسر قفل الباب. ثم لفَّت منشفة حول المضرب عدة لفات لخفض الضجيج المصاحب لذلك، وانهالت على محتويات الشقة وهشمت كل ما هو قابل للكسر - مثل جهاز التلفزيون والمصابيح والساعات والأسطوانات ومحمص الخبز والمزهريات حتى لم تدَع شيئاً سليماً. قطعت سلك الهاتف، ومزقت الكتب وبعثرت صفحاتها، ووزعت محتويات علبة معجون الأسنان ومعجون الحلاقة على السجادة، وصبت الصلصة فوق السرير، وأمسكت بمدونات وجدتها في أحد الأدراج وراحت تمزقها إرباً إرباً، وكسرت كل الأقلام الجافة وأقلام الرصاص، وحطمت كل مصابيح السقف، وشقت كل الستائر والوسائد بسكين المطبخ، ولم تدع قميصاً له في خزانة الملابس لم يتخلله المقص، وصبت زجاجة من صلصة الطماطم في أدراج الملابس الداخلية والجوارب، ونزعت منصهر الثلاجة وألقت به خارج النافذة. لحق بالشقة دمار متعمد وشامل. بدت الغرفة أشبه ما تكون بأحدث الصور الواردة في الأخبار لشوارع بيروت بعد القصف.

كانت تاماكي فتاة ذكية (كانت تحقق علامات في المدرسة لا تستطع أَوْمَامِه حتى التطلع لمضاهاتها)، وفي لعبة السوفتبول كانت دائماً في قمة الانتباه والجاهزية. وعندما توقع أَوْمَامِه نفسها في مأزق فوق أرض الملعب، تهرع إليها تاماكي وتسدي إليها النصح عبر بضع

كلمات سريعة، وهي تبتسم لها وتربت بقفازها فوق عجيزتها، ثم تعود إلى مكانها في الملعب. كانت لديها نظرة رحبة للأشياء وقلب دافئ، وتحظى بروح الدعابة. كانت تبذل جهداً كبيراً في واجباتها المدرسية وتحظى بقدرة على الإلقاء ببلاغة حقيقية. ولو قُدِّر أن تتابع دراساتها، لأضحت دون شك محامية بارعة.

ولكن عندما يتعلق الأمر بالرجال، فإن قدرة تاماكي على التمييز تتهاوى تماماً. كانت تاماكي تميل إلى الرجال ذوي الوسامة. فهي تنحاز إلى المظهر الحسن. وبحسب أَوْمَامِه، فقد بلغ هذا الميل لدى صديقتها حد المرض. فقدْ تلتقي تاماكي برجال ذوي شخصيات رائعة أو يتمتعون بمهارات فائقة ومتحمسون للتودد إليها، ولكن إذا لم تلبِّ وسامتهم معاييرها، فإنها لا تعبأ بهم بالمرة. ولسبب ما، كان هؤلاء الذين أثاروا اهتمامها دائماً من ذوي الوجوه الحسنة ولكنهم من داخلهم خواء. وكانت ترفض بعناد أي شيء يمكن أن تقوله أَوْمَامِه فيما يتعلق بالرجال. فهي دائماً مستعدة لأن تتقبل، بل وحتى تحترم - أراء أَوْمَامِه في الأمور الأخرى، ولكن إذا ما انتقدت أَوْمَامِه اختيارها لصديق، فإن تاماكي كانت ترفض مجرد الإصغاء لها. وقد انتهى الأمر بأَوْمَامِه أن كفَّت عن إسداء النصح لها بهذا الشأن. لم تشأ أن تتشاحن مع تاماكي وتقوض صداقتهما. في نهاية المطاف، كانت حياة تاماكي. ولم يكن بوسع أَوْمَامِه إلا أن تدعها تعيشها. ارتبطت تاماكي برجال كثر خلال سنوات الكلية، وتسبب كل منهم في متاعب لها. كانوا دائماً يخونونها، ويجرحونها، ثم يهجرونها، فيتركونها في كل مرة على حافة الجنون. لجأت إلى الإجهاض مرتين. وتاماكي في علاقاتها مع الجنس الآخر هي ضحية بالفطرة.

أما أَوْمَامِه فلم تتخذ قطّ صديقاً دائماً. فهي تتلقى مواعدات ما

بين فينة وأخرى، وترى أن قليلاً من الرجال ليس سيئاً على الإطلاق، ولكنها لم تدع نفسها تستغرق مطلقاً في علاقة مع رجل.

وحين تسألها تاماكي: «هل ستظلين عذراء بقية عمرك؟».

تجيبها أَوْمَامِه: «لا أجد وقتاً لذلك. أستطيع بالكاد أن أُسيِّر حياتي يوماً بيوم. ليس لدي وقت أضيعه في التسكع مع صديق».

عقب التخرج، بقيت تاماكي في الكلية كي تتأهل لامتحان المحاماة. أما أَوْمَامِه فالتحقت بالعمل في شركة تختص بصناعة المشروبات الرياضية والأغذية الصحية، وهناك لعبت ضمن فريق السوفتبول لدى الشركة. وبينما ظلت تاماكي تستخدم المواصلات في تنقلاتها، فقد قررت أَوْمَامِه العيش في مسكن توفره الشركة ويقع في يويوجي هاتشيمان. وكدأبهما أيام الدراسة، كانتا تلتقيان في نهاية كل أسبوع للطعام والدردشة.

عندما بلغت الرابعة والعشرين، تزوجت تاماكي شخصاً يكبرها بعامين. وبمجرد ارتباطهما انقطعت عن الكلية وتوقفت عن متابعة دراستها للقانون. كان هو مَن ألحّ عليها فعل ذلك. لم تلتق أَوْمَامِه خطيب تاماكي سوى مرة. كان يتحدر من أسرة ثرية، وكما توقعت، وسيم الملامح ولكنه ضحل التفكير. يهوى ركوب القوارب. كان شخصاً يجيد معسول الكلام وبارعاً على طريقته الخاصة، ولكنه ذو شخصية جوفاء، وكلماته لا وزن لها. بعبارة أخرى، كان صديقاً نمطياً من أصدقاء تاماكي. ولكنه اتصف بسمة أخرى، وهي سمة تنذر بالسوء، أحسّتها أَوْمَامِه. ولذلك كَرِهته من البداية. والأرجح أنه هو الآخر لم يحبها كثيراً.

وقالت أَوْمَامِه لتاماكي: «هذا الزواج لن ينجح». كانت أَوْمَامِه

تكره أن تسدي نصحاً غير مرغوب مرة أخرى، ولكنه زواجٌ حقيقي لا مزاح أطفال. ولكون أَوْمَامِه الصديقة الأقدم والمقربة من تاماكي، فإنها لم تستطع الوقوف صامتة. نشبت على إثر ذلك أولى جدالاتهما المحتدة. انتابت تاماكي حالة هستيرية بسبب معارضة أَوْمَامِه لزواجها، وراحت تصرخ في وجهها ووجهت لها أقذع الكلمات، من بينها كلمات هي آخر ما تود أَوْمَامِه سماعه. ولذلك لم تحضر أَوْمَامِه حفل الزفاف.

لم يمر وقت طويل حتى تصالحتا. فحالما عادت تاماكي من شهر العسل، ذهبت إلى أَوْمَامِه دون إبطاء واعتذرت عن تصرفها معها. ترجَّتها قائلة: «أود منك نسيان كل ما قلته تلك المرة. لم أكن في طبيعتي. ظللتِ في بالي طوال شهر العسل». طلبت منها أَوْمَامِه ألا تشغل بالها، كونها قد نسيت كل شيء فعلاً. تعانقتا ثم سرعان ما أخذتا تتبادلان النكات وتضحكان.

ولكن مع ذلك، وعقب الزواج، قلَّت فجأة وتيرة اللقاءات المباشرة بين أَوْمَامِه وتاماكي. كانتا تتبادلان الرسائل كثيراً، وتتحدثان عبر الهاتف، ولكن بدا أن تاماكي تجد صعوبة في إيجاد وقت يناسبهما. كانت حجتها هي الأعباء المنزلية الكثيرة التي عليها النهوض بها. وتقول: «كم هو شاق أن تكون المرأة ربة منزل طول الوقت»، ولكن نبرة صوتها كانت تشي بأن زوجها لا يريد لها مقابلة آخرين خارج المنزل. وفوق ذلك، كانت تاماكي وزوجها يقطنان المجمع السكني نفسه الذي يقيم فيه والداه، مما صعَّب من مغادرتها للمنزل. ولم تُدعَ أَوْمَامِه لزيارة تاماكي في بيتها الجديد.

حياتها الزوجية تسير على خير ما يرام، هكذا كانت تاماكي تقول لأَوْمَامِه كلما واتتها الفرصة. «زوجي يعاملني بلطف ووالداه في غاية

الود معي. إننا نعيش في راحة تامة. وكثيراً ما نخرج في رحلات باليخت انطلاقاً من إنوشيما في عطلة نهاية الأسبوع. لا أشعر بأسف على توقفي عن دراسة القانون. عانيت ضغوطاً كبيرة بسبب امتحان المحاماة. ربما هذا النوع من الحياة العادية كان هو الخيار الأمثل من البداية. سيكون لدي طفل على الأرجح عما قريب، وعندئذٍ سوف أصبح نموذجاً للأم المُملة. ربما لن يتبقى لدي أي وقت لك!» كان صوت تاماكي دائماً مفعماً بالبهجة، ولم يكن لدى أَوْمَامِه أي مسوغ للتشكك في كلماتها، فتقول لها: «هذا رائع»، وهي تعتقد حقاً أنه رائع. كانت تفضل قطعاً أن تخيب ظنونها لا أن تُصيب. ثمة شيء قد استقر في مكانه أخيراً داخل تاماكي، هكذا خمنت. أو هكذا حاولت أن تصدق.

لم تتخذ أَوْمَامِه أي صديقة حقيقية أخرى، وبينما كان تواصلها مع تاماكي يتقلص، أصبحت لا تدري شيئاً عمّا يجري في حياتها. ولم يعد بوسعها التركيز على لعبة السوفتبول كعادتها. كان شغفها باللعبة يتضاءل كلما زاد ابتعاد تاماكي عن حياتها. بلغت أَوْمَامِه الخامسة والعشرين، ومع ذلك ظلت تحتفظ بعذريتها. كانت ما بين فينة وأخرى، وكلما اضطرب حالها، تلجأ للاستمناء، ولكنها لم تستشعر وحشة كبيرة في هذه الحياة. كانت العلاقات الشخصية العميقة مع الناس مصدر ألم لأَوْمَامِه. والأحرى بها أن تنطوي على نفسها.

انتحرت تاماكي في يوم عاصف قرب نهاية الخريف قبل ثلاثة أيام من عيد ميلادها السادس والعشرين. شنقت نفسها في المنزل. زوجها هو من اكتشف ذلك لدى عودته في المساء التالي من رحلة عمل.

قال الزوج في إفادته للشرطة: «لم تكن لدينا مشكلات زوجية، ولم أسمع منها كلمة تنمّ عن سخط قطّ. لا أكاد أتصور أي سبب ذلك الذي دفعها لإنهاء حياتها». أما والداه فقد قالا الشيء نفسه تقريباً.

ولكنهما كان يقولان كذباً. فقد تركها عنف الزوج المفرط والمتواصل مغطاة بندوب جسدية وذهنية. كانت أفعاله إزاءها تنم عن اضطراب عقلي، وهي حقيقة كان والداه يدركانها. أدرك محققو الشرطة حقيقة ما حدث استناداً إلى نتائج تشريح الجثة، ولكنهم لم يعلنوا شكوكهم قط. استدعت الشرطة الزوج لاستجوابه، ولكن الحادثة كانت انتحاراً لا يرقى إليه شك، فضلاً عن أن الزوج كان موجوداً وقت الوفاة في هوكايدو التي تبعد مئات الأميال. ولم يُتهم في أي جريمة من قبل. ذلك هو ما أفضى به شقيق تاماكي الأصغر لأَوْمَامِه سراً.

قال لها، إن العنف مورس ضدها من البداية، ومع مرور الأيام زادت وتيرته وبشاعته. ولكن تاماكي لم يكن بوسعها الخلاص من كابوسها. لم تنبس بكلمة إلى أَوْمَامِه بشأن ذلك لمعرفتها الجواب الذي سيأتيها إن طلبت منها النصح: 'غادري هذا المنزل فوراً'. ولكن ذلك هو ما لا تستطيعه.

في النهاية، وقبل أن تُزهق روحها بمدة قصيرة، كتبت تاماكي رسالة مطولة إلى أَوْمَامِه. استهلّتها بالقول إنها أخطأت وإن أَوْمَامِه كانت محقّة من البداية. واختتمت الرسالة على النحو الآتي:

إنني أعيش في الجحيم منذ اليوم الأول. ولكن لا سبيل للهربْ. لا أدري إلى أين أذهب إن أقدمتُ على ذلك. يتملكني شعور بالعجز التام، وهو شعور أصبح لي بمثابة

السجن. سجنٌ دخلته بإرادتي الحرة، ثم أقفلت بابه، ورميت المفتاح. لقد كان زواجي دون شكّ خطأ اقترفته، تماماً مثلما أسلفت. ولكن المشكلة الأعمق لا تكمن في زوجي أو حياتي الزوجية. إنما تكمن داخلي أنا. إنني أستحق كلّ الألم الذي أكابده. لا أستطيع أن ألقي باللائمة على أيّ أحد سواي. أنت صديقتي الوحيدة وموضع ثقتي الوحيد في العالم. ولكن فات أوان إنقاذي الآن. أرجوك اذكريني دائماً. ليتنا ظللنا نلعب معاً السوفتبول إلى الأبد!

شعرت أَوْمَامِه بغصّة رهيبة لدى قراءتها رسالة تاماكي. ولم يتوقف جسدها عن الارتجاف. اتصلت بمنزل تاماكي مرات ومرات، ولكن أحداً لم يردّ. لم تكن تسمع سوى جواب آلة الرد. استقلت القطار المتجه إلى سيتاغايا ومشت صوب منزل تاماكي في أوكوزاوا. كان المنزل يقع وسط قطعة أرض كبيرة وخلف سور عالٍ. ضغطت أَوْمَامِه على جرس الإنتركم، ولكن أحداً لم يُجب أيضاً. لم تسمع سوى نباح كلب بالداخل. ولم تجد بُداً عن التوقف والانصراف إلى بيتها. لم يكن لديها سبيل لمعرفة ذلك، ولكن تاماكي كانت قد لفظت أنفاسها الأخيرة بالفعل. كانت تتدلى وحدها من حبل ربطته بدرابزين السلم. داخل المنزل الذي يخيم عليه الصمت، كان جرسا الهاتف والباب الرئيس يدقان وسط الخواء.

بقليل من الدهشة تلقت أَوْمَامِه نبأ موت تاماكي. لا بدّ أن شيئاً بداخلها توقّع ذلك. لم تشعر بحزن جارف. ردّت على المتصل غير مكترثة، ثم وضعت السماعة، واستقرت في مقعدها. بعد جلوسها مدة طويلة، شعرت بأن كل سوائل جسدها تنسال منها. ظلت قابعة في

الكرسي لا تستطيع مغادرته وقتاً طويلاً. هاتفت الشركة التي تعمل لديها وقالت إنها مريضة ولن تستطيع الحضور عدة أيام. لزمت شقتها، ولم تكن تقرب الطعام أو تنام، وبالكاد كانت تشرب الماء. لم تحضر الجنازة. شعرت كما لو أن شيئاً قد بدَّل الأماكن داخلها بنقرة واحدة. خامرها شعور قوي وقالت في نفسها، **هذا حدّ فاصل. من الآن فصاعداً، لن أكون الشخص الذي كنته قبلاً.**

وفي قرارة نفسها، عقدت أَوْمَامِه العزم على إنزال العقاب بزوج تاماكي انتقاماً ممّا اقترفه. **مهما حصل، فلا بد أن أُريه نهاية العالم. وإلا، فسوف يذيق الكأس ذاتها لامرأة أخرى.**

عكفت أَوْمَامِه طويلاً على رسم خطة مُحكمة. كانت تعلم فعلاً أنّ غرز إبرة في نقطة معلومة في القفا وبزاوية معلومة يمكن أن يُفضي إلى موت الشخص في التو واللحظة. لم يكن ذلك طبعاً بالشيء الذي يستطيعه أي أحد. ولكنها تستطيع ذلك. أولاً، سوف يكون عليها أن تُدرِّب نفسها على العثور على تلك النقطة الدقيقة عبر اللمس وفي أقل وقت ممكن. ثانياً، سيكون عليها أن تعثر على أداة ملائمة لتنفيذ هذه المهمة. دبرت الأدوات اللازمة، ومع مرور الوقت صنعت لنفسها أداة خاصة تشبه كسارة ثلج صغيرة ودقيقة. كانت الإبرة المثبتة بها حادة وصلبة ومدببة كما لو أنها فكرة لا تعرف الرحمة. وجدت طرقاً عديدة للحصول على ما لزم من تدريب، وهو ما فعلته بتفانٍ كبير. عندما قنِعت بمستوى الإعداد الذي بلغته، وضعت خطتها موضع التنفيذ. دون تردُّد وبهدوء أعصاب ودقة بالغة، استطاعت أن تزهق روح الرجل. وعندما انتهت من مهمتها، تلت صلاةً، لهج بها لسانها وكأنها فعلاً لاإرادياً تقريباً.

أبانا الذي في السموات، ليتقدّس اسمك إلى أبد الآبدين، وليأتِ ملكوتك إلينا. اغفر لنا خطايانا الكثيرة، وأسبغ بركاتك على سُبلنا المتواضعة. آمين.

ومنذ ذلك الحين باتت أَوْمَامِه تشعر باشتهاء دوري وجارف لأجساد الرجال.

الفصل الرابع عشر

تنغو
أشياء لم يرها معظم القراء في حياتهم

كان كوماتسو وتنغو قد اتفقا على اللقاء في المكان المعتاد، وهو المقهى القريب من محطة شنجوكو. وكدأبه، وصل كوماتسو متأخراً بعشرين دقيقة. لم يأتِ كوماتسو في موعده قط، أما تنغو فلم يأتِ متأخراً مطلقاً. كان ذلك أمر مألوف لدى كليهما. جاء كوماتسو حاملاً حقيبته الجلدية ومرتدياً سترته المعتادة فوق قميص «بولو» أزرق داكن.

قال كوماتسو، ولكن دون أن تبدو عليه أي علامات أسف: «معذرة إن كنت قد جعلتك تنتظرني». بدا في مزاج طيب للغاية، وبدت ابتسامته كقمر في طور الهلال وقت الفجر.

اكتفى تنغو بإيماءة من رأسه دون أن يتكلم.

سحب كوماتسو المقعد المواجه وقال: «معذرة إن كنت قد استعجلتك للانتهاء من العمل. أنا متأكد أني أثقلت عليك».

رد تنغو: «لا أقصد المبالغة، ولكني لم أكن أدري إن كنت حياً أو ميتاً خلال الأيام العشرة الماضية».

«ومع ذلك، فقد أبليتَ بلاء حسناً. حصلت على إذن من ولي أمر فوكا-إري، وانتهيت من إعادة كتابة القصة. هذا إنجاز مذهل من

شخص يعيش في عالمه الصغير. بوسعي الآن أن أراك في صورة جديدة تماماً».

تجاهل تنغو ثناء كوماتسو وقال: «هل قرأت التقرير الذي وضعته حول خلفية فوكا-إري؟ التقرير المطول».

«قطعاً فعلت. بالطبع. كلمة بكلمة. أشكرك على كتابته. إنّ لديها - ماذا يجب أن أسمي ذلك؟- تاريخاً معقداً. يمكن أن تكون جزءاً من رواية أجيال. ولكن ما أدهشني حقاً هو أن يكون البروفيسور إيبسونو هو ولي أمرها. كم هو عالم صغير! هل حدَّثك بأي شيء عني؟».

«عنك؟».

«نعم، هل حدثك البروفيسور بأي شيء عني؟».

«لا، لم يقل شيئاً محدداً».

قال كوماتسو وقد بدت عليه علامات الحيرة واضحة: «أمر غريب. لقد عملت مع البروفيسور إيبسونو ذات مرة. اعتدتُ الذهاب إلى مكتبه في الجامعة لاستلام كتاباته. بالطبع، كان ذلك منذ زمن طويل، كنت قد بدأت لتوي في العمل كمحرِّر».

«ربما نسي، طالما كان ذلك منذ زمن طويل. لقد طلب مني أن أحدّثه عنك - وأن أقول له أي نوع من الأشخاص أنت».

قال كوماتسو وقد قطب وجهه وهز رأسه: «غير معقول. هذا مستحيل. إنه لا ينسى شيئاً أبداً. ذاكرته قوية إلى درجة مخيفة تقريباً. كنت أنا وهو نتحدث عن كل شيء تقريباً، أنا واثق أنه يذكرني... على أية حال، فهو ليس بالشخص الذي يسهل التعامل معه. وحسب تقريرك، فإن التعامل مع الظروف المحيطة بفوكا-إري لن يكون سهلاً أيضاً».

«دعنا نتحدث بصراحة. نحن أشبه بمَن يحمل قنبلة موقوتة.

فوكا-إري ليست فتاة عادية بأي حال. ليست مجرد فتاة جميلة في السابعة عشرة. إذا ما حققت الرواية نجاحاً واسعاً، فسوف تستغلّ وسائل الإعلام ذلك وتميط اللثام عن كلّ الحقائق التي يسيل لها اللعاب. سوف يكون أمراً رهيباً».

قال كوماتسو وإن ظلّ محافظاً على ابتسامته: «صحيح، قد يفتح ذلك علينا بوابة الجحيم».

«إذن هل لنا أن نلغي الخطة؟».

«نلغي الخطة؟».

«نعم، إنها عملية تفوق طاقتنا وتحفُّها مخاطر كثيرة. دعنا نعيد المخطوطة الأصلية إلى كومة القصص».

«ليس الأمر بتلك السهولة للأسف. لقد أرسلت 'الشرنقة الهوائية' في نسختها المعاد كتابتها إلى المطبعة بالفعل. إنهم يصنعون ألواح الطباعة. بمجرد طباعتها سوف ترسل إلى رئيس التحرير ورئيس المطبوعات واللجنة الرباعية المسؤولة عن اختيار الرواية الفائزة. لقد فات أوان القول، 'معذرة، لقد كان ذلك خطأ. رجاء أعدها إلى مكانها وتظاهر بأنك لم ترها قط'».

تنهد تنغو.

قال كوماتسو: «ما حصل قد حصل. لا يمكننا إعادة عقارب الساعة إلى الوراء». وضع بين شفتيه سيجارة «مارلبورو»، وضيَّق من حدقتي عينيه، وأوقد السيجارة بثقاب المقهى، ثم أردف: «سوف أفكر في الخطوة التالية. ليس عليك أن تشغل نفسك بأي شيء، يا تنغو. حتى وإن حصدت 'الشرنقة الهوائية' الجائزة، سوف نبقي فوكا-إري محاطة بالكتمان. سوف تظلّ هي الكاتبة الصغيرة المحيرّة للعقول التي لا تريد الظهور أمام الجمهور. يمكنني عمل ذلك. وباعتباري المحرِّر

المسؤول عن القصة، فسوف أكون الناطق باسمها. لا تقلق، لقد رتبت لكل شيء».

«ليس لديّ شك في قدراتك، ولكن فوكا-إري ليست فتاة طبيعية. إنها ليست الفتاة التي تُطبق فمها وتفعل ما تؤمر به. إذا ما عقدت عزمها على شيء، فلن يحوْل بينها وبين ذلك حائل. إنها لا تسمع ما لا تريد أن تسمعه. هكذا هو تكوينها. الأمر لن يكون سهلاً كما تتصوره».

لزم كوماتسو الصمت وظلّ يُقلِّب علبة الثقاب في يديه. ثم قال: «على أية حال يا تنغو، لقد قطعنا شوطاً طويلاً. كل ما نستطيعه الآن هو أن نصمِّم على المضيّ فيما نحن فيه. أولاً، إعادة كتابتك 'للشرنقة الهوائية' رائعة، بل بالغة الروعة، وتتجاوز توقعاتي. إنها في غاية الإتقان تقريباً. لا يساورني أدنى شك في أنها سوف تحصد جائزة الكتَّاب الجُدد وسوف تُحدث ضجة كبيرة. لقد فات الأوان الآن لأنْ نُواريها الثرى. إذا أرَدتَ رأيي، فإن مواراة عمل بهذه الجودة الثرى هو بمثابة جريمة. وكما أسلفت من قبل، فإن الأمور تمضي قُدماً بأقصى سرعة».

قال تنغو مستغرباً، وهو يحدق في كوماتسو: «جريمة؟».

قال كوماتسو: «حسناً، خُذْ هذه الكلمات على سبيل المثال، كلّ فن وكلّ بحث، وعلى نحو مماثل، كل عمل وكل سعي، يستهدف خيراً ما؛ ولهذا السبب فقد قيل إنّ الخير هو ما تتغيّاه كل الأشياء».

«ما هذا؟».

«أرسطو. وكتابه **الأخلاق النيقوماخية**. هل قرأت لأرسطو من قبل؟».

«لا شيء تقريباً».

«عليك أن تقرأه. أنا واثق أنه سيروق لك. عندما لا أجد شيئاً أقرأه، فإنني أقرأ في الفلسفة اليونانية. لا أسأمها مطلقاً. دائماً بها الجديد الذي يمكِنك تعلمه».

«ولكن ما هو القصد من هذا الاقتباس؟».

قال كوماتسو: «إن غاية الأشياء هي الخير. وبعبارة أخرى، الخير هو الغاية التي تبتغيها كل الأشياء. دعنا نترك بعض الشك للغدّ. ذلك هو القصد».

«ماذا يتعين على أرسطو أن يقول بشأن الهولوكوست؟».

اتسعت ابتسامة كوماتسو ذات الشكل الهلالي، وقال: «أرسطو هنا يتحدث أساساً عن أشياء من قبيل الفن والمنح الدراسية والصنائع».

لم تكن معرفة تنغو بكوماتسو مجرد معرفة عابرة. فقد كان يعرف ظاهره وباطنه على السواء. كان كوماتسو يبدو ذئباً منعزلاً في مجال الأدب يُقدَّر له البقاء دائماً لأنه يفعل ما يشاء. معظم الناس كانوا يُفاجَأون بتلك الصورة. ولكن إن راقبته من كثب، آخذاً بعين الاعتبار الملابسات الكاملة لأفعاله، فيمكنك الجزم بأنّ تحركاته محسوبة بدقة عالية. كان يشبه لاعب الشطرنج أو لاعب الشوغي الذي يستطيع أن يستشرف عدة حركات سلفاً. كان يروق له حقاً أن يرسم خططاً غير مألوفة، ولكنه يحرص أيضاً على أن يرسم لنفسه خطاً ولا يتجاوزه. وكان على النقيض، شخصاً عصبي المزاج تنبثق جلّ أفعاله المشينة من رغبة في لفت الأنظار.

يحرص كوماتسو على أن يؤمِّن نفسه عبر تدابير حمائية متنوعة. فقد كان مثلاً يكتبُ مقالاً أدبياً أسبوعياً في الإصدار المسائي لصحيفة كبرى. وعبر هذا المقال، كان يغدق على الكتاب المديح أو يكيل لهم

الذم. وكان يلجأ في ذمه لأقذع الألفاظ، حتى أصبحت تلك هي سمته المميزة. كان العمود يُنشر باسم مستعار، ولكن جميع المهتمين بالأدب يعلمون مَن الذي يكتبه. ولأن أحداً لم يكن يحب بطبيعة الحال أن توجَّه له سهام النقد عبر الصحف، فقد كان الكتَّاب يحاولون ألا يستثيروا حفيظته. وإذا طَلب منهم أن يكتبوا شيئاً، فإنهم يتحاشون خذلانه قدر استطاعتهم. وإلا، فلا أحد يتوقع ماذا سيقول بشأنهم في عموده.

لم يكن تنغو مغرماً بهذا الجانب التآمري في شخصية كوماتسو، ولا بالطريقة التي يُظهر بها ازدراءه لعالم الأدب فيما يستغل نظامه لتحقيق مآربه الخاصة. كان كوماتسو يحظى بموهبة تحريرية لا تُبارى، ويقدم عوناً هائلاً لتنغو، ويُسدي إليه النصح كثيراً بشأن كتابة الأدب. ولكن تنغو كان حريصاً على أن تظلّ هناك مسافة بينهما. كان مصمماً على ألّا يقترب أكثر ممّا ينبغي من كوماتسو، كي لا يقوم بسحب السلم من تحته عندما يتخطى حدوداً معينة. وبذلك المعنى، كان تنغو هو الآخر شخصاً شديد الحذر.

تابع كوماتسو: «كما قلت لك قبل دقيقة، إن إعادة كتابتك لـ'الشرنقة الهوائية' بلغت حدود الكمال تقريباً. لقد أديت عملاً رائعاً. ليس هناك سوى جزء واحد، جزء واحد فعلاً - هو ما أريد منك أن تعيد عمله إذا أمكن. ليس الآن، بالطبع. إنه جيد قياساً بمستوى كاتب جديد. ولكن بعد أن يقع اختيار اللجنة على هذه الرواية للفوز بالجائزة وقبل طباعتها في المجلة، في تلك المرحلة أودّ منك أن تقوم بإصلاحه».

سأله تنغو: «أي جزء ذلك؟».

«عندما ينتهي الناس الصغار من صنع الشرنقة الهوائية، يوجد

قمران. تنظر الفتاة إلى أعلى فتجد في السماء قمرين. هل تذكر ذلك الجزء؟».

«أذكره بالطبع».

«أعتقد أنك لم تكتب بقدر كافٍ عن القمرين. أودّ منك إضافة بعض التفاصيل الجوهرية لذلك. هذا هو مطلبي الوحيد».

«ربما يتّسم بوجازته نوعاً ما. لكني لم أشأ أن أُتخمه بالتفاصيل وأُفسد التدفق النصّي الذي يميز النسخة الأصلية لفوكا-إري».

رفع كوماتسو يده التي يُمسك بها سيجارة بين أصابعه: «فكِّر فيه بهذه الطريقة، يا تنغو. لقد رأى قراؤك السماء وفيها قمر واحد مرات ومرات، أليس كذلك؟ ولكن أشكّ في أنهم قد رأوا سماء فيها قمرين جنباً إلى جنب. عندما تقدم في عمل أدبي أشياءً لم يرها معظم القراء في حياتهم، فعليك أن تُوصِّف هذه الأشياء بأكبر قدر من الدقة والتفاصيل. أما ما تستطيع حذفه من العمل الأدبي فهو وصف الأشياء التي رآها فعلاً معظم القراء».

قال تنغو: «فهمت ذلك». كان مطلب كوماتسو معقولاً إلى حدٍّ كبير. «سوف أملأ الجزء الذي يظهر فيه القمران بالتفاصيل».

قال كوماتسو: «حسناً، سوف يكون ممتازاً». سحق سيجارته كي يطفئها.

قال تنغو: «يسعدني دائماً أن أسمع منك كلمات الثناء على عملي، ولكنه ليس ثناء مفهوماً بالنسبة لي هذه المرة».

قال كوماتسو ببطء، كما لو كان يضفي تأكيداً على ما يقول: «لقد نضجتَ فجأة. لقد بلغت حدّ النضج في التلاعب باللغة والتأليف على السواء. وهو أمرٌ يجب أن يكون مفهوماً بما يكفي لأن تبتهج به. أنا واثق أنك تعلمت الكثير حول كتابة الرواية خلال إعادة كتابتك

لـ'الشرنقة الهوائية'. ينبغي لذلك أن يعطيك دفعة قوية عندما تقوم بكتابة روايتك الخاصة في المرة التالية».

قال تنغو: «هذا إن كان ثمة مرة تالية».

علت وجه كوماتسو ابتسامة عريضة وجلية: «لا تقلق. لقد أدّيت مهمتك. والآن حان دوري. يمكنك أن ترتاح الآن ولا تشغل بالك، يمكنك الاكتفاء بمشاهدة المباراة وهي تُلعب».

جاءت النادلة وصبت ماء بارداً في كوبيهما. شرب تنغو نصف كوبه قبل أن يدرك أنه ليس لديه أدنى رغبة في شرب الماء. سأل كوماتسو قائلاً: «هل أرسطو هو صاحب مقولة إن الروح البشرية تتألف من العقل والنفس والرغبة؟».

قال كوماتسو: «لا، أفلاطون هو قائلها. لقد كان أرسطو وأفلاطون على طرفي نقيض، تماماً مثل ميل تورمو وبينغ كروسبي. على أية حال، لقد كانت الأشياء أبسط كثيراً في غابر الأيام. ألن يكون ممتعاً أن نتصور العقل والنفس والرغبة تشارك في مناظرة محتدمة على طاولة؟».

«لدي فكرة جيدة للغاية عمّن سيخرج خاسراً من هذه المناظرة».

قال كوماتسو وهو يرفع إصبع سبابته: «ما أحبّه فيك هو روح الدعابة التي تتحلى بها».

فكّر تنغو، هذه ليست دعابة، ولكنه آثرَ أن يحتفظ بذلك لنفسه.

بعد مغادرته كوماتسو، مشى تنغو نحو كينوكونيا، حيث ابتاع العديد من الكتب، وراح يقرأها وهو يحتسي بعض البيرة في حانة قريبة. كانت هذه هي اللحظات التي يمكنه فيها أن يسترخي استرخاء كاملاً.

لكن بدا أنه لا يستطيع الاستغراق في كتبه في تلك الليلة. لاحت أمام عينيه الصورة المتكررة لأمه بشكل غامض وظلت ماثلة. أزاحت حمالتي قميص نومها عن كتفها لتكشف عن نهدين نافرين وتدَع رجلاً لم يكن والده يلعقهما. فقد كان أضخم بنياناً وأكثر عنفواناً ووسامة من والده. كان الرضيع تنغو نائماً في مهده، مغمض العينين فيما تخرج أنفاسه وتدخل بانتظام. طفا أثر النشوة على وجه والدته فيما انكب الرجل على نهديها يلعقهما، وهو أثر يشبه كثيراً ما يعتري صديقته التي تكبره سناً عندما تبلغ لذّة الجماع.

وذات مرة، وبدافع الفضول، طلب تنغو من صديقته أن تجرِّب لأجله لباس نوم أبيض. فأجابته بابتسامة: «بكل سرور. سوف أرتديه المرة التالية طالما أن ذلك يَسرك. هل لديك أي مطلب آخر؟ سوف أفعل أي شيء تريد. أنا طوع أمرك. لا تكن خجولاً».

«هل تستطيعين ارتداء سترة بيضاء أيضاً؟ مطلب بسيط للغاية».

جاءته الأسبوع التالي مرتدية سترة بيضاء فوق لباس نوم أبيض. خلع لها سترتها، وأزاح حمّالتي كتف لباس نومها، ثم راح يلعق نهديها. اتخذ الوضعية نفسها والزاوية التي يتخذها الرجل الذي يلوح في خياله، وعندما فعل ذلك، اعتراه شعور بدوار خفيف. تشوّش ذهنه بعض الشيء، وفقد القدرة على تمييز منطق الأشياء. في النصف الأسفل من جسمه شعر باستثارة بطيئة سرعان ما تصاعدت، ولم يكد يفطن إليها حتى أخذته رجفة وراح يقذف بقوة.

سألته في ذهول: «تنغو، ماذا أصابك؟ هل قذفت بالفعل؟».

لم يكن هو نفسه متأكداً ممّا جرى له، ولكنه أدرك عندئذٍ أنه قد أنزل منيَّه فوق الجزء الأسفل من لباس نومها.

قال: «آسف. لم أقصد ذلك».

قالت مبتهجة: «لا تعتذر. يمكنني إزالتها بالماء فوراً. هذا شيء معتاد. ما يدعو للسرور هي أنها ليست صلصة صويا أو نبيذ أحمر!».

خلعت لباس النوم، وغسلت الجزء الذي غطَّاه المَني في حوض الوجه بالحمام، ثم علقته فوق عمود الدوش كي يجف.

بابتسامة لطيفة سألت تنغو وهي تُمسِّد بطنه براحة يدها: «هل كان لذلك تأثير بالغ عليك؟ يبدو أنك تحب القمصان البيضاء، أليس كذلك تنغو؟».

قال تنغو: «ليس ذلك بالضبط». لكنه لم يستطع أن يكشف لها السبب الحقيقي الذي جعله يطلب منها ذلك.

«ما عليك سوى أن تخبر شقيقتك الكبرى بأيّ نزوة لديك، يا حبيبي. سوف أطيعك في أيّ شيء. أنا أحب النزوات! كل إنسان بحاجة إلى بعض النزوات كي يستطيع مواصلة الحياة، ألا ترى ذلك؟ هل تريدني أن أرتدي قميصاً أبيض في المرة التالية أيضاً؟».

هزّ تنغو رأسه. «لا، شكراً، مرة واحدة تكفي».

كان تنغو يتساءل كثيراً عمّا إن كان الرجل الذي يلعق نهدي والدته في الطيف الذي يأتيه هو والده البيولوجي. وذلك لأن تنغو لم يكن يشبه في شيء الرجل الذي يُفترض أنه والده - مسؤول تحصيل الرسوم لدى شبكة 'إن إتش كيه'. كان تنغو طويل القامة وقوي البنيان وعريض الجبهة وله أنف صغير وأذنين مكوّرتين. أما والده فكان قصيراً وملامحه عادية للغاية. وكانت جبهته ضيقة وأنفه مفلطح وله أذنين مدببتين تشبهان أذني حصان. وفي واقع الأمر، تتناقض قسمات وجهه جميعها مع قسمات وجه تنغو. فبينما كان محيَّا تنغو عموماً يوحي بأنه هادئ وسَمِحُ الطباع، يبدو والده عصبي المزاج وبخيلاً.

وكان الناس إذا ما قارنوهما معاً، يخلصون غالباً إلى أنهما لا يشبهان أباً وابناً.

مع ذلك، لم تكن ملامح وجهيهما المختلفة هي ما صعَّبت على تنغو الارتباط بوالده؛ بل كان تكوينهما النفسي وميولهما هي ما حالت دون ذلك. فوالده لم يُظهر مطلقاً أي علامة على ما قد يُسمى بالفضول الفكري. ثم إنه لم يحظَ بتعليم ذي نوعية محترمة. ولأنه وُلد لأسرة فقيرة، فقد حُرم فرصة إرسائه لنظام فكري متَّسق داخل نفسه. ورغم أن تنغو كان يشعر بقدر من الشفقة إزاء والده، فقد ظلّ الأخير يفتقر للرغبة الأساسية في اكتساب المعرفة وفق مستوى عالمي - وهو ما كان تنغو يعتبره حافزاً فطرياً تقريباً لدى البشر. صحيح أن والده كان يحظى بقدر كبيرٍ من الحكمة في العمل وهو ما مكَّنه من البقاء، ولكن تنغو لم يعثر على أدنى أثر لاستعداد والده للإعلاء من شأن نفسه وتعزيزها ورؤية عالم أكبر وأوسع.

ولكن والد تنغو لم يَتضجر قطّ من ضيق عالمه المزدحم أو من هوائه الراكد. فلم يرَه تنغو يمسك كتاباً في البيت ولو مرة. ولم توجد أي صحف في المنزل قط (وهو يقول في ذلك، إن مشاهدة النشرات الإخبارية المنتظمة التي تبثها شبكة 'إن إتش كيه' كافية). لم يكن يبدي أي اهتمام بالموسيقى أو السينما، ولم يخرج في رحلة مطلقاً. الشيء الوحيد الذي يثير اهتمامه هو مسار التحصيل الذي يُكلَّف به. يرسم خريطة للمنطقة، ويحددها بأقلام ملونة، ويدقق النظر فيها كلما استطاع إلى ذلك سبيلاً، بالطريقة التي يصنف بها عالم الأحياء المُورِّثات.

على النقيض، كان تنغو طفلاً عبقرياً في الحساب منذ نعومة أظفاره ويحقق دائماً علامات بارزة فيه. وكان بوسعه أن يحلّ مسائل منهج الحساب المقرر على المدرسة الثانوية وهو في الصف الثالث.

وحقق علامات عالية أيضاً في العلوم الأخرى دون عناء يذكر. وكان كلما سنح له وقت فراغ، انكب على الكتب يلتهمها. ولأنه كان يتمتع بفضول هائل إزاء كل شيء، فقد كان يُحصِّل المعرفة من شتى المجالات بالكفاءة نفسها التي يجرف بها الجاروف الإلكتروني الأرض. وكان كلما نظر إلى والده، تعذَّر عليه أن يفهم كيف لنصف الجينات الوراثية التي جعلت وجوده ممكناً أن تأتي من هذا الرجل ضيق الأفق وغير المتعلم.

لا بد أن والدي الحقيقي في مكان آخر. كانت هذه هي الخلاصة التي توصَّل إليها تنغو أيام صباه. وكما هو حال الأطفال البؤساء في إحدى روايات ديكنز، لا بد أن ملابسات غريبة قد قادت تنغو لأن يتربى على أيدي هذا الرجل. وهي احتمالية كانت تمثل له كابوساً وأملاً كبيراً في آنٍ معاً. أصبح مهووساً بروايات ديكنز بعد قراءته لرواية **أوليفر تويست**، ممّا دفعه لقراءة كل أعمال ديكنز التي تضمّها المكتبة بنهم. وبينما كان يعيش في عالم القصص التي يقرأها، كان يغمس نفسه في الخيالات الاستحواذية في حياته الخاصة. أصبحت الخيالات الاستحواذية أطول عمراً وأكثر تعقيداً داخل رأسه. كانت الخيالات تتبع نمطاً أحادياً، ولكن مع تنوعات لا محدودة. وفيها جميعها، كان تنغو يقول لنفسه إن هذا المكان ليس بمكانه. لقد أصبح حبيساً بالخطأ في قفص مقفل. يوماً ما، سوف يعثر عليه، بمحض الصدفة السعيدة، والداه الحقيقيان. سوف ينقذانه من هذا القفص الضيق والقبيح ويعيدانه إلى حيث ينبغي أن يكون. وعندئذٍ يحظى بأجمل أيام الآحاد التي يتخيلها وأسعدها وأكثرها فراغاً.

كان والد تنغو يبتهج بالأداء المميز لابنه في المدرسة، ويتباهى بعلامات تنغو الممتازة ويفاخر بها أمام أهل الحي. لكنه كان يُظهر

في الوقت ذاته قدراً من الامتعاض إزاء ما يتمتع به تنغو من ألمعية وموهبة. فقد اعتاد أن يقطع على تنغو جلسات استذكاره، عامداً على ما يبدو، كلما صادفه منكباً على مكتبه. فيطلب من الصبي تأدية بعض الأعمال المنزلية أو يشكو منه لما يراه سلوكاً مسيئاً اقترفه. ودائماً ما تأتي فحوى هذه الشكوى كما يأتي: إنه يرهق نفسه كل يوم، ويقطع المسافات الطويلة وأحياناً يحتمل سباب الناس لكونه مندوب تحصيل، فيما تنغو لا يفعل شيئاً ويجلس مسترخياً طول الوقت، ويعيش حياة مريحة. ولم يكن يملّ من تكرار كلمات من قبيل: «كان والدي وشقيقي الأكبر يثقلان كاهلي بأعمال المنزل وأنا في مثل سنك، ويضرباني ضرباً مبرحاً لأهون سبب ويعاملاني معاملة حيوان. ولم يقدما لي كفايتي من الطعام ولو مرة. لا أريدك أن تظنّ أنك قد أصبحت مميزاً لمجرد أنك حققت بعض العلامات الجيدة».

عند نقطة معينة أخذ تنغو يفكر على هذه الشاكلة، **هذا الرجل ربما يشعر بالغيرة مني. إنه يحسدني - إما على شخصي أو على الحياة التي أحياها. ولكن هل هناك أب يشعر بالحسد حقاً إزاء ابنه؟** ولكونه طفلاً، لم يكن تنغو يستطيع أن يحاكم والده، ولكن لم يكن بوسعه أن يتفادى الشعور بالخسّة التي تنبعث من كلمات والده وأفعاله - وهو ما كان يجده غالباً أمراً لا يُطاق. وغالباً ما يتبين له أن هذا الرجل لا يشعر بالحسد إزائه وحسب، وإنما يبغض شيئاً ما في ابنه. لم تكن المشكلة هي أنّ والده يبغض تنغو كشخص، وإنما يبغض شيئاً ما داخل تنغو، شيئاً لا يستطيع غفرانه له.

كانت الرياضيات تمنح تنغو ملاذاً حقيقياً. فهو عندما يفرّ إلى عالم التعبير العددي، يصبح قادراً على الخلاص من قفص الواقع

المزعج. ومنذ أيام طفولته، لاحظ أن بوسعه الانتقال بسهولة إلى عالم الرياضيات بضغطة زرّ في رأسه. فهو يظلّ ينعم بحريته طالما كان يستكشف بهمة ونشاط ذلك العالم الذي يتألف من اتساق لانهائي. كان يسير عبر الردهة الملتوية للبناية العملاقة، ويفتح باباً مرقماً تلو آخر. وفي كلّ مرة ينفتح أمامه مشهد جديد، تنقشع آثار قبح العالم الحقيقي، ثم تتلاشى تماماً. كان العالم المحكوم بالتعبير العددي، في نظره، يمثل له ملاذاً مشروعاً آمناً دائماً. وطالما كان يعيش في ذلك العالم، فإن بوسعه أن ينسى أو يتجاهل القواعد والأعباء التي يفرضها عليه العالم الحقيقي.

وبينما كانت الرياضيات تمثل بناية خيالية رائعة، فإن عالم القصة مُمَثَّلاً في ديكنز كان أشبه بغابة سحرية مظلمة لدى تنغو. وعندما تمتد الرياضيات لأعلى إلى ما لا نهاية نحو السماء، تمتدّ الغابة أمام بصره في سكون، فيما تتوغل جذورها السوداء والقوية في أعماق الأرض. في الغابة لا توجد خرائط أو بوابات مرقمة.

في المرحلتين الابتدائية والإعدادية، كان تنغو مستغرقاً تماماً في عالم الرياضيات. فقد أُفتتن بوضوحه وحريته المطلقة، وهما شيئان كان بحاجة إليهما كي يبقى على قيد الحياة. لكنه مع ذلك، وعندما بلغ مرحلة المراهقة، بدأ يشعر وعلى نحوٍ متزايد أن ذلك ربما لا يكفي. ليس لديه مشكلة طالما استطاع أن يزور عالم الرياضيات، ولكنه حالما يعود إلى العالم الحقيقي (وهو أمر لا مناص منه) يجد نفسه حبيس القفص المزري نفسه. لا شيء تحسَّن، بل، باتت أصفاده أثقل ممّا كانت. إذن، أي فائدة من الرياضيات؟ ألم تكن مجرد وسيلة وقتية للهروب وزادت أوضاعه الحياتية بؤساً على بؤس؟

ومع زيادة شكوكه، بدأ تنغو يضع عامداً مسافة فاصلة بينه وبين

عالم الرياضيات، وبدلاً من ذلك بدأت غابة القصة تضيق الخناق على قلبه. بالطبع، كانت قراءة الروايات مجرد وسيلة أخرى للهروب. ولم يكن يكاد يغلق صفحاتها حتى يعود إلى العالم الحقيقي. ولكن عند نقطة معينة لاحظ تنغو أن العودة إلى الواقع من عالم الرواية لم يكن ضربة مدمرة بالقدر ذاته الذي كانته العودة من عالم الرياضيات. لماذا كان ذلك؟ بعد كثير من التفكير العميق، وصل إلى خلاصة. مهما كانت العلاقة بين الأشياء في غابة القصة واضحة، فليس هناك مطلقاً حلٌّ واضح. وذلك هو مَناط الاختلاف بينها وبين الرياضيات. إنّ دور القصة، بأوضح العبارات، هو أن تحوِّل مشكلة واحدة إلى شكل آخر. وبحسب طبيعة المشكلة ووجهتها، يمكن اقتراح الحل في الرواية. وكان تنغو يعود إلى العالم الحقيقي حاملاً في يده ذلك الحلّ. كان ذلك أشبه بقصاصة من الورق دُوِّنت عليها تعويذة سحرية لا يمكن فكّ رموزها. وأحياناً تفتقر للتماسك ولا تؤدي أي غاية آنية مفيدة. ولكنها تحوي إمكانية ما. ربما يستطيع ذات يوم أن يفكّ رموز التعويذة. وهذه الإمكانية سوف تُدفئ قلبه بلطف من الداخل.

وكان تنغو كلما كبر في السن، أصبح أكثر ميلاً إلى هذا النوع من الاقتراح الروائي. كانت الرياضيات مصدر بهجة عظيمة له حتى بعد بلوغه. عندما يُدرس للطلاب في المدرسة التأهيلية، كانت البهجة نفسها التي استشعرها وهو طفل تتدفق إلى قلبه طبيعياً. وكان يراه شيئاً رائعاً أن يشاطر ابتهاجه بهذه الحرية التصورية مع غيره. ولكن تنغو لم يعد قادراً على أن يفقد نفسه بلا قيد أو شرط في عالم التعبير العددي. لأنه كان يدرك أنه مهما بحث في ذلك العالم فلن يجد ذلك الحلّ الذي يبحث عنه حقاً.

عندما كان في الصف الخامس، وبعد تفكير عميق وطويل، أعلن تنغو عن رغبته في التوقف عن مشاركة والده في جولات تحصيل اشتراكات الجمهور في شبكة 'إن إتش كيه' أيام الآحاد. أخبر والده بأنه يود الاستفادة من ذلك الوقت في مذاكرة دروسه وقراءة الكتب واللعب مع أقرانه من الأطفال. ومثلما أنّ لوالده عمله الخاص، فهو الآخر لديه أشياء عليه عملها. كان يريد أن يعيش حياة طبيعية مثل أي شخص آخر.

قال تنغو ما كان عليه قوله، بإيجاز وبمنطق مترابط.

انفجر والده غضباً، بالطبع. وقال إنه لا يأبه بما تفعل الأسر الأخرى؛ ولا شأن له بهم. نحن لنا طريقتنا الخاصة في حياتنا. وكيف تجرؤ على أن تحدثني عن «الحياة الطبيعية» أيها العلامة الكبير. ما الذي تعرفه عن «الحياة الطبيعية»؟ لم يحاول تنغو الدخول معه في جدال. واكتفى بالتحديق نحوه في صمت، إدراكاً أن أيّاً ممّا سيقول لن يُجدي نفعاً. وأردف والده، إذا كان ذلك هو ما يريده تنغو، فسوف يحصل عليه. ولكن إذا لم يُطِع والده، فلن يُطعمه والده أكثر من ذلك. وينبغي لتنغو أن يغادر المنزل فوراً ودون إبطاء.

فعل تنغو ما طُلب منه. حزم حقيبته وغادر المنزل. كان قد عقد العزم. مهما ثارت ثائرة والده، ومهما صاح وصرخ في وجهه، فإنه لن يجفل أو يخاف - بل حتى إذا امتدّت يد والده إليه بالضرب (وهو ما لم يفعله). أما وقد حصل تنغو الآن على إذن بالخروج من قفصه، فقد استشعر ارتياحاً كبيراً لا يُدانيه فيه أحد.

مع ذلك، لم يكن لطفل في العاشرة أن يعيل نفسه. وعندما انصرف تلاميذ الصف في نهاية اليوم الدراسي، أسرَّ لمعلمته بالمأزق

الذي يواجهه وقال إنه بلا مأوى هذه الليلة. أوضح لها أيضاً مقدار العبء النفسي الذي يتجشّمه خلال جولاته مع والده أيام الآحاد لتحصيل اشتراكات «إن إتش كيه». كانت معلمة عزباء في منتصف الثلاثينيات. لا تتمتع بأي قدر من الجمال، واعتادت ارتداء نظارة سميكة وقبيحة، لكنها تحظى بعقل منصف وقلب رؤوم. ولصغر سنها، فهي هادئة الطباع ومعتدلة المزاج في الظروف الطبيعية، ولكنها قد تصبح بغتة سريعة الغضب؛ وحالما تطلق لغضبها العنان تتحول إلى شخص آخر ولا يستطيع أحد إيقافها. وكان لهذا التحول وقع الصدمة على المحيطين بها، لكن تنغو، مع ذلك، أُعجب بها، ولم يَخشَ نوبات غضبها.

استمعت إلى تنغو بقدر من الفهم والتعاطف، واصطحبته إلى بيتها كي يمضي الليلة في منزلها. بسطت له بطانية فوق الأريكة كي ينام عليها. وفي الصباح أعدّت له طعام الفطور. وفي المساء، اصطحبته إلى منزل والده حيث دار بينهما حديث مطول.

طُلب من تنغو مغادرة الغرفة، ولذلك لم يدرِ ماذا قالا بشأنه، ولكن في النهاية كان على والده أن يُغمد سيفه. فمهما كان الغضب الذي تملكه عارماً، فليس بوسعه أن يدَعَ صبياً في العاشرة من عمره يهيم على وجهه في الشوارع وحيداً. ومسؤولية الوالد عن رعاية طفله هي مسؤولية يوجبها القانون.

وبفضل حديث المعلمة مع والده، أصبح لتنغو الحق في أن يقضي يوم الأحد كما يحلو له. كان عليه أن يخصص الصباح للعمل المنزلي، ثم بعد ذلك يمكنه أن يفعل ما يشاء. كان ذلك هو أول حق ملموس استطاع تنغو انتزاعه من والده. غضب منه والده غضباً شديداً وقاطعه مدة، ولكن ذلك لم يكن ذات أهمية كبيرة لدى الصبي. لقد

نال ما تتعدى أهميته ذلك بكثير. لقد خطا أولى خطواته نحو نيل حريته واستقلاله.

بعد إتمامه للمرحلة الابتدائية، انقضت مدة طويلة لم يرَ تنغو خلالها معلِّمته التي درَّسته في الصف الخامس. وكان بوسعه على الأرجح أن يراها لو أنه حضر حفل جمع الشمل الذي نظمته المدرسة ودُعي إليه، ولكن لم تتوفر لديه أي نية لحضور مثل هذا التجمع. ولم يكن في واقع الأمر يحتفظ بأي ذكريات سعيدة عن تلك المدرسة. لكنه مع ذلك، ظلَّ يتذكر معلمته من حين إلى آخر ويستحضر ما فعلته لأجله.

أما المرة التالية التي رآها فيها، فكان تنغو خلالها في السنة الثانية من المرحلة الثانوية. كان منضماً إلى نادي الجودو، ولكن إصابة لحقت به عندئذٍ واضطرّ للابتعاد عن مباريات الجودو شهرين. وعوضاً عن ذلك، طُلب منه القيام بدور ضابط إيقاع مؤقت ضمن الفرقة الموسيقية النحاسية لدى المدرسة. لم يكن يفصل الفرقة عن موعد المسابقة الموسيقية سوى أيام عندما نُقل فجأة أحد ضابطي الإيقاع فيها إلى مدرسة أخرى، فيما أصيب الآخر بأنفلونزا حادة. كل ما يحتاجونه هو شخص يمكنه أن يمسك بعصاتين، هكذا قال معلم الموسيقى، وهو يترجى تنغو أن يُنجدهم من ذلك المأزق نظراً إلى أن إصابته قد وفرت له وقتاً فائضاً. كان ذلك يعني أن تنغو سوف يحصل على وجبات طعام عديدة خلال ذلك، فيما وعده المعلم بأن يكون متساهلاً معه بشأن علاماته فيما لو التحق بالبروفات.

لم يجرب تنغو قط آلة ضبط الإيقاع، ولم يكن مهتماً بذلك، ولكنه ما إن جرب العزف فعلاً، حتى دهش عندما وجده يتلائم تماماً

مع آلية عمل عقله. شعر بابتهاج طبيعي عندما وجد نفسه يقسم الوقت إلى أجزاء صغيرة، ثم يعيد تجميعها، ويحولها إلى نظام فعال من النغمات. كانت كل الأصوات تظهر له ذهنياً في شكل رسم بياني. بدأ يستوعب النظام الحاكم لآلات ضبط الإيقاع الواحدة تلو الأخرى على النحو الذي تمتص به قطعة الإسفنج الماء. قدَّمه معلم الموسيقى إلى ضابط إيقاع يعمل لدى أوركسترا سيمفوني، حيث تعلم على يديه تقنيات النقر على الطبول. وخلال بضع ساعات من الدرس، استطاع أن يتقن تركيبها العام وتقنيات الأداء. ولأن النوتة الموسيقية تشبه التعبيرات العددية، فإن لم يجد صعوبة كبيرة في تعلمه لقراءتها.

سُرّ معلم الموسيقى لاكتشافه موهبة موسيقية فذَّة لدى تنغو وقال له: «يبدو أن لديك حساً طبيعياً للإيقاعات المعقدة وأذناً موسيقية رائعة. إذا تابعت دراستك مع الموسيقيين، فبوسعك أن تصبح أحدهم».

تعتبر آلة التمباني من الآلات الصعبة، ولكنها عميقة وآسرة بطريقتها الخاصة، ويشير مزجها للأصوات إلى إمكانات لانهائية. كان تنغو وزملاؤه يتدربون على عدة فقرات مقتبسة من سينفونية ياناتشيك، كما هو مخطط لآلات النفخ. كان عليهم القيام بعزفها باعتبارها «مقطوعة حرة الاختيار» في مسابقة للفرق الموسيقية النحاسية في المدارس الثانوية. وكانت سينفونية ياناتشيك تعتبر مقطوعة صعبة بالنسبة إلى عازفين من مدرسة ثانوية، وظهر النقر على الطبلة رائعاً في اللحن الافتتاحي. وكان معلم الموسيقى، الذي هو أيضاً قائد للفرقة، قد اختار السينفونية انطلاقاً من أن لديه ضابطَي إيقاع رائعين يمكنه العمل معهما، وعندما فقدهما فجأة، وجد نفسه حائراً لا يدري ماذا يفعل. ولذلك كان ثمة دور كبير ينتظر تنغو، ولكنه لم يشعر بأي ضغوط واستمتع بالعزف من أعماق قلبه.

جاء أداء الفرقة متقناً (وجيداً بما يؤهله لحصد جائزة مرموقة، إن لم تكن البطولة برمتها)، وحالما انتهى العزف، أقبلت معلمة تنغو التي درَّسته وهو في الصف الخامس تهنئه على روعة أدائه.

قالت له: «أدركت أنه أنت مباشرة، يا تنغو». تذكر هذه المرأة ضئيلة الجسم، ولكنه لم يتذكر اسمها. «أداؤك على التمباني رائع للغاية، دققت النظر كي أعرف مَن صاحب هذا الأداء، وكنت أنت، من بين كل الناس! لقد كبرت كثيراً عمّا كنت، ولكني تعرفت على وجهك في الحال. متى بدأت العزف؟».

قدم لها تنغو ملخصاً سريعاً للأحداث التي قادته لأن يكون حيث هو، مما زادها انبهاراً.

«أنت فتى موهوب، بل وموهوب في جوانب كثيرة جداً!».

قال تنغو مبتسماً: «الجودو عندي أسهل كثيراً».

سألته: «وكيف حال والدك؟».

أجاب تنغو تلقائياً: «إنه بخير». رغم أنه لم يكن يعرف - ولم يكن يريد أن يعرف - كيف حال والده. كان تنغو عندئذٍ يقيم في مهجع ولم يكن قد تحدث إلى والده منذ زمن طويل.

سأل المعلمة: «وماذا جاء بك إلى هنا؟».

«ابنة شقيقتي تعزف على الكلارنيت في فرقة تابعة لمدرسة ثانوية أخرى. أرادت مني أن أستمع إلى عزفها المنفرد. هل ستتابع مسارك في الموسيقى؟».

«سوف أعود إلى الجودو عندما أُشفى من إصابة الساق. الجودو يطعمني. مدرستي تقدِّم دعماً كبيراً للعبة. إنها تغطي نفقات غرفتي ووجباتي. أما الفرقة فلا تستطيع ذلك».

«أظن أنك تحاول ألا تعتمد على والدك؟».

قال تنغو: «حسناً، لعلك تعرفين كيف هو».

ابتسمت في وجهه: «كم هو أمر سيئ. رغم كل مواهبك!».

رمق تنغو المرأة ذات الجسم الضئيل واستحضر الليلة التي آوته فيها في بيتها. تذكر شقتها التي بدت برغم بساطتها وصغرها نظيفة ومرتبة. ستائر الدانتيل ومزهريات النباتات. طاولة كيّ الملابس والكتاب المفتوح. الثوب الزهري الضيق المعلق على الحائط. رائحة الأريكة حيث نام ليلته. والآن ها هي تقف أمامه قلقة مثل فتاة صغيرة. أدرك أيضاً أنه لم يعُد ذلك الصبي الأعزل ذي العشر سنوات، فقد أصبح قوي البنيان وفي السابعة عشرة من عمره وعريض المنكبين، ولديه لحية خفيفة يحلقها وغريزة جنسية في أوجها. شعر بهدوء غريب وهو في حضرة هذه المرأة التي تكبره سناً.

قالت له: «سُررت بلقائك».

أجاب تنغو: «وأنا أيضاً». لقد سُر بلقائها فعلاً. ولكنه مع ذلك لم يستطع تذكُّر اسمها.

الفصل الخامس عشر

أَوْمَامِه
بإحكام، وكأنك تربطين بالوناً في مرساة

كانت أَوْمَامِه تُعنى عناية بالغة بنظامها الغذائي اليومي، فالأطباق النباتية مكونٌ رئيس فيما تعدّه لنفسها من وجبات، وهي تُضيف إليها المأكولات البحرية، ولا سيما الأسماك البيضاء. ولم يكن ما تتناوله من اللحوم يتعدى قطعة دجاج بين حين وآخر. وكانت لا تنتقي سوى الطازج من مكونات الطعام ولا تستخدم التوابل إلا في أضيق نطاق، وتعاف تماماً المكونات عالية الدسم وتُبقي استهلاكها من الكربوهيدرات عند أدنى المستويات. أما السلطة فاعتادت تناولها مضافاً إليها قليل من زيت الزيتون والملح وعصير الليمون، ولا تضيف إليها أي قدر من التوابل. ولم تكن تكثر من تناول الخضروات فحسب، وإنما أيضاً تدرس عناصرها الغذائية بتعمق كي تتأكد أن اختياراتها من الطعام متوازنة غذائياً. كانت تُعدّ قوائم طعام خاصة بها ثم لا تبخل بمشاركتها مع أعضاء النادي الرياضي إذا طُلب منها ذلك. ولطالما نصحتهم بقولها: «لا تشغلوا بالكمّ بإحصاء السُعرات. حالما تتكون لديكم مَلَكة انتقاء المكونات الصحيحة والاعتدال في الطعام، فليس عليكم أن تأبهوا بالأرقام».

ولا يعني ذلك أنها بلغت حدّ الهوس بقوائمها المتقشفة في الطعام. فإذا ما شعرت برغبة قوية للحوم، فسوف تدخل مطعماً وتطلب شريحة سميكة من لحم البقر أو قطعاً من لحم الخروف. كانت تعتقد أن الشعور برغبة جامحة نحو طعام بعينه يعني أن الجسم يرسل إشارات طلباً لشيء يحتاجه فعلاً، وأن عليها أن تلبي النداء.

كانت تجد متعة في احتساء النبيذ والساكي، ولكنها حددت ثلاثة أيام أسبوعياً لا تقرب خلالها الشراب مطلقاً تفادياً للإفراط في الكحول وكي تحمي كبدها وتضبط معدل سكر الدم لديها. وكانت ترى أن لجسدها قُدسية، وينبغي أن يظلّ نظيفاً دائماً، لا تشوبه ذرة غبار أو أهون بقعة. وأما ما يحفظه الإنسان داخله، فتلك مسألة أخرى يمكن التفكير فيها لاحقاً.

لم يكن لدى أَوْمَامِه أي ترهلات، بل عضلات وحسب. وهو ما تؤكده لنفسها كل يوم بوقوفها عارية تماماً إزاء المرآة. لا لأنها تستلذّ بالنظر إلى جسدها، بل على العكس، فنهداها لم يكونا كبيرين بما يكفي، وكانا غير متماثلين. أما شعر عانتها فهو يشبه بقعة حشيش وطأتها أقدام جيش مرَّ من فوقها. ولم يكن بوسعها تفادي التجهم كلما نظرت إلى جسمها، ولكنها لم تكن تجد لحماً تقرصه.

كانت تعيش حياة مقتصدة، لكن وحده الطعام كانت تنفق فيه المال عامدة. فلم تتنازل قط عن جودة البقالة التي تبتاعها، ولم تكن تشرب سوى نبيذ عالي الجودة. وفي المرات النادرة التي تتناول طعامها خارج المنزل، تقصد المطاعم التي تُعدّ طعامها بعناية فائقة. ولم يكن يهمها شيء آخر تقريباً - لا الملابس ولا مستحضرات التجميل ولا أدوات الزينة. فهي لا تحتاج سوى بنطال جينز وكنزة

للذهاب إلى عملها في النادي الرياضي، وحالما تصل هناك تقضي النهار مرتدية تي-شيرت وسروالاً قصيراً - دون أي زينة، بالطبع. وكان يندر أن تجد حاجة تدعو إلى الخروج بثياب فاخرة. ومع زواج تاماكي أوتسوكا، لم يعُد لديها أي صديقات لتناول العشاء معهن خارج المنزل. وهي لا تتزين وتتأنق في ملبسها إلا عند خروجها بحثاً عن ليلة غرامية، لكن ذلك لم يكن يحدث سوى مرة في الشهر ولا يقتضي خزانة ملابس ممتلئة.

وإذا لزم الأمر، كانت أَوْمَامِه تقوم بجولات في متاجر أوياما كي تخيط «ثوباً بالغ الإثارة» وتشتري قطعة إكسسوار أو اثنتين وحذاء ملائماً. ذلك هو كلّ ما تحتاجه. وكانت في العادة تنتعل أحذية بلا كعوب وتصفف شعرها في شكل ذيل فرس. أما بشرتها فتبدو دائماً متألقة، ما دامت قد غسلت وجهها جيداً بالماء والصابون ووضعت مرطباً. ما يهمها هو أن تحظى بجسم نظيف وصحة جيدة.

ومنذ طفولتها اعتادت أَوْمَامِه أن تعيش حياة بسيطة وبعيدة عن التكلف. وبقدر ما تسعفها الذاكرة، فإن قيماً مثل نكران الذات والاعتدال كانت من بين القيم التي غُرست فيها. فكان منزل أسرتها خالياً من أي كماليات، وكانت كلمة «إسراف» هي أكثر الكلمات شيوعاً على ألسنتهم. فلم يكن لدى أسرتها جهاز تلفزيون أو اشتراك في صحيفة. حتى الأخبار كان يُنظر إليها في بيتها باعتبارها غير ضرورية. ونادراً ما تجد اللحوم أو الأسماك طريقها إلى مائدة طعامهم. ولذلك كانت وجبات غدائها المدرسية هي ما يمد أَوْمَامِه بما تحتاج إليه من عناصر غذائية لنموها. وبينما يشكو الأطفال الآخرون من انعدام مذاق وجبات الغذاء، ويعافون معظمها، كانت تتمنى لو تسنى لها تناول ما يهدرونه.

لم تكن ترتدي سوى ثياب مستعملة. فقد كان المؤمنون يعقدون اجتماعات دورية لتبادل ملابسهم غير اللازمة؛ ولذلك لم يشترِ لها والداها مطلقاً أي ثياب جديدة، ولا تستثني من ذلك سوى الملابس الرياضية التي تطلبها المدرسة. وهي لا تذكر ولو مرة أنها ارتدت ثياباً أو انتعلت حذاء يلائمها تماماً، فقطع الملابس التي لديها هي تشكيلة من ألوان وأنماط متضاربة. ولو أنه لم يكن بوسع أسرتها تحمُّل كلفة أي نمط حياتي آخر، لكانت قد رضيت بالواقع وحسب، ولكن أسرة أَوْمَامِه لم تكن أسرة فقيرة بأي حال؛ فوالدها كان يعمل مهندساً ولديه مدخول ومُدَّخرات. وكان هذا التقشف الذي اختارته الأسرة هو نمط حياتي ينبع كُلِّياً من وازع ديني.

ولأنها عاشت حياة تُغايرُ في كثير تلك التي يعيشها الأطفال الآخرون من حولها، فقد ظلت أَوْمَامِه مدة لا تستطيع تكوين صداقات. فلم يكن لديها ثياب أو نقود تسمح لها بالخروج مع صديق، ولم تحصل قط على مصروف جيب. وإذا ما حصل ودُعيت إلى عيد ميلاد مثلاً (وهو ما لم يحدث ولو مرة)، فما كانت لتذهب إلى الحفل بهدية ولو بسيطة.

ونظراً إلى كل ما سبق، أصبحت أَوْمَامِه تمقت والديها وتزدري بشدة العالم الذي ينتميان إليه والأيديولوجية الحاكمة لذلك العالم. أما الحياة التي تتوق لعيشها فلم تكن سوى الحياة العادية التي يحياها الآخرون. ليست حياة ترف، وإنما حياة بسيطة وطبيعية تماماً، لا أكثر ولا أقل. ظلت تُمنِّي نفسها أن تكبر سريعاً كي يتسنى لها مغادرة بيت والديها والعيش وحدها - فتأكل ما يحلو لها كماً ونوعاً، وتُنفق النقود التي بحافظتها كيفما تشاء، وترتدي الملابس والأحذية الجديدة التي

تختارها، وتذهب حيثما تريد، وتعرف أصدقاء كُثر تتبادل معهم الهدايا الجميلة المغلَّفة.

مع ذلك، وعندما كبرت، أصبحت أَوْمَامِه تجد ارتياحاً كبيراً في حياة الاعتدال ونكران الذات. ولم يعُد أكثر ما تريده هو ارتداؤها لأفخر الثياب والخروج رفقة شخص ما، وإنما المكوث في غرفتها وحدها لا ترتدي سوى قميص رياضي بجزئيه العلوي والسفلي.

وبعد وفاة تاماكي، استقالت أَوْمَامِه من شركة المشروبات الرياضية، وتركت المهجع الذي كانت تقطن فيه، وانتقلت إلى شقة مستأجرة في منطقة جيوجاوكا التي تتسم بالحيوية والتحرر، بعيداً عن وسط المدينة. ورغم ضيقها، فقد بدت في نظرها فسيحة للغاية. أبقت أثاثها عند حده الأدنى - فيما عدا تشكيلتها الكبيرة من أدوات المطبخ. لم يكن لديها سوى القليل من الأمتعة والممتلكات. كانت تجد متعة في قراءة الكتب، ولكن حالما تنتهي منها، تقوم ببيعها إلى متجر يختصّ بالكتب المستعملة. وكانت تجد متعة أخرى في سماع الموسيقى، ولكنها لم تكن من هواة جمع الأسطوانات. كان يزعجها أن ترى أمتعتها تتكدَّس وتشعر بالذنب كلما اشترت شيئاً. فتقول لنفسها، **لست بحاجة إلى هذا حقاً**. وتشعر كلما رأت الثياب والأحذية الأنيقة في خزانة ملابسها بوخزات ألم في الصدر تنقبض لها أنفاسها. فمثل هذه المشاهد التي تنمّ عن حرية وترف عيش كانت تذكِّر أَوْمَامِه، على غير المتوقع، بطفولتها البائسة.

وكانت غالباً ما تسأل نفسها، ماذا يعني أن يكون المرء حراً؟ حتى إذا استطعت الهرب من قفص ما، أو لا تدخل قفصاً غيره، بل وأكبر من سابقه؟

وكانت أَوْمَامِه كلما أرسلت رجلاً إلى العالم الآخر، تتلقى

مكافأة مالية من أرملة أزابو. تُودَع رزمة أوراق نقدية، ملفوفة بعناية في ورقة بيضاء، في صندوق للبريد. وتتسلم أَوْمَامِه المفتاح من تامارو، وتحصل على محتويات الصندوق، ثم تعيد المفتاح لاحقاً. ودون أن تقطع الشريط الموجود على رزمة الأوراق النقدية لعدها، تُلقي بها كما هي في خزينة الإيداع الخاصة بها في البنك، وهي الخزينة التي أصبحت تحوي ألفي ورقة نقدية.

لم تكن أَوْمَامِه تستنفد كلّ راتبها الشهري الذي تتقاضاه من النادي الرياضي، وإنما يتبقى جزء منه تدخره في البنك. ولذلك لم تكن بحاجة تُذكر إلى المال الذي تتقاضاه من الأرملة، وهو ما حاولت إيضاحه لها عند تسلّمها لأول مكافأة مالية.

قالت لها الأرملة الثرية بصوت هادئ: «هذا لا يعدو كونه مظهراً خارجياً. اعتبريه نوعاً من إجراء متّبع أو ضرورة. أنت ملزمة بتقاضيها على الأقل. وإذا لم تكوني بحاجة إلى النقود، فليس عليك إنفاقها. وأما إنْ كنت تبغضين فكرة تقاضيها، فلا مانع لديّ إن تبرّعت بها في وجه من وجوه الخير. تصرفي فيها كيفما تشائين. ولكن إن أردتِ نُصحي، فالأجدر بك ألا تقربيها وأن تدّخريها في مكان ما».

قالت أَوْمَامِه: «كل ما هنالك هو أن فكرة تَلقي المال مقابل مثل هذا الفعل لا تروقني».

«أتفهم شعورك، ولكن تذكري أن كون هؤلاء الرجال المرعبين كانوا من اللطف بما يكفي لأن يزيحوا أنفسهم من أمامنا، قد أغنى عن إجراءات الطلاق أو نزاعات الحضانة حول الأبناء، ووقى النساء من العيش في ظلّ الخوف من أن يتعرض لهن أزواجهن ويضربنهن ضرباً يشوه ملامحهن. وقد دُفعت أيضاً مبالغ التأمين على الحياة والرواتب السنوية لمن يعولون. انظري إلى المال الذي تتقاضينه

باعتباره عرفاناً ظاهرياً من هؤلاء النسوة. لقد فعلت الصواب، دون أدنى شك. ولكن عملك لا يمكن أن يمر دون تقدير. هل تعرفين لماذا؟».

أجابت أَوْمَامِه بصدق: «لا، ليس بالضبط».

«لأنك لست ملاكاً ولست إلهة. إنني أدرك تماماً أنك تفعلين ما تفعلين مدفوعة بمشاعر نقية، وأدرك تماماً أنك، لأجل ذلك السبب تحديداً، لا ترغبين في تقاضي المال مقابل ما تؤدينه. ولكن المشاعر النقية التي لا تشوبها شائبة تنطوي على خطورة ما. إذ ليس أمراً يسيراً على إنسان من دم ولحم أن يستمر في العيش مع هذه المشاعر. ولذلك من الضروري أن تُثبِّتي مشاعرك بالأرض - بإحكام، وكأنك تربطين بالوناً بمرساة. فالمال قد وُجد لأجل ذلك. لأجل أن يحوْل بينك وبين الشعور بأن بوسعك عمل ما تشائين ما دام هو الصواب وما دامت مشاعرك نقية. هل تفهمين الآن؟».

بعدما أمعنت التفكير فيما قالت للحظة قصيرة، أومأت أَوْمَامِه: «لا أفهم ذلك جيداً، ولكني سوف أفعل ما تقولينه الآن».

ابتسمت الأرملة ورشفت رشفة من شاي الأعشاب: «والآن، لا ترتكبي أي حماقة من قبيل إيداعها في حسابك البنكي. إذا اكتشف مسؤولو الضرائب أمرها، فسوف يمضون وقتاً طويلاً يتساءلون عمّا يمكن أن تكون. ضعي المال وحسب في خزينة إيداع آمنة. سوف تحتاجينها ذات يوم».

وعدتها أَوْمَامِه أن تعمل بتوجيهاتها.

عقب عودتها إلى المنزل قادمة من النادي، وبينما كانت تُعدّ طعام العشاء، رنّ الهاتف.

أتاها صوت امرأة يقول: «مرحباً، أَوْمَامِه». صوتٌ مبحوح قليلاً. إنها أيومي.

بينما كانت أَوْمَامِه تضغط بالسماعة على أذنها، مدت يدها وخفَّضت من لهب الغاز وهي تتحدث: «كيف حال الشرطة هذه الأيام؟».

«ما زلتُ أسجل أعداداً كبيرة من مخالفات ركن السيارات. الجميع يبغضونني. لا رجال من حولي، لا شيء سوى العمل الشاق».

«يسعدني سماع ذلك».

سألتها أيومي: «ماذا تفعلين الآن؟».

«أُجهِّز عشاء».

«هل أنت مشغولة بعد غد؟ ليلاً، أقصد».

«لست مشغولة، ولكني لست مستعدة لليلة أخرى مثل الليلة الماضية. أحتاج فاصلاً من الراحة».

قالت أيومي: «وأنا كذلك. تذكرت أنني لم أرك منذ مدة وحسب. وودتُ لو التقينا وتحدثنا، هذا هو كل ما في الأمر».

فكرت أَوْمَامِه هنيهة فيما تقترحه أيومي، ولكنها لم تصل إلى قرار.

أجابتها: «هل تعرفين، لقد اتصلتِ بي وأنا أقوم بقلي الخضار. ليس بوسعي التوقف الآن. هل يمكنك معاودة الاتصال بعد نصف ساعة؟».

قالت أيومي: «بكل تأكيد. بعد نصف ساعة».

وضعت أَوْمَامِه السماعة وانتهت من قلي الخضروات. ثم أعدت بعضاً من حساء المِيسو المضاف إليه بعض البقوليات وتناولت ذلك مع الأرز البُني. احتست نصف علبة من البيرة وصبت البقية في حوض

المطبخ. انتهت من غسيل الأطباق وكانت متكئة على الأريكة عندما اتصلت أيومي في المرة الثانية.

قالت: «أظن أنه سيكون لطيفاً لو تناولنا العشاء معاً. لقد سئمتُ تناول الطعام وحدي».

«هل تأكلين طعامك وحدك دائماً؟».

«أعيش في مهجع، ويقدم لي وجبات الطعام أيضاً. ولذلك اعتدت تناول الطعام وسط الضجيج والزحام. مع ذلك، أجدني أحياناً أشتهي طعاماً طيباً وسط أجواء هادئة، فأذهب ربما إلى مكان فخم قليلاً. ولكن ليس بمفردي. هل تفهمين ما أقصد؟».

قالت أَوْمَامِه: «بالطبع أفهم».

«ليس لدي أحد - رجل كان أو امرأة - لأتناول معه الطعام في مثل هذه الأوقات. إنهم جميعاً يحبون التسكُّع في حانات رخيصة. فكرتُ في الخروج معك، إن كنتِ لا تمانعين...».

قالت أَوْمَامِه: «لا ليس لدي مانع مطلقاً. لنخرج معاً إذاً. دعينا نتناول طعاماً فاخراً معاً. لم أفعل شيئاً مثل هذا منذ مدة طويلة».

«حقاً؟ كم أنا متشوقة لذلك!».

«هل قلتِ إن بعد غدٍ يناسبك؟».

«حسناً. سيكون لدي عطلة في ذلك اليوم. هل تعرفين مكاناً لطيفاً؟».

ذكرت لها أَوْمَامِه مطعماً فرنسياً في حي نوجيزاكا.

فغرت أيومي فاها: «هل تمزحين؟ إنه أشهر المطاعم الفرنسية في المدينة. قرأت في مجلة أن أسعار الطعام فيه باهظة حدّ الجنون، وأن الحجز فيه يتطلب شهرين من الانتظار. ليس ذلك بالمكان الذي يقصده شخص يتقاضى راتباً مثل راتبي!».

«لا تقلقي، فالشيف صاحب المطعم عضو في صالة الألعاب التي أُدرِّب فيها. وأنا مدربته الشخصية، وأقدِّم له ما يشبه الاستشارات فيما يخصّ العناصر الغذائية لقوائم الطعام التي يقدّمها لرواد مطعمه. إذا طلبتُ منه، فأنا واثقة أنه سوف يحجز لنا طاولة - بل سيمنحنا تخفيضاً على الفاتورة أيضاً. بوسعي أن أضمن لك أننا سوف نحصل على مقعدين رائعين دون شك».

قالت أيومي: «يسعدني أن أجلس في ذلك المكان ولو في خزانة ملابس فيه».

نصحتها أَوْمَامِه: «يَحسن بك ارتداء أفضل الثياب».

عندما وضعت السماعة، انتابت أَوْمَامِه بعض الدهشة عندما وجدت في نفسها ميلاً نحو الشرطية الشابة. لم تجرب ذلك الشعور إزاء أحد منذ وفاة تاماكي أوتسوكا. ورغم أن مشاعرها كانت مغايرة تماماً لما كانت تُكنُّه لتاماكي، فهذه هي المرة الأولى خلال مدة طويلة تشارك صديقة ما الطعام - أو حتى ترغب في ذلك. وفوق كل ذلك، فهذا الشخص الآخر ضابط شرطة! تنهدت أَوْمَامِه. كم هي غريبة تلك الحياة.

كانت أَوْمَامِه ترتدي سترة صغيرة بيضاء فوق ثوب قصير الكمّ ذي لون رصاصي، وفي قدميها انتعلت حذاء من ماركة «فيراجامو». كانت تلبس أيضاً أقراطاً وقلادة ذهبية ضيقة. ولأنها تركت حقيبتها في البيت (إلى جانب كسارة الثلج)، فقد كانت تحمل حافظة صغيرة من علامة «لاباجاجري». أما أيومي فارتدت سترة سوداء من ماركة «كوم دي جارسون» فوق تي شيرت بني اللون منسدل الرقبة، وتنورة فضفاضة مزينة برسوم أزهار، وحقيبة «غوتشي» حملتها من قبل، وأقراطاً من

حبات اللؤلؤ الصغير، وحذاءً بنياً منخفض الكعبين. بدت أكثر حيوية وأناقة ممّا كانت عليه في المرة السابقة، وقطعاً لم تكن تشبه ضابط شرطة.

التقتا عند البار، وأخذتا ترتشفان كوكتيل ميموزاس، ثم أرشدهما النادل إلى طاولتهما، التي تبين أنها في موقع جيد. خرج رئيس الطهاة من المطبخ كي يدردش مع أَوْمَامِه وأوضح لها أن النبيذ سوف يقدَّم مجاناً.

«معذرة، إنها مفتوحة بالفعل. ثمة زبون اشتكى من المذاق أمس فقدَّمنا له زجاجة جديدة، ولكن في الحقيقة لا يوجد أدنى عيب في هذه الزجاجة. الرجل هو سياسي شهير يحب أن يرى في نفسه ذواقة للنبيذ، بيد أنه لا يعرف شيئاً البتة عن النبيذ. فعل ذلك على سبيل التباهي. كان علينا أن نسايره فيما يدعي: 'آه، صحيح يا سيدي، ربما تكون محقاً في ذلك يا سيدي. أنا واثق أن خطأ قد ارتكب من جانب مستودع المستورِد. سوف أحضر لك زجاجة أخرى حالاً. ولكن حسناً فعلت، يا سيدي! لا أظن أن أحداً سواك في البلاد كان بوسعه أن يكتشف ذلك!' كانت تلك هي الطريقة المثلى لإسعاد الجميع، كما تتخيلين. والآن لا يمكنني أن أرفع صوتي بما سأقوله، ولكن كان علينا أن نرفع قيمة الفاتورة لتغطية خسارتنا. ومهما يكن فهو يُحمِّل نفقاته على حساب خاص. فلا يمكن بأي حال لمطعم يحظى بشهرتنا أن يقدم زجاجة مردودة».

«تقصد إلا إذا كان ذلك لنا».

غمز رئيس الطهاة بعينيه: «لعلك لا تمانعين، أليس كذلك؟».

قالت أَوْمَامِه: «بالطبع، لا».

وافقتها أيومي الرأي: «لا أمانع مطلقاً».

سأل رئيس الطهاة أَوْمَامِه: «هل هذه السيدة الجميلة شقيقتك الصغرى؟».

سألته أَوْمَامِه: «وهل تشبهني؟».

«لا أرى شبهاً في الملامح، ولكن روحاً مشتركة تجمعكما...».

قالت أَوْمَامِه: «إنها صديقتي. ضابط شرطة».

نظر ثانية إلى أيومي وهو غير مصدق: «حقاً؟ تقصدين، أنّ بحوزتها مسدساً وما إلى ذلك؟».

قالت أيومي: «لم أطلق ناراً على أحد قطّ».

«لا أظنني قلت شيئاً يُجرمني جنائياً، أليس كذلك؟».

هزت أيومي رأسها: «مطلقاً».

ابتسم رئيس الطهاة وصفق بكفيه أمام صدره: «على أية حال، هذه زجاجة نبيذ «بورجوندي» عالية الجودة يمكننا أن نقدِّمها لأي أحد بكل ثقة. لن أقول كم ورقة من ذات العشرة آلاف ين كنا سوف نتقاضاها في الوضع الطبيعي مقابل هذه».

انصرف رئيس الطهاة فيما دنا النادل كي يصبّ لهما الشراب. شربت أَوْمَامِه وأيومي نخب بعضهما بعضاً، وبدت صلصلة كوبيهما أشبه بصدى بعيد لأجراس سماوية.

قالت أيومي، وقد ضيَّقت عينيها عقب أول رشفة: «يا إلهي! لم احتسِ نبيذاً بمثل هذا المذاق الرائع من قبل! مَن الذي يمكنه أن يعترض على مثل هذا النبيذ؟».

أجابت أَوْمَامِه: «بوسعك دائماً أن تجدي أحداً يتذمر من أي شيء».

تصفحت المرأتان قائمة الطعام. عاينت أيومي كل صنف مرتين بنظرة ثاقبة وكأنها محامٍ ذكي يقرأ عقداً مهماً: هل كانت تبحث عن

شيء مهم، أو تبحث عن ثغرة خفية؟ أمعنت النظر في كل الشروط والبنود وفكرت في عواقبها المحتملة، وهي توازن بعناية بين الربح والخسارة.

استمتعت أَوْمَامِه برؤية هذا المشهد عبر الطاولة وسألتها: «هل قررت ماذا ستطلبين؟».

قالت أيومي: «تقريباً».

«إذن، ماذا سوف تطلبين؟».

«سوف أطلب بلح البحر وسلطة البصلات الثلاثة ويخنة لحم مطهوة على نارٍ هادئة. وماذا عنك؟».

«أرغب في حساء عدس وسلطة خضراء وسمك الراهب المشوي في ورق البرشمان مضافاً إليه دقيق الذرة. لست أهلاً للنبيذ الأحمر، ولكنه مجاناً، ولذلك لن أستطيع التذمر».

«هل تمانعين لو شاركتك في بعضها؟».

قالت أَوْمَامِه: «مطلقاً. وإذا لم يكن لديك مانع، دعينا نتشارك في الجمبري المقلي أولاً».

«رائع!».

قالت أَوْمَامِه: «أما وقد انتهينا من اختيار الطعام، فالأجدر بنا أن نغلق القائمتين، وإلا فلن يأتينا النادل أبداً».

قالت أيومي وهي تغلق قائمتها بندم واضح وتعيدها إلى الطاولة: «حقاً». جاءهما النادل فوراً وسجل طلبيهما.

قالت أيومي عندما انصرف النادل: «حالما أنتهي من تسجيل طلبي في مطعم، أشعر بأنني قد اخترت الاختيار الخطأ. ماذا عنك؟».

«حتى إن كنت قد اخترت الاختيار الخطأ، فالأمر لا يعدو كونه طعاماً. ليست طامة كبرى إذا ما قيست بأخطاء الحياة».

قالت أيومي: «لا، بالطبع لا. ولكن مع ذلك، فهو أمر مهم لدي. كان ذلك هو دأبي منذ طفولتي. دائماً يخامرني شعور بالندم بعد طلب الطعام: 'آه، ليتني طلبت الجمبري المقلي بدلاً من الهمبرغر!' هل كنت دائماً رائعة هكذا؟».

«حسناً، لأسباب متنوعة، فإن أسرتي لم تتناول الطعام خارج المنزل قط. مطلقاً. وبقدر ما تسعفني به الذاكرة، فإنني لم أطأ مطعماً بقدمي، ولم أجرب قط اختيار طعام من قائمة وطلب ما أرغبه إلا بعد وقت طويل. كان عليّ أن أصمت وآكل ما يقدَّم لي يوماً تلو يوم. لم يكن مسموحاً لي بالشكوى إذا ما جاء الطعام ماسخ المذاق أو إذا لم يُشبعني أو إذا عافته نفسي. وأصارحك القول، فإنني حتى الآن، لا يعنيني ما أتناوله من الطعام طالما كان صحياً».

«أحقاً؟ هل يُعقل ذلك؟ لا أدري الكثير عن أحوالك، ولكنك قطعاً لا توحين بذلك. من وجهة نظري، فإنك تبدين مثل شخص اعتاد التردُّد على مثل هذه الأماكن منذ طفولته».

كانت أَوْمَامِه تدين بذلك كله إلى التوجيهات التي تسديها إليها تاماكي أوتسوكا. كيف تتصرف في مطعم مرموق، وكيف تنتقي أصناف طعامك دون أن تضحك الآخرين عليك، وكيف تطلب نبيذاً، وكيف تطلب طبق الحلو، وكيف تتعامل مع نادلك، وكيف تستعمل أدوات المائدة على نحو سليم: كانت تاماكي تعرف كل هذه الأشياء، وعلَّمت أَوْمَامِه كل شيء بأدق التفاصيل. وعلَّمتها أيضاً كيف تنتقي ملابسها، وكيف ترتدي أدوات زينتها، وكيف تستخدم مساحيق الزينة. كانت كل هذه الأشياء بمثابة الاكتشافات الجديدة لدى أَوْمَامِه. نشأت

تاماكي في أسرة موسرة تقطن منطقة يمانوته. ولأن والدتها كانت شخصية بارزة في المجتمع، فقد كانت تبدي اهتماماً فائقاً بالسلوكيات والملبس، ممّا جعل تاماكي تتشرّب كل هذه المعرفة باكراً منذ أيام المرحلة الثانوية. وأصبح بوسعها مصادقة الكبار دون عناء. أما أَوْمَامِه فقد أقبلت على هذه المعرفة بنهم؛ وكانت سوف تصبح شخصاً مغايراً تماماً لولا أنها التقت بمعلمة رائعة مثل تاماكي. ولطالما شعرت أن تاماكي لا تزال حية وتعيش داخلها.

بدت أيومي قلقة قليلاً في أول الأمر، ولكن القلق كان يزول عنها مع كل رشفة نبيذ.

قالت أيومي: «آه، أودّ سؤالك عن شيء. ليس عليك أن تجيبي إذا لم تريدي ذلك، ولكني أرغب في سؤالك وحسب. لن تستشيطي غضباً، أليس كذلك؟».

«لا، لن أستشيط غضباً».

«إنه سؤال غريب نوعاً ما، ولكني لا أحمل أي دافع خفي من وراء سؤاله. أريدك أن تفهمي ذلك. أنا شخصية فضولية وحسب. ولكن بعض الأشخاص تثور ثائرتهم حقاً لدى سؤالهم عن تلك الأشياء».

«لا داعي للقلق. لن أغضب».

«هل أنت واثقة؟ ذلك هو ما يقوله كل شخص، وبعدئذٍ ينفجرون».

«أنا مختلفة، ولذلك لا داعي للقلق».

«هل تعرضت وأنت صغيرة لتحرُّش من رجل؟».

هزت أَوْمَامِه رأسها: «لا، لا أظن ذلك. ولكن لماذا؟».

قالت أيومي: «كنت أودّ سؤالك عن ذلك وحسب. إذا كان ذلك

لم يحدث لك قط، فحسناً». ثم غيَّرت الموضوع قائلة: «أخبريني هل سبق أن كان لك عاشق؟ أعني، شخصاً جمعتك به علاقة وثيقة؟».

«مطلقاً».

«ولا حتى مرة واحدة؟».

قالت أَوْمَامِه: «ولا حتى مرة واحدة». ثم، وبعد تردُّد، أضافت: «كي أصارحك القول، لقد ظللتُ عذراء حتى بلغت السادسة والعشرين».

انعقد لسان أيومي ولم تجد ما تردّ به. وضعت السكين والشوكة، وراحت تجفِّف فمها بالمنشفة، وتحدق في أَوْمَامِه بعينين مضيقتين.

«امرأة بمثل جمالك؟ لا أصدق».

«لم أكن مهتمة بذلك وحسب».

«لم تكوني مهتمة بالرجال؟».

قالت أَوْمَامِه: «كان لدي بالفعل شخص وقعت في غرامه. حدث ذلك وأنا في العاشرة. أمسكت بيده».

«وقعت في غرام صبي وأنت في العاشرة؟ أذلك هو كل شيء؟».

«نعم، ذلك هو كل شيء».

التقطت أيومي السكين والشوكة مرة ثانية وبدا أنها استغرقت في تفكير عميق وهي تُقطِّع واحدة من الجمبري. «إذن، أين الصبي الآن؟ وكيف حاله؟».

هزت أَوْمَامِه رأسها: «لا أدري. كنا في الصفين الثالث والرابع في إتشيكاوا في تشيبا، ولكني انتقلت إلى مدرسة في طوكيو في الصف الخامس، ولم أره مرة أخرى، ولم أسمع عنه شيئاً مطلقاً. كلّ ما أعرفه، إذا كان لا يزال حياً، أنه يجب أن يكون في التاسعة والعشرين من عمره الآن. وأنه سوف يبلغ الثلاثين على الأرجح هذا الخريف».

«هل تودين القول إنك لم تفكري مطلقاً في محاولة العثور على مكانه أو معرفة كيف حاله؟ لم يكن الأمر صعباً إلى ذلك الحدّ».

هزت أَوْمَامِه رأسها مرة أخرى مؤكِّدة: «لم أشعر بأي رغبة في المبادرة بالسعي لإيجاده».

«يا للغرابة. لو كنت في مكانك، لبذلت وُسعي كي أعثر عليه. ما دمت تحبينه كل هذا الحب، فيجب عليك العثور عليه كي تقولين له ذلك في وجهه».

قالت أَوْمَامِه: «لا رغبة لي في ذلك. ما أرغبه هو أن يتلاقى كلانا على سبيل الصدفة ذات يوم في مكان ما، كأن يكون ذلك ونحن نسير في شارع واحد أو نستقل الحافلة ذاتها».

«لقاء تجمعه الأقدار. لقاء الصدفة».

قالت أَوْمَامِه، وهي ترشف رشفة من النبيذ: «تقريباً. عندئذٍ سوف أصارحه بقولي: 'أنت هو الشخص الوحيد الذي أحببته في هذه الحياة'».

قالت أيومي، وقد بدت عليها علامات الدهشة: «يا للرومانسية! ولكن احتمالات حدوث مثل هذا اللقاء ضئيلة للغاية، حسبما أرى. وفوق ذلك، فأنت لم ترينه منذ عشرين سنة. ربما تغيرت ملامحه تماماً. وقد تمرين به عبر الشارع دون أن تعرفيه».

هزت أَوْمَامِه رأسها: «سوف أعرفه. ربما تغيَّر وجهه، ولكني سوف أعرفه بمجرد نظرة. لا يمكنني أن أخطئه».

«ما الذي يجعلك واثقة إلى هذا الحد؟».

«أنا واثقة».

«إذن سوف تواصلي الانتظار، وأنت تعتقدين أن ذلك اللقاء آتٍ لا محالة».

«وذلك هو السبب الذي يجعلني دائماً في قمة تركيزي عندما أسير عبر الشارع».

قالت أيومي: «مدهش. ولكن على قدر حبك له، فأنت لا تمانعين في ممارسة الجنس مع رجال آخرين - على الأقل بعد أن بلغت السادسة والعشرين».

أطرقت أَوْمَامِه تفكر في ذلك هنيهة، ثم قالت: «كل ذلك يحدث بشكل عابر. ولا يستمر».

ساد صمت قصير بينهما، ركزت المرأتان خلالها على طعامهما. ثم قالت أيومي: «آسفة إن كنت أقحم نفسي في حياتك الشخصية، ولكن هل وقع لك شيء عندما بلغت السادسة والعشرين؟».

أومأت أَوْمَامِه: «نعم، ثمة شيء وقع. وقد غيرني تماماً. ولكني لا أستطيع الخوض فيه الآن وهنا. اعذريني».

قالت أيومي: «لا عليك. هل أوصلتك إلى مزاج سيئ بكل تلك الأسئلة؟».

قالت أَوْمَامِه: «مطلقاً».

جلب النادل أطباق المقبلات، وأكلتا مدة في صمت. استأنفتا محادثتهما مرة أخرى بعدما وضعتا معلقتيهما وبعدما أزال النادل أطباقهما الفارغة عن الطاولة.

سألت أيومي أَوْمَامِه: «ألست تخافين مع ذلك».

«وممّ أخاف؟».

«ألا تدركين؟ إنكما ربما لا تلتقيان مرة أخرى. بالطبع، هناك احتمال أن يجمعكما لقاء عابر، وآمل أن يحدث ذلك. آمل أن يحدث ذلك فعلاً من أجلك. ولكن كي نكون واقعيين، فعليك أن تدركي أن

هناك احتمالاً كبيراً ألّا تلتقيه مرة أخرى أبداً. وحتى إذا حصل ذلك والتقيتيه، فربما تجدينه قد تزوج بالفعل من أُخرى. وقد تجدينه أباً لطفلين. أليس ذلك وارد؟ وفي تلك الحالة، ربما سيتعين عليك العيش بمفردك بقية حياتك، ولن يلتئم شملك أبداً بالشخص الوحيد الذي تحبينه في العالم بأسره. ألا ترين ذلك مخيفاً؟».

راحت أَوْمَامِه تحدق في النبيذ المتبقي في كوبها ثم قالت: «ربما معك حق. ولكن لدي شخص أحبّه على الأقل».

«حتى وإن لم يُحبك قط؟».

«إذا أحببت أحداً حباً خالصاً من كلّ قلبك، حتى وإن كان شخصاً واحداً، فذلك هو الفوز في هذه الحياة. حتى إذا حيل بينك وبين لقاء ذلك الشخص».

فكرت أيومي في ذلك هنيهة. دنا النادل وأعاد ملء كوبيهما بالنبيذ. بعدما ارتشفت رشفة، حدَّثت أَوْمَامِه نفسها، **أيومي على صواب. مَن ذا الذي يمكنه أن يرفض نبيذاً مثل هذا؟**

قالت أيومي: «أنت بارعة في صياغتك لهذه النظرة الفلسفية».

«لا أحاول التفلسف. ولكني أحدثك بصدق عمَّا يدور في خاطري وحسب».

قالت أيومي ببعض الثقة: «أحببت شخصاً ما ذات مرة. حدث ذلك في أعقاب تخرجي من الثانوية مباشرة. إنه الفتى الذي مارست معه الجنس لأول مرة في حياتي. كان يكبرني بسنوات ثلاث. ولكنه سرعان ما هجرني من أجل فتاة أخرى. جُنّ جنوني مدة عقب ذلك. كان لذلك وقع شديد عليّ. صحيح أنني نسيته، ولكني لم أبرأ من جرحه تماماً حتى الآن. لقد كان نذلاً وخائناً وصاحب كلام معسول. ولكني أحببته حقاً».

أومأت أَوْمَامِه، فيما أمسكت أيومي بكأسها ورشفت رشفة من النبيذ.

«ما زال يهاتفني من حين إلى آخر، قائلاً إنه يريد العودة إليّ مرة أخرى. كل ما يريده هو جسدي، بالطبع. أدرك ذلك. ولذلك أرفض مقابلته. أدرك أنني إن فعلت، فسيكون خبلاً آخر أقترفه وحسب. أم ربما ينبغي لي القول بأن عقلي يدرك ذلك، لكن جسدي دائماً ما يستجيب له. إنه يريده بشدّة بالغة! عندما تتراكم هذه الأشياء، أدع نفسي تفقد صوابها مرة أخرى. لا أدري إن كنت تفهمينني».

قالت أَوْمَامِه: «أفهمك قَطعاً».

«كم هو شخص كريه، وبالغ السوء، وليس جيداً في الفراش، أيضاً. ولكنه على الأقل لا يخشاني، ويعاملني بلطف عندما أكون في رفقته».

قالت أَوْمَامِه: «لا اختيار لك في مثل هذه المشاعر، أليس كذلك؟ إنها تأتيك وقتما تشاء. لا تشبه اختيار أصناف الطعام من قائمة».

«إنها ذات اتجاه واحد؛ تشعرين بالندم بعد اقتراف الخطأ».

ضحكتا في آن معاً.

قالت أَوْمَامِه: «الأمر هو ذاته مع قوائم الطعام والرجال، بل ومع كل شيء آخر: نعتقد أننا نختار الأشياء، ولكننا في واقع الأمر لا نختار أي شيء. ربما تكون الحقيقة هي أنّ كل شيء يتقرَّر مسبقاً فيما نتظاهر بأننا نختار. لعل الإرادة الحرة وهمٌ. كنت أفكر كثيراً في ذلك».

«لو صح ذلك، لأصبحت الحياة بالغة القتامة».

«ربما ذلك».

«ولكن إن استطاع الإنسان أن يحب أحداً حباً خالصاً من صميم قلبه - حتى وإن كان شخصاً بالغ السوء ولا يبادله حباً بحب - فإن الحياة، على الأقل، لا تصبح جحيماً، رغم أنها قد تصبح قاتمة نوعاً ما. هل ذلك هو ما تودّين قوله؟».

«بالضبط».

قالت أيومي: «ولكن مع ذلك، يبدو لي أن هذا العالم يعاني نقصاً خطيراً في المنطق واللطف».

قالت أَوْمَامِه: «ربما تكونين على صواب. ولكن فات أوان استبداله بعالم آخر».

قالت أيومي: «لقد انقضت المهلة المخصصة لذلك منذ أمد طويل».

«وقد ضاع الإيصال».

«بكل تأكيد».

قالت أَوْمَامِه: «حسناً، لا بأس. سوف ينتهي العالم عمّا قريب».

«يبدو الأمر مضحكاً».

«وسوف يأتي الملكوت».

قالت أيومي: «لا أطيق الانتظار».

تناولتا طبق الحلو، وشربتا قهوة الإسبرسو، وتقاسمتا الفاتورة (التي جاءت منخفضة على نحو مذهل). ثم بعد ذلك قصدتا حانة من حانات المنطقة كي تحتسيا مشروباً.

قالت أيومي: «آه، انظري نحوه هناك. إنه من نوعيتك المفضلة، أليس كذلك؟».

ألقت أَوْمَامِه بناظريها في ذلك الاتجاه. كان طويل القامة وفي

منتصف عمره ويحتسي المارتيني وحده في آخر الحانة. كان يبدو أشبه بمعلم في مدرسة ثانوية وقد وصل إلى منتصف العمر دون أن تتغير ملامحه تقريباً. كان شعره آخذاً في الانحسار، ولكنه كان لا يزال يحتفظ بوجه شبابي.

أكدت أَوْمَامِه: «ربما يكون كذلك، ولكننا لا صلة لنا اليوم بالرجال. وفوق ذلك، نحن في حانة راقية».

«أدرك ذلك. كنتُ أودّ فقط معرفة ماذا ستقولين».

«سوف نفعل ذلك في المرة التالية».

نظرت أيومي إلى أَوْمَامِه: «أيعني ذلك أنك سوف ترافقيني في المرة التالية؟ أقصد، بحثاً عن رجال».

قالت أَوْمَامِه: «قطعاً. دعينا نفعل ذلك».

«رائع! تحدثني نفسي أننا نستطيع معاً عمل أي شيء!».

كانت أَوْمَامِه تحتسي كوكتيل داكيري، فيما تشرب أيومي توم كولينز.

قالت أَوْمَامِه: «آه، بالمناسبة، لقد قلت عبر الهاتف في ذلك اليوم أننا أدينا ممارسات سحاقية. أي نوع من الممارسات؟».

قالت أيومي: «آه، لم تكن شيئاً حقيقياً. كنا نتظاهر بذلك وحسب كي نضفي على الليلة جواً من البهجة. ألا تتذكرين حقاً أي شيء؟ لقد كنت غاية في الإثارة».

«لا أذكر شيئاً البتة. ذاكرتي تمّ محوها تماماً».

«كنا عاريتين فيما راحت كلّ منا تتحسُس نهديّ الأخرى وتقبِّل ما هو أدنى من ذلك و...».

تعجبت أَوْمَامِه: «تقبِّل ما هو أدنى!» بعد أن أفلتت الكلمات من

بين شفتيها، تلفَّتت حولها بعصبية. علا صوتها داخل الحانة الهادئة، ولكن لحسن الحظ بدا أن أحداً لم يسمعها.

«مثلما قلت، لا داعيَ للقلق. لقد كنا نتظاهر وحسب. لم نستخدم لسانينا».

تنهدت أَوْمَامِه، وهي تعتصر جانبي رأسيها: «سحقاً. لماذا كل ذلك؟».

قالت أيومي: «أنا آسفة».

«الخطأ ليس خطأك. ما كان ينبغي أن أثمل إلى ذلك الحدّ».

«ولكن حقاً، يا أَوْمَامِه، لقد كنت بالغة الجمال والنظافة في نصفك السفلي. وكأن أحداً لم يمسَسه».

«نعم، بالطبع، هذه المنطقة لم يمسَسها أحد».

«هل تقصدين أنك لا تستخدمينها كثيراً؟».

أومأت أَوْمَامِه: «ذلك بالضبط هو ما أعنيه. إذن، أخبريني هل لديك اهتمام بالنساء؟».

هزت أيومي رأسها بالنفي: «لا، لم أفعل شيئاً مثل ذلك من قبل. صدقيني. ولكني كنت ثملة للغاية وتصورت أنني لن أكترث بقليل من تلك الممارسات طالما كانت معك. وأننا نتظاهر وحسب. لا لشيء سوى لإضفاء المرح. وماذا عنك؟».

«لا، أنا أيضاً لا أحمل ذلك النوع من المشاعر. مع ذلك، وذات مرة، قمت بممارسات من هذا القبيل خلال المرحلة الثانوية مع صديقة. لم تخطِّط أي منا لذلك. حدث ذلك بشكل عفوي».

«الأرجح أنه ليس شذوذاً. هل استشعرت أي شيء في تلك المرة؟».

أجابت أَوْمَامِه بصدق: «أظنني استشعرت شيئاً. ولكن في هذه المرة فقط. وقد شعرت أيضاً أنه كان خطأ ولن أقترف مثله مرة أخرى أبداً».

«هل تقصدين أن الجنس السحاقي خطأ؟».

«لا، مطلقاً. لا أقول إن الجنس السحاقي خطأ أو فاحش أو أي شيء من هذا القبيل. أقصد أنني شعرت وحسب بأنه لا ينبغي لي الدخول في علاقة من ذلك النوع مع تلك الصديقة تحديداً. لم أُرِد أن أحول علاقة مهمة إلى شيء بالغ الحسِّية».

قالت أيومي: «فهمتك. تعرفين، إذا كنت موافقة، هل تمانعين في استضافتي هذه الليلة؟ لا أرغب في العودة إلى المهجع. حالما أطأه بقدمي، سوف يُفسد ذلك المزاج الرائع الذي استطعنا أن نوجده هذا المساء».

أخذت أَوْمَامِه الرشفة الأخيرة من كوكتيل دايكويري ووضعت كوبها فوق طاولة الحانة: «لا مانع لدي في استضافتك، ولكن دون أي ممارسات منحلّة».

«لا، لا، موافقة. لست أتطلع لذلك. أريد أن أقضي وقتاً أطول معك وحسب. لا أبالي في أي مكان سيكون نومي. يمكنني النوم في أي مكان - حتى ولو افترشت الأرض. ولدي عطلة من العمل غداً، ولذلك يمكننا التسكع صباحاً أيضاً».

استقلتا قطار الأنفاق في عودتهما إلى شقة أَوْمَامِه في جيوجاوكا، ووصلتا هناك قبيل الحادية عشرة بقليل. كانتا ثملتين ويغالبهما النعاس. وضعت أَوْمَامِه بعض الفُرُش على الأريكة وأعارت أيومي قميص نوم.

سألتها أيومي: «هل بوسعي النوم معك في السرير دقيقة أو دقيقتين؟».

«أودّ أن أكون بقربك لوقت أطول قليلاً. لن يصدر عني أي عمل غريب. أعدك بذلك».

قالت أَوْمَامِه، وقد استرعى انتباهها كيف أن امرأة قتلت ثلاثة رجال سوف ترقد في فراش واحد مع ضابط شرطة: «لا مانع لدي. يا لغرابة الحياة».

اندسَّت أيومي أسفل الغطاء وطوقت بذراعيها أَوْمَامِه، فيما كان نهداها النافران يضغطان أعلى ذراع أَوْمَامِه، أما أنفاسها فتنبعث منها رائحة الكحول ومعجون الأسنان. وسألت أَوْمَامِه: «ألا ترين أن نهديّ أكبر ممّا ينبغي».

«لا ليسا كذلك مطلقاً. إنهما جميلان».

«هل أنت متأكدة؟ لكني لا أدري لماذا تجعل النهود الكبيرة صاحبتها تبدو حمقاء، ألا توافقيني الرأي؟ عندما أركض يهتزان، وأشعر بإحراج بالغ كلما علّقت صدريتي بعد غسيلها كي تجف - إنها أشبه بوعائين كبيرين للسلطة».

«لكن يبدو أن الرجال يحبونهما بهذا الشكل».

قالت أيومي وهي تفكّ أزرة أعلى البيجامة وتبرز أحد نهديها: «بل وحتى حلمتيّ كبيرتان للغاية. انظري. هذه حلمة كبيرة! ألا ترين أنها غريبة؟».

نظرت أَوْمَامِه إلى حلمة أيومي. لم تكن صغيرة قطعاً، ولكنها لم تكن كبيرة الحجم إلى حدّ يبرر الانزعاج، ربما يكونان أكبر قليلاً من حلمتي تاماكي: «إنها معقولة. هل أخبرك أحد بأن حلمتيك أكبر ممّا ينبغي؟».

«نعم، شخص ما. قال لي إنهما أكبر حلمتين وقعت عليهما عيناه في حياته».

«أنا واثقة أنه لم يرَ حلمات كثيرة. حلمتاك عاديتان. أما حلمتاي فهما بالغتا الصغر».

«لا، لقد راق لي نهديك. لهما شكل أنيق، وتبعثان على التفكير».

«هذا كلام مضحك. إنهما صغيرتان للغاية، وإحداهما تختلف في حجمها عن الأخرى. أواجه مشكلة كلما اشتريت صدرية وذلك أن ناحية أكبر من الأخرى».

«أحقاً؟ يبدو أنّ كل إنسان لديه مشكلاته».

قالت أَوْمَامِه: «بالضبط. والآن اذهبي للنوم».

مدَّت أيومي ذراعها لأسفل وبدأت تدخل إصبعها عبر بيجامة أَوْمَامِه. قبضت أَوْمَامِه على يدها.

«لا، لقد وعدتيني».

قالت أيومي، وهي تسحب يدها: «معذرة. معك حق. لقد وعدتك، أليس كذلك؟ لا بد أنني ثملة. ولكني مفتونة بك. مثل فتاة مدرسة ثانوية خائفة».

لم تُعقِّب أَوْمَامِه بشيء.

همست أيومي: «أرى أنك تدَّخرين أثمن ما تملكين لذلك الفتى. صحيح، أليس كذلك؟ إنني أحسدك. لأن لديك شخص تدخرين نفسك له».

جال بخاطر أَوْمَامِه، ربما هي محقة. ولكن ما هو ذلك الشيء الأثمن لديّ؟

قالت أَوْمَامِه: «والآن اذهبي للنوم. سوف أُمسك بك حتى تغطين في النوم».

قالت أيومي: «أشكرك. ومعذرة على التسبُّب لك في كل هذا الإزعاج».

«لا تعتذري. هذا ليس إزعاجاً».

ظلت أَوْمَامِه تشعر بأنفاس أيومي الدافئة. تناهى إلى سمعها نباح كلب من بعيد، فيما صفق أحدهم نافذة بقوة. وخلال كل ذلك، كانت أَوْمَامِه تمرر أصابعها خلال شعر أيومي.

انسلت أَوْمَامِه من السرير بعدما غطَّت أيومي في النوم. يبدو أنها هي مَن ستنام على الأريكة الليلة. تناولت زجاجة مياه معدنية من الثلاجة وشربت منها كوبين. ثم خرجت إلى شرفتها الصغيرة وجلست على كرسي من الألمنيوم، وراحت تنظر إلى الشوارع الممتدة بالأسفل. كانت ليلة ذات أجواء ربيعية هادئة. النسيم يحمل ضجيج الشوارع البعيدة فتبدو مثل محيط هائج من صنع الإنسان. تلاشى بريق أضواء النيون بعدما انتصف الليل.

لقد تعلقتُ بتلك الفتاة أيومي، لا شك في ذلك. أريد أن أتلطف معها قدر استطاعتي. عقب وفاة تاماكي، عاهدت نفسي أن أكمل حياتي دون أن تربطني علاقات وثيقة بأي أحد. لم أشعر ولو مرة بأني أريد أن أتخذ صديقة جديدة. ولكن لسبب ما أشعر بأن قلبي ينشرح لأيومي، بل أستطيع أن أعترف بمشاعري الحقيقية لها بدرجة معينة من الصدق. إنها تختلف اختلافاً تاماً عنك، بالطبع، قالت أَوْمَامِه لتاماكي التي بداخلها. **إنكِ مميزة. لقد كبرت معك. لا وجه للمقارنة بينك وبين أي أحد آخر.**

أسندت أَوْمَامِه رأسها إلى الخلف ورفعت بصرها نحو السماء بعض الوقت. حتى وهي مُوجِّهة عينيها نحو السماء، كان عقلها يخوض في ذكريات بعيدة. الوقت الذي أمضته مع تاماكي والأحاديث التي دارت بينهما، واللمسات التي تبادلتاها. . . سرعان ما بدأت تستشعر أن سماء الليل التي رأتها فوقها تغاير نوعاً ما السماء التي اعتادت رؤيتها. كانت الغرابة فيها دقيقة ولكن لا تخطئها عين.

كان عليها الانتظار بعض الوقت كي تدرك الفرق. وحتى بعد أن أدركته، كان عليها أن تجاهد حتى تتقبله. لم يكن سهلاً على عقلها أن يؤكد ما وقع عليه بصرها.

كان هناك قمران في السماء - قمر صغير وآخر كبير. كانا يسبحان في السماء جنباً إلى جنب. القمر الكبير هو القمر الذي اعتادت أن تراه دائماً. شبه مكتمل، وأصفر اللون. ولكن كان إلى جواره قمر آخر. شكله غير مألوف. يظهر به ميل جانبي طفيف ويميل لونه إلى الأخضر، كما لو أنه مغطى بغطاء خفيف من الطحالب. ذلك هو ما وقع عليه بصرها.

حدَّقت أَوْمَامِه في القمرين مُضيِّقة عينيها. ثم أغمضت عينيها، وبقيت كذلك هُنيهة، وأخذت نفساً عميقاً ثم فتحت عينيها مرة أخرى، متوقِّعة أن تجد كل شيء وقد عاد إلى طبيعته وأن السماء لا يظهر فيها سوى قمر واحد. ولكن شيئاً لم يتغير. لم يخدعها الضوء، ولم تزغ عيناها إذاً. لا شك أن هناك قمرين يسبحان بوضوح في السماء جنباً إلى جنب - أحدهما أصفر والآخر أخضر.

خطر ببالها أن توقظ أيومي كي تسألها إن كان في السماء قمران، ولكنها تراجعت. لعلها ستقول: «بالطبع يوجد قمران في السماء. لقد باتا قمرين منذ العام الماضي». أو لعلّها ستقول عندئذٍ مرة أخرى:

«عمّ تتحدثين؟ يوجد قمرٌ واحد. لا بد أن اضطراباً قد أصاب عينيك». وأيٌّ من هذين الجوابين لن يحلّ المشكلة التي هي بصددها الآن، وكلاهما لن يزيداها إلا تعقيداً.

رفعت أَوْمَامِه كفيها كي تغطي النصف السفلي من وجهها، وظلت تحدق في القمرين. وقالت في نفسها، **لا شك أن شيئاً ما يحدث.** تسارعت دقات قلبها. **ثمة خلل أصاب العالم، أو ثمة خلل أصابني: إما هذه وإما تلك. الزجاجة والغطاء لا يتوافقان: هل المشكلة في الزجاجة أو في الغطاء؟**

عادت إلى داخل الشقة، وأقفلت باب الشرفة وسحبت الستارة. أخذت زجاجة من البراندي من الخزانة وصبت لنفسها كوباً مترعاً. وجدت أيومي تغط في نوم عميق على السرير، فيما تخرج أنفاسها عميقة ومنتظمة. ظلت أَوْمَامِه ترقبها وهي ترشف رشفة من البراندي من حين إلى آخر. متكئة بذراعيها على طاولة المطبخ، جاهدت كي لا تفكر فيما يوجد وراء الكواليس.

قالت في نفسها: **ربما يكون العالم في سبيله إلى النهاية فعلاً.**

وتمتمت إلى نفسها: «والملكوت قادم».

وقال شخص ما في مكان ما: «لا أُطيق الانتظار».

الفصل السادس عشر

تنغو

يسرني أنك أحببتها

أمضى تنغو عشرة أيام في إعادة صياغة 'الشرنقة الهوائية' قبل تسليمها إلى كوماتسو كعمل مكتمل، وهو ما أعقبته بضعة أيام من الهدوء وراحة البال. كان يُدرِّس ثلاثة أيام في الأسبوع في مدرسة تأهيلية، ويلتقي صديقته المتزوجة مرة في الأسبوع. أما بقية وقته فيقضيه في النهوض بالأعباء المنزلية والمشي وكتابة روايته الخاصة. وعلى هذا المنوال انقضى شهر أبريل. كان زهر الكرز قد تناثر، وظهرت البراعم الجديدة فوق الأشجار، وبلغ شجر الماغنوليا أوج إزهاره. كرَّت الأيام في يُسر وانتظام ودون وقائع. كانت هذه هي الحياة التي يتغيَّاها تنغو أكثر من أي شيء، حيث يتصل كل أسبوع بالذي يليه تلقائياً وفي سلاسة.

مع ذلك، ووسط كل هذه الرتابة، تجلى تغيرٌ ما. تغيرٌ محمود. كان تنغو يعي أنه وفيما يعكف على كتابة روايته، فإن نبعاً جديداً يتشكَّل داخله. لم تكن مياهه تتدفق بقوة: فهو أشبه بنبع صغير ينبجس من بين الصخور. ربما يكون تدفقه محدوداً، ولكنه متواصل، ويزداد قطرة قطرة. لم يكن في عجلة. لم يشعر بأي ضغوط. كل ما كان عليه

عمله هو أن ينتظر بأناة الماء كي يتجمع في الحوض الصخري حتى يمكنه أن يغترف منها بيديه. ثم بعدئذٍ يجلس إلى مكتبه، فيحوِّل ما اغترفه إلى كلمات، وتتطور القصة بشكل طبيعي تماماً.

لعلّ عمله المحموم لإعادة صوغ 'الشرنقة الهوائية' قد أزاح صخرة كانت تعوق مسار نبعه حتى الآن. لم يكن تنغو يدري ماذا حدث، ولكن كان لديه إحساس يقيني بأن غطاء ثقيلاً قد أزيح أخيراً. شعر وكأن جسده قد أصبح أخفّ وزناً، وأنه قد خرج من مكان مكتظّ وبوسعه الآن أن يمدّ ذراعيه وساقيه كيفما يشاء. الأرجح أن 'الشرنقة الهوائية' قد حفَّزت شيئاً ظلَّ كامناً في أعماقه طوال ذلك الوقت كله.

أحسّ تنغو أيضاً أن شيئاً أشبه ما يكون بالرغبة يكبُر داخله. كانت هذه هي المرة الأولى في حياته التي ينتابه فيها مثل هذا الشعور. وخلال سنوات دراسته في المرحلة الثانوية والكلية، اعتاد مدربه في الجودو وزملاؤه الأكبر سناً أن يقولوا له: «إنك تمتلك الموهبة والمقدرة، وتتمرن بما فيه الكفاية، ولكنك تفتقر للرغبة». وهم غالباً محقون. فهو يفتقد الدافعية لتحقيق الفوز بأي ثمن، ممّا يجعله يصل إلى دوري نصف النهائي والنهائي ثم يخسر البطولة. وقد أظهر هذه الميول في كلّ شيء، وليس في الجودو وحسب. فهو يميل للاسترخاء أكثر من ميله للتصميم. وقد سلك الأمر نفسه مع روايته. فهو يستطيع أن يكتب بأسلوب معين ويؤلف قصصاً مثيرة، ولكن عمله يفتقر للقدرة على الاستئثار بانتباه قارئه. هنالك شيء مفقود. وهو لذلك يصل دائماً إلى القائمة القصيرة ولكنه لا يحصد مطلقاً جائزة الكتَّاب الجُدد، حسبما كان يقول كوماتسو.

مع ذلك، وبعدما انتهى تنغو من إعادة صياغة 'الشرنقة الهوائية'، جثم على صدره هَمٌّ حقيقي للمرة الأولى في حياته. فعندما كان لا

يزال عاكفاً على إعادة الصياغة، كان منهمكاً تماماً في ذلك ويحرِّك يديه دونما تفكير. وحالما انتهى من العمل وسلَّمه إلى كوماتسو، اجتاحه شعور عميق بالعجز. وما إن بدأت حدة الشعور بالعجز تخفّ، حتى انتابته نوبة غضب انبجست من أعماقه الداخلية. كان غضباً موجهاً نحو تنغو نفسه. **لقد استخدمتُ قصة شخص آخر كي أخرجها في صياغة أخرى ترقى لأن تكون احتيالاً أدبياً، وقد أديتُ ذلك بشغف يفوق ما يصاحبني وأنا أقوم بكتابة أعمالي الخاصة. أليس الكاتب هو شخص يجد القصة مخبوءة داخله ويستعين بالكلمات السليمة للتعبير عنها؟ ألا تشعر بالخزي من نفسك؟ يجب أن تكون قادراً على كتابة عمل يضاهي 'الشرنقة الهوائية' إذا عزمت أمرك. أليس ذلك صحيحاً؟**

ولكن كان لزاماً عليه البرهان على ذلك أمام نفسه.

قرر تنغو التخلص من النص الذي كتبه حتى هذه اللحظة والبدء في قصة جديدة تماماً من الصفر. أغمض عينيه، وظلّ مدة طويلة مصغياً إلى قطرات النبع الضئيل داخله. وشيئاً فشيئاً، وعلى مهل، بدأ يصوغها في جمل.

بعد انقطاع لمدة طويلة هاتفه كوماتسو لأول مرة في مطلع مايو. رنّ الهاتف قبيل التاسعة مساء.

قال له كوماتسو بصوت مفعم بالإثارة، وهو شيء نادر لديه: «كل شيء جاهز».

لم يستطع تنغو في أول الأمر أن يخمن عمّا كان كوماتسو يتحدث: «أي شيء جاهز؟».

«وأي شيء غيرها. لقد فازت 'الشرنقة الهوائية' بجائزة الكُتَّاب

الجُدد قبل بضع لحظات. اللجنة اتخذت قرارها بالإجماع، دون أي نقاش ممّا هو معهود. أظنّ أن بوسعك القول إن الفوز كان محتوماً، يا له من عمل أدبي مؤثر. على أية حال، لقد بدأت العجلة تدور. من الآن فصاعداً، نحن في ذلك معاً يا تنغو. دعنا نبذل قصارى جهدنا».

رمق تنغو الروزنامة المعلقة على الحائط بنظرة سريعة. تذكَّر لتوه، اليوم هو الموعد المقرَّر لاختيار لجنة التحكيم للرواية الفائزة. كان تنغو قد استغرق تماماً في كتابة روايته، ممّا أفقده الإحساس بالزمن.

سأله تنغو: «إذن ماذا سيحدث الآن؟ بشأن برنامج الجائزة، أعني».

«غداً سوف تعلن الصحف - كل صحف البلاد الخبر. وسوف يرفقون بالخبر صوراً على الأرجح أيضاً. فتاة جميلة في السابعة عشرة من العمر تحصد الجائزة: ذلك وحده سوف يثير ضجة. لا تأخذ ذلك على المحمل الخطأ، ولكن ذلك سوف يكون له قيمة خبرية أكبر ممّا لو ذهبت جائزة الكتَّاب الجُدد لمعلم في مدرسة تأهيلية يبلغ من العمر نيفاً وثلاثين عاماً ويبدو وكأنه دُبّ خرج من موسم السُّبات».

قال تنغو: «قيمة أكبر بكثير».

«وعقب ذلك تأتي مراسم تسليم الجائزة في السادس عشر من مايو في فندق شنباشي. لقد أُعدّ كل شيء للمؤتمر الصحفي».

«وهل ستكون فوكا- إري حاضرة؟».

«أنا واثق أنها سوف تحضر، على الأقل هذه المرة. لا يمكن للفائز بجائزة الكتَّاب الجُدد أن يتخلف عن حضور حفل تسليم الجائزة. إذا استطعنا اجتياز كل ذلك دون أي أخطاء كبيرة، فسوف يكون بوسعنا أن ننتهج سياسة السرية التامة. «معذرة، ولكن لا رغبة

لدى المؤلفة في الظهور العلني». بوسعنا أن نبقيهم بعيدين، ولن تنكشف الحقيقة أبداً».

حاول تنغو أن يتخيل فوكا-إري وهي تعقد مؤتمراً صحفياً في قاعة فندق وأمامها الميكروفونات فيما تومض في وجهها الكاميرات. لا يمكنه تخيل ذلك.

سأل تنغو: «هل تريد حقاً عقد مؤتمر صحفي؟».

«لا مناص لنا من ذلك، مرة واحدة على الأقل، كي نحافظ على المنظر العام».

«سوف ينتهي على الأرجح بكارثة».

«وهذه هي وظيفتك يا تنغو، وهي أن تضمن ألا ينتهي بكارثة».

لزم تنغو الصمت. ظهرت في الأفق غيوم سوداء تنذر بالشر.

سأله كوماتسو: «يا، هل أنت معي؟».

قال تنغو: «نعم. ماذا تقصد بأن هذه هي وظيفتي؟».

«عليك أن تُدرب فوكا-إري على التعامل مع مؤتمر صحفي وكيف يسير. الأسئلة ذاتها تقريباً تُثار في كل مؤتمر صحفي، ولذلك عليك أن تُعدّ أجوبة للأسئلة التي يُرجّح طرحها، وجعلها تحفظها عن ظهر قلب كلمة كلمة. لا تنسَ أنك تُدرِّس في مدرسة تأهيلية. لا بد أنك تعرف كيف تؤدي مثل هذه الأمور».

«تريدني أن أفعل ذلك؟».

«بالطبع. إنها تثق بك، لسبب ما. سوف تستمع إليك. ما من سبيل لقيامي بذلك. لقد رفضت حتى مقابلتي».

تنهد تنغو. تمنى لو قطع كل صلة له بـ'الشرنقة الهوائية'. لقد أدى كل ما طُلب منه، ولا يريد الآن سوى التركيز على عمله الخاص، لكن نفسه تحدثه، مع ذلك، بأن الأمر لن يكون بهذه البساطة، وهو

يعرف أن الهواجس السيئة تتحقق وفق معدل دقة يفوق بكثير الهواجس الجيدة.

سأله كوماتسو: «هل لديك وقت مساء بعد غد؟».

«نعم».

«الساعة السادسة في المقهى المعتاد في شنجوكو. فوكا-إري ستكون حاضرة».

قال تنغو: «ليس بوسعي القيام بما تريده مني. لا أدري شيئاً عن المؤتمرات الصحفية، بل لم يسبق أن رأيت مؤتمراً واحداً في حياتي».

«إنك تريد أن تصبح روائياً، أليس كذلك؟ إذن تخيل ذلك. أليست هذه هي وظيفة الروائي - أن يتخيل الأشياء التي لم يرها مطلقاً؟».

«أجل، ولكن ألمْ تقُل لي إن صياغة 'الشرنقة الهوائية' من جديد هي كلّ ما يتعين عليّ عمله، وأنك سوف تتولى كل شيء عقب ذلك، وأنه سيكون بوسعي البقاء خارج الملعب ومشاهدة بقية المباراة؟».

«اسمع، سوف يسرّني القيام بذلك لو استطعت. لست مهووساً بجعل الأشخاص يؤدون الأشياء لأجلي، ولكن ذلك هو عين ما أفعله الآن، أتوسل إليك أن تتولى هذه المهمة لأني لا أستطيع الاضطلاع بها. ألا ترى ذلك؟ يبدو الأمر وكأننا في قارب يسير بسرعة هائلة. ويداي مشغولتان تماماً بتسيير الدفة، ولذلك أدعكَ تُمسك بالمجداف. إذا كنت تودّ القول إنك لا تستطيع عمل ذلك، فسوف ينقلب القارب وسوف نغرق جميعاً، بمن فينا فوكا-إري. لا بد أنك لا تودّ حدوث ذلك، أليس كذلك؟».

تنهد تنغو مرة ثانية. لماذا يحشر نفسه دائماً في زاوية لا تسمح له

بأن يقول لا؟ «حسناً، سوف أبذل قصارى جهدي. ولكن لا أعدك بالنجاح».

قال كوماتسو: «وذلك هو غاية ما أطلبه منك. سأكون مديناً لك بالكثير إن فعلت ذلك. أعني، يبدو أن فوكا-إري قد عقدت عزمها ألّا تخاطب أحداً سواك. وثمة شيء آخر. علينا أنا وأنت أن نؤسس شركة جديدة».

«شركة؟».

«شركة، مكتب، مؤسسة - سمِّها كما تشاء، لإدارة أنشطة فوكا-إري الأدبية. شركة وهمية بالطبع. رسمياً، ستقوم هذه الشركة بدفع مستحقات فوكا-إري. سوف نجعل البروفيسور إبيسونو هو ممثلها وستكون أنت موظفاً لدى الشركة. يمكننا أن نختلق لك مسمى وظيفياً، لا يهم ذلك، ولكن المهم هو أن الشركة سوف تدفع لك. وأنا أيضاً سأكون جزءاً منها، ولكن دون أن أكشف عن اسمي. إذا علم الناس أنني على علاقة بهذه الشركة، فسوف يسبب لنا ذلك مصاعب جمة. على أية حال، ستكون تلك هي الكيفية التي نتقاسم من خلالها الأرباح. كل ما أطلبه منك هو أن تضع خاتمك على بضع وثائق، وسوف أتولى أنا البقية. أعرف محامياً جيداً».

فكر تنغو فيما قاله كوماتسو: «هل يمكنك لو سمحت أن تُسقطني من خطتك؟ لست بحاجة إلى أي أجرٍ تدفعه. لقد استمتعت بإعادة صياغة 'الشرنقة الهوائية'، وتعلمت من ذلك الكثير. يسرني أن فوكا-إري قد نالت الجائزة وسوف أبذل قصارى جهدي لإعدادها للمؤتمر الصحفي. ولكن لا شيء سوى ذلك. لا أريد أن يربطني رابط بتلك الشركة «الوهمية». سيكون ذلك احتيالاً سافراً».

قال كوماتسو: «لا يمكنك التراجع الآن، يا تنغو. احتيال سافر؟

ربما هو كذلك. ولكن كان عليك أن تعرف ذلك من البداية عندما قررنا خداع الناس عبر هذه المؤلفة شبه المختلقة فوكا-إري. ألست محقاً؟ بالطبع شيء من هذا القبيل سوف يتضمن أموالاً، ممّا يقتضي نظاماً معقداً لإدارتها. هذه ليست مسرحية أطفال. لقد فات أوان القول بأنك لا تريد أن تجمعك أي صلة بها، وبأن الأمر ينطوي على خطر جسيم، وأنك لست بحاجة إلى المال. إذا كنت تريد النزول من القارب، فكان ينبغي لك عمل ذلك من قبل، عندما كان التيار لا يزال ضعيفاً. ليس بوسعك عمل ذلك الآن. إننا بحاجة رسمياً إلى عدد من الأشخاص كي نؤسس شركة، ولا أستطيع أن أبدأ الآن في توظيف أشخاص جدد لا يدرون شيئاً عمّا يجري. عليك أن تؤدي ما هو مطلوب منك. فأنت ضالعٌ فيما يجري الآن».

قدح تنغو زناد عقله دون أن يتمخض ذلك عن فكرة واحدة مفيدة وقال: «لدي سؤال واحد، مع ذلك. بناء على ما تقول، فإن البروفيسور إبيسونو سوف يمنح موافقته الكاملة على الخطة. يبدو كما لو أنه قد وافق بالفعل على تأسيس الشركة الوهمية والعمل كممثل لها».

«باعتباره ولي أمر فوكا-إري، فإن البروفيسور مدرك وموافق على الموقف بكليته وقد أعطانا الضوء الأخضر. لقد هاتفته فور إخبارك لي بالحديث الذي دار بينكما. وتذكرني بالطبع. أظن أنه لم يقل أي شيء عني لأنه أراد أن يعرف رأيك الصريح فيّ. وقال لي إنه قد أُعجب بقدرتك الحادة على قراءة الأشخاص. ماذا قلت له عني بحق السماء؟».

«وماذا سيجني البروفيسور إبيسونو من الاشتراك في هذه الخطة؟ لا يعقل أن يفعل ذلك بدافع المال».

«معك حق في ذلك. إنه ليس بالشخص الذي يؤثر فيه نذر يسير من الأموال».

«إذن لماذا يسمح لنفسه بالتورط في مثل هذه الخطة المحفوفة بالمخاطر؟ هل ثمة شيء يربحه منها؟».

«ليس لدي معلومات أكثر مما لديك. إنه شخص يصعب الاطلاع على دواخله».

«وكذلك أنت. وذلك يضعنا أمام دوافع خفية كثيرة علينا أن نخمنها».

قال كوماتسو: «حسناً، أياً كان الأمر. ربما يبدو البروفيسور مثل رجل عجوز بريء، ولكنه في واقع الأمر هو شخص يكتنفه غموض كبير».

«وما هو مقدار ما تعرفه فوكا-إري عن الخطة؟».

«لا تعرف - وليست بحاجة إلى أن تعرف - أي شيء عمّا يدور خلف الكواليس. إنها تثق في البروفيسور إيبسونو وتُحبك. وذلك هو ما يدفعني لأن أطلب منك المزيد من العون».

نقل تنغو سماعة الهاتف من يد إلى أخرى. شعر بالحاجة إلى تقييم التقدُّم المُحرز في الظرف الراهن: «بالمناسبة، البروفيسور إيبسونو لم يعد أستاذاً، أليس كذلك؟ لقد ترك الجامعة، ولم يعد يؤلف كتباً أو أي شيء».

«هذا صحيح. لقد قطع كل صلة له بالنشاط الجامعي. كان عالماً بارزاً، ولكن لا يبدو أنه يفتقد العالم الأكاديمي. ولكنه لم يرد قطّ الارتباط بالسلطة أو المؤسسات. كان دائماً أقرب ما يكون إلى المتمرد».

«وما هي نوعية العمل الذي يؤديه الآن؟».

قال كوماتسو: «أظنه سمسار أوراق مالية. أو، إنِ كان ذلك يبدو مسمى عتيقاً، فإنه مستشار استثماري. فهو يدير الأموال للأشخاص وبينما يقوم بتدويرها لحسابهم، يضع أرباحه جانباً. إنه يجلس هناك مختبئاً فوق قمة الجبل، حيث يُصدر توصيات البيع أو الشراء. لديه حسّ غريزي بالغ الدقة. ويجيد أيضاً تحليل البيانات وأنشأ نظاماً خاصاً به. كان ذلك مجرد هواية في أول الأمر، قبل أن تصبح مهنته الرئيسة. هذه هي قصته. وهو يحظى بشهرة فائقة في تلك الأوساط. والشيء المؤكد: هو أنه ليس بحاجة إلى المال».

قال تنغو: «لكنني لا أرى أي صلة بين الأنثروبولوجيا الثقافية وتداول الأسهم».

«في العموم، لا توجد صلة، ولكن من وجهة نظره، توجد صلة».

«وهو شخص يصعب قراءته».

«فعلاً».

ضغط تنغو بأطراف أصابعه على صدغيه. ثم قال وهو يستسلم لقدره: «سوف ألتقي فوكا-إري في المقهى المعتاد في شنجوكو في الساعة السادسة بعد غد، وسوف نتجهز للمؤتمر الصحفي. هذا هو ما تريد مني عمله، أليس كذلك؟».

قال كوماتسو: «هذه هي الخطة. أرجو منك في الوقت الراهن ألّا تفكر كثيراً، يا تنغو. اترك نفسك للتيار وحسب. مثل هذه الأشياء لا تحدث كثيراً خلال حياة المرء. هذا هو العالم الرائع لرواية صعلوكية. هيئ نفسك وحسب، واستمتع برائحة الشر. إننا ننطلق بسرعة كبيرة. وعندما نجتاز شلالات، دعنا نؤدي ذلك بطريقة تثير الإعجاب!».

التقى تنغو فوكا-إري في مقهى شنجوكو مساء عقب يومين. كانت ترتدي بنطال جينز ضيق وكنزة صيفية شفافة تحدِّد نهديها بوضوح. أما شعرها فيتدلى طويلاً ومنسدلاً، فيما بدت بشرتها أكثر تألقاً. ظل رواد المقهى من الرجال ينظرون ناحيتها. كان بوسع تنغو أن يحسّ بتحديقاتهم. أما فوكا-إري نفسها، مع ذلك، فقد بدا أنها غير مدركة لذلك تماماً. عندما يُعلن عن فوز هذه الفتاة بجائزة الكتَّاب الجُدد الأدبية، فإن ذلك سوف يُحدث غالباً ضجة.

كانت فوكا-إري قد علمت فعلاً بخبر فوزها بالجائزة، ولكن لم يكن يبدو عليها علامات الرضا أو التحمس لذلك. لم تكن تأبه بطريقة أو بأخرى. كان يوماً صيفياً حاراً، بيدَ أنها طلبت مشروب كاكاو ساخن وأمسكت الكوب بكفيها الاثنين، وهي تستلذّ بكل قطرة. لم يكن أحد قد أبلغها عن المؤتمر الصحفي المقبل، ولكن عندما شرح لها تنغو ذلك، لم تُبدِ أي ردة فعل.

«إنك تعرفين ماذا يعنيه مؤتمر صحفي، أليس كذلك؟».

كررت فوكا-إري كلماته: «مؤتمر صحفي...».

«تجلسين على المنصة وتجيبين عن أسئلة يوجِّهها مجموعة من مراسلي الصحف والمجلات. سوف يلتقطون لك الصور. ربما ستوجد أيضاً كاميرات لقنوات تلفزيونية. الدولة بأسرها سوف تقرأ التقارير المنشورة حول الأسئلة والأجوبة. من غير المألوف تماماً أن تحصد فتاة في السابعة عشرة جائزة الكتَّاب الجُدد الأدبية. سوف يكون ذلك خبراً مثيراً. سوف يتمّ تسليط الضوء على كون قرار اللجنة قد اتخذ بالإجماع. وهو ما لا يحدث مطلقاً تقريباً».

سألت فوكا-إري: «أسئلة وأجوبة».

«هم يطرحون الأسئلة، وأنت تقدمين الأجوبة».

«أي نوع من الأسئلة؟».

«شتى أنواع الأسئلة. حول العمل، وحولك، وحول حياتك الخاصة، وهواياتك، وخططك المستقبلية. ربما يحسن بك أن تُعدِّي من الآن أجوبة عن هذه النوعية من الأسئلة».

«لماذا؟».

«سيكون ذلك أكثر أماناً. كي لا تقفين حائرة إزاء الأسئلة وكي لا يصدر عنك ما يتسبب في سوء فهم. لن يضار أحد إذا أعددتِ نفسك من الآن. شيء من قبيل التمرين».

شربت فوكا-إري شراب الكاكاو الخاص بها في صمت. ثم نظرت إلى تنغو بعينين قالتا: «لست مهتمة حقاً بعمل مثل هذا الشيء، ولكن إن كنت تراه ضرورياً. . .» عيناها قد تكون أكثر بلاغة - أو على الأقل تنطق بجمل أكثر اكتمالاً - من كلماتها. ولكنها لا تستطيع أن تعقد مؤتمراً صحفياً مستعينة بعينيها.

أخرج تنغو ورقة من حقيبته ثم بسطها على الطاولة. إنها تحتوي على قائمة بالأسئلة التي يُحتمل طرحها في المؤتمر الصحفي. أنفق تنغو وقتاً كثيراً وتفكيراً عميقاً كي يجمع هذه الأسئلة في الليلة السابقة.

«سوف أطرح السؤال، وأنت تجيبين وكأنني مراسل لصحيفة، اتفقنا؟».

أومأت فوكا-إري.

«هل كتبتِ الكثير من القصص من قبل؟».

أجابت فوكا-إري: «الكثير».

«متى بدأت الكتابة؟».

«منذ مدة طويلة».

قال تنغو: «حسناً. الأجوبة القصيرة جيدة. لا داعيَ لأن تضيفي أي شيء. مثل، حقيقة أن أزامي كانت تكتب بالنيابة عنك. اتفقنا؟».

أومأت فوكا-إري.

«يجب ألا تقولي أي شيء بشأن ذلك. هذا هو سرنا الصغير، سري وسرك».

قالت فوكا-إري: «لن أقول أي شيء عن ذلك».

«هل كنت تعتقدين أنك سوف تفوزين بالجائزة عندما تقدَّمت بعملك للجهة المنظمة؟».

ابتسمت ولكن دون أن تجيب بشيء.

«إذن لعلك لا تريدين الإجابة عن هذا السؤال؟».

«لا».

«حسناً. الزمي الصمت وابتسمي وحسب عندما لا تريدين الجواب. إنها أسئلة حمقاء على أية حال».

أومأت فوكا-إري مرة أخرى.

«من أين لك بالخط الروائي لقصة 'الشرنقة الهوائية'؟».

«من الماعز العمياء».

«جواب موفَّق. ما الذي يقوله أصدقاؤك في المدرسة عن فوزك بالجائزة؟».

«لا أذهب إلى مدرسة».

«ولماذا لا تذهبين إلى مدرسة؟».

لا جواب.

«هل تعتزمين مواصلة كتابة الرواية؟».

صمت آخر.

ارتشف تنغو آخر ما بقي في كوب قهوته وأعاد الكوب إلى

الطبق. كانت تنبعث من مكبرات الصوت المثبتة في سقف المقهى، الموسيقى التصويرية لفيلم «صوت الموسيقى» The Sound of Music بصوت خفيض.

سألته فوكا-إري: «هل إجاباتي سيئة؟».

قال تنغو: «مطلقاً. مطلقاً. إنها رائعة».

قالت فوكا-إري: «حسناً».

كان تنغو يعني ما قاله. فرغم أنها لم تكن تستطيع التحدث بأكثر من جملة في المرة الواحدة وكانت تفتقر إلى بعض علامات الوَقف، فإن إجاباتها، على نحو ما، مثالية. وأفضل ما يميزها هو ردودها الفورية على كل سؤال. يميزها أيضاً الطريقة التي تحدق بها مباشرة في عيني السائل دون أن يطرف لها جفن. فذلك يبرهن عن صدق إجاباتها وعن أن قِصرها ليس مقصوداً منه إسكات السائل. وميزة أخرى هي أنه ليس محتملاً أن يفهم أحد المعنى الدقيق الذي تشير إليه. وذلك هو ما يأمله تنغو - أن تعطي إيحاء بصدقها حتى وهي تربك مستمعيها.

«روايتك المفضلة هي. . . ؟».

«**قصة الهايكي**؟».

بُهت تنغو. أن تكون «روايتها» المفضلة هي سجلّ لحرب الساموراي في القرن الثالث عشر! يا لها من إجابة رائعة!

«ماذا أعجبك في **حكاية الهايكي** (The Tale of the Heike)؟».

«كل شيء».

«هل من رواية مفضلة أخرى؟».

«**حكايات من زمن فات** (Tales of Times Now Past)».

«ولكن هذه أقدم من سابقتها! ألا تقرئين أي روايات حديثة؟».

فكرت فوكا-إري في ذلك هنيهة قبل أن تقول: «سانشو حاجب المحكمة (Sansho the Bailiff)».

رائع! لا بد أنّ أوجاي موري قد ألّف هذه القصة في عام 1915 تقريباً. كان ذلك هو ما تعتبره «أدباً حديثاً».

«هل لديك أي هوايات؟».

«الاستماع إلى الموسيقى».

«أي نوع من الموسيقى؟».

«أحب الاستماع لباخ».

«أي شيء معين له؟».

«بي دبليو في (BWV) 846 إلى 893».

راح تنغو يتفكر في ذلك، وقال: «لوحة مفاتيح حسنة المزاج (The Well-Tempered Clavier) الكتاب الأول والثاني».

«نعم».

«لماذا تجيبين بأرقام بي دبليو في؟».

«يسهل تذكرها».

إن «لوحة مفاتيح حسنة المزاج» هي موسيقى سماوية بحقّ لدى علماء الرياضيات. إنها تتألف من مقدمة وتستخدم النغمات الاثنتي عشرة للسلم، وأربع وعشرين قطعة في الكتاب، وثمانية وأربعين قطعة إجمالاً، ما يشكل دائرة مثالية.

سألها تنغو: «وماذا عن الأعمال الأخرى؟».

«بي دبليو في 244».

لم يستطع تنغو أن يتذكر في الحال أياً من أعمال باخ تحمل رقم 'بي دبليو في 244'.

بدأت فوكا-إري بالغناء.

Buß' und Reu'
Buß' und Reu'
Knirscht das Sündenherz entzwei
Buß' und Reu'
Buß' und Reu'
Knirscht das Sündenherz entzwei
Knirscht das Sündenherz entzwei
Buß' und Reu'
Buß' und Reu'
Knirscht das Sündenherz entzwei
Buß' und Reu'
Knirscht das Sündenherz entzwei
Daß die Tropfen meiner Zähren
Angenehme Spezerei
Treuer Jesu, dir gebären.

انعقد لسان تنغو من شدة الدهشة. لم يكن غناؤها متناغماً تماماً، ولكن نطقها للألمانية كان بالغ الوضوح والدقة.

قال تنغو: «الآلام بحسب القديس متّى. هل تحفظينها عن ظهر قلب».

قالت الفتاة: «لا لست أحفظها».

أراد تنغو أن يقول شيئاً، ولكن لم تسعفه الكلمات. لم يكن بوسعه إلا العودة إلى ملاحظاته والانتقال إلى السؤال التالي.

«هل لديك صديق؟».

هزت فوكا-إري رأسها.

«ولِمَ لا؟».

«لا أريد الحَمل».

«تستطيعين أن تتخذي صديقاً دون أن تحملي».

لم تعقب فوكا-إري بشيء، وبدلاً من ذلك طرفت بعينيها عدة مرات وحسب.

«ولِمَ لا تريدين أن تحملي أطفالاً؟».

بقيت فوكا-إري صامتة. شعر تنغو بالأسف على طرحه مثل هذا السؤال الأبله.

قال تنغو، وهو يعيد قائمة الأسئلة إلى حقيبته: «حسناً، لنكتفي بهذا القدر».

«نحن لا ندري فعلاً أي الأسئلة سيطرحونها، وسيكون حسناً أن تجيبي عنها على النحو الذي يروقك. تستطيعين ذلك».

قالت فوكا-إري بارتياح واضح: «هذا أفضل».

«أنا متأكد أنك ترين أنّ إعداد مثل هذه الإجابات مضيعة للوقت».

هزت فوكا-إري كتفيها هزة خفيفة.

«أوافقك الرأي. لست أفعل ذلك لأنني أريده. وإنما السيد كوماتسو هو مَن طلب مني ذلك».

أومأت فوكا-إري.

قال تنغو: «ولكن رجاء لا تخبري أحداً بأني أعدتُ كتابة 'الشرنقة الهوائية'. لعلك تدركين ذلك، أليس كذلك؟».

أومأت فوكا-إري مرتين: «أنا مَن كتبتُها بنفسي».

«أياً ما كان الأمر، فإن 'الشرنقة الهوائية' هي عملك وحدك وليس لأحد سواك. كان ذلك واضحاً منذ البداية».

قالت فوكا-إري مرة أخرى: «أنا مَن كتبتها بنفسي».

«هل قرأت النسخة المُعاد كتابتها؟».

«أزامي قرأتها عليّ».

«وما رأيك فيها؟».

«أنت كاتب جيد».

«وهذا يعني أنها نالت إعجابك، على ما أظن؟».

قالت فوكا-إري: «تبدو وكأني كاتبتها».

نظر تنغو إليها. تناولت كوب الكاكاو وأخذت رشفة. كان عليه أن يجاهد كي لا ينظر إلى جمال صدرها النافر.

قال: «يسرني سماع ذلك منك. لقد استمتعتُ حقاً بإعادة صياغة 'الشرنقة الهوائية'. بالطبع كان عملاً شاقاً للغاية لا سيما وأنا أحاول تفادي تدمير ما فعلتِهِ فيها. ولذلك من المهم جداً أن أعرف إن كان المنتج النهائي قد راقك أو لا».

أومأت فوكا-إري في صمت. ثم، وكأنها تحاول التَثبُت من شيء، رفعت يدها إلى شحمة أذنها حسنة الشكل.

اقترب النادل وأعاد ملء كوبي الماء. ازدرد تنغو لعابه كي يرطِّب جفاف حلقه. ثم، استجمع شجاعته وأفصح عن فكرة ظلت تراوده مدة.

«لدي طلب خاص أريده منك الآن، إذا كنت لا تمانعين».

«ما هو ذلك».

«أود منك حضور المؤتمر الصحفي بالثياب نفسها التي ترتدينها اليوم».

رمقته فوكا-إري بنظرة حائرة. ثم نظرت إلى نفسها كي تتحقق من كلّ قطعة ملابس ترتديها، وكأنها لم تكن واعية حتى هذه اللحظة بما تلبسه.

سألته: «تريدني أن أذهب إليه وأنا بهذه الثياب».

«أجل. أودّ منك الذهاب إلى المؤتمر الصحفي وأنت تلبسين بالضبط ما تلبسينه الآن».

«لماذا».

«تبدو لائقة عليك. إنها تبرز جمال صدرك. هذا هو إحساسي الخاص، ولكن أظنّ أن الصحفيين لن يستطيعوا رفع أعينهم عن النظر نحوه وسوف يلهيهم ذلك عن طرح أسئلة صعبة. بالطبع، إذا لم ترُق لك هذه الفكرة، فالأمر يعود لك. لستُ مصمماً على ذلك».

قالت فوكا-إري: «أزامي هي مَن تنتقي لي ثيابي».

«ألست أنت؟».

«لا أبالي بما ألبس».

«إذن أزامي هي من انتقت ثياب اليوم؟».

«أزامي هي من انتقتها».

«مع ذلك، فهي تبدو رائعة عليك».

سألت دون علامة استفهام: «إذن هذه الثياب تجعل صدري يبدو جميلاً».

«بلا شك. إنها تلفت الانتباه بقوة».

«هذه الكنزة والصدرية يتناسبان معاً بشكل جيد».

نظرت فوكا-إري في عينيه مباشرة. شعر تنغو بحمرة الخجل.

«لا أستطيع أن أحدِّد أي نوع من التناسب هنا، ولكن وقعه ممتاز».

كانت فوكا-إري لم تزل تحدق في عيني تنغو. سألت بجدية:

«ألا يمكنك أن ترفع عينيك عن النظر إليه».

قال تنغو: «حقاً، أعترف بذلك».

ضمت فوكا-إري ياقة كنزتها ودست أنفها كله تقريباً داخلها وهي تنظر إلى أسفل، على ما يبدو كي تعرف نوع الصدرية التي كانت ترتديها ذلك اليوم. ثم ركزت عينيها على وجه تنغو المحمر خجلاً هُنيهة وكأنها تنظر إلى شيء يثير الفضول.

قالت بعد هنيهة: «سوف أفعل ما تريده مني».

قال تنغو، منهياً اللقاء الذي جمعهما: «أشكرك».

اصطحب تنغو فوكا-إري إلى محطة شنجوكو سيراً على الأقدام. كان كثيرون يمشون في الشارع وقد خلعوا ستراتهم. قلة من النساء كن يرتدين قمصاناً بلا أكمام. يتولَّد عن صخب الناس الذي اختلط بحركة السيارات صوت انسيابي تتفرد به المدن. هبَّ نسيم عليل على الشارع. ظهرت علامات الحيرة على تنغو: من أين تأتي تلك الريح العطرة وكيف تصل إلى الشوارع المزدحمة في شنجوكو؟

سأل تنغو فوكا-إري: «هل ستعودين إلى منزلك في الريف؟» كانت القطارات قد اكتظت؛ وسوف تستغرق وقتاً طويلاً كي تصل إلى المنزل.

هزت فوكا-إري رأسها: «لدي غرفة في شنانو ماتشي. لا تبعد سوى بضع دقائق عن هنا».

كما فعلت من قبل، قبضت فوكا-إري على اليد اليسرى لتنغو خلال سيرهما باتجاه المحطة. فعلت ذلك على النحو الذي تمسك به طفلة صغيرة بيد شخص بالغ، لكنها مع ذلك جعلت قلب تنغو يخفق لكون يده في يد مثل تلك الفتاة الجميلة.

عندما بلغا المحطة، أفلتت يده واشترت تذكرة إلى شنانو ماتشي من الماكينة.

قالت فوكا-إري: «لا تقلق بشأن المؤتمر الصحفي».

«لست قلقاً».

«حتى وإن كنت لست قلقاً، فإن باستطاعتي القيام به على نحو مُرضٍ».

قال تنغو: «أدرك ذلك. لست قلقاً البتة. أنا واثق أنه سيخرج على النحو المطلوب».

دون أن تضيف أي كلمة، تلاشت فوكا-إري عبر بوابة التذاكر وسط الزحام.

عقب تركه لفوكا-إري، قصد تنغو حانة صغيرة بالقرب من متجر كينوكونيا لبيع الكتب وطلب مشروباً من الجن والتونك. اعتاد الذهاب إلى هذه الحانة من حين إلى آخر، فقد راقه ديكورها العتيق وكونهم لا يعزفون أي موسيقى فيها. جلس وحده أمام المشرب وهو يحدِّق في يده اليسرى لبعض الوقت، دون أن يفكر في شيء بعينه. هذه هي اليد التي كانت تمسكها فوكا-إري. لا تزال تحتفظ بأثر لمستها. فكَّر في صدرها وتضاريسه الجميلة. لقد بلغ حداً من الإتقان يتعذَّر معه تقريباً أن نضفي عليه معنى جنسياً.

وبينما كان تنغو مستغرقاً في هذه الأشياء، شعر بالحاجة إلى مهاتفة صديقته التي تكبره سناً - كي يتحدثا معاً في أي شيء: شكاواها حول تربية الأطفال وشعبية حكومة ناكاسوني، لا يهم. كان يودّ سماع صوتها وحسب. وإن أمكن، الالتقاء بها في الحال وممارسة الجنس معها. ولكن الاتصال بها في البيت غير وارد. ربما ردّ زوجها على

المكالمة. وربما ردّت إحدى طفلتيها. لم يتصل بها هاتفياً من قبل. وكانت تلك هي إحدى القواعد التي أرسياها لعلاقتهما.

طلب تنغو مشروباً آخر من الجن والتونك، وفيما كان ينتظره تخيَّل نفسه على متن قارب صغير ينطلق بسرعة هائلة. وعبر الهاتف قال كوماتسو: «عندما نجتاز الشلالات، دعنا نؤدي ذلك بطريقة تثير الإعجاب!» ولكن هل لتنغو أن يثق في كوماتسو؟ ألا يمكن أن يقفز كوماتسو على صخرة قريبة قبيل وصولهم إلى الشلالات؟ وسوف يقول: «معذرة، يا تنغو. ولكني تذكرت عملاً ينبغي لي القيام به. سوف أدَع لك ما تبقى من ذلك». وسوف يكون الوحيد الذي يجتاز الشلالات بطريقة تبعث على الإعجاب هو تنغو نفسه. لم يكن ذلك غير وارد، بل، لقد كان وارداً بشدّة.

قَفَلَ عائداً إلى البيت، وأوى إلى الفراش، وراح يحلم. لم يتراءَ له مثل هذا الحلم الحيوي منذ زمن طويل. وجد نفسه قطعة صغيرة ضمن أحجية صور عملاقة. ولكن بدلاً من أن يكون له شكل ثابت، ظلّ شكله يتغير. ولذلك، لم يجد نفسه ملائماً، بالطبع، في أيّ مكان. وخلال محاولته معرفة المكان الذي ينتمي إليه، أتيحت له فسحة من الوقت جمع خلالها الصفحات الموسيقية المبعثرة من مقطع التمباني. بعثرت ريحٌ قوية الصفحات في كل اتجاه. قام يلملمها صفحة صفحة. بدأ ينظر في أرقام الصفحات ويرتبها فيما راح جسده يتحور كما لو كان حيوان أميبا. خرج الأمر عن سيطرته. وأخيراً أقبلت عليه فوكا-إري وأمسكت بيده اليسرى. توقف التَحوُّر في شكل تنغو. وسكنت الريح فجأة ولم تعُد تبعثر الصفحات. قال تنغو في نفسه: «يا للفرج!» ولكن الوقت بدأ ينفد في تلك اللحظة. «هذه هي

النهاية»، هكذا أخبرته فوكا-إري بصوت هامس. جملة واحدة، كما هو دأبها. الزمن توقف، والعالم انتهى. توقفت الأرض عن الدوران، وتلاشى الصوت والضوء تماماً.

عندما استفاق في اليوم التالي، وجد العالم لا يزال موجوداً، والأشياء تمضي في سبيلها، مثل عجلة القَدَر العظيمة في الأسطورة الهندية التي تقتل كل كائن حي يوجد في مسارها.

الفصل السابع عشر

أَوْمَامِه
سواء أَكُنا سعداء أم تعساء

في الليلة التالية، خرجت أَوْمَامِه إلى شرفتها مرة أخرى لتجد السماء لا يزال فيها قمران. أكبرهما هو القمر الطبيعي. وكان يحوطه غلاف أبيض مبهَم، كما لو أنه قد شق طريقه تواً إلى هناك عبر جبل من الرماد، ولكن عدا ذلك هو القمر القديم عينُه الذي اعتادت رؤيته، القمر الذي وَسَمه نيل أرمسترونغ بخطوة أولى صغيرة لكنها قفزة عملاقة في ذاك الصيف الحار من عام 1969. وإلى جواره يتدلى قمر صغير أخضر مائل إلى جنب، ويحتضنه القمر الكبير على استحياء وكأنه طفل صغير.

جال في خاطر أَوْمَامِه، لا بد أن خللاً ما قد أصاب عقلي. يوجد دائماً قمرٌ واحد، ويجب أن يوجد قمرٌ واحد الآن. إذا كان عدد الأقمار قد زاد فجأة إلى اثنين، فكان ينبغي لذلك أن يفضي إلى تغييرات فعلية في الحياة على الأرض. المد والجزر، مثلاً، كان ينبغي أن يجري عليهما تغييرات كبيرة، وأن يصبح حديث القاصي والداني. لا يُعقل أن أكون قد عجزت عن ملاحظة ذلك حتى الآن. هذا أمر يختلف عن مجرد السهو عن خبر هنا أو هناك في صحيفة.

أم تُرى أن الأمر يختلف بشدة فعلاً؟ هل بوسعي أن أعلن ذلك بيقين تام؟

قطبت أَوْمَامِه جبينها برهة. أشياء غريبة لا تفتأ تحدث من حولي هذه الأيام. العالم يتحرك قُدُماً من نفسه دون أن أعي بذلك، وكأننا نمارس لعبة لا يتحرك فيها الجميع إلا عندما أغمض عينيَّ. ربما لا يكون أمراً شديد الغرابة أن يوجد في السماء قمران جنباً إلى جنب. ربما، عندما كان عقلي نائماً، أتى القمر الصغير في وقت ما من مكان ما في الفضاء وقرر أن يستقر به المقام في مجال الجاذبية الأرضية، وهو يشبه ابن عم بعيد للقمر.

لقد زُوِّد رجال الشرطة بزيّ ومسدسات جديدة. ودارت معركة شرسة بين قوات الشرطة وجماعة متطرفة في جبال ياماناشي. هذه أشياء وقعت دون أن أعيها. وماذا عن ذلك التقرير الذي أفاد بأن الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي قد أنشأتا بجهد مشترك قاعدة فوق القمر. هل يمكن أن تكون لذلك صلة بزيادة عدد الأقمار؟ فتشت أَوْمَامِه ذاكرتها كي تتذكر إن كان قد مرّ بها خبر بشأن قمر جديد لدى تصفحها للنسخة المدمجة من الصحيفة التي طالعتها في المكتبة، لكن لم تجد شيئاً.

تمنت لو سألتْ أحداً بشأن هذه الأشياء، ولكنها لم تكن تدري مَن تسأل ولا كيف تسأل. هل يليق بها أن تقول: «من فضلك، أظن أنّ في السماء قمرين. هل تمانع في النظر إليها من أجلي؟» كلا، سيكون سؤالاً أحمق تحت أي ظرف. لو أن السماء باتت تضم قمرين فعلاً، فسيكون مستغرباً منها ألّا تعرف ذلك. أما إن كان لا يزال بها قمر واحد، فسوف يظن الناس أن مسّاً من الجنون قد أصابها.

ألقت بنفسها في الكرسي الألومنيوم، وأراحت قدميها على

درابزين الشرفة. خطر ببالها عشر صيغ لطرح السؤال، بل لقد جرَّبت بعضها بصوت عال، ولكن بدت جميعها حمقاء مثل الصيغة الأولى. **سُحقاً لذلك. الموقف برمته يتحدى الحسّ السليم. لا يوجد سؤال معقول بشأن ذلك، هذا ما لا شك فيه.**

قررتْ أن ترجئ سؤالها بشأن القمر الثاني في الوقت الراهن. **سوف أكتفي بالانتظار لأرى ما يحدث. فالأمر لا يسبب لي أي مشكلة عملية حتى الآن. وربما أتنبه في وقت معين إلى أنه قد تلاشى دون أن أدري.**

ذهبت إلى النادي الرياضي الواقع في هيرو خلال الظهيرة، وقدمت حصتين في فنون القتال، وأعطت درساً خصوصياً واحداً. عندما توقفت عند مكتب الاستقبال، فوجئت برسالة تنتظرها من الأرملة الثرية في أزابو، تطالبها بالاتصال بها عندما تَفرغ.

أجاب تامارو على الهاتف كما يفعل دائماً. أوضح لها أن الأرملة الثرية تودّ أن تعرف إن كان بوسع أَوْمَامِه المجيء إلى المنزل في اليوم التالي. وأنها ترغب في تنفيذ البرنامج المعتاد ثم تناول عشاء خفيف.

أبلغته أَوْمَامِه أنها تستطيع القدوم بعد الرابعة، وأنه يسرها أن تتناول العشاء رفقة الأرملة الثرية. أكد تامارو الموعد، ولكن قبل أن يضع السماعة، سألته أَوْمَامِه إن كان قد رأى القمر مؤخراً.

سألها تامارو: «القمر؟ تقصدين القمر - الموجود في السماء؟».

«نعم، القمر».

«لا أتذكر أني نظرت إليه مؤخراً. هل هناك شيء ما يجري للقمر؟».

قالت أَوْمَامِه: «لا شيء. حسناً، موعدنا غداً بعد الرابعة».

اعترى تامارو بعض التردد قبل وضعه السماعة.

ظهر قمران مرة أخرى في تلك الليلة، تجاوز كلاهما البدر بليلتين. كانت أَوْمَامِه تمسك بيدها كوباً من البراندي وهي تُحدِّق إلى القمرين، الكبير والصغير، كما لو أنها إزاء لغز مُطلسم. وكلما أطالت النظر، بدا المشهد الثنائي أكثر إلغازاً. ليتها تستطيع التوجُّه بالسؤال مباشرة للقمر، «كيف جئت فجأة بهذا الرفيق الصغير الأخضر؟!» ولكن القمر لن يَمُن عليها بجواب.

لقد بقي القمر يرصد الأرض من كثب أكثر ممّا فعل أي أحد آخر. لا بد أنه قد شهد كل الظواهر وهي تحدث - وكل الأعمال التي جرت - على هذه الأرض. ولكنه ظلّ على صمته؛ لم يروِ أي حكايات. كل ما فعله هو أنه يحتضن الماضي الثقيل بفتور متعمَّد. فوق سطح القمر لا هواء ولا رياح. ولذلك فإن فراغه مثالياً للحفاظ على الذكريات سالمة. ليس بوسع أحد أن يطلع على قلب القمر. رفعت أَوْمَامِه كوبها نحو القمر وسألت: «هل نمت مع امرأة وضممتها بين ذراعيك مؤخراً؟».

لم يَجِر القمر جواباً.

سألته: «هل لديك أي أصدقاء؟».

لم يَجِر القمر جواباً.

«ألا تسأم من تَصنُّع اللامبالاة؟».

لم يَجِر القمر جواباً.

استقبلها تامارو لدى الباب الأمامي كما هو دأبه دائماً، وابتدرها قائلاً: «رأيت القمر ليلة البارحة!».

قالت أَوْمَامِه: «أحقاً؟».

«بفضلك، بدأت أتساءل عن القمر. منذ مدة طويلة لم أتوقف عند القمر وأنظر إليه. إنه جميل. وبالغ الهدوء».

«هل فعلت ذلك برفقة حبيبتك؟».

قال تامارو، وهو يربت فوق جانب أنفه: «بالضبط. هل جرى شيء للقمر؟».

قالت أَوْمَامِه: «لا مطلقاً». ثم أضافت بتحفظ: «كل ما هنالك هو، لست أدري، ولكني وجدتني قلقة بشأن القمر مؤخراً».

«دون أي سبب على الإطلاق؟».

قالت أَوْمَامِه: «لا شيء بعينه».

أومأ تامارو في صمت. بدا أنه يستخلص نتائجه الخاصة. لم يكن هذا الشخص بمَن يقبل الأشياء على عواهنها. لكنه وبدلاً من متابعة الحوار، قاد أَوْمَامِه إلى غرفة الشمس. كانت الأرملة الثرية هناك، ترتدي قميصاً رياضياً للتمرين وهي جالسة في مقعدها المخصص للقراءة تستمع إلى معزوفة جون دولاند «تدفقي يا دموعي» (Lachrimae) وهي تقرأ كتاباً في يدها. هذه هي إحدى مقطوعاتها الموسيقية المفضلة. وقد سمعتها أَوْمَامِه مرات ومرات وتعرف لحنها.

قالت الأرملة الثرية: «اعذريني على الإشعار غير الكافي باللقاء، لكن لم يُتح لي هذا الوقت سوى أمس فقط».

قالت أَوْمَامِه: «ليس عليك أن تعتذري».

جاء تامارو حاملاً صينية بها إبريق من شاي الأعشاب وبدأ يملأ فنجانين أنيقين. أغلق الباب لدى خروجه، تاركاً السيدتين وحدهما.

احتسيتا الشاي في صمت، وهما تستمعان إلى أنغام دولاند وتنظران إلى لمعان زهور شجرات الأزاليا في الحديقة. كانت أَوْمَامِه كلما جاءت هنا، يداخلها شعور بأنها قد انتقلت إلى عالم آخر. فالهواء يصبح ثقيلاً والزمن يتدفق بإيقاع مغاير.

قالت الأرملة الثرية: «عندما أستمع إلى هذه الموسيقى تدهمني غالباً مشاعر مبهمة بشأن الزمن». بدا أنها قرأت ما يدور بخلد أَوْمَامِه تقريباً. «عندما تجدين أن الناس قبل أربعمائة سنة كانوا يستمعون إلى الموسيقى ذاتها التي نستمع إليها الآن! ألا يثير ذلك الاستغراب لديك؟».

قالت أَوْمَامِه: «بلى، ولكن عند التفكير في ذلك، تجدين أن هؤلاء الناس الذين عاشوا قبل أربعمائة سنة كانوا ينظرون إلى القمر نفسه الذي نراه».

نظرت الأرملة الثرية إلى أَوْمَامِه بشيء من الدهشة. ثم أومأت: «معك كل الحق في ذلك. حينما أنظر إلى الأمر بهذه الطريقة، لا أرى ما يُحيِّر بشأن هؤلاء الذين كانوا يستمعون إلى تلك الموسيقى قبل أربعمائة سنة».

قالت أَوْمَامِه مستدركة، وهي تنظر إلى الأرملة الثرية: «لعله كان ينبغي لي أن أقول القمر نفسه تقريباً»، لكن بدا أن ملاحظتها لم تُحدث أثراً يُذكر لدى الأرملة الثرية.

قالت الأرملة الثرية: «إن المعزوفة الموجودة على هذه الأسطوانة تستخدم الآلات نفسها بالضبط التي استخدمت عند تأليفها في ذاك الوقت، ولذلك تبدو الموسيقى تقريباً مثلما كانت وقتئذٍ. إنها تشبه القمر».

قالت أَوْمَامِه: «حتى وإن كانت الأشياء هي نفسها، فلا بد أن

إدراك الناس لها كان مغايراً بشدة عندئذٍ. فظلام الليل كان غالباً أشدّ عتمة، لذلك لا بد أن القمر كان أكبر حجماً وأكثر سطوعاً. ولم يكن لدى الناس بالطبع أسطوانات أو شرائط أو أسطوانات مدمجة. لم يكن بوسعهم الاستماع إلى معزوفات موسيقية جيدة كلما رغبوا ذلك: ظلّ ذلك دائماً شيئاً مميزاً».

قالت الأرملة الثرية: «أنا واثقة بأنك على صواب. الأشياء أصبحت في متناولنا هذه الأيام، لكن إدراكنا قد بات غالباً أكثر بلادة. حتى وإن كان القمر المعلق في السماء هو نفسه، فربما ننظر إلى شيء مغاير تماماً. قبل أربعمائة سنة، ربما كانت نفوسُنا أَغنى وأكثر قُرباً من الطبيعة».

«مع ذلك، كان العالم قاسياً. أكثر من نصف الأطفال كانوا يموتون قبل سن البلوغ، وذلك بسبب الأوبئة وسوء التغذية المزمنة. كان البشر يتساقطون صرعى مثل الذباب بسبب شلل الأطفال والسل والجدري والحصبة. ولم يكن كثيرون يتجاوزون الأربعين من أعمارهم غالباً. والنساء ينجبن أطفالاً كثيرين، وتصبحن عجائز شمطاوات تتساقط أسنانهن في الثلاثينيات من أعمارهن. وكان الناس غالباً ما يضطرون للجوء إلى العنف كي يبقوا على قيد الحياة. الأطفال الصغار كانوا يرغمون على أداء أعمال شاقة للغاية وتتشوه عظامهم من أثر ذلك، أما الفتيات الصغيرات فيُرغمن على العمل كعاهرات. وكذلك الفتية الصغار، حسبما أظن. كان معظم الناس يعيشون حياة الكفاف في عالم لم يعرف ثراء للإدراك أو الروح. أما شوارع المدن فكانت تغص بالمعوقين والمتسولين والمجرمين. لم تكن توجد سوى نسبة ضئيلة من الناس بوسعها أن تنظر نحو القمر بمشاعر صافية أو تستمتع بمسرحية لشكسبير أو بعذوبة ألحان دولاند».

ابتسمت الأرملة: «كم أنت رائعة!».

قالت أَوْمَامِه: «أنا إنسانة عادية للغاية. كل ما هنالك أني نشأت أحب قراءة الكتب. ولا سيما كتب التاريخ».

«أنا أحب كتب التاريخ أيضاً. فهي تعلمنا أننا متشابهون في الجوهر، سواء الآن أو في الأيام الغابرة. ربما تطرأ بعض التغييرات في الملابس ونمط الحياة، ولكن لا يوجد ذلك الفارق الكبير فيما نفكر ونفعل. فالبشر في نهاية الأمر ليسوا سوى ناقلات -ممرات- للجينات. فهي تمتطينا مثل أحصنة السباقات من جيل إلى جيل. والجينات لا تفكر فيما هو خير وما هو شر. لا تعبأ بنا سواء أكنا سعداء أم تعساء. فنحن لا نعدو أن نكون وسيلة لغاية لديها. وهي لا تنشغل إلا بما تراه أجدى لها».

«ورغم ذلك، فنحن مجبولون على الانشغال بما هو خير وما هو شر. هل هذا هو ما تودين قوله؟».

أومأت الأرملة الثرية، وقالت مبتسمة: «بالضبط. على الناس الانشغال بتلك الأشياء. ولكن الجينات هي من يتحكم في الأساس الذي تسيِّر حياتنا وفقاً له. وبطبيعة الحال، تنبثق التناقضات».

انتهى حوارهما حول التاريخ عند هذه النقطة. احتسيتا بقية كوبيهما من شاي الأعشاب ثم شرعتا في التمرُّن على فنون القتال.

وفي ذلك اليوم تناولتا معاً عشاء خفيفاً في منزل الأرملة الثرية.

وقالت لها الأرملة الثرية: «وجبة عشاء خفيفة هي كلّ ما أستطيع تقديمه لك، إذا كنت لا تمانعين».

قالت أَوْمَامِه: «لا مانع لدي على الإطلاق».

جلب تامارو عشاءهما على عربة يدفعها. لا شك أن طاهياً ماهراً

قد أعدّ الطعام، ولكن تقديمه كان من واجبات تامارو. أخرج زجاجة من النبيذ الأبيض من دلو الثلج، وراح يصبّ منها ببراعة. ذاقت الأرملة الثرية وأَوْمَامِه النبيذ فوجدتا له شذى محبباً وشديد البرودة. تكوّن العشاء من الهليون الأبيض المسلوق وسلطة نيسواز وبيض مقلي مع لحم القبقب وخبز وزبدة، لا شيء أكثر. كل المكونات كانت طازجة وشهية، وحصص الطعام لا هي بالكبيرة ولا الصغيرة. تتناول الأرملة الثرية مقادير ضئيلة من الطعام كما هو دأبها دائماً. تستخدم سكينها وشوكتها بأناقة، فيما تجلب إلى فمها قضمة صغيرة تلو أخرى كما لو أنها طائر صغير. بقي تامارو منزوياً في الركن القَصي من الغرفة خلال تناولهما الطعام. كانت الدهشة تعتري أَوْمَامِه دائماً بشأن قدرة هذا الرجل صاحب القوام الضخم على إخفاء حضوره كل هذه المدة الطويلة.

لم تتكلم السيدتان على الطعام سوى بعبارات موجزة، فقد انصرف انتباههما عوضاً عن ذلك إلى ما يأكلون. كانت الموسيقى تُعزف بصوت هادئ - كونشرتو تشيلو لهايدن. وهي من بين المعزوفات الأخرى الأثيرة لدى الأرملة.

بعدما رُفعت الأطباق، جيء بإبريق القهوة. صبّ تامارو، وبينما كان يرجع إلى الخلف، استدارت الأرملة إليه بإصبع مرفوع.

«أشكرك تامارو. لن نحتاج شيئاً آخر».

أومأ تامارو باحترام وغادر الغرفة بخُطى لا تكاد تُسمع كما هو دأبه دائماً وأوصد الباب وراءه في هدوء. وبينما كانت السيدتان تحتسيان قهوتهما، انتهت المعزوفة وخيَّم الصمت على الغرفة.

قالت الأرملة، وهي تنظر مباشرة نحو أَوْمَامِه: «أنت وأنا نثق بعضنا ببعض، ألا ترين ذلك؟».

وافقتها أَوْمَامِه - بكلمات مقتضبة، ولكن دون تحفظ.

قالت العجوز: «إننا نتشارك في بعض الأسرار المهمة. لقد وضعت كلّ منا مصيرها في أيدي الأخرى».

أومأت أَوْمَامِه دون أن تعقب.

هذه هي الغرفة التي أفضت فيها أَوْمَامِه لأول مرة بسرِّها إلى الأرملة الثرية. تتذكر أَوْمَامِه ذلك اليوم بوضوح. كانت تدرك أنه سيأتي يوم يتعين عليها فيه أن تشاطر أحداً العبء الذي حملته بين جوانحها. لقد كتمته مدة طويلة حتى فاض بها الكيل. ولذلك لم تكَد الأرملة الثرية تستحثّها على الكلام، حتى فاضت أَوْمَامِه بكل ما في مكنونها.

حدَّثت الأرملة الثرية عن صديقتها الحميمة وكيف فقدت اتِّزانها الذهني بعد سنتين من العنف الجسدي الذي تعرضت له على يدي زوجها، وعجزها عن الفرار منه، ثم إقدامها على الانتحار وهي تكابد حالة من المعاناة والألم. انتظرت أَوْمَامِه عاماً تقريباً قبل أن تختلق سبباً لزيارة الرجل في بيته. وهناك، وبعد خطة مفصَّلة حاكتها بنفسها، قتلته بغرزها إبرة في مؤخر عنقه. لم تُسبب أي نزف ولم تترك أي علامة أو أي جرح مرئي. اعتُبرت وفاته ناجمة عن وعكة ألمَّت به. لم تساور الشكوك أي أحد. شعرت أَوْمَامِه بأنها لم تقترف سوءاً، هكذا قالت للأرملة، سواء عندئذٍ أو الآن. ولم تشعر بأي وخزات ضمير، رغم أن ذلك لم يخفف من ثقل إحساسها بأنها قد أزهقت عن قصد روح إنسان.

كانت الأرملة الثرية تصغي بانتباه إلى اعتراف أَوْمَامِه الطويل، دون أن تعقِّب بأي شيء حتى عندما كانت أَوْمَامِه تتلعثم وهي تروي

تفاصيل ما جرى معها. عندما انتهت أَوْمَامِه من رواية قصتها، سألتها الأرملة مستوضحة عن بعض النقاط. وبعد ذلك نهضت من مكانها وأمسكت بيد أَوْمَامِه وشدَّت عليها مدة طويلة.

وقالت لها وهي تتحدث ببطء وعن قناعة: «لقد فعلت الصواب. لو قُيض له أن يعيش، لأذاق نساء أخريات كأس المعاناة نفسها. فالرجال من شاكلة هذا دائماً ما يعثرون على ضحاياهم. فهم يعتادون ذلك المرة تلو المرة. لقد اجتَثَثْتِ الشرّ من جذوره. اطمئني، لم يكن ذلك مجرد ثأر شخصي».

دفنت أَوْمَامِه وجهها بين راحتيها وانخرطت في البكاء حزناً على تاماكي. تناولت الأرملة الثرية منديلاً وراحت تمسح لها دموعها.

وقالت المرأة بصوت خفيض ولكن بنبرة حازمة: «يا لها من مصادفة غريبة، فأنا أيضاً أنهيت حياة رجل ذات يوم للسبب نفسه تقريباً».

رفعت أَوْمَامِه رأسها ونظرت نحو الأرملة. لم تكن تدري ماذا تقول. ولم تكن تدري عمَّ تتحدث المرأة الثرية.

تابعت الأرملة الثرية: «لم أفعل ذلك بنفسي، بالطبع. فلم أكن أمتلك القدرة الجسدية ولا أحظى بالتدريب الخاص الذي لديك. ولكني جعلته يتلاشى تماماً عبر ما تيسَّر لي من وسائل، دون أن أترك ورائي أي دليل ملموس. وحتى لو كنت قد أسلمتُ نفسي للشرطة واعترفت بما فعلت، لاستحال عليّ إثبات ذلك، تماماً مثلما هو الأمر لديك. وإذا فرضنا أن ثمة حساب ينتظرنا بعد الموت، فسيكون الإله هو الموكول بحسابي، وذلك لا يخيفني على الإطلاق. لم أقترف ذنباً. إنني أحتفظ بالحق في إثبات عدالة قضيتي أمام أيّ أحد».

تنهدت الأرملة الثرية بارتياح واضح قبل أن تتابع حديثها: «إذن

أنت وأنا الآن قد وضعنا أيدينا على أعمق الأسرار لدى الأخرى، أليس كذلك؟».

لم تستطع أَوْمَامِه أن تفهم كاملاً ما كانت الأرملة الثرية تخبرها به. جعلت رجلاً يتلاشى؟ ولأنها أصبحت عالقة وسط شك عميق وصدمة حادة، فقد بدأ وجه أَوْمَامِه يفقد شكله الطبيعي. وكي تهدِّئ من روعها، أخذت الأرملة الثرية تشرح لها ما حدث بصوت هادئ.

أخبرتها الأرملة الثرية أن ظروفاً شبيهة بظروف تاماكي أوتسوكا قد دفعت بابنتها لأن تُنهي حياتها بيدها. كانت ابنتها قد تزوجت من الرجل غير المناسب. وكانت الأرملة الثرية تعرف من البداية أن تلك الزيجة لن تسير على ما يرام. كان بوسعها أن ترى بوضوح أن الرجل ذو شخصية غير سوية. فقد تورط بالفعل في العديد من المواقف المسيئة. ولكن أحداً لم يستطع أن يثنيَ ابنتها عن الزواج منه. وكما توقعت الأرملة الثرية، فقد أصبحت ابنتها عرضة لعنف متكرِّر من زوجها. فقدت الفتاة شيئاً فشيئاً كلّ ما نعمت به من احترام لذاتها وثقتها في نفسها ودَهَمَها اكتئاب عميق. ولأنها قد سُلبت القدرة على الاعتماد على نفسها، فقد باتت تشعر على نحو متزايد بأنها أشبه بنملة علقت في وعاء من الرمل. وفي النهاية، ازدردت عدداً كبيراً من الحبوب المنومة مع الويسكي.

كشف تشريح الجثة عن آثار عنف على جسدها: كدمات من أثر اللكم وضرب مبرح وكسور في العظام والعديد من ندبات حرق ناجمة عن إطفاء السجائر في جسدها. وظهرت على رسغيها علامات تشير إلى أنها قد كبِّلت تكبيلاً شديداً. يبدو أن الرجل كان يجد لذة في استخدام الحبل في تعذيبها. أما حلمتاها فقد شُوهتا. أُستدعي الزوج

واستجوبته الشرطة. أقرَّ بممارسته بعضاً من العنف إزاءها، وإنْ أصر على أن ذلك جاء في إطار العلاقة الجنسية، وبرضا متبادل منهما، وإشباعاً لرغبات زوجته.

ومثلما كان الحال في قضية تاماكي، لم يستطع رجال الشرطة إدانة الزوج ووضعه تحت طائلة القانون. فالزوجة لم تحرِّر أي شكاوى ضده مطلقاً، وهي الآن في عداد الموتى. وكان الرجل يحظى بمكانة اجتماعية، واستعان بمحامٍ جنائي بارع. وفي نهاية المطاف، لم يكن هناك مناصٌ من اعتبار الوفاة انتحاراً.

تجاسرت أَوْمَامِه على سؤالها: «هل قتلتِ الرجل؟».

قالت الأرملة الثرية: «لا، لم أقتله - ليس ذلك الرجل».

لعدم قدرتها على تصور إلى أين سيقودها ذلك، اكتفت أَوْمَامِه بالتحديق في الأرملة الثرية في صمت.

قالت الأرملة الثرية: «ما زال زوج ابنتي السابق، ذلك الرجل الوضيع، على قيد الحياة في هذا العالم. إنه يصحو كل صباح في فراشه ويقطع الشوارع سيراً على قدميه. ليس مجرد القتل هو ما رسمته له».

توقفت هنيهة كي تسمح لأَوْمَامِه باستيعاب كلماتها استيعاباً كاملاً.

«لقد دمرتُ زوج ابنتي السابق مجتمعياً، ولم أدَع له شيئاً من ذلك. تصادف أنني أتمتع بذلك النوع من القدرة. إنه شخص هزيل. يحظى بدرجة من الذكاء، ويجيد الحديث بلباقة، واكتسب بعض التقدير المجتمعي، ولكنه في جوهره ضعيف وجدير بالازدراء. الرجال الذين يمارسون عنفاً مفرطاً في بيوتهم إزاء زوجاتهم وأبنائهم هم حتماً أصحاب شخصيات ضعيفة. فهم يستأسدون على هؤلاء

الأضعف منهم بسبب الضعف الكامن داخلهم. كان تدميره أمراً ميسوراً. عندما يتم تدمير مثل هؤلاء الرجال، فإنهم لا يستطيعون التعافي أبداً. لقد ماتت ابنتي منذ مدة طويلة، ولكني ظللتُ أراقبه حتى هذا اليوم. وإذا ما أظهر أي علامات على التعافي، فلن أسمح بحدوث ذلك. ما زال على قيد الحياة، ولكنه ربما يصبح جثة أيضاً. لن يقدم على الانتحار؛ فهو لا يمتلك شجاعة الإقدام على ذلك. وأنا أيضاً لن أسدي له هذا المعروف وأُزهق روحه. طريقتي هي أن أجعله يتعذب عذاباً شديداً وبلا هوادة ولكن دون قتله، كما لو أني أقوم بسلخه حياً. أما الرجل الذي جعلته يتلاشى فكان شخصاً آخر. يوجد سبب هام حتَّم عليّ أن أجعله ينتقل إلى مكان آخر».

تابعت الأرملة الثرية شرحها لأَوْمَامِه. بعد عام من إقدام ابنتها على الانتحار، أنشأت الأرملة الثرية دار إيواء خاصة بالنساء اللائي يتعرضن لعنف منزلي. كانت تمتلك بناية سكنية صغيرة تتألف من طابقين فوق قطعة أرض ملحقة ببيت الصفصاف في أزابو وكانت قد أبقتها غير مسكونة وفي نيتها هدمها قريباً. بدلاً عن ذلك، قررت ترميمها واستخدامها كدار إيواء للنساء اللائي تتقطع بهن السبل ولا يجدن مأوى. وفتحت أيضاً «مكتب استشارات» وسط المدينة تقصده النساء اللائي يتعرضن للعنف المنزلي طلباً للمشورة من محامين يقيمون في المنطقة نفسها. كان يقوم على إدارة المكتب متطوعون يتناوبون الأدوار في عمل المقابلات وتوجيه الاستشارات عبر الهاتف. بقي المكتب على اتصال بالأرملة الثرية وهي في منزلها. كانت النساء اللائي يحتجن إلى مأوى بصفة عاجلة يُرسلن إلى دار الإيواء، وغالباً بصحبة أبنائهن (بعضهن كنّ فتيات في سن المراهقة وقد تعرّضن

للاستغلال الجنسي من آبائهن). وكن يقمن هناك حتى تتخذ لهن ترتيبات أكثر استدامة، فيما تُقدَّم لهن احتياجاتهن الأساسية من طعام وملبس، وتساعد كل منهن الأخرى فيما يشبه الحياة المجتمعية المشتركة. وكانت الأرملة تتكفل بكل النفقات المصاحبة.

اعتاد المحامون والمستشارون القيام بزيارات منتظمة إلى دار الإيواء للاطمئنان على التقدم الذي تحرزه هؤلاء النسوة ومناقشة الخطط الموضوعة لحياتهن المستقبلية. واعتادت الأرملة الثرية أيضاً زيارتهن كلما سنحت لها الفرصة، فتستمع إلى قصة كل واحدة وتُسدي لها النصيحة. وأحياناً تجد لهن وظائف أو أماكن إيواء أكثر ديمومة للعيش فيها. وعندما تنشب مشكلات تتطلب تدخلاً ذي طبيعة بدنية، يذهب تامارو إلى دار الإيواء ويتعامل معها - كأن يحاول زوجٌ مثلاً لدى علمه بمكان زوجته استعادتها بالقوة. ولم يكن أحد يستطيع التعامل مع مثل هذه المشكلات بالسرعة والفورية التي يتمتع بها تامارو.

قالت الأرملة الثرية: «رغم ذلك كانت توجد حالات لم يكن تامارو أو أنا نفلح في التعامل معها على الوجه الأكمل، وهنا لم يكن أمامنا سوى اللجوء إلى السبل القانونية».

لاحظت أَوْمَامِه أن وجه الأرملة الثرية، وهي تتكلم، قد اكتسب لمعاناً برونزياً وأن لطفها المعتاد ظلّ يخبو حتى تلاشى تماماً، ليحلّ مكانه شيء يتجاوز مجرد الشعور بالغضب أو التقزز. الأرجح أنه ذلك الجزء الصغير والصلب مجهول الاسم الذي يوجد في أعمق جزء من أجزاء الدماغ. ورغم هذا التغير الذي طرأ على وجهها، فقد بقي صوتها هادئاً وخالياً من كلّ انفعال كما هو دأبها.

«بالطبع، فإن وجود شخص (أو عدم وجوده) لا يمكن أن يتقرَّر

بناء على اعتبارات عملية وحسب، فمثلاً، إذا لم يعُد الشخص موجوداً، فإن ذلك يمحو الصعوبات المصاحبة للطلاق، مثلاً، أو يعجِّل بالحصول على قيمة التأمين على الحياة. إننا لا نلجأ إلى مثل ذلك الإجراء إلّا كملاذ أخير، بعد تحرّي كل العناصر بدقة ونزاهة، ثم نصل إلى خلاصة مفادها أن الرجل لا يستحق الرحمة. فهؤلاء رجال طُفيليون ولا يستطيعون العيش إلا عبر مصّ دماء الضعفاء! رجال لا رجاء في شفائهم وهم بعقولهم المريضة! إنهم لا يبدون أدنى اهتمام بإعادة تأهيل أنفسهم، ولا نجد أي قيمة تُذكر في السماح لهم بمواصلة العيش في هذا العالم!».

أغلقت الأرملة الثرية فمها وحدَّقت هنيهة في أَوْمَامِه بعينين يمكنهما أن تخرقا جداراً من الصخر. ثم تابعت بنبرتها الهادئة المعتادة: «كل ما يسعنا عمله إزاء هؤلاء الرجال هو أن نجعلهم يتلاشون بطريقة أو بأخرى - ولكننا نحرص دائماً على ألّا نلفت انتباه الناس».

«وهل ذلك ممكن؟».

قالت الأرملة الثرية: «توجد طرق كثيرة يمكن للأشخاص أن يتلاشوا عبرها». صمتت هنيهة كي تدع كلماتها تُستوعب، ثم أردفت: «بوسعي جعل الأشخاص يتلاشون بطرق معينة. لدي ذلك النوع من القوة تحت تصرفي».

حاولت أَوْمَامِه أن تفهم، ولكن كلمات الأرملة الثرية كانت موغلة في الغموض.

قالت الأرملة الثرية: «أنتِ وأنا فقدنا أعزاء علينا. لقد ماتوا ميتة شنيعة خلَّفت داخلنا جراحاً عميقة. وجراح القلوب لا يرجى شفاؤها أبداً. ولكننا لا نستطيع أن نظلّ جالستين نحدق في جراحنا إلى الأبد.

لا بد لنا من النهوض والانتقال إلى الإجراء التالي - لا شفاء للغليل والأخذ بالثأر الشخصي وإنما كي نرسي شكلاً من أشكال العدالة الأكثر نفاذاً. هل بوسعك أن تساعديني في عملي؟ أحتاج إلى متعاونة قديرة تكون موضع ثقتي، وأئتمنها على أسراري ورسالتي. هل تستطيعين أن تكوني ذلك الشخص؟ هل ترغبين في الانضمام إليّ؟».

احتاجت أَوْمَامِه بعض الوقت كي تستوعب كل ما قالته لها الأرملة الثرية. لقد سمعت اعترافاً مذهلاً وتلقت عرضاً لا يقلّ إذهالاً. كانت أَوْمَامِه بحاجة إلى وقت أطول كي تحسم أمرها بشأن شعورها إزاء هذا العرض. وبينما كانت تُقلب الأمر بينها وبين نفسها، التزمت الأرملة الثرية بالصمت التام، وظلت جالسة في مقعدها لا تحرك ساكناً، مكتفية بالتحديق الشديد في أَوْمَامِه. لم تكن في عجلة من أمرها. وبدت مستعدة لانتظارها مهما استغرقت من وقت.

راحت أَوْمَامِه تتفكر في ذلك، **هذه المرأة تلبَّسها شكل من أشكال الجنون، لا شك في ذلك. ولكنها هي ذاتها ليست بمجنونة أو مريضة نفسياً. كلا، فعقلها راسخ كالصخرة، ومستقر لا يتزعزع. ويوجد برهان إيجابي يثبت تلك الحقيقة. بدلاً من الجنون، فإنه شيء يشبه الجنون. لعله انحياز عن حق. ما تبتغيه الآن مني هو أن أشاطرها جنونها أو انحيازها أو أياً كان ذلك. وببرودة الأعصاب ذاتها التي لديها. وهي تعتقد أنني مؤهلة لعمل ذلك.**

كم من الوقت انقضى وهي تفكر؟ بدا أنها فقدت إحساسها بالزمن عند نقطة ما وهي مستغرقة تماماً في أفكارها. لم يكن هناك سوى قلبها الذي ظلّ متابعاً لحركة الزمن بنبضاته القوية والثابتة. زارت أَوْمَامِه العديد من الغرف الصغيرة داخلها، وراحت تستدعي ذاكرتها على النحو الذي تسبح به سمكة عكس التيار. وهناك وجدت مشاهد مألوفة وروائح

أصبحت طي النسيان منذ زمن طويل، وحنيناً جميلاً للماضي، وألماً مبرحاً. وفجأة، ومن مصدر مجهول لها، اخترق جسد أَوْمَامِه شعاع صغير من الضوء. شعرت، وعلى نحوٍ مبهم، أنّ جسدها قد أصبح شفافاً. عندما رفعت يدها في الشعاع، كان باستطاعتها أن ترى من خلالها. وفجأة لم يعُد لجسمها وزن. في هذه اللحظة، راحت أَوْمَامِه تفكر، **حتى إن أسلمت نفسي للجنون - أو الانحياز - هنا والآن، وحتى إن كان في ذلك دماري، وحتى إن تلاشى العالم بأسره، ما الذي سيكون عليّ أن أخسره؟**

قالت أَوْمَامِه للأرملة الثرية: «أفهم ما تقصدين». ثم صمتت، وعضّت شفتها، ثم قالت: «أودّ مساعدتك بأي طريقة أستطيعها».

مدَّت الأرملة الثرية يدها وأمسكت بيد أَوْمَامِه. منذ تلك اللحظة فصاعداً، بدأت أَوْمَامِه والأرملة الثرية تتشاركان أسرارهما، وتتشاركان الرسالة ذاتها، وتتشاركان ذلك الشيء الذي يشبه الجنون. ربما كان ذلك جنوناً خالصاً في حدّ ذاته، رغم أن أَوْمَامِه لم تستطع العثور على الحد الفاصل. فهؤلاء الرجال الذين ترسل بهم هي والأرملة الثرية إلى عالم قَصي كانوا أناساً لا يستحقون الرحمة تحت أيّ مسمى ومن أي وجهة نظر كانت.

قالت الأرملة الثرية بصوت هادئ: «لم ينقضِ وقت طويل منذ أن نقلت ذلك الرجل في فندق شيبويا إلى عالم آخر». كانت إشارتها إلى «نقله» إلى عالم آخر، توحي وكأنها تتحدث عن قطعة أثاث.

«بعد أربعة أيام أخرى، سيكون قد انقضى على ذلك شهران بالتمام».

تابعت الأرملة الثرية: «لم يمضِ على ذلك شهران بعد، أحقاً؟

إذن، لا ينبغي لي أن أكلفك بمهمة أخرى في القريب العاجل. أفضل أن يوجد فاصل زمني لا يقلّ عن ستة أشهر. إذا كان الفاصل الزمني بينهما صغيراً، فسوف يزيد ذلك من العبء النفسي المُلقَى على كاهلك. آه لا ينبغي لي أن أشير إليها على هذا النحو، إنها مهمة عادية. وفوق ذلك، ربما يرتاب أحدهم في كون الوفيات الناجمة عن نوبات قلبية بين الرجال الذين هم على صلة بدار الإيواء قد ارتفعت بشكل لافت».

ابتسمت أَوْمَامِه ابتسامة خفيفة وقالت: «أجل، يوجد الكثير من المرتابين حولنا».

ابتسمت الأرملة الثرية أيضاً. وقالت: «كما تعرفين، فأنا بالغة الحذر. لا أؤمن بالمصادفة أو التوقعات أو الحظ السعيد. وأتوخى أقلّ السُّبل قسوة لدى تعاملي مع هؤلاء الرجال، ولا ألجأ إلى الحل النهائي إلا عندما يصبح جلياً أن تلك السبل غير مجدية. وعندما أتخذ تلك الخطوة، كملاذ أخير، فإنني أستبعد كل المخاطر المحتملة. وأتحرى كل العناصر مع اهتمام بالغ بالتفاصيل، وأتخذ استعدادات كافية، ولا أقصدك إلا بعدما أقتنع بأن المهمة سوف تنجح. وذلك هو السبب في أننا لم نواجه حتى الآن أي مشكلة. لم نواجه مشكلة، أليس كذلك؟».

قالت أَوْمَامِه، وهي تعني ما تقول: «لا، معك كل الحق. كانت تُعدُّ عدتها وتتوجه إلى المكان المحدد، وتجد الموقف مرتباً تماماً حسب الخطة الموضوعة. كانت تغرز إبرتها - مرة واحدة - في النقطة المعلومة بدقة في مؤخر عنق الرجل. وأخيراً، وحالما تتأكد أن الرجل قد «انتقل إلى مكان آخر»، تنصرف. حتى الآن، سار كل شيء بيسر ونظام».

تابعت الأرملة الثرية: «مع ذلك، وبشأن الحالة التالية، اعذريني لكوني ربما سأطلب منك تنفيذ مهمة تكتنفها صعوبة أكبر. لم يكتمل جدولنا الزمني بعد، ولا تزال أمور كثيرة ملتبسة. ربما لن أستطيع أن أضع بين يديك ذلك النوع من المواقف المُعدة جيداً. بعبارة أخرى، الأمور سوف تختلف نوعاً ما هذه المرة».

«تختلف على أيّ نحو؟».

قالت الأرملة الثرية: «حسناً، الرجل لا يشغل وظيفة عادية. وهو ما أعني به، أولاً، أنه محاط بإجراءات أمنية مشددة».

«هل هو سياسي أو ما شابه؟».

هزَّت الأرملة الثرية رأسها: «لا، ليس سياسياً. سوف أطلعك على المزيد بشأنه لاحقاً. لقد حاولت العثور على حلّ يجنبنا الاضطرار لإرسالك، ولكن لا يبدو أن ثمة فرصة لنجاح أي حلول أخرى. لا توجد طريقة عادية يمكنها معالجة ذلك. اعذريني، ولكن ليس بيدي سوى أن أطلب منك تنفيذ هذه المهمة».

سألتها أَوْمَامِه: «هل هي مسألة مستعجلة؟».

«لا، ليست مستعجلة. ولا يوجد موعد زمني محدَّد لإتمامها. ولكن كلما أرجأناها، زاد عدد الذين يتعرضون للأذى. والفرصة التي لاحت لنا محدودة بطبيعتها. لا يمكننا أن نخمِّن متى ستلوح لنا الفرصة التالية».

كان الجو قد أظلم في الخارج. ولفّ الصمت غرفة الشمس. تساءلت أَوْمَامِه إن كان القمر ظاهراً، ولكن تعذَّر عليها رؤيته حيث هي جالسة.

«إنني أنوي أن أشرح لك الموقف بكلّ تفاصيله الممكنة. ولكن قبل ذلك، يوجد شخص أودّ منك مقابلته. هلا ذهبنا الآن للقائها؟».

«هل هي تعيش في دار الإيواء الخاصة بك؟».

أخذت الأرملة الثرية نفساً بطيئاً وأخرجت صوتاً خافتاً من آخر حلقها. انبعث من عينيها وهجٌ خاص لم تره أَوْمَامِه من قبل.

«لقد أرسلها إلينا مكتب الاستشارات الخاص بنا منذ ستة أسابيع. وخلال الأسابيع الأربعة الأولى لم تنطق بكلمة. كانت تعاني تشوشاً ذهنياً وفاقدة تماماً للقدرة على الكلام. لم نعرف سوى اسمها وعمرها. وُضعت تحت الحماية التحفظية بعدما وُجدت نائمة في عربة قطار وحالتها مزرية، وبعد أن تمّ نقلها من جهة إلى أخرى، انتهى بها المطاف عندنا. لقد أمضيت ساعات في الحديث إليها كلمة كلمة. استغرق الأمر مني وقتاً طويلاً كي أقنعتها بأنها في مكان آمن وأنه ليس عليها أن تخاف. بوسعها الآن أن تتحدث قليلاً. ولكنها تتحدث بطريقة مرتبكة ومتقطعة، وعندما جمَّعتُ ما تلفَّظت به، استطعت تكوين فكرة عامة عمّا أصابها. ما حدث لها هو شيء تقشعر له الأبدان وموجعٌ للقلوب حقاً».

«حالة أخرى من عنف الأزواج؟».

قالت الأرملة الثرية بشكل تلقائي: «كلا، مطلقاً. إنها لم تتجاوز العاشرة من عمرها».

اجتازت الأرملة الثرية وأَوْمَامِه الحديقة، وفتحتا بوابة صغيرة، ودخلتا إلى الساحة الملاصقة. كانت دار الإيواء عبارة عن بناية سكنية صغيرة شُيدت بالأخشاب من الخارج. وقد استخدمت قديماً مسكناً للخدم الكثيرين الذين كانوا يعملون لدى عائلة الأرملة الثرية. ولأنه يتألف من طابقين، فقد كان المنزل نفسه يحتفظ بجمال عتيق الطراز،

ولكن الزمن كان قد أبلاه ولم يعُد تأجيره ممكناً. لكنه مع ذلك، وباعتباره مأوىً مؤقتاً للنساء اللائي ليس لديهن مكان آخر يؤيهن، فهو ملائم تماماً. توجد شجرة بلوط في الخارج تنشر فروعها على البناية كما لو أنها توفر له الحماية، فيما يحتوي الباب الأمامي على لوح زجاجي يحمل زخرفة جميلة. كانت البناية تتألف من عشر شقق، جميعها يكون مشغولاً في بعض الأحيان فيما يفرغ بعضها في أحيان أخرى. وعادة ما تقطنه خمس أو ست سيدات في هدوء. كانت أضواء النوافذ تلمع الآن في نصف الغرف تقريباً. كان يخيِّم صمت غريب على المكان عدا بعض الأصوات الصادرة عن أطفال صغار من حين إلى آخر. البناية نفسها تحبس الأنفاس تقريباً. وتفتقر لذلك القدر الطبيعي من الأصوات المصاحِبَة للحياة اليومية. وكانت، بان، وهي أنثى كلب جرمن شيبرد، مُقيَّدة بجانب البوابة الخارجية. وكلما اقترب الناس، كانت تزمجر زمجرة خفيفة قبل أن تنبح بضع مرات. كانت الكلبة مدربة - لكن كيف دُرِّبت ومَن درَّبها، لم يكن ذلك معلوم - على النباح بشكل شرس عندما يدنو رجل من المكان، رغم أن الشخص الذي تثق به أكثر من أي أحد آخر هو تامارو.

توقفت الكلبة عن النباح فور اقتراب الأرملة الثرية. هزت ذيلها ونخرت بسرور. انحنت الأرملة الثرية وربتت على رأسها بضع مرات. أما أَوْمَامِه فهرشت لها خلف أذنيها. بدا أن الكلبة تتذكر أَوْمَامِه. كانت كلبة ذكية. ولسبب ما، كانت تحب تناول السبانخ النيئة. فتحت الأرملة الثرية البوابة الخارجية بالمفتاح.

قالت الأرملة الثرية لأَوْمَامِه: «إحدى السيدات هنا تُعنى بالفتاة. طلبتُ منها الإقامة في الشقة نفسها وألا تغفل عنها ولو لحظة. لا يزال مبكراً تركها بمفردها».

اعتادت النساء اللائي يقمن في دار الإيواء أن يُعنين ببعضهن بعضاً وتم تشجيعهن ضمنياً على أن تروي كل منهن حكايتها للأخريات، وذلك كنوع من مشاركة الألم. فهؤلاء اللائي عشن مدة في الدار يسدين النصح للقادمات الجديدات حول كيفية العيش هناك. هؤلاء النسوة كن يتناوبن الدور عموماً في أعمال الطهو والتنظيف، ولكن بعضهن كن بالطبع يرغبن الانكفاء على أنفسهن وعدم الحديث عمّا مررن به من مِحن، وكانت رغبتهن في الخصوصية والصمت تحظى بالاحترام، لكن غالبية النساء كن يرغبن في تبادل أطراف الحديث والتفاعل مع الأخريات اللائي مررن بتجارب مشابهة. وعدا الحظر المفروض على الكحول والتدخين ووجود الأشخاص غير المخولين، لم يكن بالدار سوى قيود قليلة.

كانت البناية لا تضم سوى هاتف واحد وجهاز تلفزيون، وكلاهما موضوع في الغرفة المشتركة المجاورة للباب الأمامي. وكان هناك أيضاً مقاعد قديمة في غرفة معيشة وطاولة طعام. معظم نساء الدار كن يمضين الجزء الأكبر من يومهن داخل الغرف. ونادراً ما يُشغلن التلفزيون، وحتى إذا فعلن، فإنهن يبقين الصوت عند أخفض درجة يمكن سماعها. وهن يفضلن قراءة الكتب أو مطالعة الصحف وأعمال الحياكة أو الانخراط في الحوارات الهامسة، فيما يمضي بعضهن النهار في الرسم. كان مكاناً غريباً وضوؤه خافت ويبعث على الضجر، كما لو أنه حالة عابرة تقع في منزلة وسطى ما بين الحياة الدنيا وما بعد الموت. ولم تكن درجة الضوء داخله يعتريها أي تغيير، سواء في الأيام المشمسة أو الغائمة، أو في النهار أو الليل. وكانت أَوْمَامِه دائماً ما تشعر بعدم الارتياح وهي داخل هذه الغرفة، تشعر وكأنها دخيلة متبلدة الحسّ. فالمكان أشبه بنادٍ يتطلب مؤهلات خاصة

لنيل عضويته. وكانت العزلة التي يعيشها هؤلاء النسوة تختلف في مبعثها عن تلك العزلة التي تكابدها أَوْمَامِه.

وقفت النساء الثلاثة الموجودات في الغرفة المشتركة عندما دلفت إليها الأرملة الثرية. كان بوسع أَوْمَامِه أن ترى من أول لمحةٍ عمق الاحترام الذي تكنُّه النساء للأرملة الثرية. أشارت لهن الأرملة الثرية بالجلوس.

«من فضلكن، لا تتوقفن عمّا بأيديكن. ما جئنا إلا لحديث قصير مع تسوباسا».

قالت امرأة خمنت أَوْمَامِه أنها قد تكون في مثل عمرها تقريباً، ولها شعر طويل ومنسدل: «تسوباسا في غرفتها».

وقالت أخرى أكبر سناً: «سايكو معها. تسوباسا على ما يبدو لم تعُد إلى طبيعتها بعد».

ردت الأرملة الثرية مبتسمة: «ربما سوف يستغرق ذلك وقتاً أطول».

أومأت كل من النسوة الثلاث في صمت. كن يدركن جيداً ماذا تعني «يستغرق وقتاً أطول».

ارتقت أَوْمَامِه والأرملة الثرية الدَّرج ودلفتا إلى إحدى الشقق. أخبرت الأرملة المرأة نحيلة القوام الموجودة بالداخل أنها تودّ الحديث إلى تسوباسا بعض الوقت. فما كان من سايكو، حسبما كانت تُدعى، إلا أن ابتسمت ابتسامة واهنة وغادرتهما مع تسوباسا ذات العشر سنوات، وأوصدت الباب وراءها وهبطت الدرج نحو الطابق الأرضي. جلست أَوْمَامِه والأرملة الثرية وتسوباسا حول طاولة صغيرة. كانت توجد ستارة سميكة مسدلة على النافذة.

قالت الأرملة الثرية متوجهة إلى الطفلة: «هذه السيدة اسمها أَوْمَامِه. لا تقلقي، إنها تعمل معي». رمقت الفتاة أَوْمَامِه وأومأت إيماءة خفيفة لا تكاد تُحس. وأردفت الأرملة الثرية كي تكمل عملية التعارف: «وهذه تسوباسا». ثم سألت الفتاة: «كم من الوقت مضى منذ مجيئك إلى هنا؟».

هزَّت الفتاة رأسها - مرة أخرى على نحوٍ لا يكاد يُحس - وكأنما تريد القول إنها لا تدري.

قالت الأرملة الثرية: «ستة أسابيع وثلاثة أيام. ربما أنت لا تحصين الأيام، ولكني أحصيها. هل تعرفين لماذا؟».

هزت الفتاة رأسها هزة خفيفة مرة أخرى.

قالت الأرملة الثرية: «لأن الوقت قد تكون له أهمية كبيرة. ومجرد حسابه قد يكون له تأثير كبير».

كانت تسوباسا في نظر أَوْمَامِه، تشبه أي فتاة في العاشرة من عمرها. وهي أطول قليلاً من قريناتها، لكنها نحيلة القوام ولم يكن نهداها قد امتلآ بعد. كانت تبدو عليها آثار سوء تغذية مزمنة. لم تكن ملامحها سيئة، ولكن وجهها كان جامداً. ذكَّرت عيناها أَوْمَامِه بالنوافذ التي يكسوها الصقيع فلا تكشف إلا القليل ممّا وراءها. أما شفتاها الرقيقتان الجافتان فتعتريهما غالباً ارتعاشة عصبية وكأنما تحاولان التلفظ بكلمات، لكن دون أن تُخرِجا أي صوت.

أخرجت الأرملة الثرية من كيس ورقي كان معها صندوق شوكولاتة يحمل غلافه صورة جبل سويسري. أفرغت محتوياته على الطاولة: اثنتي عشرة قطعة جميلة ذات أشكال متنوعة. أعطت واحدة إلى تسوباسا وأخرى إلى أَوْمَامِه وألقمت نفسها واحدة. وضعت أَوْمَامِه قطعتها في فمها. وبعد رؤيتها لما فعلتاه، وضعت تسوباسا

قطعتها في فمها هي الأخرى. ظلّ ثلاثتهن يأكلن الشوكولا مدة، دون أن يقلن شيئاً.

سألت الأرملة الثرية أَوْمَامِه: «هل تحتفظين بذكريات وأنت في العاشرة؟».

أجابت أَوْمَامِه: «نعم». في تلك السنة أمسكتْ بيد صبي وأقسمت أن تظلّ تحبه حتى آخر العمر. وبعد بضعة أشهر، جاءها أول حيض. وعندئذٍ تغيرت داخلها أشياء كثيرة. تخلَّت عن دينها وقطعت صلتها بوالديها.

قالت الأرملة الثرية: «وأنا أيضاً لدي بعض الذكريات. والدي اصطحبنا إلى باريس وأنا في العاشرة، وبقينا هناك مدة عام. كان موظفاً في الخارجية. وكنا نسكن شقة قديمة بالقرب من حدائق لكسمبورغ. كانت الحرب العالمية الثانية في أشهرها الأخيرة، واكتظت محطات القطار بجنود جرحى كاد بعضهم أن يدخل في عداد الأطفال، فيما كان آخرون رجالاً طاعنين في السن. كانت باريس تتميز بجمال مذهل في فصول السنة كلها، ولكن الصور الدموية هي كل ما بَقي في ذاكرتي عن تلك الفترة. كانت حرب الخنادق مستعرة في الجبهة، وكان هؤلاء الذين فقدوا أذرعاً وسيقاناً وأعيناً يجوبون شوارع المدينة مثل أشباح هائمة. لفت انتباهي ضماداتهم البيضاء وأربطة الحداد السوداء التي تضعها الثكالى من النساء حول أذرعهن. وكانت العربات التي تجرها الخيول تنقل نعشاً جديداً تلو آخر إلى المقابر، وكلما مرّ نعش، أشاح الناس بوجوههم وزموا شفاههم».

بسطت الأرملة الثرية يدها عبر الطاولة. وبعد لحظة تفكير، أخرجت الفتاة يدها من حجرها لتضعها في يد الأرملة الثرية. شدَّت الأرملة على يدها. ربما كان والدها أو والدتها وهي تمر بعربات

الخيول المكدسة بالنعوش في شوارع باريس، تمسك بيدها هكذا وتطمئنها بأنه ليس هناك ما تخشاه، وأنها سوف تكون على ما يرام، وأنها في مكان آمن وينبغي ألا تخاف.

قالت الأرملة الثرية لأَوْمَامِه: «الرجال ينتجون ملايين عديدة من الحيوانات المنوية في اليوم الواحد. هل تعرفين ذلك؟».

قالت أَوْمَامِه: «لا أعرف رقماً محدداً».

«حسناً، أنا أيضاً لا أعرف رقماً محدداً، لكن عددها يفوق قدرة أي أحد على حسابها. وهي تُقذف جميعها مرة واحدة. أما البويضات التي تنتجها المرأة خلال حياتها فعددها محدود. هل تعرفين كم عددها؟».

«لا، ليس بالضبط».

قالت الأرملة الثرية: «إنها لا تزيد عن حوالي أربعمائة على مدار حياتها كلها. ولا يتم إنتاجها كبويضات جديدة كل شهر: وإنما تكون مخزَّنة بالفعل داخل رحم المرأة منذ ميلادها. وبعدما يأتيها أول حيض، فإنها تنتج بويضة واحدة ناضجة في الشهر. وتسوباسا المسكينة تحمل كل بويضاتها مخزنة داخلها بالفعل. ينبغي أن تكون هذه البويضات سليمة تقريباً - ومحفوظة في جارور في مكان ما - لأن دوراتها لم تبدأ بعد. ولا شك أنّ كل بويضة تنتظر أن يُخصبها حيوان منوي».

أومأت أَوْمَامِه.

«يبدو أن معظم الفروق النفسية بين الرجال والنساء تنشأ عن الاختلافات في جهازيهما التناسلي. من وجهة نظر فسيولوجية محضة، فإن النساء يعشن كي يحمين بويضاتهن ذات العدد المحدود. وهذا ينطبق عليك، وعليّ وعلى تسوباسا». وهنا ابتسمت الأرملة الثرية

ابتسامة خافتة: «ينبغي أن أشير إلى ذلك بزمن الماضي في حالتي، بالطبع».

أجرت أَوْمَامِه بعض الحسابات الذهنية السريعة. **وذلك يعني أنني أخرجت بالفعل زهاء مائتي بويضة. وأن نصف المخزون الذي لا يزال بداخلي، ربما يحمل علامة 'محفوظ'.**

قالت الأرملة الثرية: «ولكن بويضات تسوباسا لن تُخصَّب أبداً. طلبت من طبيب أعرفه أن يفحصها الأسبوع الماضي. لقد أُتلِف رحمها».

نظرت أَوْمَامِه إلى الأرملة الثرية، وقد انبعج وجهها. ثم، وبعد أن أمالت وجهها قليلاً، استدارت نحو الفتاة. كانت بالكاد تستطيع الكلام: «أُتلف؟».

قالت الأرملة الثرية: «نعم، أُتلف. ولا يمكن حتى لتدخُّلٍ جراحي أن يعيده إلى حالته الأولى».

سألتها أَوْمَامِه: «ولكن مَن سوَّلت له نفسه ذلك؟».

قالت الأرملة الثرية: «ما زلت غير متأكدة».

قالت الفتاة: «الناس الصغار».

الفصل الثامن عشر

تنغو
لم يعد هنالك مكان لأخ كبير في عالمنا الحقيقي

عقب المؤتمر الصحفي هاتف كوماتسو تنغو ليقول إنّ كل شيء قد سار على ما يُرام.

قال بحماسة غير معتادة: «عمل رائع. لم أتخيَّل لحظة أنها سوف تؤدي بهذا الإتقان الشديد. أجوبتها كانت حاضرة ومفعمة بالمرح وتركت انطباعاً رائعاً لدى الجميع».

لم يندهش تنغو على الإطلاق لدى سماعه كلام كوماتسو. ودونما أيّ سبب قوي، لم يكن المؤتمر الصحفي يثير لديه قلقاً واضحاً. كان يتوقع لها أن تتصرف بشكلٍ لائق على الأقل. أمَّا أن «تترك انطباعاً رائعاً»؟ فذلك لا يتواءم مع فوكا-إري التي عرفها.

وكي يطمئن، سأله تنغو: «إذن لا شيء من غسيلنا القذر قد ظهر للعلن».

«لا، راعَيْنا أن يأتي قصيراً وتفادَيْنا أي أسئلة محرجة. رغم أنه لم تُطرح أي أسئلة صعبة في واقع الأمر. أعني، حتى مراسلي الصحف لم يودوا الظهور بمظهر مَن يحاصر فتاة جميلة ولطيفة في السابعة عشرة من عمرها بالأسئلة. بالطبع، عليَّ أن أضيف هنا ’في

الوقت الراهن'. فلا أدري ما سيكون عليه الحال مستقبلاً. في هذا العالم، قد تُغير الرياح اتجاهَها دون أن تشعر».

تخيل تنغو كوماتسو يقف فوق جُرف عالٍ وقد انقبضت أساريره، وراح يلعق إصبعه لمعرفة اتجاه الرياح.

«على أية حال، فإن جلستك التدريبية معها كان لها مفعول السحر، يا تنغو. أشكرك على أدائك لهذه المهمة الجيدة. غداً تنشر صحف المساء تقاريرها حول الجائزة والمؤتمر الصحفي».

«ماذا كانت فوكا-إري ترتدي؟».

«ماذا كانت ترتدي؟ مجرد ملابس عادية. كنزة ضيقة وبنطالاً من الجينز».

«كنزة تكشف عن نهديها؟».

قال كوماتسو: «أجل، ولكن بما أنك ذكرت ذلك. فقد كان شكلهما جميلاً. كانا يبدوان جديدين تماماً وطازجين وكأنهما قد خرجا لتوهما من الفرن. لعلّك تعرف يا تنغو أنها سوف تحقق نجاحاً باهراً باعتبارها فتاة تحظى بعبقرية في الكتابة. وهي تبدو جميلة الملامح، ربما تتلفظ ببعض الكلام الغريب، ولكنها ذكية. وثمة شيء فيها يشي بأنها ليست فتاة عادية. لقد شهدتُ بدايات كتّاب كثيرين، ولكن هذه البداية مميزة. وعندما أقول إن أحداً ما مميزٌ، فهذا يعني أنه مميز فعلاً. المجلة التي سوف تنشر 'الشرنقة الهوائية' ستتوفر في المكتبات الأسبوع القادم، وأراهنك على أي شيء، حتى وإن كان ساعدي الأيسر وساقي اليمنى - بأن نسخها سوف تنفد في غضون ثلاثة أيام».

شكر تنغو كوماتسو على الخبر وأنهى المكالمة وقد أحسّ ببعض الارتياح. لقد اجتازا العقبة الأولى على الأقل. مع ذلك، لم يكن يدري كم عقبة أخرى في انتظارهما.

في اليوم التالي نشرت صحف المساء تقاريرها عن المؤتمر الصحفي. اشترى تنغو أربعاً منها بعد انتهائه من عمله في المدرسة التأهيلية وقرأها لدى عودته إلى البيت. كانت جميعها تردِّد الشيء ذاته تقريباً. لم تأتِ أيٌّ من التقارير طويلة، ولكن مقارنة بالتقارير الفاترة ذات الخمسة أسطر المعتادة، فإن الاحتفاء بالحدث كان غير مسبوق. ومثلما توقع كوماتسو، فقد انصب اهتمام وسائل الإعلام على أن فتاة في السابعة عشرة من عمرها هي من فازت بالجائزة. وأوردت جميع الصحف أن اختيار لجنة التحكيم التي تتألف من أربعة أشخاص للعمل قد جاء بالإجماع بعد خمس عشرة دقيقة من النقاش فقط. وهو أمر لم يكن مألوفاً في حدّ ذاته. لقد كان وجود أربعة كتَّاب يعتدُّ كل منهم بنفسه، داخل غرفة واحدة ويُجمعون على شيء واحد، أمراً لم يُسمَع عنه من قبل. وبالفعل فقد أحدث العمل ضجة في الوسط الأدبي. وأوضحت الصحف أن مؤتمراً صحفياً صغيراً قد عُقد في القاعة ذاتها التي احتضنت مراسم تسليم الجائزة، وأن إجابات الفائزة بالجائزة على أسئلة الصحفيين قد جاءت «واضحة ومفعمة بروح المرح».

وفي ردها على السؤال «هل تنوين مواصلة كتابة الأدب؟» أجابت بالقول: «لا شك أن الأدب هو شكلٌ من أشكال التعبير عن الأفكار. وتصادف وحسب أن الشكل الذي وظفته هذه المرة كان شكلاً أدبياً، ولكني لا أستطيع أن أجزم بالشكل الذي سوف أستعين به المرة القادمة». لم يصدق تنغو أن فوكا-إري قد نطقت فعلاً بتلك الجملة المتَّصلة بالغة الطول. لا بد أن الصحفيين قد وصلوا الأجزاء التي نطقت بها معاً، وقاموا بسدّ الفجوات وصنعوا منها جملاً كاملة، لكن ربما تكون قد قالت جملاً كاملة من هذا القبيل. ليس ثمة شيء يمكنه أن يقوله عن فوكا-إري بيقين مطلق.

وعندما طُلب منها أن تسمّي العمل الأدبي المفضل لديها، ذكرت فوكا-إري بالطبع 'قصة الهايكو'. وبعدئذٍ سألها صحفي آخر عن أي جزء تفضل من 'قصة الهايكو'، وهو ما ردَّت عليه بقراءة فقرتها المفضلة من الذاكرة، على مدى خمس دقائق. انتاب الجميع ذهول كبير، حتى إنّ تلاوتها للفقرة قد أعقبها صمت مفعم بالدهشة. لحسن الحظ (في رأي تنغو) أن أحداً لم يسألها عن أغنيتها المفضلة.

ورداً على السؤال، «مَن الشخص الذي أسعده فوزك بجائزة الكتَّاب الجُدد أكثر من أي أحد؟» استغرقت وقتاً طويلاً في التفكير (وهو مشهد استطاع تنغو أن يتخيله بسهولة)، وأخيراً أجابت قائلة: «هذا سر».

وبحسب ما أوردته التقارير الصحفية، فإن فوكا-إري لم تتلفظ بكلمة في غير محلها خلال جلسة الأسئلة والأجوبة. نُشرت صورتها في كل الصحف، بل وبدت أجمل ممّا هي عليه في ذاكرة تنغو. حين يتحدث إليها مباشرة، كان انتباهه يتحول عن وجهها إلى حركات جسدها وتعبيراتها وما تصوغه من كلمات، ولكنه أدرك مجدداً لدى رؤيته لها عبر صورة فوتوغرافية ثابتة، كم هي فتاة جميلة حقاً.

كان بوسعه أن يرى الألق ذاته حتى في تلك الصور الصغيرة التي التقطت في المؤتمر الصحفي (واستطاع من خلالها أن يجزم بأنها ترتدي الكنزة الصيفية ذاتها). ربما ذلك الألق هو ما أسماه كوماتسو «ثمة شيء فيها يَشي بأنها ليست فتاة عادية».

طوى تنغو صحف المساء، ووضعها جانباً، ثم ذهب إلى المطبخ حيث راح يُعدُّ عشاء خفيفاً فيما كان يشرب عُلبة من الجعة. ها هو العمل الذي أعاد صياغته بنفسه قد فاز بجائزة الكتَّاب الجُدد وبإجماع الآراء، وحظي باهتمام كبير، بل ويوشك أن يصنف ضمن الكتب

الأفضل مبيعاً. انتابه شعور غريب للغاية بسبب هذه الأفكار. فهو يريد أن يحتفي بما حدث، ولكن ذلك جعله أيضاً يشعر بالقلق وعدم الطمأنينة. كان يتوقع حدوث ذلك، ولكنه تساءل إنْ كان حسناً حقاً أن تمضي الأمور قُدماً بهذه السلاسة.

وبينما كان يُعد العشاء، لاحظ أن شهيته قد تلاشت. كان يشعر بجوع شديد، لكنه لم يعُد يرغب الآن في أي طعام. غطَّى الطعام الذي كان قد أعد نصفه بغطاء بلاستيكي ووضعه في الثلاجة. وبعدئذٍ جلس في كرسي بالمطبخ وراح يشرب الجعة في صمت وهو يحدق في الروزنامة المعلَّقة على الحائط. كانت روزنامة مجانية حصل عليها من البنك وتحمل صوراً لجبل فوجي. لم يتسلق تنغو جبل فوجي مطلقاً. ولم يصعد إلى أعلى برج طوكيو، أيضاً، أو إلى سقف ناطحة من ناطحات السحاب. لم يهتم قط بالأماكن ذات الارتفاعات العالية. وتساءل لماذا لم يفعل. ربما يُعزى ذلك لكونه عاش حياته كلها مُطرقاً إلى الأرض.

صحَّت توقعات كوماتسو. فقد نفدت نُسخ المجلة التي نشرت 'الشرنقة الهوائية' تقريباً في اليوم الأول وسرعان ما تلاشت من المكتبات. لم تكن نسخ المجلات الأدبية تنفد مطلقاً؛ واعتاد الناشرون تحمُّل الخسائر شهراً وراء شهر، وهم يدركون أن الهدف الرئيس من هذه المجلات هو أن تنشر قصصاً يتمّ جمعها لاحقاً وبيعها في شكل كتب ذات أغلفة مُقوَّاة - وأن تكتشف الكتَّاب الجُدد من الشباب عبر مسابقات الجوائز. لا أحد توقع أن نسخ المجلة سوف تباع أو تُدر ربحاً، ممّا جعل خبراً مفاده أنّ مجلة أدبية قد نفدت كل نسخها في يوم واحد يستقطب اهتماماً كبيراً، كما لو أنّ الثلوج قد

تساقطت على أوكيناوا (رغم أن نفاد كلّ النسخ لم يغير شيئاً من الخسائر التي تتكبدها).

هاتفه كوماتسو كي يطلعه على الأخبار.

قال كوماتسو: «أمر رائع. حين تنفد نسخ إحدى المجلات، لا يطيق الناس الانتظار لقراءة القصة ومعرفة عمّا تدور أحداثها. ولذلك فقد بدأت الآن ماكينات الطباعة في العمل بأقصى طاقتها كي تخرج كتاب 'الشرنقة الهوائية'- سريعاً، وهذه هي الأولوية الأولى الآن! وبهذا، لا يهمّ الآن إن فازت القصة بجائزة أكوتاجاوا أو لا. المهم هو أن نبيعها وهي لا تزال ساخنة! وأن نتفادى أي أخطاء فيها، فهذه القصة سوف تصبح مِن الأفضل مبيعاً، أؤكد لك. ولذلك، الأحرى بك أن تخطط من الآن كيف ستنفق كل أموالك، يا تنغو».

وذات مساء من يوم السبت تناول عمود صحفي في جريدة أدبية 'الشرنقة الهوائية' تحت عنوان يُبدي استغرابه من أن مجلة قد نفدت كل نسخها في يوم واحد. قدم العديد من نقاد الأدب آراءهم، التي كانت في عمومها إيجابية الطابع. وقد ذهبوا إلى أن العمل يظهر قدرة أسلوبية واضحة وحساسية حادة وثراء خيالياً حتى إنه ليصعب التصديق بأنّ فتاة في السابعة عشرة من عمرها هي من كَتبته. وربما يشير حتى إلى إمكانات جديدة في الأسلوب الأدبي. وقال أحد النقاد: «إن العمل لا يخلو تماماً من ميل مؤسف في أروع عناصره نحو فقدان الاتصال بالواقع»، وهذه هي الملاحظة السلبية الوحيدة التي لاحظها تنغو. ولكن حتى ذلك الناقد عاد وخفَّف من نبرة نقده في النهاية، مستخلصاً أن: «سوف أكون في أشدّ الشوق لأرى نوعية الأعمال التالية التي سوف تكتُبها هذه الفتاة». لا، لم يكن ثمة خطأ في اتجاه الرياح حتى الآن.

هاتفت فوكا-إري تنغو قبل صدور كتاب 'الشرنقة الهوائية' مُقوَّى الغلاف بأربعة أيام. كان ذلك في التاسعة صباحاً.

سألته بطريقتها المعتادة ذات النبرة الواحدة ودون علامة استفهام: «هل استيقظت».

قال تنغو: «بالطبع، لقد استيقظت».

«هل لديك وقت بعد ظهيرة اليوم».

«بعد الرابعة، سأكون متفرغاً».

«هل تستطيع مقابلتي».

قال تنغو: «أستطيع».

سألته فوكا-إري: «هل يناسبك آخر مكان التقينا فيه».

قال تنغو: «نعم. سأكون في المقهى نفسه في شنجوكو في الرابعة. آه، صورك في الصحيفة تبدو جيدة. الصور التي التقطت في المؤتمر الصحفي».

قالت: «كنت أرتدي الكنزة ذاتها».

قال تنغو: «بدت جميلة وأنت تلبسينها».

«لأنك تحب شكل نهديّ».

«لعله كذلك. ولكن الأهم هو أنك تركت انطباعاً جيداً لدى الناس».

ظلت فوكا-إري على صمتها، كما لو أنها قد وضعت لتوها شيئاً فوق رفّ قريب وراحت تنظر إليه. لعلها كانت تفكر في الصلة بين شكل نهديها وترك انطباع جيد. كلما فكر تنغو في ذلك، تضاءلت قدرته على رؤية تلك الصلة.

قالت فوكا-إري: «في الساعة الرابعة»، ثم وضعت السماعة.

كانت فوكا-إري بانتظار تنغو عندما دلف إلى المقهى المعتاد قُبيل الرابعة بقليل. وإلى جوارها جلس البروفيسور إبيسونو مرتدياً قميصاً رمادياً ذا أكمام وبنطالاً رمادياً داكناً. كعادته، جاء تنغو يمشي منتصب القامة. بوسعه أن يصبح تمثالاً. اعترت الدهشة تنغو عندما ألفى البروفيسور برفقتها. كان كوماتسو يقول إن البروفيسور «لا ينزل من الجبال» إلا نادراً.

اتخذ تنغو مقعداً مقابلاً لهما وطلب فنجاناً من القهوة. لم تكن الأمطار الموسمية قد بدأت، ولكن بدا الطقس وكأنه منتصف الصيف. مع ذلك، أخذت فوكا-إري ترشف كوباً ساخناً من الكاكاو. أما البروفيسور إبيسونو فطلب قهوة مثلجة لكنه لم يكن قد مسَّها بعد. كان الثلج قد بدأ في الذوبان، مُشكِّلاً طبقة صافية في الأعلى.

قال البروفيسور: «أشكرك على قدومك».

وصلت قهوة تنغو. رَشَف رشفة.

تحدث البروفيسور إبيسونو ببطء، وكأنه يختبر صوته وقال: «يبدو أنّ كل شيء يسير حسبما هو مخطَّط حتى الآن. لقد أسهمتَ إسهاماً كبيراً في المشروع. كبيرٌ حقاً. ولذلك فأول شيء عليّ عمله هو شُكرك».

قال تنغو: «أنا ممتنٌّ لسماع ذلك منك، ولكن كما تعلم، وفيما يخصّ هذا الأمر، فأنا ليس لي وجود رسمياً. والأشخاص غير الموجودين رسمياً ليس بوسعهم الإسهام في شيء».

فرَك البروفيسور إبيسونو يديه فوق الطاولة كما لو كان يدفئهما.

قال البروفيسور: «لستَ بحاجة إلى أن تُظهر كلّ هذا التواضع. مهما يكن الجانب المعلن من المسألة، فأنت موجود. لولاك، لما وصل العمل إلى هذا الحدّ ولما سارت الأشياء بهذه السلاسة.

بفضلك أصبحت 'الشرنقة الهوائية' عملاً أفضل وأعمق وأكثر ثراء ممّا حدَّثني به خيالي. إن الزميل كوماتسو يملك فعلاً عيناً قادرة على انتقاء المواهب».

وإلى جواره، واصلت فوكا-إري شُرب الكاكاو في صمت، وكأنها قطة صغيرة تلعق حليباً. كانت ترتدي سترة بيضاء اللون وذات أكمام قصيرة وتنورة قصيرة نوعاً ما زرقاء اللون. وكما هو دأبها دائماً، لم تكن ترتدي أي حلي، فيما كان شعرها الطويل المنسدل يحجب وجهها كلما مالت إلى الأمام كي تشرب.

قال البروفيسور إيبسونو: «كنت حريصاً على أن أشكرك شخصياً، ولذلك أثقلت عليك بالقدوم إلى هنا اليوم».

«ليس عليك أن تقلق بشأني أيها البروفيسور. لقد كانت إعادة صياغة 'الشرنقة الهوائية' مشروعاً في غاية الفائدة لي».

«ما زلت أرى أن عليّ شُكرك بشكل لائق».

قال تنغو: «ليس هناك لزوم لذلك فعلاً. ومع ذلك، إذا لم تكن تمانع، فثمة شيء شخصي أودّ سؤالك عنه بشأن إري».

«لا، لست أمانع، ما دام سؤالاً أستطيع الجواب عنه».

«كنت أود سؤالك عمّا إن كنت ولي أمر إري».

هز البروفيسور رأسه: «لا لست ولي أمرها، وإن كنت أودّ أن أصبح كذلك، لكن كما أسلفت، فأنا لم أستطع الوصول إلى أي من والديها. وليس لي أي حقوق قانونية تُخولني ذلك. ولكني آويتها عندما جاءت بيتي قبل سبع سنين، ومنذ ذلك الحين وأنا أقوم على تربيتها».

«إذا كان الحال هكذا، أليس التصرف الطبيعي هو أن تحيط وجودها بالكتمان؟ إذا ما قفزت في بحر الأضواء مثلما حدث، فربما جرَّ ذلك عليك القلاقل. إنها قاصر، على أية حال...».

«قلاقل؟ تقصد إذا قام أبواها بمقاضاتي لاسترداد حضانتهما لها، أو إذا أُجبرتْ على العودة إلى الكومونة؟».

«نعم، لست أفهم تماماً ماذا يمكن أن يحدث في هذا الصدد».

«إن مخاوفك مبررة تماماً. ولكن الطرف الآخر ليس في وضعية تؤهله لاتخاذ أي إجراء ملموس أيضاً. كلما زادت الشهرة التي تحظى بها إري، سوف يلفتون الأنظار إذا قاموا بأي محاولات بشأنها. ولفتُ الأنظار هو أكثر ما يحرصون على اجتنابه».

«أظنّ أنك تشير إلى أهل ساكي جاكِه؟».

قال البروفيسور: «بالضبط. وهم يحظون الآن بشخصية دينية اعتبارية. لا تنسَ أنني قد كرَّست سبع سنوات من حياتي لتربية إري، وهي نفسها تريد البقاء معنا. أيّاً ما كانت ظروف والديها، فإن الحقيقة الثابتة هي أنهما قد تجاهلاها لسبع سنين. لا سبيل لأن أُسلِّمها هكذا والسلام».

استغرق تنغو برهة كي يرتب أفكاره. ثم قال: «إذاً 'الشرنقة الهوائية' سوف تصبح أفضل الكتب مبيعاً كما يُفترض. وإري سوف تلفت أنظار الجميع. وهو ما سيجعل من العسير على أهل ساكي جاكِه القيام بأي عمل حيالها. ذلك هو القدْر الذي أفهمه. ولكن كيف، برأيك، يفترض أن تسير انطلاقاً من هناك، أيها البروفيسور إيبسونو؟».

قال البروفيسور وهو يقرر حقيقة: «ليس المسؤول بأعلم من السائل. ما سيحدث من الآن فصاعداً هو أرض مجهولة لدى الجميع. ليس بحوزتنا خريطة طريق. لن نتبين ماذا ينتظرنا لدى المنعطف التالي حتى نبلغه. لستُ أدري».

قال تنغو: «لستَ تدري».

«أجل، ربما يبدو ذلك استهتاراً من جانبي، ولكن ’لا أدري‘ هي خلاصة هذه القصة. تلقي بحجر في بركة ماء عميقة. يُحدث ذلك طرطشة ماء. ينجم صوتٌ عال، ويتردَّد صداه في أرجاء المنطقة المحيطة. ما الذي سوف يخرج من البركة بعد ذلك؟ كل ما نستطيعه هو أن نحدق في البركة، ونحن نحبس أنفاسنا».

توقف الحوار بشكل لحظي عند هذه النقطة. تصور ثلاثتهم تموجات صغيرة فوق سطح البركة. انتظر تنغو بصبر هدوء تموجاته الخيالية قبل أن يستأنف كلامه.

«كما قلت أول مرة التقينا، إن ما نحن منخرطون فيه هو نوع من الاحتيال، ولعله جريمة في حق مجتمعنا كله. وربما يدخل إلى الصورة قريباً مبلغ من المال ليس بالقليل، وسوف تتضخم الكذبات مثل كرة الثلج حتى يصبح الموقف خارج سيطرة الجميع. وعندما تتكشف الحقيقة، فإنّ كل المتورطين - بمَن في ذلك إري هنا - سوف يُضارون بطريقة ما، بل وربما سوف يُدمرون، اجتماعياً على الأقل. هل تقبل بذلك؟».

لَمس البروفيسور إبيسونو إطار نظارته: «ليس لدي خيار سوى القبول بذلك».

«ولكني فهمت من السيد كوماتسو أنك تنوي أن تصبح ممثل الشركة الوهمية التي سوف يؤسسها فيما يخص ’الشرنقة الهوائية‘، ممّا يعني أن مشاركتك في مخطط كوماتسو ستكون كاملة. بعبارة أخرى، فإنك بصدد اتخاذ خطوات سوف تمرِّغ نفسك بها في الوحل».

«ربما تكون تلك هي المُحصِّلة النهائية».

«بقدر ما أفهم، أيها البروفيسور، فإنك شخص يحظى بقدرة عقلية فائقة، وصاحب حكمة عملية واسعة ورؤى فريدة للعالم. بالرغم

من ذلك، فأنت لا تعرف إلى أين يتجه هذا المخطط. وتقول إنك لا تستطيع أن تتوقع ما سيواجهنا عند المنعطف التالي. أن يضع شخص مثلك نفسه في هذا الموقف الهش والمحفوف بالمخاطر، فهذا ما لا أستطيع استيعابه».

قال البروفيسور وقد أخذ نفساً: «بعيداً عن كل المبالغة المُحرجة في تقدير 'شخص مثلي'، فأنا أتفهم ما تحاول قوله».

تبعَت ذلك هنيهة صمت.

أقحمت فوكا-إري نفسها في الكلام دون سابق إنذار: «لا أحد يعلم ما سوف يحدث». ثم عادت إلى صمتها مرة أخرى. كان كوب الكاكاو الخاص بها قد أُفرغ.

قال البروفيسور: «صحيح. لا أحد يعلم ما سيحدث. إري معها حق».

قال تنغو: «ولكن لا بد أنك تحتفظ بخطة ما في ذهنك، بحسب رأيي».

قال البروفيسور إبيسونو: «أحتفظ بخطة ما في ذهني».

«هل أستطيع أن أخمن ماذا تكون؟».

«بالطبع يمكنك ذلك».

«ربما يقود نشر قصة 'الشرنقة الهوائية' إلى الكشف عمّا جرى لوالدي إري. أذلك هو قصدك من إلقاء حجر في البِركة؟».

قال البروفيسور إبيسونو: «ذلك قريب جداً من غايتي. لو أن 'الشرنقة الهوائية' صنِّفت ضمن الكتب الأفضل مبيعاً، فإن وسائل الإعلام سوف تتجمع مثل سمك الشبوط في بركة. وفي واقع الأمر، فقد بدأت الضجة تحدث بالفعل. عقب المؤتمر الصحفي، انهالت

طلبات المقابلات الصحفية من أربع مجلات وقناة تلفزيونية. سوف أرفضها جميعاً بالطبع، ولكن الموقف سوف يزداد احتداماً مع اقتراب موعد نشر الكتاب. إذا لم نجرِ مقابلات، فسوف يستخدمون كل وسيلة تطالها أيديهم للتحري بشأن خلفية إري. وعاجلاً أو آجلاً، سوف يظهر مَن هما والداها وأين وكيف كانت تنشئتها ومن الذي يُعنى بشؤونها الآن. كل ذلك يجب أن يخلق أخباراً مثيرة.

إنني لا أفعل ذلك على سبيل المزاح أو طلباً لربح. فأنا أستمتع بحياتي الجميلة والهادئة وسط الجبال، ولا أريد الاقتراب من كلّ ما يضعني في بؤرة الاهتمام العام. ما آمُله هو أن أضع طُعماً يوجه اهتمام وسائل الإعلام نحو والديّ إري. أين هما الآن، وماذا يفعلان؟ بعبارة أخرى، أريد من وسائل الإعلام أن تؤدي لي ما لم تؤدِّه الشرطة ولن تؤده. وأتصور أيضاً أننا ربما نستطيع، في حال سارت الأمور على ما يرام، استغلال تدفق الأحداث كي ننقذ والديها. ومهما يكن، فإن فوكادا وزوجته شخصان في غاية الأهمية لدي - وبطبيعة الحال لدى إري. لا أستطيع أن أتركهما لهذا المصير المجهول».

«أجل، ولكن مع افتراض أن فوكادا وزوجته لا يزالان هناك، ما السبب المحتمل وراء بقائهما هناك رغم إرادتهما على مدى سبع سنين؟ وهذا زمن طويل للغاية!».

قال البروفيسور إيبسونو: «لا أعرف أكثر ممّا تعرف. كلّ ما أستطيعه هو أن أُخمن. كما أخبرتك في آخر مرة، لقد قامت الشرطة بتفتيش ساكي جاكِه على خلفية إطلاق النار الذي وقع في أكيبونو، ولكن كل ما وجدوه يؤكد أن ساكي جاكِه لا تربطه صلة البتة بالقضية. ومنذ ذلك الحين، ظلت ساكي جاكِه تعزز شيئاً فشيئاً وضعيتها كتنظيم

ديني. لا، ما هذا الذي أقوله؟ ليس شيئاً فشيئاً، لقد فعلوا ذلك بسرعة بالغة. ولكن مع ذلك، لم يكن لدى الناس في الخارج أدنى فكرة عمّا يقومون به فعلاً هناك. أنا متأكد أنك لا تعرف أي شيء عنهم».

قال تنغو: «لا شيء. فأنا لا أشاهد التلفزيون، ونادراً ما أطالع الصحف. لا تستطيع من خلالي أن تقيس ما يعرفه الناس عموماً».

«لا، لست وحدك الذي لا يدري شيئاً عنهم. إنهم يتعمدون البقاء بعيداً عن الأضواء قدر الإمكان. الأديان الجديدة الأخرى عادة ما تحاول استقطاب أكبر عدد ممكن من المهتدين عبر لفت الأنظار والتباهي، ولكن ذلك ما لا تفعله ساكي جاكِه. فهم لا يستهدفون زيادة أعداد المؤمنين. وإنما يريدون مؤمنين أصحاء في سن الشباب وذوي دافعية عالية ويمتلكون مهارات في عدة مجالات مهنية. ولذلك لا يجهدون أنفسهم لاجتذاب المهتدين. ولا يقبلون أي شخص والسلام. وعندما يقصدهم الناس طلباً للانضمام إليهم، يُجرون لهم المقابلات ويتخيرون منهم بشكل انتقائي. ولكنهم أحياناً يتجشمون الصعاب لاستقطاب ذوي المهارات الخاصة التي يريدونها. والمحصلة النهائية هي أنهم أصبحوا تنظيماً دينياً مسلحاً من النخبة».

«على أساس أي عقيدة؟».

«ليس لديهم غالباً أي نصوص دينية. أو إذا كان لديهم، فهي نصوص شديدة التنوع. وتقريباً، فإن الجماعة تتبع نوعاً من البوذية الباطنية، لكن حياتهم اليومية لا تتمحور كثيراً حول عقيدة بعينها بقدر ما تتمحور حول العمل وطقوس الزُهد وممارسات تقشفية بالغة الصرامة. والشباب لدى بحثه عن ذلك النوع من الحياة الروحية يسمع عنهم ويفد عليهم من جميع أنحاء العالم. إنّ الجماعة شديدة التماسك ولديها هوس بالسرية».

«هل لديهم مرشد روحي؟».

«ظاهرياً، لا. إنهم يرفضون فكرة عبادة الفرد، ويمارسون نوعاً من القيادة الجماعية، ولكن الغموض يكتنف ما يدور هناك في واقع الأمر. إنني أبذل قصارى جهدي لجمع ما أستطيعه من معلومات، ولكن لا يرشح إلا القليل للغاية. الشيء الوحيد الذي أستطيع قوله هو أن ذلك التنظيم يتطور بثبات ويبدو أنه يحظى بتمويل جيد. ورقعة الأراضي المملوكة له في توسع دائم، ومَرافقه تتحسن باستمرار. وتمّ تقوية السياج المحيط بالأراضي بشكل كبير».

«وفي مرحلة معينة، اختفى اسم فوكادا، وهو الزعيم الأصلي لساكي جاكِه، ولم يعد له ظهور».

قال البروفيسور إيبسونو: «بالضبط. الأمر كله شديد الغرابة. ولست مقتنعاً البتة بما أسمع». سدد نظرة نحو فوكا-إري ثم عاد ينظر نحو تنغو: «هناك سر كبير يتم إخفاؤه هناك. أنا واثق أن ثمة تغيير قد جرى داخل تنظيم ساكي جاكِه. ما هي طبيعة ذلك التغيير، لا أدري. ولكن بسبب ذلك، قامت ساكي جاكِه بتغيير واسع في التوجه من كونها كومونة زراعية إلى كونها ديناً. أتصور أن انقلاباً قد وقع هناك وأن فوكادا قد أزيح في غمرة الأحداث. مثلما أسلفت من قبل، لم يكن لفوكادا أي ميول دينية تذكر. لا بد أنه حاول التصدي لمثل ذلك التطور. ويبدو أنه على الأرجح قد خسر معركة السيادة في ساكي جاكِه في ذلك الوقت».

أطرق تنغو يفكر في ذلك بعض الوقت ثم قال: «أفهم ما تقول، ولكن حتى وإن كنت على صواب، أليس ذلك شيئاً كان يمكن حله بإبعاد فوكادا عن ساكي جاكِه وحسب، مثل الانفصال السلمي لأكيبونو عن ساكي جاكِه؟ لم يكونوا مضطرين لحبسه، أليس كذلك؟».

«أنت محق في ذلك تماماً. في الظروف العادية، لن تكون ثمة حاجة إلى وضعه رهن الحبس، لكن فوكادا كان على الأغلب مطّلعاً على بعض أسرار ساكي جاكِه عندئذٍ، وهي أشياء كانت ساكي جاكِه تعتبرها بالغة الإحراج إذا ما كُشفت للعلن. ولذلك فإن إلقائه خارج الأسوار وحسب ليس بالقرار الصائب.

«ولكونه المؤسس الأصلي للجماعة، فقد ظلّ فوكادا على مدى سنوات هو الزعيم الفعلي ولا بد أنه شهد كل ما جرى في الداخل. لا بد أنه عرف أكثر ممّا ينبغي. وفوق كل ذلك، فقد حظي بشهرة واسعة بين الجمهور عموماً. ولذلك، فحتى لو أن فوكادا وزوجته أرادا أن يقطعا صلتهما بالجماعة، فإن ساكي جاكِه لم تكن لتدعهما عندئذٍ يذهبان وحسب».

«إذاً أنت تحاول فتح هذا الانسداد بطريقة غير مباشرة؟ تسعى لإثارة اهتمام الناس عبر جعل إري تصبح صاحبة هذه البداية المدوية ككاتبة عبر الوصول بـ'الشرنقة الهوائية' إلى قائمة الأفضل مبيعاً؟».

«إن سبع سنوات زمنٌ طويل، وكل ما فعلتُه خلالها كان بلا طائل. لولا لجوئي لمثل هذا المخطط، لربما بقي اللغز بلا حل إلى الأبد».

«إذاً فأنت تستخدم إري كطُعم تُغوي به نمراً كبيراً للخروج من الدغل».

«لا أحد يعلم ماذا سوف يخرج من الدغل. ليس بالضرورة أن يكون نمراً».

«لكن يبدو أنك تتوقع حدوث شيء عنيف، هذا ما أستشفه من كلامك».

قال البروفيسور بعدما أطرق يفكر برهة: «صحيح، هذا احتمال

وارد. وأنت نفسك ينبغي أن تدرك أن أي شيء قابل للحدوث داخل الجماعات المتجانسة والمعزولة».

أعقب ذلك صمت ثقيل تحدثت خلاله فوكا-إري.

وقالت بصوت هادئ: «السبب هو أن الناس الصغار قد جاءوا».

نظر إليها تنغو وهي جالسة إلى جوار البروفيسور. كما هو دأبها دائماً، كان وجهها يفتقر إلى أي شيء يمكن أن يسمى تعبيراً.

سألها تنغو: «هل تودين القول إن شيئاً ما قد تغير داخل ساكي جاكِه لأن الناس الصغار قد جاءوا؟».

لم تُجب بشيء. وراحت أصابعها تعبث بالزرار الأعلى لسترتها.

وعندئذٍ تحدث البروفيسور إبيسونو وكأنه يملأ الحيز الذي خلّفه صمت إري: «لا أدري ما المعنى المفترض للناس الصغار، وإري أيضاً لا تستطيع أو لن تشرح بالكلمات ماذا تعني بالناس الصغار، لكن يبدو مؤكداً، مع ذلك، أن الناس الصغار قد أدت دوراً ما في التحول العنيف والمفاجئ الذي جرى في ساكي جاكِه من مجتمع زراعي إلى تنظيم ديني».

قال تنغو: «أو شيئاً فعله الناس الصغار».

قال البروفيسور: «ذلك صحيح. لست أدري ما إن كان الناس الصغار أنفسهم أو شيئاً فعله الناس الصغار. ولكن يبدو لي، على الأقل، أن إري تحاول أن تقول شيئاً مهماً عبر تقديمها الناس الصغار في 'الشرنقة الهوائية'».

حدَّق البروفيسور نظره في كفيه بعض الوقت، ثم نظر إلى أعلى وهو يقول: «جورج أورويل هو من قدَّم مصطلح الأخ الكبير المستبد في روايته 1984، وذلك ما أنا متأكد أنك تعرفه. كانت روايته معالجة

رمزية للستالينية بالطبع. ومنذ ذلك الحين، أصبح مصطلح «الأخ الكبير» يمثل رمزاً اجتماعياً. كان ذلك هو الإنجاز الأعظم لأورويل. ولكن الآن، ونحن في سنة 1984 الحقيقية، أصبح الأخ الكبير بالغ الشهرة وبالغ الظهور. وإذا أمكن للأخ الكبير أن يأتينا الآن، فسوف نشير إليه قائلين، «خذ حذرك! هذا هو الأخ الكبير!» لم يعد هنالك مكان لأخ كبير في عالمنا الحقيقي. بدلاً من ذلك، فقد دخل مَن يُسمون بالناس الصغار المشهد. يا له من تضاد لفظي مثير، ألا ترى ذلك؟».

حدَّق البروفيسور مباشرة في تنغو، ثم ارتسمت على وجهه ما يشبه الابتسامة.

«للناس الصغار وجود غير مرئي. ولا نستطيع حتى الجزم بما إن كانوا أخياراً أو أشراراً، أو إن كان لهم جسم أو لا. ولكن يبدو أنهم لا يكفون عن تقويضنا». توقف البروفيسور هنيهة، ثم تابع: «ربما إن كان لنا أن نعرف ماذا جرى لفوكادا وزوجته أو ماذا جرى لإري، فإن علينا أولاً أن نتبين ماذا يكون هؤلاء الناس الصغار».

سأل تنغو: «إذن، هل هؤلاء الناس الصغار هم مَن تريد أن تستدرجهم كي يخرجون للعلن؟».

قال البروفيسور، والابتسامة لا تزال تداعب شفتيه: «أتساءل إن كان بوسعنا، في نهاية المطاف، أن نستدرج شيئاً للخروج للعلن فيما لا نستطيع حتى الجزم بما إن كان له جسم أو لا. ربما يكون 'النمر الكبير' الذي ذكرته هو الصورة الأكثر واقعية، ألا ترى ذلك؟».

«أيّاً كان الحال، فذلك لا يغير من حقيقة أن إري قد استُخدمت كطعم».

«لا، كلمة طُعم ليست هي الكلمة السليمة. لأن إري تُولِّد دوامة:

هذه هي الصورة الأقرب. وفي النهاية، هؤلاء الموجودون على حافة الدوامة سوف يبدأون في الدوران معها. هذا هو ما أتطلع لرؤيته».

راح البروفيسور يدير إصبعه ببطء في الهواء. ثم تابع كلامه: «إري موجودة في مركز الدوامة. وليس على الشخص الموجود في مركز الدوامة أن يتحرك. فذلك هو ما يجب على الموجودين على الحافة فعله».

كان تنغو يُنصت في صمت.

«إذا جاز لي استعارة مجازك المُقلِق، فإننا جميعاً سوف نكون بمثابة الطُعم، وليس إري وحدها». ونظر البروفيسور إلى تنغو وقد ضيَّق من عينيه. «بمَن فينا أنت».

«كل ما كان عليّ فعله، هو إعادة صياغة 'الشرنقة الهوائية'. كنت مجرد عامل مُستأجَر، أي فني. هكذا كان السيد كوماتسو يعبِّر عن ذلك في أول الأمر».

«أفهم ذلك».

قال تنغو: «ولكن يبدو أن الأشياء قد تغيرت قليلاً في غضون ذلك. هل هذا يعني أنك راجعت خطته الرئيسة، أيها البروفيسور؟».

«لا، ليس هكذا أرى الأمر. للسيد كوماتسو نواياه ولي نواياي. في الوقت الحاضر، يسلك كلانا اتجاهاً واحداً».

«إذاً الخطة تسير وكأنه تصادف أن كليكما تركبان معاً وحسب».

«أظن أنك تستطيع قول ذلك».

«شخصان يمضيان نحو وجهتين مختلفتين وهما يمتطيان حصاناً واحداً عبر الطريق. مساراهما متماثلٌ إلى حدّ معين، ولكن لا أحد منهما يعرف ماذا سيحدث لاحقاً».

«تعبير جيد، وكأنك كاتب حقيقي».

تنهد تنغو: «أستطيع القول إن التوقعات لا تبشر بخير. ولكن لا سبيل الآن للعودة إلى الوراء، أليس كذلك؟».

قال البروفيسور: «وحتى إذا استطعنا العودة إلى الوراء، فإننا على الأرجح لن ننتهي أبداً إلى حيث بدأنا».

وكانت هذه هي نهاية الحوار. لم يجد تنغو شيئاً آخر يقوله.

غادر البروفيسور إبيسونو المقهى أولاً. قال إن عليه مقابلة شخص ما في المنطقة. أما إري فقد ظلَّت مكانها. ساد الصمت مدة بين تنغو وفوكا-إري وهما جالسان قبالة بعضهما بعضٍ إلى الطاولة.

سألها تنغو: «هل أنت جائعة؟».

قالت فوكا-إري: «نوعاً ما».

كان المقهى قد أخذ في الامتلاء بالرواد. غادر الاثنان المقهى، رغم أن أيّاً منهما لم يكن هو مَن اقترح ذلك أولاً. سارا لبعض الوقت لا يلويان على شيء عبر شوارع شنجوكو. كانت الساعة تقترب من السادسة، فيما يهرول أناس كثيرون صوب المحطة، والسماء لا تزال صافية. غلَّف ضوء شمس أول الصيف المدينة، وبدا سطوعه مُصطَنعاً بعد مغادرة المقهى الموجود تحت الأرض.

سألها تنغو: «إلى أين أنت ذاهبة الآن؟».

ردت فوكا-إري: «ليس لدي وجهة محددة».

سأل تنغو: «هل يمكنني أن أوصلك إلى المنزل؟ أقصد إلى منزلك في شينانو ماتشي. هل ستمضين اليوم هناك؟».

قالت فوكا-إري: «لست ذاهبة إلى هناك».

«ولمَ لا؟».

لم تَحِر جواباً.

«هل تريدين القول بأنك تشعرين بأن الأفضل لك ألا تذهبي إلى هناك؟».

أومأت فوكا-إري دون أن تقول شيئاً.

فكر تنغو أن يسألها لماذا تشعر بأنّ الأفضل لها ألّا تذهب، ولكنه استشعر أن ذلك لن يجلب له جواباً مباشراً.

«إذاً، هل ستعودين إلى منزل البروفيسور؟».

«فوتاماتاو بعيدة للغاية».

«هل لديك مكان آخر في ذهنك؟».

قالت فوكا-إري: «سوف أَبيتُ في شقتك».

قال تنغو: «ربما... لا... يكون... ذلك... فكرة... جيدة. إنّ شقتي صغيرة، وأعيش فيها وحدي، وأنا واثق أن البروفيسور إبيسونو لن يسمح بذلك».

قالت فوكا-إري وقد هزّت كتفيها هزة خفيفة: «البروفيسور لن يمانع. وأنا لن أمانع».

قال تنغو: «ولكني قد أمانع».

«لماذا؟».

«حسناً...»، استهل تنغو كلامه، لكن لم تُسعفه الكلمات. لم يكن حتى يعرف ماذا ينوي أن يقول. وهو ما يحدث غالباً عندما يتحدث إلى فوكا-إري. إذ يفقد تركيزه لبعض الوقت. كان ذلك أشبه بأوراق موسيقية وقد بعثرتها هَبَّة ريح.

مدت فوكا-إري يدها اليمنى لتُمسك بلطف بيد تنغو اليسرى وكأنها تواسيه.

قالت: «لم تفهم».

«لم أفهم ماذا؟».

«كلانا شخص واحد».

سأل تنغو وقد بدا على صوته أثر الصدمة: «كلانا شخص واحد؟».

«لقد كتبنا الكتاب معاً».

شعر تنغو بضغط أصابع فوكا-إري على راحة يده. لم يكن ضغطاً قوياً، ولكنه كان منتظماً ومستمراً.

«ذلك صحيح. لقد كتبنا 'الشرنقة الهوائية' معاً. وعندما يلتهمنا النمر، سوف يلتهمنا معاً».

قالت فوكا-إري وقد اكتسب صوتها نبرة رزينة على غير العادة: «لن يبرز لنا نمرٌ».

قال تنغو: «هذا جيد». رغم أنه لم يَسّره كثيراً. لن يبرز لنا نمر، ولكن لا أحد يعلم ماذا سوف يبرز لنا بدلاً عن ذلك.

وقفا أمام ماكينات صرف التذاكر في محطة شنجوكو. نظرت إليه فوكا-إري، وهي لا تزال تقبض على يده. كان الناس يتجاوزونهما من الجانبين.

قال تنغو على مضض: «حسناً، إذا كنت تريدين البقاء هنا، فلا مانع. أستطيع النوم على الأريكة».

قالت فوكا-إري: «أشكرك».

أدرك تنغو أن هذه هي المرة الأولى التي يسمع فيها كلمة تنمّ عن ذوق من فوكا-إري. لا، ربما لا تكون المرة الأولى، ولكنه لا يذكر متى آخر مرة سمع فيها ذلك.

الفصل التاسع عشر

أَوْمَامِه
نساء يتشاركن سراً

سألت أَوْمَامِه بلطف وهي تنظر بفضول نحو الفتاة: «الناس الصغار؟ أخبرينا، مَن يا تُرى يكون هؤلاء الناس الصغار؟».

ولكن تسوباسا ما إن تلفَّظت بتلك الكلمات القليلة، حتى زمَّت شفتيها مرة أخرى. وفقدت عيناها كلّ عمق، كما لو أنّ ما تلفَّظته من كلمات قد استنفد جُلَّ طاقتها.

سألتها أَوْمَامِه: «هل هم أناس تعرفينهم؟».

مرة أخرى لم تَحِر جواباً.

قالت الأرملة الثرية: «لقد ذكرتْ هاتين الكلمتين عدة مرات من قبل. الناس الصغار، لا أدري ماذا تعني بهما».

كان للكلمتين جَرْسٌ مشؤوم ونغمة ضمنية شعرت بها أَوْمَامِه وكأنها صوت رعد قادم من بعيد.

سألت الأرملةَ الثرية: «أيكون هؤلاء الناس الصغار هم مَن ألحقوا بها الأذى؟».

هزَّت الأرملة الثرية رأسها: «لا أدري. ولكن أيّاً ما كانوا، فإن الناس الصغار يمثلون لديها أهمية بالغة دون شك».

كانت الفتاة تجلس صامتة تماماً، وقد بسطت يديها على الطاولة فيما راحت تحدق في الفراغ بعينيها الغامضتين.

سألت أَوْمَامِه: «ماذا يا تُرى حدث لها؟».

أجابت الأرملة الثرية بهدوء يكاد يكون تاماً: «هناك آثار لا تخطئها عين تثبت تعرضها للاغتصاب. اغتصاب متكرِّر. وتمزقات فظيعة في الشفتين الخارجيتين لمهبلها، وإصابة في الرحم. اخترق عضو ذكري ضخم لشخص بالغ رحمها الصغير، الذي لم يكتمل نضجه بعد، وأتلف المنطقة التي تستقرّ فيها البويضة المخصَّبة. الأطباء يرون أنها لن تستطيع الحَمْل غالباً».

بدا أن الأرملة الثرية تتعمد تقريباً إثارة تلك التفاصيل المريعة في حضور الفتاة. كانت تسوباسا تصغي دون أن تعلق بشيء ودون أن يعتري ملامح وجهها أي تغيير يذكر. وبين حين وآخر تَظهر على فمها حركات بسيطة ولكن دون أن يخرج منه أي صوت. بدت تقريباً وكأنها تستمع بأدب جمّ لحوار يدور حول شخص غريب لا تربطها به صلة.

تابعت الأرملة الثرية كلامها بهدوء: «وليس هذا وحسب. حتى لو أمكن استعادة وظيفة رحمها عبر عملية جراحية، فإن الفتاة لن ترغب أبداً في ممارسة الجنس مع أيّ أحد غالباً. لا بدّ أن ألماً رهيباً قد صاحب أي عملية إيلاج تسبَّبت في مثل ذلك التدمير الفظيع، لا سيما وأنها تعرّضت لذلك الإيلاج بشكل متكرر. ولن تتلاشى ذكرى ذلك الألم الحاد بسهولة. هل تفهمين قصدي؟».

أومأت أَوْمَامِه. كانت تشبك أصابعها بشدة أعلى ركبتيها.

رمقت الأرملة تسوباسا ثم تابعت: «بعبارة أخرى، فإنّ البويضات التي تنتجها لن تجدَ لها سبيلاً. لقد ــ أصبحت عقيماً بالفعل».

لم يكن بوسع أَوْمَامِه الجزم بمقدار ما فهمته تسوباسا من ذلك.

أياً ما كان مقدار فهمها، فقد بدت انفعالاتها المباشرة في مكان آخر. لم تكن هنا على الأقل. بدا أنّ قلبها حبيس غرفة صغيرة مظلمة وبابها مقفل، غرفة تقع في مكان آخر.

تابعت الأرملة الثرية: «لا أعني أنّ هدف المرأة الوحيد في الحياة هو إنجاب الأطفال. فكلّ امرأة لديها حرية اختيار نوعية الحياة التي تحياها. وليس مسموحاً نهائياً لأيّ أحد أن يسلبها وبالقوة حقها الفطري كامرأة قبل أن تتاح لها فرصة ممارسة ذلك الحق».

أومأت أَوْمَامِه في صمت.

كررت الأرملة الثرية: «بالطبع ليس مسموحاً». لاحظت أَوْمَامِه رعشة طفيفة قد اعترت صوتها. كان جلياً أنها تجد صعوبة في كبح انفعالاتها. «لقد فرَّت هذه الطفلة، وحدها، من مكان ما. كيف استطاعت أن تتدبر أمرها، لست أدري. ولكن ليس لديها أي مأوى آخر تلجأ إليه سوى هذه الدار. لا مكان آخر يوفِّر لها الأمان».

«وأين والداها؟».

عبس وجه الأرملة الثرية ونقرت فوق سطح الطاولة بأناملها: «نحن نعرف أين والداها. ولكنهما هما من سمحا بحدوث ذلك الفعل الشنيع لها. لقد فرَّت منهما».

«هل تودّين القول إن والديها وافقا على تعرض ابنتهما للاغتصاب؟».

«لم يوافقا على ذلك وحسب، بل شجَّعاه».

«ولكن لماذا يتحمس والدان....؟» لم تسعف الكلمات أَوْمَامِه كي تكمل سؤالها.

هزت الأرملة الثرية رأسها: «أعرف أنه شيء مروع. لا ينبغي أن يسمح مطلقاً بتلك الأشياء. ولكننا إزاء موقف صعب. فهذه ليست

مجرد حالة من حالات العنف المنزلي. الطبيب قال إن علينا إبلاغ الشرطة بالحادثة، ولكني طلبت منه ألا يفعل. إنه صديق مقرب، ولذلك استطعت إقناعه بتأجيل ذلك».

سألتها أَوْمَامِه: «ولكن لم لا تريدين إبلاغ الشرطة؟».

قالت الأرملة الثرية: «ممّا لا شك فيه أن هذه الطفلة ضحية عمل همجي ولاإنساني. وفوق ذلك، تعرضت لجريمة بشعة ينبغي للمجتمع أن يعاقب عليها بالعديد من العقوبات الجنائية. ولكن حتى لو أبلغنا الشرطة بالواقعة، ما الذي بوسع رجالها أن يفعلوه؟ كما ترين، فالطفلة نفسها تكاد لا تستطيع الكلام. لا تستطيع أن تشرح على نحوٍ واضح ما حدث لها أو ما فُعل بها. وحتى لو استطاعت ذلك، فما من سبيل لدينا لإثبات ما وقع. وإذا سلمناها إلى الشرطة، ربما ينتهي بها المآل للعودة إلى والديها وحسب. فليس ثمة مكان آخر يمكنها الذهاب إليه، فضلاً عن أنهما يملكان حقوق الأبوة عليها. وما إن تعود إليهما، فعلى الأرجح، سوف يُفعل بها الشيء ذاته مرة أخرى. لا يمكننا السماح بحدوث ذلك».

أومأت أَوْمَامِه.

قالت الأرملة الثرية: «سوف أرعاها بنفسي. لن أرسل بها إلى أي مكان. ولن أسلِّمها لأحد، سواء والداها أو أي أحد آخر. سوف أواريها عن الأنظار في مكان ما وأتولى تربيتها».

جلست أَوْمَامِه بعض الوقت، وهي تقلب ناظريها بين الأرملة والفتاة.

سألت أَوْمَامِه: «إذاً، هل بوسعنا تحديد هوية الشخص الذي أنزل كلّ هذا العنف الجنسي بالطفلة؟ هل كان رجلاً واحداً؟».

«بوسعنا تحديد هويته. وهو شخص واحد».

«لكن أما من سبيل لتقديمه للعدالة؟».

قالت الأرملة الثرية: «إنه ذو نفوذ كبير للغاية. يحظى بنفوذ مباشر على رقاب الأشخاص. والدا الفتاة كانا واقعين تحت تأثير نفوذه. ولا يزالان كذلك. ويأتمران بأمره. ليس لهما شخصية مستقلة، ولا قدرة لديهما على تقييم الأمر بنفسيهما. يُسلمان بكلامه باعتباره الحقيقة المطلقة. وعندما يطلب منهما أن يُقدّما ابنتهما له، فليس بوسعهما أن يرفضا، بل على العكس، إنهما يلبّيان رغباته دون نقاش ويسلمانها له عن طيب نفس، وهما يعلمان تماماً ماذا ينوي أن يفعل بها».

استغرقت أَوْمَامِه بعض الوقت كي تفهم ما تقوله الأرملة. وجَّهت طاقتها الذهنية نحو المشكلة وراحت ترتِّب الأشياء.

«هل ما تتحدثين عنه هي جماعة خاصة؟».

«نعم، بالفعل، جماعة خاصة تتشارك روحاً مَرَضية ضيقة».

أَوْمَامِه: «تقصدين، طائفة من نوع ما؟».

أومأت الأرملة: «أجل، طائفة بالغة الشراسة والخطورة».

بالطبع. لا يمكن أن تكون إلا طائفة. إنهم أناس يفعلون ما يؤمرون به. أناس ليس لديهم شخصية فردية أو قدرة على تقدير الأمور. قالت أَوْمَامِه في نفسها وهي تعضّ شفتيها، **كان يمكن للشيء نفسه أن يحدث معي.**

لم ينزلق الناس لجريمة الاغتصاب في جمعية الشهود. في حالتها على الأقل، لم يبلغ الأمر حدّ التهديد الجنسي. 'الأخوة والأخوات' المحيطون بها كانوا جميعاً أصحاب أخلاق دمثة وأوفياء. كانوا جادين في إيمانهم، ويكنّون كلّ تبجيل لعقائدهم - إلى حدٍّ يجعلهم يخاطرون بحياتهم من أجلها. ولكن الدوافع النبيلة لا تفضي دوماً إلى نتائج

نبيلة. وليس الجسد وحده هو الهدف الوحيد للاغتصاب. فالاغتصاب لا يأخذ دوماً شكلاً مرئياً، وليست كل الجراح تنزف دماً.

ذكَّرت رؤية تسوباسا أَوْمَامِه بنفسها وهي في مثل سنها. **لقد أمكنتني إرادتي من الفرار وقتئذٍ. ولكن عندما تتعرض فتاة لجراح بالغة كتلك التي تعرضت لها هذه الفتاة، ربما لا يكون ممكناً للمرء أن يسترد نفسه. ربما لا تستطيع أن تعيد قلبك إلى حالته الطبيعية مرة أخرى**. شعرت أَوْمَامِه بوخزة ألم في صدرها جرَّاء هذه الأفكار. لقد اكتشفت في تسوباسا **نفسها وما كانت عليه ربما**.

قالت الأرملة الثرية بهدوء إلى أَوْمَامِه: «يتعين عليّ الاعتراف لك بشيء. بوسعي أن أخبرك به الآن، لقد تحرَّيت عن خلفيتك وظروفك رغم تسليمي بأن ذلك عمل غير جدير بالاحترام».

أعادت هذه الملاحظة أَوْمَامِه إلى الحاضر. ونظرت إلى الأرملة الثرية.

«حدث ذلك بعدما دعوتك أول مرة إلى منزلي وتبادلنا أطراف الحديث. آمل ألا يسيئك ذلك».

قالت أَوْمَامِه: «لا، مطلقاً. في مثل موقفك، فذلك شيء طبيعي ينبغي عمله. فالعمل الذي نشارك فيه معاً ليس عادياً على الإطلاق».

«بالضبط. فنحن نسير على حبلٍ مشدود ودقيق. يجب أن تثق كلّ منا في الأخرى. ومهما كان الشخص الآخر، فلا يمكنك أن تجعليه موضع ثقتك ما لم تعرفي ما ينبغي معرفته. ولذلك جعلتهم يتحرّون عن كلّ شيء بخصوصك. بداية من اللحظة الآنية ووصولاً إلى كل شيء في ماضيك. أظن أن الأجدر بي أن أقول 'كل شيء تقريباً' بالطبع. فلا أحدَ يمكنه معرفة كلّ شيء عن شخص آخر. ولا حتى الإله، ربما».

قالت أَوْمَامِه: «ولا حتى الشيطان».

كررت الأرملة الثرية بابتسامة خافتة: «ولا حتى الشيطان. أعرف أن الطائفة قد سببت لك جراحاً نفسية منذ كنت طفلة. فقد كان والداك، ولا يزالان، مؤمِنَين متحمسين لجماعة الشهود، وهما لم يغفرا لك قط تخليك عن دينك. ولا يزال ذلك يسبب لك الألم حتى الآن».

تابعت الأرملة الثرية كلامها: «وحتى أطلعك على رأيي الصادق، فإن جماعة الشهود ليست ديناً قويماً. لو أنك تعرَّضت لإصابة بالغة أو أصبتِ بمرض يتطلب تدخلاً جراحياً، فلربما فقدتِ حياتك عندئذٍ هناك. فأيّ دين يُحرِّم العمليات الجراحية التي قد تنقذ حياة الإنسان لا لشيء إلا لتعارضها مع النص الحرفي للإنجيل لا يمكن أن يكون سوى طائفة. وهو استغلال سيئ ومرفوض للعقيدة».

أومأت أَوْمَامِه. ويعتبر رفض عمليات نقل الدم هو أول ما يتمّ غرسه في عقول أبناء الطائفة، إذ يُلقَّنون بأنه أجدى لهم أن يهلكوا أو ينتقلوا إلى الملكوت بجسد وروح طاهرين من أن يتلقوا دماً وينتهكوا تعاليم الرب ثم يُقذف بهم إلى الجحيم. ولا توجد منطقة وسطى. فإما هذا الطريق وإما ذاك: إما أن تذهب إلى الجحيم أو تنتقل إلى الجنة. الأطفال لا قدرة لهم على التفكير النقدي. وما من سبيل لديهم لمعرفة إن كانت تلك العقيدة قويمة، سواء باعتبارها فكرة تحظى بقبول واسع النطاق من المجتمع أو باعتبارها مفهوماً علمياً. كلّ ما يستطيعونه هو أن يصدقوا ما يلقنه لهم آباؤهم. **لو كنت قد احتجت نقل دم وأنا صغيرة، فأنا على يقين أني كنت سأطيع أوامر والديّ وأرفض نقل الدم وأختار الموت. وعندئذٍ كنت سأنتقل إلى الجنة أو إلى مكان ما لا أحد يدري أين هو.**

سألتها أَوْمَامِه: «هل الطائفة التي تتحدثين عنها طائفة مشهورة؟».

«إنها تسمى ‘ساكي جاكِه‘. أنا واثقة أنك سمعتِ بها. في وقت من الأوقات لم يكن يمرّ يوم تقريباً دون أن يرِدَ ذكرها في الصحف».

لم تستطع أَوْمَامِه أن تتذكر إن كانت قد سمعت باسم «ساكي جاكِه»، ولكنها عوضاً عن قول ذلك، أومأت إيماءة ملتبسة للأرملة الثرية. شعرت أنّ الأحرى بها أن تتركها هكذا، إدراكاً منها أنها لم تعُد تعيش في عالم 1984 وإنما في عالم 1Q84 الذي تَغيَّر. كان ذلك لا يزال مجرد افتراض، ولكنه افتراض لا يفتأ يتعزَّز وجوده على أرض الواقع يوماً وراء يوم. تبين لها أن هناك قدراً هائلاً من المعلومات في هذا العالم الجديد لم تكن تدري عنه شيئاً. يتعيَّن عليها أن تصبح أكثر انتباهاً.

تابعت الأرملة الثرية: «لقد تأسَّست ساكي جاكِه في الأصل باعتبارها كومونة زراعية صغيرة تديرها جماعة يسارية جديدة فرَّت من حياة المدينة، ولكنها في لحظة ما غيَّرت بوصلتها وأصبحت ديانة. كيف ولماذا حدث ذلك، فهذا أمر لا يمكن فهمه فهماً كاملاً».

توقفت الأرملة كي تلتقط أنفاسها ثم واصلت كلامها بعدئذٍ.

«قلة من الناس هم مَن يعرفون هذا، ولكن الجماعة لديها مرشدٌ روحي يسمونه «الزعيم». وهم يرون أنه صاحب قدرات خاصة، ويُفترض أنه يستخدمها في شفاء الأمراض الخطيرة والتنبؤ بالمستقبل وإحداث ظواهر خارقة وما شابه. وهي جميعها حيل متقنة، أنا واثقة، ولكنها أيضاً سبب آخر وراء انجذاب أناس كثيرين إليه».

«ظواهر خارقة؟».

ضيَّقت الأرملة الثرية ما بين حاجبيها بشكل جمالي: «ليس لديّ أي معلومات ملموسة بشأن ماذا يعني ذلك. ولم أهتمّ في حياتي بأمور السحر. لقد دأب الناس على تكرار أنواع الاحتيال نفسها في العالم

منذ فجر الزمان، مستخدمين الخدع القديمة ذاتها، ولا تزال هذه الخدع المشينة في ازدهار. وسبب ذلك هو أن معظم الناس لا يؤمنون بالحقيقة قدر إيمانهم بما يتمنّون لو أصبح حقيقة. ربما تكون أعينهم مفتوحة، ولكنهم لا يبصرون. ويسهل خداعم كما يسهل لوي ذراع طفل رضيع».

جربت أَوْمَامِه النطق بكلمة «ساكي جاكِه». ماذا تعني؟ النذير؟ البشير؟ الرائد؟ يبدو أنها أقرب إلى اسم قطار ياباني فائق السرعة وليس إلى ديانة.

أَغضتْ تسوباسا عينيها حياءً برهة لدى سماعها كلمة «ساكي جاكِه» كما لو أنها تستجيب لصوت خاص مخبوء داخل الكلمة. عندما رفعت عينيها مرة ثانية، عاد وجهها خلواً من أي تعبير كما كان من قبل، كما لو أن دوامة صغيرة قد بدأت تدور داخلها بغتة ثم لم تلبث أن تهدأ.

قالت الأرملة الثرية: «إن المرشد الروحي لساكي جاكِه هو مَن اغتصب تسوباسا. أخذها عنوة بحجة أنه سيمنحها صحوة روحية. وأبلغ والديها أن هذه الشعيرة يجب إتمامها قبل أن تحيض الفتاة حيضتها الأولى. وحدها هذه الفتاة التي لم تُدنّس يمكن منحها صحوة روحية خالصة. وأن الألم المبرح الذي يصاحب هذه الشعيرة هو بمثابة البلاء الذي يتعين عليها احتماله كي ترتقي إلى درجة روحانية أسمى. سلَّم الوالدان بكلامه تسليماً تاماً. كم هو مذهل حقاً مدى الحمق الذي قد يَبلغه الناس. وتسوباسا ليست هي الحالة الوحيدة في ذلك. بحسب معلوماتنا، فقد تعرضت فتيات أخريات داخل الطائفة للشيء ذاته. المرشد الروحي شخص وضيع وذو ميول جنسية شاذة. هذا ما لا شك فيه. والتنظيم والمبادئ ليست سوى قناع ملائم يخفي وراءه شهواته».

«هل لذلك المرشد الروحي اسم؟».

«لسوء الحظ، لم نَصل إلى اسمه بعد. يسمونه «الزعيم» وحسب. لا ندري أي نمط من الأشخاص هو، أو ما هو شكله، أو ما هي ظروف نشأته. ومهما حفرنا عميقاً، لا نبلغ أي معلومات. يوجد حظر تامّ على المعلومات. إنه يعيش منعزلاً في مقرات الطائفة في جبال ياماناشي، ولا يظهر في العلن غالباً. وحتى داخل الطائفة، فإنّ عدد المسموح لهم برؤيته محدود للغاية. ويقال إنه يعيش في الظلام حيث يمارس تأملاته».

«ونحن لا نستطيع أن ندعه طليق اليد هكذا».

رمقت الأرملة الثرية تسوباسا وأومأت ببطء: «لا يمكننا أن نسمح بالمزيد من الضحايا، ألا توافقيني؟».

«بعبارة أخرى، يتعين علينا أن نتصرف».

مدَّت الأرملة الثرية يدها ووضعتها على رأس تسوباسا، وصمتت للحظة، ثم قالت: «بالضبط».

سألت أَوْمَامِه: «لا بد أنه يمارس هذه الأفعال المنحرفة بشكلٍ متكرر؟».

أومأت الأرملة: «بحوزتنا دليل على أنه يغتصب الفتيات بشكل منتظم».

قالت أَوْمَامِه بهدوء: «إذا صحّ ذلك، فهذه جريمة لا تغتفر. ومعك حق: لا يمكننا أن نسمح بالمزيد من الضحايا».

بدا أن أفكاراً كثيرة ومتباينة قد اشتبكت معاً وتتبارى فيما بينها لشغل مكانٍ داخل رأس الأرملة الثرية. ثم قالت: «لا بد لنا أن نعرف الكثير عن هذا الشخص «الزعيم». يجب ألا يكون لدينا أي التباس بشأنه. فهناك حياة إنسانية مصيرها معلق».

«هذا الشخص لا يظهر في العلن مطلقاً تقريباً، هل قلت ذلك؟».

«صحيح. وهو على الأرجح يحظى بحماية مشددة».

ضيَّقت أوْمَامِه عينيها وخطرت ببالها كسارة الثلج المصنوعة خصيصاً والقابعة في مؤخرة جارور تسريحتها، وفي السن الدقيق لإبرتها: «تبدو مهمة بالغة الصعوبة».

قالت الأرملة: «نعم، إنها صعبة للغاية». سحبت يدها من يد تسوباسا وضغطت بطرف إصبعها الأوسط على حاجبها. كانت هذه علامة لدى الأرملة - لا تقوم بها كثيراً - على نفاد أفكارها.

قالت أوْمَامِه: «إذا أردنا الحديث بواقعية، فإنه يكاد يكون مستحيلاً أن أذهب وحدي إلى تلال ياماناشي، ثم أتسلل خلسة إلى منطقة الطائفة ذات الحراسة المشددة، ثم أقتل زعيمهم، وأخرج من كل ذلك سالمة. ربما تنجح مثل تلك المهمة في فيلم من أفلام سلاحف النينجا، أما . . .».

قالت الأرملة الثرية بجدية قبل أن تدرك أن ملاحظة أوْمَامِه الأخيرة كانت مُزحة: «لست أنتظر منك أن تفعلي أي شيء من ذلك، بالطبع»، ثم أضافت بابتسامة واهنة: «هذا أمر لا نقاش فيه».

قالت أوْمَامِه وهي تنظر في عيني الأرملة الثرية: «يوجد شيء آخر يشغل بالي. الناس الصغار. مَن هم - أو ماذا يكونون؟ وما الذي فعلوه بتسوباسا؟ نحتاج إلى المزيد من المعلومات عنهم».

بينما لا تزال تضغط بإصبعها على جبينها، قالت الأرملة: «أجل، إنها تشغلني أنا أيضاً. تسوباسا تكاد لا تتكلم مطلقاً، ولكنها تلفَّظت بعبارة «الناس الصغار» عدة مرات، كما سمعتها. الأرجح أنهم يعنون لها الكثير، ولكنها لن تخبرنا بشيء عنهم. فهي تلزم الصمت كلما أُثير هذا الموضوع. امنحيني قليلاً من الوقت. سوف أتحرى ذلك أيضاً».

«هل تقترحين شيئاً حول كيفية معرفة المزيد عن ساكي جاكِه؟».

ابتسمت الأرملة لها ابتسامة لطيفة: «لا يوجد شيء مادي في هذا العالم لا يمكنك شراءه ما دمت تدفعين، وأنا مستعدة لأن أدفع الكثير - ولا سيما في هذا الشأن. ربما يستغرق ذلك وقتاً، ولكني سوف أحصل حتماً على المعلومات اللازمة».

قالت أَوْمَامِه في نفسها، **توجد بعض الأشياء التي لا يمكنك شراءها مهما دفعت. على سبيل المثال، القمر.** غيرت أَوْمَامِه الموضوع قائلة: «هل تعتزمين فعلاً تربية تسوباسا بنفسك؟»

«بالطبع، أنا جادة تماماً بشأن ذلك. أعتزم أن أتبناها بشكل قانوني».

«أنا واثقة من كونك تدركين أن الإجراءات الرسمية لن تكون بسيطة، ولا سيما في ظلّ هذه الظروف».

قالت الأرملة الثرية: «أجل، إنني مستعدة لذلك. سوف أستعين بكل وسيلة ممكنة، وسأبذل ما بوسعي. لن أُسلِّمها لأي أحد».

اعترت صوت الأرملة رعشة من شدة الانفعال. هذه هي المرة الأولى التي تُظهر فيها مثل تلك المشاعر في حضور أَوْمَامِه. أحسَّت أَوْمَامِه ببعض القلق حيال ذلك، وهو ما بدا أن الأرملة قد قرأته على محيّاها.

قالت الأرملة وقد خفضت من صوتها وكأنها تتأهب لكشف حقيقة طال إخفاؤها: «لم أبلغ أحداً قطّ بذلك، وظللتُ أحتفظ به لنفسي لما فيه من ألم رهيب. لقد كانت ابنتي حاملاً لدى انتحارها. حامل في شهرها السادس. إنها غالباً لم تكن ترغب في وضع الولد الذي تحمل به. ولذلك فقد أخذته معها عندما أنهت حياتها بنفسها.

لو قُدِّر لها أن تضع الطفل، لكان الآن في مثل سن تسوباسا. لقد خسرت حياتين غاليتين على نفسي».

قالت أَوْمَامِه: «يؤسفني سماع ذلك».

«مع ذلك، لا تقلقي. فأنا لا أسمح لمثل هذه الأمور الشخصية أن تؤثر في تقديري للمواقف. لن أعرضك لأي خطر غير ضروري. فأنت أيضاً ابنة غالية لي. نحن بالفعل أسرة واحدة».

أومأت أَوْمَامِه في صمت.

قالت الأرملة الثرية بصوت هادئ: «ما يربطنا هو أهم من الدم».

أومأت أَوْمَامِه مرة ثانية.

قالت الأرملة الثرية كما لو أنها تحاول إقناع نفسها: «مهما تحملنا، فلا بد من تصفية ذلك الرجل». ثم نظرت إلى أَوْمَامِه. «عندما تسنح لنا أول فرصة ممكنة، لا بد أن ننقله إلى عالم آخر، قبل أن يُلحق الأذى بأحد آخر».

نظرت أَوْمَامِه عبر الطاولة إلى تسوباسا. كانت عينا الفتاة زائغتين وتحدقان في الفراغ. في رأي أَوْمَامِه، كانت الفتاة تشبه هيكلاً فارغاً لحشرة السيكادا.

قالت الأرملة الثرية: «ولكن في الوقت ذاته، لا يتعين علينا استعجال الأشياء. وعلينا توخي الحذر والتحلي بالصبر».

تركت أَوْمَامِه الأرملة الثرية والطفلة تسوباسا خلفها في الشقة عندما غادرت دار الإيواء. كانت الأرملة قد أخبرتها أنها سوف تبقى رفقة تسوباسا حتى تنام. تحلَّقت النساء الأربعة في الغرفة المشتركة بالطابق الأول حول طاولة مستديرة، واقتربن من بعضهن بعضاً، وانخرطن في حوار هامس. بدا المشهد لدى أَوْمَامِه غير حقيقي. بدا

لها أن هؤلاء النساء جزء من لوحة خيالية، ربما يكون عنوانها هو «نساء يتشاركن سراً». لم يعترِ المجموعة أي تغير عندما مرَّت أَوْمَامِه بهن.

وفي الخارج، جثت أَوْمَامِه على ركبتيها كي تداعب أنثى الجرمن شبرد بعض الوقت. راحت الكلبة تهزّ ذيلها بسعادة واضحة. كلما صادفت كلباً، تساءلت أَوْمَامِه كيف للكلاب أن تبلغ هذا الحدّ من السعادة غير المشروطة. لم تقتنِ في حياتها أي حيوانات أليفة - لا كلباً ولا قطة ولا طائراً، بل ولم تشترِ لنفسها مطلقاً نباتاً يوضع في مزهرية. تذكَّرت أَوْمَامِه فجأة أن ترفع بصرها نحو السماء، التي كانت تحجبها طبقة رمادية عديمة الشكل من الغيوم التي تنذر بقرب موسم الأمطار. لم تستطِع رؤية القمر. كان الليل ساكناً وبلا رياح. وجدت أثراً لضوء القمر يتسرب عبر الغيوم الكثيفة، ولكن ما من سبيل لمعرفة عدد الأقمار الموجودة.

خلال سيرها نحو محطة قطار الأنفاق، ظلت أَوْمَامِه تفكر فيما حلّ بالعالم من غرائب. لو أننا، مثلما قالت الأرملة الثرية، لسنا سوى ناقلات للجينات، فلماذا يضطر كثيرون منا إلى عيش هذه الأنماط الغريبة من الحياة؟ ألا يمكن لغاية جيناتنا - وهي نقل الحامض النووي - أن تتحقق أيضاً إن عشنا حياة بسيطة، لا ننشغل فيها بكثير من الأفكار الإضافية، وكرسنا جهدنا كله للحفاظ على الحياة والتناسل؟ هل يفيد الجينات على أيّ نحو أن نعيش مثل تلك الحياة شديدة التعقيد، بل والغريبة أيضاً؟

رجل يجد متعته في اغتصاب الفتيات اللائي لم يحضن، وحارس شخصي قوي البنية ومثليّ الجنس، وأناسٌ يؤثرون الموت على الخضوع لعملية نقل دم، وامرأة تنتحر بجرعة زائدة من الحبوب

المنومة وهي حامل بطفل عمره ستة أشهر، وامرأة تقتل الرجال من مثيري المتاعب عبر غرز إبرة في مؤخر أعناقهم، ورجال يبغضون النساء، ونساء يبغضن الرجال: كيف لوجود هؤلاء الأشخاص في العالم أن يفيد الجينات؟ هل الجينات تستمتع بمثل هذه المشاهد المشوهة وترى فيها تسلية مبهجة، أو لعلها تستخدم هذه المشاهد لغايات أكبر؟

لم تكن أَوْمَامِه تعرف جواباً لتلك الأسئلة. كل ما تعرفه هو أن أوان اختيار أي حياة أخرى لنفسها قد فات. **كل ما بوسعي هو أن أعيش الحياة التي أتيحت لي. لا أستطيع أن أقايضها بحياة جديدة. فمهما بدت غريبة وممسوخة، فهذه هي حياة حاملة الجين التي هي أنا.**

قالت أَوْمَامِه في نفسها وهي تمضي، **آمل أن تكون الأرملة وتسوباسا سعيدتين. لو أنه يمكنهما حقاً أن تصبحا سعيدتين، فلا مانع لديّ أن أضحي بنفسي لإسعادهما. فربما أنا نفسي ليس لي مستقبل يمكنني الحديث عنه. ولكني لا أستطيع حقاً أن أصدق أن الاثنتين سوف تعيشان حياة هادئة ومؤمّنة - أو حتى حياة عادية. إن حياة ثلاثتنا متماثلة تقريباً. فكلّ منا قد احتملت عبئاً لا يطاق خلال حياتها. ومثلما قالت الأرملة الثرية، إننا أسرة واحدة - ولكنها أسرة ممتدة ومنخرطة في معركة لا نهائية، وتُوحدنا جراح غائرة نفذت إلى قلوبنا، وكل منا تعاني غياباً ما.**

وخلال انسياقها مع هذه الأفكار، استشعرت أَوْمَامِه اشتهاء مستحكماً لجسد رجل. **لماذا، من بين كل الأشياء، أجدني أشتهي رجلاً في مثل هذا الوقت؟** هزّت رأسها فيما هي تسير عبر الطريق، لا تستطيع أن تقرِّر ما إن كانت هذه الزيادة في الرغبة الجنسية قد نتجت

عن توتر نفسي أو أنها صرخة طبيعية للبويضات المكنونة داخلها أو أنها لا تعدو كونها نتاجاً للدسائس الملتوية التي تقوم بها جيناتها. بدا أن رغبتها مدفوعة بجذور موغلة في العمق - أو مثلما تقول أيومي، «إنني أحبّ الجنس المحموم». **تساءلت أَوْمَامِه: ماذا ينبغي لي أن أفعل الآن؟ أستطيع الذهاب إلى إحدى الحانات التي اعتدتُ التردُّد عليها والبحث عن النمط المناسب من الرجال. فلا تفصلني سوى محطة واحدة بقطار الأنفاق عن روبونجي.** ولكن التعب كان قد بلغ منها كل مبلغ. ثم إنها لم تكن جاهزة للإغراء: لا تضع زينة، ولا تنتعل سوى حذاء رياضي وتحمل حقيبة رياضية من المطاط. **لماذا لا أذهب إلى المنزل، وأفتح زجاجة من النبيذ الأحمر، وأمارس العادة السرية، ثم أخلد إلى النوم؟ ذلك هو الصواب. وليتني أتوقف عن التفكير في القمر.**

لمحة واحدة كانت كافية لأَوْمَامِه كي تدرك أن الرجل الجالس قبالتها على متن القطار القادم من هيرو إلى جيوجاوكا هو النمط المفضل لديها - في منتصف الأربعينيات ووجهه بيضوي وخطّ شعره في انحسار. وشكل رأسه مقبول. وبشرته مفعمة بالحيوية. والنظارة العصرية الرفيعة ذات الإطار الأسود. والهندام الحسن: معطف رياضي خفيف مصنوع من القطن، وقميص «بولو» أبيض، وحقيبة جلدية فوق حجره، وحذاء بني اللون. توحي هيئته أنه موظف يتقاضى راتباً ثابتاً، ولكنه لا يعمل في شركة متزمّتة فيما يخص الزي. لعله محرِّر في شركة نشر أو مهندس معماري في شركة صغيرة، أو يعمل في مجال ذي صلة بالملابس. كان مستغرقاً بشدة في كتاب حجب عنوانه غلاف أبيض خاص بمتجر الكتب الذي ابتاعه منه.

خطر ببال أَوْمَامِه أن تصحبه إلى مكان ما وتمارس معه جنساً مثيراً. تخيلت نفسها تلمس قضيبه المنتصب. كانت ترغب بشدة في اعتصاره حتى يوشك الدم المتدفق فيه أن يتوقف. أما يدها الأخرى فسوف تدلك بلطف خصيتيه. بدأت يداها الموضوعتان في حجرها ترتعش. بسطت أصابعها وقبضتها مرة أخرى لا إرادياً. كان كتفاها يرتفعان ويهبطان مع كل نفس من أنفاسها. ببطء راحت تمرِّر طرف لسانها على شفتيه.

ولكن القطار كان يقترب سريعاً من محطة نزولها. كان عليها أن تنزل في جيوجاوكا. لم تكن تدري في أيّ محطة سينزل الرجل، ولم تكن تدرك أنه أصبح موضع خيالاتها الجنسية. ظلّ جالساً هناك منهمكاً في قراءة كتابه، وبدا جلياً أنه لا يعبأ بالمرأة الجالسة قبالته. عندما نزلت أَوْمَامِه من القطار، انتابتها رغبة في تمزيق كتابه اللعين صفحة صفحة، ولكنها بالطبع كبحت جماح نفسها.

كانت أَوْمَامِه في سريرها تغطّ في النوم في الواحدة صباحاً، عندما تراءى لها حلم جنسي محموم. في حلمها كان نهداها كبيرين وجميلين، مثل ثمرتي جريب فروت. أما حلمتاها فكانتا صلبتين ونافرتين. ضغطت بهما على النصف الأسفل من الرجل. ملابسها ملقاة عند قدميها. كانت أَوْمَامِه تنام بساقيها مفتوحتين. وفيما هي نائمة، لم يكن بوسعها أن تعرف إن كان القمران يتدليان من السماء جنباً إلى جنب. أحدهما هو القمر ذو الحجم الكبير الذي اعتادت رؤيته، فيما الآخر هو قمر جديد وصغير.

كانت تسوباسا والأرملة نائمتين أيضاً، في غرفة تسوباسا. كانت

تسوباسا ترتدي بيجامة مُربَّعة وتنام في وضعية الجنين. أما الأرملة الثرية فكانت وهي لا تزال بملابس الخروج ممددة على كرسي طويل، فيما وضعت بطانية فوق ركبتيها. كانت تعتزم المغادرة بعدما تذهب تسوباسا في النوم، ولكن النوم باغتها هناك. لوقوعها بعيداً عن الشارع وفوق قمة التلال، كان الصمت يخيم على الشقة، وعمَّ السكون الطابق الأرضي لولا الزعيق البعيد الذي ينبعث بين حين وآخر من الدراجات البخارية وهي تزيد من سرعتها أو من آلات التنبيه الخاصة بعربات الإسعاف. كانت أنثى الجرمن شبرد نائمة هي الأخرى، وقد تكورت على نفسها أمام الباب الأمامي. أُسدلت الستائر على النافذة، ولكنها كانت تشع بياضاً في ضوء مصباح بخار الزئبق. أخذت الغيوم تتباعد فتظهر فيما بينها فجوات يطل قمران من خلالها من حين إلى آخر. وكانت محيطات العالم تضبط درجات المدّ والجزر الخاص بهما.

كانت تسوباسا تضع خدها على الوسادة، فيما تفتح فمها قليلاً. أنفاسها خافتة ولا تكاد تُسمع، وعدا الارتعاشات البسيطة التي تعتري أحد كتفيها بين حين وآخر، لم تكن تتحرك إلا قليلاً. وفوق عينيها تدلت خصلات شعرها.

سرعان ما أخذت تفتح فمها بدرجة أوسع، فخرجت منه مجموعة صغيرة من الناس الصغار، واحداً تلو آخر. كان كلّ واحد منهم يستطلع الغرفة قبل الخروج. لو استفاقت الأرملة الثرية في تلك اللحظة، لربما رأتهم، ولكنها ظلت تغط في نومها. ولن تستفيق قريباً. كان الناس الصغار يعرفون ذلك. كان يوجد خمسة منهم معاً. عندما ظهروا أول الأمر، كانوا في حجم خنصر تسوباسا، ولكن حالما يصبحون في الخارج تماماً، فإن شكلهم يتحور وكأنه شيء ينبسط،

فيتمددون حتى يبلغ طول الواحد منهم قدماً كاملة. وهم جميعاً يرتدون ثياباً متماثلة ولا يتميزون فيما بينهم بأي سمات، مما يجعل من المستحيل تمييز أي منهم عن الآخر.

هبطوا من فوق السرير إلى الأرض، ثم سحبوا جسماً من أسفل السرير بحجم فطيرة لحم صينية. ثم تحلقوا حول ذلك الجسم وراحوا يعملون عليه بجهد محموم. كان جسماً أبيض اللون وشديد اللدونة. بدأوا يمدون أذرعهم وبحركات متمرسة ينتزعون خيوطاً بيضاء وشفافة من الهواء، ثم يضعونها فوق ذلك الجسم الأبيض المنفوش، مما جعله يكبر شيئاً فشيئاً. بدت الخيوط ذات طبيعة لزجة ملائمة. ولم ينقض وقت طويل حتى كَبُر الناس الصغار وبلغ طولهم زهاء قدمين. كان بوسعهم أن يغيروا طولهم كيفما يشاءون.

أعقبت ذلك ساعات من العمل والتركيز، لم يتفوه خلالها الناس الصغار بكلمة على الإطلاق. اتَّسم عملهم الجماعي بالصرامة والإتقان. وفي غضون ذلك، ظلت تسوباسا والأرملة تغطان في النوم بلا حراك، فيما استمتعت النساء الأخريات في دار الإيواء بنوم أعمق ممّا اعتدن عليه. أما أنثى الجرمن شبرد التي كانت تنام باسطة ذراعيها في الحديقة، لعلها كانت تحلم، فقد كانت تئن أنيناً خفيفاً ينبعث من أعماقها.

وفوق كل شيء، كان القمران يدوران معاً كي يغمرا العالم بضوء غريب.

الفصل العشرون

تنغو
الجيلياك التعساء

لم يستطع تنغو النوم. فقد كانت فوكا-إري في سريره، وترتدي بيجامته، وتغطّ في نوم عميق. هيأ تنغو بعض التجهيزات البسيطة كي ينام على الأريكة (لم يكن ذلك بالعبء الثقيل، فقد اعتاد النوم عليها كثيراً وقت القيلولة)، ولكنه لم يشعر بأدنى رغبة في النوم عندما وضع رأسه، فراح يكتب روايته الطويلة على طاولة المطبخ. كان برنامج معالج الكلمات في غرفة النوم؛ ولذلك فقد استخدم قلماً جافاً وكُرّاسة. لم يكن ذلك أيضاً بالعبء الثقيل. لا شك أن معالج الكلمات أكثر ملاءمة لسرعة الكتابة وتوفير الورق، ولكنه يحب أن يخط بيده الأحرف على الورق.

كان تنغو نادراً ما يكتب ليلاً. فهو يجد متعة في العمل عندما يكون ضوء النهار في الخارج والناس يمشون من حوله. وإذا حدث أحياناً وكتب ليلاً حيث يسود الصمت ويلف الظلام كل شيء، فإن الأسلوب الذي ينتجه يصبح أثقل قليلاً، ويجد نفسه مضطراً لإعادة صياغة الفقرة برمتها خلال النهار. وكي يتجنَّب تلك المتاعب، كان يؤثِر الكتابة نهاراً من البداية.

لكن تنغو وجد عقله، لأول مرة منذ زمن، يعمل بسلاسة وهو يكتب ليلاً ويستخدم قلماً جافاً وورقة. فقد أخذ خياله يتمطى فيما تدفَّقت القصة بانسيابية. باتت أفكاره ترتبط طبيعياً فيما بينها، كل فكرة بالتي تليها دون أي انقطاع تقريباً، فيما كان سنّ القلم يُحدث صريراً متواصلاً على الورقة البيضاء. وكلما أصاب التعب يده، وضع القلم وراح يحرك أصابع يده اليمنى في الهواء، وكأنه عازف بيانو يعزف على مفاتيح في الهواء. كانت عقارب الساعة تقترب من الواحدة والنصف. سمع بضع أصوات غريبة آتية من الخارج، كا لو أن ضوضاء إضافية تمتصّها الغيوم التي تغطي سماء المدينة وكأنها طبقة كثيفة من القطن.

التقط قلمه ثانية وراح يخط كلماته على الورقة عندما تذكر فجأة: غداً هو موعد قدوم صديقته التي تكبره سناً إلى شقته. وهي دائماً ما تأتي في حوالي الحادية عشرة صباحاً أيام الجمعة. سيكون عليه التخلص من فوكا-إري قبل ذلك. الحمد لله أنها ليست متعطِّرة ولم تستعمل كولونيا! فصديقته حتماً سوف تلاحظ ذلك فوراً في حال علقت بالسرير رائحة أي امرأة أخرى. كان تنغو يدرك كم هي دقيقة الملاحظة وغيورة. وهي وإن لم تجد غضاضة في ممارسة الجنس مع زوجها من حين إلى آخر، فإنها تستشيط غضباً إذا ما خرج تنغو مع امرأة أخرى.

شرحت له ذات يوم ذلك بقولها: «الجنس في بيت الزوجية شيء آخر. والمحاسبة عليه تتم عبر حساب منفصل».

«حساب منفصل؟».

«وتحت عنوان منفصل تماماً».

«هل تقصدين أنك تستخدمين جزءاً مغايراً من مشاعرك؟».

«هذا صحيح. حتى وإن كنت أستخدم جوارحي ذاتها، فإنني أميِّز بين المشاعر التي أستخدمها. ولذلك لا أبالي حقاً به. أمتلك القدرة على عمل ذلك كوني امرأة ناضجة. ولكنكِ لست مخولاً النوم مع فتيات أخريات».

قال تنغو: «لكني لا أفعل ذلك!».

«حتى إن كنت لا تمارس الجنس مع فتاة أخرى، فسوف أشعر بالإهانة لو أصبح ذلك مجرّد احتمال».

سألها تنغو وقد اعتراه الذهول: «لو أصبح ذلك مجرد احتمال؟».

«أنت لا تفهم مشاعر المرأة، أليس كذلك؟ وتدَّعي أنك روائي!».

«ربما يكون في ذلك إجحاف كبير لي».

قالت له: «ربما فيه إجحاف. ولكني سوف أعوضك عن ذلك». وكانت تُعوِّضه فعلاً.

كان تنغو راضياً عن تلك العلاقة مع صديقته التي تكبره سناً. لم تكن صاحبة جمال، على الأقل حسب المقاييس العامة للجمال، بل بالعكس كانت قسمات وجهها غير مألوفة نوعاً ما، وربما يرى البعض فيها دَمامة. ولكن تنغو كان قد أحبَّ ملامحها من البداية. أما في اللقاءات الجنسية، فلا غبار عليها. فطلباتُها ضئيلة: وهي أن يلتقيها مرة في الأسبوع تمتدّ ثلاث ساعات أو أربع، كي يمارسا الجنس بوعي مرتين، إن أمكن - وأن ينأى عن أيّ نساء أخريات. ذلك هو كلّ ما كانت تطلبه منه. كان للبيت والأسرة أهمية بالغة لديها، ولم يكن لديها أي نية لهدمهما من أجل تنغو. وهي ببساطة لم تكن تحظى

بحياة جنسية مُرضية مع زوجها. أما مع تنغو، فثمة تناغم تام بين اهتماماتهما.

لم يكن تنغو يشعر باشتهاء خاص نحو أي نساء أخريات. فأهم ما يحتاجه منهن جميعاً أن يُتِحْن له وقت فراغ غير متقطع. فإذا استطاع ممارسة الجنس بصفة منتظمة، فليس لديه ما يطلبه فوق ذلك. وكان لا يرحب بالمسؤولية المحتومة التي تنبثق عن مواعدة امرأة في مثل سِنه، والوقوع في غرامها، وما يستتبعه ذلك من علاقة جنسية. فالمراحل النفسية التي يتعين على المرء المرور بها، ووجود احتمالات مختلفة، والصدام الحتمي للتطلعات، هي الأعباء التي كان تنغو يأمل في إشباع رغباته دون تحملها.

كان تنغو دائماً ما يجبن إزاء فكرة المسؤولية. فقد عاش حياته حتى هذه النقطة وهو يتفادى ببراعة أي موقف ينطوي على مسؤولية، وهو في سبيل ذلك مستعدٌّ لتحمُّل معظم أشكال الحرمان.

وفي سبيل التهرب من المسؤولية، تعلّم تنغو منذ بدايات حياته كيف يتوارى عن الأنظار. فكان يبذل جهداً حثيثاً لطمس وجوده عبر إظهاره لأقلّ القليل من قدراته في العلن، واحتفاظه بآرائه لنفسه، واجتناب المواقف التي تضعه في بؤرة الاهتمام. أصبح لزاماً عليه أن يوفر لنفسه لقمة عيشه، دون الاعتماد على الآخرين، منذ كان طفلاً. ولكن الأطفال لا يملكون سلطة حقيقية. ولذلك عندما تهب رياح عاتية، كان يلجأ إلى مأوى يحتمي فيه ويمسك بأي شيء يعصمه من الرياح. وكان لزاماً عليه أن يبقي مثل تلك الأدوات في باله طول الوقت، مثلما هم الأيتام في روايات ديكنز.

لكن ورغم أنه يمكن القول إن الأمور ظلت تسير على ما يرام لدى تنغو حتى الآن، فقد بدأت تظهر العديد من الشقوق في نسيج

حياته الهادئة منذ أن وضع يده على مخطوطة فوكا-إري 'الشرنقة الهوائية'. أولاً، لقد أُستدرج شخصياً وأصبح جزءاً من مخطط كوماتسو الخطير. ثانياً، الفتاة الجميلة مؤلفة الكتاب زعزعت قلبه من زوايا غريبة. وبدا أن تجربة إعادة صياغة 'الشرنقة الهوائية' قد بدَّلت شيئاً ما بداخله. وأصبح تنغو الآن يجدُ دافعاً قوياً لكتابة روايته الخاصة. وهو، بطبيعة الحال، تغيرٌ للأحسن. ولكن يجوز القول أيضاً إن نمط حياته الأنيق والراضي قد بات على المحك.

على أية حال، كان الغد هو الجمعة. سوف تأتيه صديقته. وعليه التخلص من فوكا-إري قبل ذلك.

استفاقت فوكا-إري بُعيد الثانية فجراً. فتحت باب غرفة النوم وهي لا تزال مرتدية بيجامته قاصدة المطبخ. شربت كوب ماء كبير، وفركت عينيها ثم جلست إلى طاولة المطبخ قبالة تنغو.

سألته فوكا-إري بأسلوبها المعتاد الخالي من علامات الاستفهام: «هل عَطَّلتُك».

قال تنغو: «قليلاً، لكن لا يهم».

«ماذا تكتب».

طوى تنغو الكراسة ووضع قلمه الجاف.

وقال: «لا شيء ذات قيمة. كنت أوشك أن أتوقف على أية حال».

سألته: «هل تمانع إن سهرتُ معك بعض الوقت».

«لا أبداً. سوف أحتسي قليلاً من النبيذ. هل ترغبين في بعض الشراب؟».

هزت الفتاة رأسها: «أرغب في البقاء خارج الفراش لبعض الوقت».

«حسناً. ليس لي رغبة في النوم أيضاً».

بدت بيجامة تنغو فضفاضة على فوكا-إري. ولذلك شمرت أكمامها. وكلما مالت بجسمها إلى الأمام، كشف طوق البيجامة بعضاً من نهديها النافرين. كانت رؤيته فوكا-إري ترتدي بيجامته قد جعلته يواجه صعوبة مستغربة في التنفس. فتح الثلاجة وصب بعض النبيذ المتبقي في آخر الزجاجة في كوب.

سألها تنغو: «هل أنت جائعة؟» كانا قد تناولا وهما في طريق عودتهما إلى شقته بعض السباغتي في مطعم صغير بالقرب من محطة كوينجي. لم تكن مقادير الطعام كبيرة، وقد انقضت على ذلك عدة ساعات. «يمكنني أن أُعد لك ساندويش أو شيئاً خفيفاً آخر إن رغبت».

«لستُ جائعة. أفضل أن تقرأ لي ما كتبت».

«تقصدين ما كنت أكتبه الآن لتوي؟».

«نعم».

التقط تنغو قلمه وأداره بين أصابعه. بدا القلم صغيراً على نحو يثير السخرية وهو في يده الكبيرة: «لكن لدي عادة أتقيد بها وهي ألا أُري الناس نصوصي قبل الانتهاء منها ومراجعتها. لا أودّ أن تُنحس كتابتي».

«تُنحس».

«إنها كلمة تعني 'تستجلب الحظ السيئ'. أصبح ذلك شبه قاعدة لدي».

نظرت فوكا-إري إلى تنغو لعدة لحظات. ثم ضمت ياقة البيجامة: «إذاً اقرأ لي كتاباً».

«أيساعدك على النوم أن يقرأ لك أحدٌ ما كتاباً؟».

«أجل».

«أظن أن البروفيسور إيبسونو قد قرأ لك كتباً كثيرة».

«لأنه يسهر الليل كله».

«هل قرأ لك 'قصة الهايكو'؟».

هزت فوكا-إري رأسها: «كنت أستمع إليها عبر شريط كاسيت».

«وهكذا استطعت حفظها! لا بد أنه كان شريطاً طويلاً للغاية».

استخدمت فوكا-إري يديها الاثنتين كي تُلمح له بكومة من شرائط الكاسيت: «طويلاً للغاية».

«ما هو الجزء الذي قمتِ بتسميعه في المؤتمر الصحفي؟».

«هروب الجنرال يوشيتسونه من العاصمة».

«ذلك هو الجزء الذي يعقب هزيمة الهايكو حيث يفر الجنرال المنتصر يوشيتسونه المنتمي إلى عائلة الجنجي من كيوتو، يتبعه شقيقه يوريتومو. خرجت عائلة الجنجي منتصرة من حربها ضد الهايكو، ولكن العائلة تبدأ بعدئذٍ في الحرب فيما بينها».

«صحيح».

«ما هي الفقرات الأخرى التي بوسعك تسميعها؟».

«أخبرني ماذا تريد أن تسمع».

حاول تنغو استحضار بعض المشاهد من 'قصة الهايكو'. إنه كتاب طويل، ويحوي عدداً كبيراً للغاية من القصص. ودون تفكير كثير، قال تنغو: «معركة دان-نو-ورا».

احتاجت فوكا-إري زهاء عشرين ثانية كي تستجمع أفكارها في صمت. ثم راحت تنشد جزءاً من المعركة البحرية الأخيرة بنصها الأصلي:

صعد محاربو الجنجي إلى متن سفن الهايكو فوجدوا
البحّارة والممسكين بالدفة قد اخترقتهم السهام أو قطّعتهم السيوف،
وجدوا جثثهم ملقاة في الماء الراكد، ولا أحد بقي للقيادة.
وعلى متن قارب صغير، اقترب مستشار توموموري
من السفينة إمبريال وقال:
«وهكذا يبدو أنها وصلت إلى ذلك.
ألقى كل شيء قبيح في المحيط».
ركض من مقدمة السفينة إلى مؤخرتها، وهو يمسح ويكشط،
يجمع القمامة، وينظف كل شيء بيديه.
سألت النساء المنتظرات: «كيف تسير المعركة، أيها المستشار؟».
أجاب بضحكات ساخرة: «قريباً سوف تشاهدون هؤلاء الرجال الرائعين، رجال الشرق».
صرخت النساء: «كيف تجرؤ على السخرية في مثل هذا الوقت؟».

عندما لاحظن هذه الحالة، شرعت راهبة من الرتبة الثانية
في تنفيذ الخطة
التي كانت قد استقرت عليها قبل وقت طويل
تغطي نفسها بثوبين لونهما رمادي داكن،
رفعت عالياً طرف تنورتها المشقوقة الحريرية اللامعة،
وأدخلت خيط العقد الإمبراطوري أسفل أحد ذراعيها
وطعنت السيف الإمبراطوري أسفل وشاحها،
وحملت الطفل الإمبراطور بين ذراعيها.
«رغم أني مجرد امرأة، فإني لن أقع أبداً في أيدي العدو.
سوف أذهب حيث يذهب صاحب الجلالة.

ويا كل النساء اللائي قلوبهن معه،
اتبعننا دون إبطاء». وبعد قولها ذلك،
قفزت إلى الحافة العليا للسفينة.

كان جلالته قد بلغ الثامنة في تلك السنة،
لكنه كان يبدو أكبر من عمره بكثير
كانت ملامحه الوسيمة تشع ألقاً إمبراطورياً،
وشعره الأسود اللامع ينسدل على ظهره حتى خصره.
مرتبكاً بسبب كل هذا الهرج والمرج، سأل
«جدتي، إلى أين تأخذيني؟».
استدارت نحو العاهل الصغير البريء،
وقالت وهي تقاوم الدموع
«ألم تعرف بعد ماذا يجري؟».
لأنكَ اتبعت الوصايا العشر في حياتك السابقة،
فقد ولدت لتجد نفسك إلَهاً يقود
عشرة آلاف محارب على مركبات حربية،
ولكن الآن، استدرجكَ عمل شرير،
وقد أرهق حظك السعيد نفسه،
استدِرْ الآن أولاً نحو الشرق،
وألقِ وداعك على الضريح الأعظم في مدينة إيسه.
ثم استدر نحو الغرب وادعُ المخلص العظيم بوذا
أن يرشد جيوش ملائكته إلى الأرض الطاهرة في الغرب
فهذا البلد لا يساوي مثقالاً من الدُخن،
وأرض لا تعرف القلوب فيها إلا الأحزان

ولذلك، سآخذك الآن إلى أرض طاهرة ورائعة اسمها «الجنة».
طفرت من عينيها الدموع وهي تتحدث إليه.
كان جلالته يرتدي ثوباً رمادياً مخضباً باللون الزيتوني،
وكان شعره مجدولاً على كلا جانبي رأسه،
والدموع تنساب من عينيه،
أولاً، ولىَّ وجهه نحو الشرق،
وألقى تحية الوداع على الضريح الأعظم لمدينة إيسه.
ثم استدار نحو الغرب، وعندما دعا المخلص العظيم بوذا،
ضمته الراهبة ذات الرتبة الثانية إلى صدرها،
وراحت تواسيه بالكلمات،
«ثمة عاصمة أخرى أسفل الموج»،
لقد غاصت تحت سطح البحر حتى عشرة آلاف قامة.

شعر تنغو وهو يستمع إليها تتلو القصة فيما هو مغمض العينين، وكأنه يسمعها تُحكى بالطريقة التقليدية، حيث كان ينشدها كاهن أعمى خلال عزفه على العود، وتذكر مجدداً أن قصة الهايكو هي قصيدة روائية تناقلتها الأجيال عبر الروايات الشفهية. كان أسلوب فوكا-إري المعهود في الكلام شديد الرتابة، ويفتقر تقريباً لأي نبرة أو تنغيم، ولكن حالما بدأت سرد القصة، أصبح صوتها بغتة قوياً وثرياً ومبهجاً، كما لو أن شيئاً قد تلبَّسها. فقد صورت المعركة البحرية العظيمة التي جرت في عام 1185 وسط الأمواج المتلاطمة بين هونشو وكيوشو على نحو مفعم بالحيوية. كان فريق الهايكو محكوماً عليه بالهزيمة، فيما ألقت زوجة كيوموري توكيكو، وهي «الراهبة ذات الرتبة الثانية» نفسها وسط الأمواج وهي تحمل الحفيد، الطفل الإمبراطور أنتوكو،

بين ذراعيها. وتبعتها رفيقاتها من السيدات بعد أن آثرن الموت على الوقوع في أيدي محاربي الشرق الغلاظ. وبينما كان يخفي حزنه، حث توموموري ساخراً السيدات على أن يقتلن أنفسهن، قائلاً: **لن يتبقَّ لكنّ سوى الجحيم الحي إذا ما بقيتن أحياء. الأحرى بكن أن تقتلن أنفسكن الآن وهنا.**

سألته فوكا-إري: «هل تودّ مني متابعة ذلك».

أجابها تنغو وقد أذهلته: «لا، ذلك يكفي. أشكرك». أدرك الآن كيف كان حال هؤلاء الصحفيين الذين انعقدت ألسنتهم. «كيف استطعتِ أن تحفظي كل تلك الفقرة الطويلة؟».

«أستمع إلى الشريط المرة تلو المرة».

«لكن الشخص العادي حتى ولو استمع إلى الشريط المرة تلو المرة، فلن يستطيع حفظه مع ذلك».

وخطر في بال تنغو فجأة بأن قدرتها على حفظ ما تسمعه ربما تكون قد تطورت تطوراً استثنائياً، بما يوازي عجزها عن قراءة كتاب، تماماً مثلما يستطيع بعض الأطفال المصابين بمتلازمة العبقرية استيعاب واستحضار كميات هائلة من المعلومات البصرية في جزء من الثانية.

قالت فوكا-إري: «أودّ منك أن تقرأ لي كتاباً».

«ما نوع الكتاب الذي تفضلينه؟».

سألت فوكا-إري: «هل لديك ذاك الكتاب الذي كنت تتحدث عنه مع البروفيسور. الكتاب الذي يتحدث عن الأخ الكبير».

«1984؟ لا، ليس لدي ذلك الكتاب».

«عن أي شيء يحكي».

حاول تنغو أن يتذكر الحكاية: «لقد قرأته مرة واحدة منذ زمن في مكتبة المدرسة، ولذلك لا أتذكر التفاصيل جيداً. لقد نشر في

عام 1949، عندما كان عام 1984 لا يزال زمناً بعيداً في رحم المستقبل».

«ذلك هو العام الذي نحن فيه».

«نعم، بالمصادفة. في لحظة ما يصبح المستقبل حاضراً. ثم سرعان ما يصبح ماضياً. في روايته، صوَّر جورج أورويل المستقبل في شكل مجتمع ظلامي تهيمن عليه سلطة استبدادية. فالشعب يخضع لسيطرة صارمة من الحاكم المستبد الذي يدعو نفسه الأخ الكبير. ويوجد حظر على المعلومات فيما يخضع التاريخ دائماً لإعادة الكتابة. أما البطل فيعمل في إدارة حكومية وظيفته فيها هي إعادة كتابة الكلمات. عندما يتم كتابة تاريخ جديد، يتم إعادة صياغة الكلمات، ومن ثم تتغير معاني الكلمات الحالية. وفي ظلّ تاريخ تُعاد كتابته المرة تلو المرة، لا يتسنى لأحد أن يعرف قطّ الحقّ من الباطل. إذ يعجز الناس عن معرفة مَن هو العدو ومَن الحليف. وهكذا تمضي الحكاية».

«إنهم يعيدون كتابة التاريخ».

«إنّ سلب الناس تاريخهم الحقيقي هو بمنزلة سلبهم بعضاً من ذواتهم. إنها جريمة».

فكرت فوكا-إري في ذلك هنيهة.

تابع تنغو: «ذاكرتنا تتشّكل من ذكرياتنا الفردية وذكرياتنا الجماعية. وثمة ارتباط وثيق بين الاثنتين. والتاريخ هو جماع ذاكرتنا الجماعية. وإذا سُلبت منا ذاكرتنا الجماعية - عبر إعادة كتابتها - فإننا نفقد القدرة على الحفاظ على ذواتنا».

«لكنك أنت أيضاً تُعيد كتابة المواد».

ضحك تنغو واحتسى رشفة من النبيذ: «كل ما فعلته هو أنني

حسَّنتُ قصتك، بفضل ما أمتلكه من خبرة. وهذا يغاير تماماً إعادة كتابة التاريخ».

سألته: «ولكن كتاب الأخ الكبير ليس موجوداً الآن».

«للأسف، لا. ولذلك لا أستطيع قراءته لك».

«لا مانع إن قرأت لي غيره».

توجه تنغو صوب خزانة كتبه واستعرض كعوب كتبه. كان قد قرأ كتباً كثيرة على مدى سنوات، ولكن ليس بحوزته إلا القليل منها. إذ كان يكره ملء البيت بالكثير من المقتنيات. وحالما ينتهي من كتاب، ما لم يكن موضوعه ذو خصوصية شديدة لديه، يأخذه إلى أحد متاجر الكتب التي تشتري الكتب المستعملة. ولم يكن يشتري سوى الكتب التي يعرف أنه سيقرؤها في الحال، ويقرأ تلك التي تهمه قراءة متمعنة حتى تترسخ في ذهنه. وإذا احتاج كتباً أخرى، فإنه يستعيرها من مكتبة الحي.

استغرق اختيار كتاب يقرأه لفوكا-إري وقتاً طويلاً من تنغو. لم يَعتد القراءة بصوتٍ عال، ولم يكن من سبيل لديه لمعرفة أي الكتب سيكون الأنسب لذلك. وبعد تردد طويل، سحب رواية أنطون تشيخوف **جزيرة سخالين**، التي كان قد انتهى من قراءتها في الأسبوع السابق. كان قد وضع بطاقات ورقية عند الفقرات الأكثر تشويقاً، وظنّ أن ذلك سوف يُسهل عليه اختيار الفقرات الأنسب للقراءة.

استهل تنغو قراءته بشرح مختصر للكتاب - وهو أن تشيخوف كان في الثلاثين من عمره عندما سافر إلى جزيرة سخالين في عام 1890؛ وأن أحداً لم يعرف حقيقةً ما الذي دفع تشيخوف الأنيق، الذي أُمتدح باعتباره واحداً من الكتاب الشبان الواعدين في جيله بعد تولستوي ودوستويفسكي، والذي عاش حياة منفتحة على العالم في

موسكو، للذهاب بعيداً والعيش على جزيرة سخالين التي كانت بمثابة نهاية الأرض. تأسست سخالين في الأصل باعتبارها مستعمرة عقابية، وأصبحت ترمز لدى معظم الناس للحظ العاثر والبؤس. وفوق ذلك، لم يكن خط قطار عبر سيبيريا قد أنشئ بعد، ممّا يعني أن تشيخوف اضطر لأن يقطع ما يربو على 2500 ميل من رحلته على متن عربة يجرها حصان عبر طرق متجمدة، وهو عمل كان ينطوي على تضحية بالذات ويُعرِّض شاباً معتل الصحة إلى معاناة لا تطاق. وأخيراً، عندما أتم رحلته التي استغرقت ثمانية شهور إلى الشرق الأقصى ونشر كتابه **سخالين** كثمرة لتعبه، فإن العمل لم يزِدْ معظم القراء إلا حيرة، فقد رأوه أشبه ما يكون بتقرير استقصائي جاف أو معجم جغرافي وليس عملاً أدبياً. تهامس الناس فيما بينهم، «لماذا ألَّف تشيخوف مثل هذا الشيء غير الهادف الذي يعتبر مضيعة للوقت في هذه المرحلة الدقيقة من مشواره الأدبي؟» وأجاب أحد النقاد ساخراً، «إنه لا يعدو أن يكون حركة دعائية»، فيما رأى آخرون أن تشيخوف قد ذهب إلى هناك بحثاً عن موضوع جديد بعد نفاد مخزونه الإبداعي. أرشد تنغو فوكا-إري إلى موقع سخالين على خريطة يضمّها الكتاب بين صفحاته.

سألت فوكا-إري: «لماذا ذهب تشيخوف إلى سخالين».

«تقصدين، لماذا ذهب حسب رأيي؟».

«نعم. هل قرأت الكتاب».

«بالتأكيد قرأته».

«وما رأيك».

قال تنغو: «لعلّ تشيخوف نفسه لم يكن يدرك تماماً السبب وراء سفره إلى هناك. أو لعله لم يكن يمتلك سبباً حقيقياً لعمل ذلك. لقد انتابته فجأة الرغبة في السفر إليها - فمثلاً، ربما وقعت عيناه على

جزيرة سخالين على الخريطة، فانبثقت لديه من حيث لا يدري الرغبة في الذهاب إلى هناك. أنا نفسي عاينت تلك التجربة: أنظر إلى خريطة ما ثم أحدد مكاناً ما عليها وأقول في نفسي «لا بد لي من الذهاب إلى هذا المكان، مهما كانت الظروف». وفي معظم الأحيان، ولسبب من الأسباب، يتصادف أن المكان نائياً ويصعب بلوغه. أعتقد أن هذه رغبة جارفة لمعرفة الطبيعة التي يتميز بها المكان، أو لمعرفة ما الذي يزاوله الناس هناك. الأمر أشبه بالحصبة - لا يمكنك أن تُري الآخرين من أين تأتيك الآلام بالضبط. إنها مسألة فضول في أنقى معانيها. وإلهام يستعصي على التفسير. بالطبع فإن السفر من موسكو إلى سخالين في تلك الأيام كان عملاً تكتنفه صعاب لا طاقة لأحد بها تقريباً، وهذا هو ما يجعلني أحسب أن ذلك لم يكن السبب الوحيد وراء ذهاب تشيخوف إلى هناك».

«اذكر سبباً آخر».

«حسناً، لقد كان تشيخوف روائياً وطبيباً. ويجوز أنه كعالم أراد أن يعاين بنفسه منطقة يتفشى فيها المرض داخل الأراضي الروسية الشاسعة. كان تشيخوف يشعر بعدم الارتياح في حياته كنجم أدبي يسطع في المدينة. وضاق ذرعاً بالأوساط الأدبية، كما ثبَّط عزمَه تَصنُّع الكتاب الآخرين، الذين تركز همهم في النكاية بعضهم ببعض. وشعر بالتقزز من النقاد الحاقدين في تلك الأيام. وربما جاءت رحلته إلى سخالين بمثابة حجّ قصد منه أن يُطهِّر نفسه من تلك الأدران الأدبية. لقد داهمته جزيرة سخالين من عدة نواحٍ. وأظن أن ذلك تحديداً هو السبب في كون تشيخوف لم يستوحِ عملاً أدبياً واحداً من رحلته إلى سخالين. لم يكن ذلك النوع من التجارب غير الناضجة ليتحول بسهولة إلى مادة روائية. لقد أصبح الجزء الذي تفشى فيه

المرض من البلاد، إذا جاز القول، جزءاً من جسده، وربما كان ذلك هو عين ما يبحث عنه».

سألت فوكا-إري: «هل هو كتاب مشوّق».

«لقد وجدت الكتاب مشوّقاً. إنه متخم بالأرقام والإحصائيات الجافة، ومثلما أسلفت، لا يحمل صبغة أدبية واضحة. وفي الكتاب يظهر الجانب العلمي لدى تشيخوف كأوضح ما يكون. وتلك السمة في الكتاب هي ما تجعلني أستشعر نبل القرار الذي اتخذه أنطون تشيخوف الإنسان. وتمتزج بالسجلات الجافة أمثلة مثيرة للدهشة فيما يخصّ رصد الشخصيات ووصف المناظر الطبيعية. ولا يعني ذلك أن ثمة ما يعيب الفقرات الجافة التي ترصد الحقائق. فبعضها جاء في غاية الروعة. ومثال ذلك، تلك الأقسام التي أفردها للحديث عن الجيلياك».

قالت فوكا-إري: «الجيلياك».

«الجيلياك هم السكان الأصليون الذين عاشوا في سخالين قبل زمن طويل من قدوم الروس لاستيطانها. كانوا يعيشون في الأصل في الطرف الجنوبي من الجزيرة، ولكنهم انتقلوا إلى الوسط عندما أجلاهم الأينو، الذين انتقلوا إلى الشمال قادمين من هوكايدو. بالطبع، فإن الأينو أنفسهم قد تم دفعهم جهة الشمال من قبل اليابانيين. لقد سعى تشيخوف جاهداً أن يرصد من كثب ويسجل بأكبر قدر ممكن من الدقة ثقافة الجيلياك التي كانت آخذة في الاندثار».

فتح تنغو الكتاب على فقرة حول الجيلياك. وكان أحياناً يغفل بعض السطور ويدخل بعض التغييرات على النص كي يجعل فهمه ميسوراً على مستمعته.

يتسم الفرد من الجيلياك بقوة جسمه ومتانة بنيانه وقامته متوسطة الطول، وإن مالت إلى القِصر. فطول القامة سوف يعوق حركته داخل الغابة الروسية. وأما عظامه فهي كثيفة ويتميز بقوة الأطراف ومنبت العضلات، مما يكون لديه عضلات متينة وقوية وينبئ عن معركة شاقة ودائمة مع الطبيعة. وهو ذو جسم نحيل وقوي، ولا يحمل أي قدر من الدهون؛ فلا تقابل بين الجيلياك أشخاصاً ذوي أجسام بدينة أو ممتلئة. ولا شك أن كلّ الدهون تُستنفد في توليد الإحساس بالدفء، الذي يتعين على أجسام القاطنين في سخالين أن تنتج منه قدراً كبيراً لتعويض الفقدان الذي تتسبب فيه درجات الحرارة المنخفضة ورطوبة الهواء الزائدة. وجليّ أن هذا هو السبب الذي يجعل الواحد من الجيلياك يستهلك كل تلك الكمية من الدهون في طعامه. إنه يأكل الفقمة الدسمة والسلمون وسمك الحفش ودهن الحوت واللحوم والدم، وجميعها بكميات كبيرة، وهي في حالة نيئة وجافة ومجمدة، ولأنه يأكل طعاماً صلباً ونيئاً، فقد تطورت المناطق التي ترتبط بها عضلات المضغ بشكل استثنائي، كما أن أسنانه تبدو متآكلة بشكلٍ كبير. ويتألف طعامه حصراً من منتجات حيوانية، ونادراً، وذلك عندما يتصادف أنه يتناول عشاءه في البيت أو يأكل طعاماً في حفل ما، نادراً ما يضيف إلى طعامه ثوم منشوريا أو صنوبرها. وبحسب شهادة نيفلسكوي، فإن الجيلياك يَعتبرون حراثة الأرض خطيئة كبرى؛ وأن أيّ أحد يبدأ في حفر الأرض أو يزرع أي شيء سوف يموت حتماً. ولكنهم مع ذلك يأكلون الخبز، الذي

تعرَّفوا إليه عبر الروس، بتلذُّذ باعتباره مقبلات، ولم يعد نادراً في هذه الأيام في منطقتي ألكسنادروفوسك أو رايكوفو أن تقابل شخصاً من الجيلياك يتأبط رغيفاً دائرياً.

توقف تنغو عن القراءة عند تلك النقطة من أجل استراحة قصيرة. كانت فوكا-إري تصغي إليه بانتباه، ولكنه لم يستطع أن يقرأ أي انفعال من تلك التي علت ملامحها.

سألها: «ما رأيك؟ هل تريدين مني متابعة القراءة؟ أو تريدين التحول إلى كتاب آخر؟».

«أريد معرفة المزيد عن الجيلياك».

«حسناً، سوف أتابع القراءة إذاً».

سألت فوكا-إري: «هل بوسعي الاستماع إليك وأنا في الفراش».

قال تنغو: «بكل تأكيد».

انتقلا إلى غرفة النوم. تقدَّمت فوكا-إري نحو السرير، فيما جلب تنغو كرسياً ووضعه بجوار السرير وجلس فيه. ثم تابع قراءته:

لا يستحمّ الجيلياك مطلقاً، حتى إنه ليصعُب على اختصاصيّ الأعراق الثقافية أن يجدوا اسماً للّون الحقيقي لوجوههم؛ وهم لا يغسلون شراشف أَسرَّتهم، أما ملابس الفرو التي يرتدونها فتبدو وكأنها قد نزعت لتوها من كلب ميت. وتنبعث من الجيلياك رائحة حمضية نفاذة، وبوسعك أن تعرف أنك قد اقتربت من أماكن سكناهم من الرائحة الكريهة، التي لا يمكن احتمالها أحياناً، للسمك المجفف وأحشاء السمك المتعفنة. وبجوار كل بيت من بيوتهم توجد

عادة قطعة أرض للتجفيف تمتلئ عن آخرها بقطع الأسماك، التي تبدو من بعيد، لا سيما عندما تسطع الشمس عليها، مثل خيوط من المرجان. وقد رأى كروتسنشترن حول هذه الأراضي عدداً هائلاً من يرقات الذباب التي تغطي الأرض بعمق بوصة.

«كروتسنشترن».

«أظنه مستكشفاً سابقاً. كان تشيخوف مجتهداً للغاية. لقد قرأ كلّ ما كتب حول سخالين».

«هلاّ واصلت القراءة».

في الشتاء تعجّ البيوت الريفية بدخان نتن الرائحة ينبعث من أماكن التدفئة المفتوحة، وفوق ذلك فإن الجيلياك، وزوجاتهم، بل وحتى أطفالهم يدخنون التبغ. لا يعُرف شيءٌ عن معدلات المرض والوفيات بين الجيلياك، ولكن لا بدّ للمرء أن يستخلص أن هذه الأوضاع الصحية الضارة سوف تفضي حتماً إلى تأثيرات ضارة في صحتهم. وربما يكون ذلك هو السبب وراء قِصر قامتهم، وانتفاخ وجوههم، والخمول والكسل الذي يسمُ حركتهم.

قالت فوكا-إري: «يا لبؤسكم أيها الجيلياك!».

ويقدم الكُتَّاب روايات متباينة عن شخصية الجيلياك، ولكنهم يتفقون على شيء واحد - وهو أنهم ليسوا قوماً مولعين بالحروب، ولا يحبّون الشجار أو المشاحنات، ويتعايشون في سلام مع جيرانهم. ودائماً ما يتعاملون مع

وصول الأشخاص الجدد بريبة وقلق على مستقبلهم، ولكنهم يُظهرون لهم الودّ في كل مرة يلتقونهم، دون أن يُبدوا لهم أيّ قدر من الاعتراض على وجودهم، وأسوأ ما يمكنهم فعله هو اللجوء للكذب على الأشخاص الجدد لدى وصولهم، وذلك بأن يرسموا لهم صورة منفرة لسخالين، ظناً أن ذلك سوف يُنفِّر الأجانب من البقاء على الجزيرة. لقد احتضنوا رفقاء كروتسننشترن الرحالة، وعندما أصيب شرينك بالمرض انتشر الخبر سريعاً بين الجيلياك وأثار بينهم حزناً حقيقياً. وهم لا يلجأون إلى الكذب إلا في التجارة أو عند حديثهم مع شخص يثير شكوكهم ويرون فيه خطراً عليهم، ولكنهم قبل أن يكذبوا، يتبادلون النظرات بطريقة طفولية للغاية. وهم يعتبرون كلّ ألوان الكذب والمباهاة في نطاق الحياة اليومية وليس في نطاق العمل عملاً بغيضاً.

قالت فوكا-إري: «يا لروعتكم أيها الجيلياك!».

ويوفي الجيلياك بما يقطعونه على أنفسهم من عهود، ولم يحدث مطلقاً أن ترك أحد الجيلياك بريداً في منتصف الطريق أو اختلس شيئاً تعود ملكيته إلى الغير. فهم أناس مفعمون بالحيوية وأذكياء ومبتهجون ولا يشعرون بأي تحفظ أو قلق حتى وإن كانوا رفقة أغنياء أو أقوياء. وهم لا يعترفون بأنّ لأيٍّ أحد أيّاً كان سلطاناً عليهم، بل ويبدو، أنه لا يوجد لديهم مفهوم «الأعلى» و«الأدنى» في تراتبية الدرجات. ويقول الناس ويكتبون أن الجيلياك لا يُبدون احتراماً حتى للتراتبية داخل الأسرة أيضاً. فالأب لا يعتقد

أنه أرفع درجة من ابنه، والابن لا يوقر أبيه ولكنه يعيش كيفما يشاء تماماً؛ والأم العجوز لا تحظى داخل البيت الريفي بسلطة أوسع ممّا لدى فتاة في سن المراهقة. ويكتب بوشنياك أنه تصادف معه غير مرة أن يرى ابناً يضرب أمه ويطردها، دون أن يجرؤ أحد على التفوه بكلمة معه. ويتساوى أفراد الأسرة من الذكور فيما بينهم؛ فإذا دعوتهم لبعض الفودكا فعليك أن تقدم الشراب لأصغرهم أيضاً. أما أفراد الأسرة من الإناث فيتساوين جميعهن في حرمانهن من حقوقهن؛ سواء أكانت الأنثى جَدة أو أماً أو طفلة رضيعة، فجميعهن يعاملن معاملة سيئة وكأنهن حيوانات منزلية، ويعاملن مثل أمتعة يمكن رميها والتخلص منها، سواء بالبيع أو بالركل بالقدم مثل كلب. وإن كان الجيلياك على الأقل يداعبون كلابهم، لكن ذلك مع نسائهم مُحال. أما الزواج فيُنظر إليه باعتباره شيئاً محض تافه وأهميته لا تعدل، مثلاً، حفل شراب، ولا يحاط بأي نوع من الطقوس الدينية أو الخرافية. ويقايض الجيلياك رمحاً أو قارباً أو كلباً بفتاة، فيعود بها إلى بيته ويضاجعها على جلد دب - وذلك هو كلّ ما يريده منها. ورغم أن تعدّد الزوجات مسموح به، فإنه لم ينتشر على نطاق واسع بعد، وإن كانت جميع الشواهد تقول إن النساء يفقن الرجال عدداً. ولأنّ ازدراء المرأة، كما لو أنها مخلوق أدنى درجة أو جماد، يصل حداً بالغ السوء لدى الجيلياك، فإن الواحد منهم، عندما يتعلق الأمر بحقوق المرأة، لا يعتبر العبودية بمعناها الحرفي والخام في حقها أمراً مستهجناً. وهم يرون المرأة باعتبارها شيئاً يُتَّجر فيه مثل

التبغ أو أنسجة النانكين. وينتمي الكاتب السويدي سترينبرغ، وهو كاره النساء الشهير، الذي كان يرغب أن تصبح النساء جميعهن إماء في خدمة نزوات الرجال، ينتمي في جوهره إلى العقلية نفسها التي تنبثق عنها تصرفات الجيلياك؛ ولو أن الظروف قد قادته للمجيء إلى شمال سخالين، لكانوا قد مضوا وقتاً طويلاً في عناق بعضهم بعضاً.

استراح تنغو عند تلك النقطة، ولكن فوكا-إري ظلت صامتة، ولم تعبِّر عن رأيها فيما قرأ. تابع تنغو قراءته.

ولا يوجد لديهم محاكم، ولا يعرفون معنى كلمة «عدالة». ويمكن تصوّر مدى الصعوبة التي يواجهونها في فهمنا إذا عرفنا أنهم وحتى يومنا هذا لا يزالون غير مدركين تماماً للغاية من وجود الطرق. وحتى عندما يوجد أمامهم طريق معبّد بالفعل، فإنهم يظلون يخترقون الغابة. وغالباً ما يراهم المرء رفقة أسرهم وكلابهم يمشون طابوراً واحداً عبر المستنقعات بمحاذاة الطرق مباشرة.

كانت فوكا-إري قد أغمضت عينيها وراحت تتنفس أنفاساً هادئة جداً. أمعن تنغو النظر في وجهها هنيهة دون أن يستطيع الجزم بما إن كانت قد نامت أو لا. قرَّر أن يقلب الصفحة ويواصل القراءة. إذا كانت قد أخلدت إلى النوم، فإنه يريد أن يمنحها نوماً عميقاً قدر الإمكان، فضلاً عن أنه شعر هو الآخر برغبة في قراءة المزيد من كتابات تشيخوف بصوت عال.

كان مكتب بريد نايبوتشي يقع سابقاً عند مصب النهر.

تأسس في عام 1866. وجد ميتسول ثماني عشرة بناية هنا، بعضها كان أماكن سُكنى وبعضها غير سكني، بالإضافة إلى كنيسة صغيرة ومتجر لتوزيع الحصص التموينية. وقد كتب أحد المراسلين الذين زاروا نايبوتشي في عام 1871 أن هناك عشرين جندياً تحت قيادة ضابط متدرب؛ وفي إحدى تلك الغرف الصغيرة قُدِّم له بيض طازج وخبز أسمر من قبل جندية طويلة القامة وجميلة، اعتادت امتداح حياتها على الجزيرة ولم تشتكِ إلا من الغلاء الشديد في سعر السكر.

والآنِ لم يعد ثمة أثر لتلك الغرف الصغيرة، وعندما تُحدق حولك في البرية الموحشة، تبدو لك الجندية طويلة القامة ذات الجمال أشبه بالأسطورة. إنهم يشيدون منزلاً جديداً هنا، لمكاتب الأجانب أو ربما كمركز للطقس، وهذا هو كل شيء. البحر الهادر بارد ويبدو عديم اللون، والموجات الطويلة الرمادية تضرب رمال الشواطئ بقوة، كما لو أنها تتمنى أن تقول لها في يأس: «يا الله، لماذا خلقتنا؟» ذلك هو المحيط العظيم، أو كما يُعرف باسمه الآخر، الهادئ. وعلى شاطئ نهر نايبوتشي هذا يمكن سماع المُدانون وهم يَضرِبون بفؤوسهم في أعمال البناء، فيما تقع على الشاطئ الآخر، البعيد للغاية، والمُتخيَّل أميركا... وإلى اليسار يمكن رؤية أطراف سخالين عبر الضباب، وإلى اليمين توجد أطراف أخرى... ورغم أنه لا يوجد هناك أي مخلوق حي، ولا طائر ولا حتى ذبابة، ولا يمكن فهم لأجل مَن تهدر الأمواج، ومَن يستمع إليها خلال الليل هنا، وماذا تريد، وأخيراً، إلى مَن سوف تهدر عندما أغادر. وهناك على

الشاطئ لا تداهم المرء أفكاراً متصلة ومنطقية، وإنما تأملات وأحلام يقظة. إنه إحساس غريب، لكنك وفي الوقت ذاته تنتابك الرغبة في أن تظلّ واقفاً إلى الأبد تنظر إلى الحركة الرتيبة للأمواج والاستماع إلى هديرها المتوعد.

بدا أن فوكا-إري تغطّ في نوم عميق الآن. أصغى إلى أنفاسها الهادئة. طوى الكتاب ووضعه على الطاولة الصغيرة الموضوعة إلى جوار السرير. بعدئذٍ نهض وأطفأ الأنوار، وهو يلقي نظرة أخيرة على فوكا-إري. كانت تنام نوماً هادئاً على ظهرها، فيما زمَّت فمها تماماً. أوصد تنغو باب غرفة النوم وعاد إلى المطبخ.

تعذّرت عليه معاودة الكتابة. فقد انشغل ذهنه الآن كلياً بالمشاهد الساحلية المقفرة في سخالين التي تحدَّث عنها تشيخوف. كان بوسعه أن يسمع صوت الأمواج. عندما أغمض تنغو عينيه، كان يقف وحيداً على شاطئ بحر أوكهوتسك، سجيناً لتأملاته، مشاطراً تشيخوف كمده الشديد. لا بدّ أن تشيخوف وهو هناك عند نهاية الأرض قد تلبَّسه شعور طاغٍ بالعجز. ولا بد أنّ كون المرء كاتباً روسياً في نهاية القرن التاسع عشر كان يعني أنه إزاء مصير مرير لا مناص منه. وكلما حاولوا الفرار من روسيا، ابتلعتهم روسيا أكثر وأكثر.

بعد غسله كوب الشراب وتنظيف أسنانه بالفرشاة، أطفأ تنغو أنوار المطبخ، وتمدد على الأريكة، وقد سحب فوقه غطاء محاولاً أن يخلد إلى النوم. كان هدير البحر لا يزال يتردَّد صداه في أذنيه، ولكنه في نهاية المطاف فقد الوعي وغط في نوم عميق.

استفاق في الثامنة والنصف صباحاً. لا أثر لفوكا-إري في

سريره. ووجد البيجامة التي أعارها إياها مُكورة وملقاة في غسالة الملابس في الحمام، وما زال الكُمَّان والرِجلان مشمرين إلى أعلى. وجد رسالة قصيرة على طاولة المطبخ: «كيف حال الجيلياك الآن؟ أنا عائدة إلى البيت». كُتبت الرسالة بقلم جاف على ورق لتدوين الملاحظات، وكانت الأحرف صغيرة ومربعة وتبدو غريبة، وكانت تشبه منظراً جوياً لأحرف نقشت على شاطئ باستخدام أصداف بحرية. طوى الورقة ووضعها في جارور مكتبه. لو أن صديقته عثرت على شيء من هذا القبيل عندما تصل في الحادية عشرة، فسوف تقيم الدنيا ولا تقعدها.

رتب تنغو السرير وأعاد ثمار رحلة شقاء تشيخوف إلى خزانة الكتب. ثم بعد ذلك أعدّ لنفسه قهوة وخبزاً مقدّداً. وبينما كان يتناول الإفطار، لاحظ أنّ ثمة جسماً ثقيلاً قد استقرّ في صدره. انقضى بعض الوقت قبل أن يتبين ما هو. إنه وجه فوكا-إري الهادئ خلال نومها.

هل وقعتُ في حبها؟ لا، مستحيل، قال تنغو لنفسه. كل ما هنالك هو أن ثمة شيئاً داخلها قد زعزع أركان قلبي. إذا كان ذلك، فلماذا إذن أنا منشغل بالبيجامة التي كانت تضعها على جسدها؟ لماذا قمت (دون وعي تقريباً) بالتقاطها وتَشمّمتها؟

داهمته أسئلة كثيرة للغاية. لعله تشيخوف هو صاحب مقولة إنّ الروائي ليس ذاك الشخص الذي يجيب عن التساؤلات وإنما الذي يطرحها. إنها مقولة خالدة، ولكن تشيخوف لم يطبقها على أعماله وحسب وإنما على حياته أيضاً. فحياته تثير تساؤلات كثيرة ولا تجيب عن أيٍّ منها. ورغم أنه كان يعرف تماماً أنه يعاني مرضاً عضالاً في الرئة (وكيف له ألّا يعرف وهو طبيب)، فقد حاول جاهداً أن يغضّ الطَّرْف عن تلك الحقيقة، وأبى أن يصدق أنه يُحتضر حتى أضحى

بالفعل على فراش الموت. مات وهو في ريعان الشباب، فيما كان يسعل دماً ويتألم.

غادر تنغو طاولة المطبخ، وهو يهز رأسه. صديقتي قادمة اليوم. يجب عليّ الآن غسل الملابس وتنظيف المكان. بوسعي إرجاء التفكير لوقت لاحق.

الفصل الواحد والعشرون

أَوْمَامِه
مهما حاولتُ الذهابَ بعيداً

توجهت أَوْمَامِه إلى مكتبة الحي، وبعد الإجراءات نفسها التي سلكتها من قبل، فتحت النسخة المجمعة من الصحيفة فوق مكتب. ذهبت إلى هناك كي تقرأ مرة ثانية عن الاشتباك المسلح الذي دار بين الجماعة المتطرفة وقوات الشرطة في محافظة ياماناشي خلال الخريف قبل سنوات ثلاث. يقع مقر ساكي جاكِه، الجماعة الدينية التي أتت على ذكرها الأرملة الثرية، في جبال ياماناشي، وقد دار الاشتباك المسلح أيضاً في جِبال ياماناشي. ربما كانت مصادفة محضة، ولكن أَوْمَامِه لم تكن مستعدة للقبول بذلك. لعلّ هناك صلة ما بين الاثنتين. بدا لها أن عبارة «تلك الحادثة الخطيرة» التي استخدمتها الأرملة الثرية توحي بأن ثمة صلة.

لقد حدث تبادل إطلاق النار قبل ثلاث سنوات، في عام 1981 (أو، وفقاً لافتراض أَوْمَامِه، ثلاث سنوات قبل عام 1Q84)، في 19 أكتوبر. أصبح لدى أَوْمَامِه بعد قراءتها للتقارير الإخبارية في زيارتها السابقة إلى المكتبة، معرفة تفصيلية معقولة بالوقائع. وقد مكَّنها ذلك من التصفح السريع لهذه المواد والتركيز بدلاً عن ذلك على المقالات

والتحليلات اللاحقة ذات الصلة التي استعرضت الحادثة من زوايا مختلفة.

في الاشتباك الأول، لقي ثلاثة ضباط مصرعهم فيما أصيب اثنان إصابات بالغة بعدما تعرضوا لإطلاق نار من بنادق كلاشنكوف آلية صينية الصنع. بعد ذلك، فرَّت المجموعة المتطرفة إلى الجبال ومعهم أسلحتهم فيما شنت قوات الشرطة عملية كبيرة لملاحقتهم. وجرى أيضاً إنزال مظليين تابعين لقوات الدفاع الذاتي عالية التسليح في المكان عبر مروحية. وقد قتل أيضاً ثلاثة عناصر من المتطرفين بعد مقاومتهم للهجوم، فيما أصيب اثنان إصابات خطيرة (وقد لفظ أحد هؤلاء أنفاسه الأخيرة في المستشفى بعد ثلاثة أيام، فيما لم يحدِّد التقرير مصير الثاني بوضوح)، وأُلقي القبض على أربعة آخرين إما لم يصبهم أذى أو تعرضوا لإصابات طفيفة. ونظراً إلى أنهم كانوا يرتدون صدريات واقية من الرصاص، لم يتعرض أفراد قوات الشرطة أو قوات الدفاع الذاتي لأي إصابات أخرى، فيما عدا رجل شرطة واحد تعرَّض لكسر في الساق عندما وقع من فوق تلٍّ وهو يلاحق المتطرفين. ولم يتبقَّ سوى عنصر واحد من المتطرفين الذي ظلّ مكانه مجهولاً. ويبدو أنه تمكن من الاختباء رغم جهود البحث المكثفة.

مع تلاشي وقع الصدمة الأولى للاشتباك المسلح، بدأت الصحف تنشر تقارير مفصلة حول جذور هذه الجماعة المتطرفة، التي نُظر إليها باعتبارها جزءاً من تداعيات الانتفاضات الطلابية الجامعية التي اندلعت في عام 1970 تقريباً. فأكثر من نصف أعضاء الجماعة كانوا عناصر فاعلة في الاستيلاء على قاعة ياسودا في جامعة طوكيو أو في الاعتصام الذي نُظم في جامعة نيهون. فعقب انهيار «مقاومتهم» أمام شرطة مكافحة الشغب، طُرد هؤلاء الطلاب (وبعض أعضاء هيئة

التدريس في الكليات) من جامعاتهم أو خاب رجاؤهم في العمل السياسي المدني داخل حرم الجامعات. وقد تجاوزوا اختلافاتهم الحزبية وأسسوا مزرعة تعاونية في محافظة ياماناشي. في البدء شاركوا في الكومونة الزراعية المعروفة باسم «تاكاشيما أكاديمي» ولكنهم لم يشعروا بالرضا إزاء الحياة هناك. فأعادوا تنظيم أنفسهم، واستقلوا، ثم اشتروا قرية مهجورة وسط الجبال بسعر بخسٍ، وبدأوا مزاولة الزراعة هناك. واجهوا صعوبات جمة في أول الأمر، ولكنهم نجحوا في نهاية المطاف في بيع الخضروات عبر الطلبات البريدية عندما بلغ الإقبال على المنتجات الزراعية العضوية أَوجَه في المدن. كبُرت مزرعتهم. كانوا في الأصل أشخاصاً جادين ومثابرين أَحسَن زعيمهم تنظيمهم. وأصبح اسم الكومونة ساكي جاكِه.

عبست أَوْمَامِه عبوساً شديداً، وابتلعت ريقها بصعوبة. أطلقت زفرة ألم من أعماقها وبدأت تنقر فوق سطح المكتب بقلمها الجاف.

تابعت القراءة. قرأت تقارير صحفية أشارت إلى وقوع انقسام حادّ في صفوف ساكي جاكِه بين فصيل معتدل رفض خيار الثورة المسلحة في اليابان المعاصرة، وبين فصيل متطرف أسس في نهاية الأمر كومونة قريبة وأسماها «أكيبونو». وعَرفتْ أن الحكومة قد منحتهم صفة مجموعة دينية في عام 1979.

بعد أن انتقلت الجماعة المتطرفة إلى موقعها الخاص، خضع أفرادها لتدريبات عسكرية سرية رغم استمرارهم في مزاولة الزراعة، ممّا تسبب في نشوب نزاعات عديدة مع أصحاب المزارع المجاورة. ومن بين تلك النزاعات كان نزاع على حقّ المياه في نهر صغير يتدفق عبر أراضي أكيبونو. كان النهر مورد مياه مشتركة للمزارع المنتشرة في

المنطقة، ولكن أكيبونو منعت السكان المجاورين من الوصول إليها. تواصل النزاع على مدى سنوات، حتى جاء يوم انهال أعضاء كُثر من أكيبونو بالضرب المبرح على أحد هؤلاء السكان بعدما اشتكى من السلك الشائك الذي يحيطون به أرضهم. وقد استخرجت شرطة محافظة ياماناشي إذناً بالتفتيش وتوجهت قوة خاصة منها إلى أكيبونو لاستجواب المشتبه فيهم، ليجد أفرادها أنهم وُرِّطوا في تبادل لإطلاق النار لم يكن في الحسبان البتة.

بعد أن كادت أكيبونو تُمحى بسبب تبادل إطلاق النار الكثيف في الجبال، سارع تنظيم ساكي جاكِه الديني بإصدار بيان رسمي. وقد تلى البيان شاب وسيم يرتدي بزة أنيقة، وكان المتحدث باسم التنظيم أمام وسائل الإعلام خلال مؤتمر صحفي. هدف البيان كان واضحاً لا لبس فيه. أيّاً ما كانت العلاقة التي جمعتهما في الماضي، فإن ساكي جاكِه وأكيبونو الآن لا تربطهما أي صلة على الإطلاق. وأنه بعدما افترقت السبل بالجماعتين، انقطع أي اتصال بينهما عدا ما يخص شؤوناً تشغيلية بعينها. كانت الجماعتان قد انفصلتا ودياً بعدما خلصتا إلى أنه لم يعد باستطاعة ساكي جاكِه باعتبارها مجتمعاً مكرَّساً للزراعة واحترام القانون ويتطلع إلى حياة روحانية يسودها السلام، العمل مع أعضاء أكيبونو الذين تبنوا أيديولوجية ثورية متشددة. بعد ذلك، أضحت ساكي جاكِه تنظيماً دينياً وتمّ الاعتراف بها قانونياً باعتبارها شخصية دينية اعتبارية. إنّ مجرد وقوع هذه الحادثة التي أريقت فيها الدماء كان مؤسفاً حقاً، وقد عبرت ساكي جاكِه عن بالغ تعاطفها مع أسر الضباط الذين أزهقت أرواحهم وهم يؤدون الواجب، ولكن ساكي لم تكن متورطة فيها بأي حال، لكن مع ذلك فإنّ الحقيقة المفروغ منها هي أن ساكي جاكِه هو التنظيم الذي خرجت من رحمه

أكيبونو. ومن ثم، إذا رأت السلطات أنه من الضروري إجراء تحقيق بشأن هذه الحادثة، فقد أعرب ساكي جاكِه عن كامل استعداده للانصياع وذلك تفادياً لأيّ سوء فهم غير مبرر.

بعد بضعة أيام، وكما لو أنه جاء رداً على بيان ساكي جاكِه دخلت قوات الشرطة ياماناشي ومعها إذن تفتيش. أمضوا هناك يوماً كاملاً فتشوا خلاله كلّ شبر في أراضي ساكي جاكِه الواسعة وفحصوا بعناية بناياتها من الداخل وملفاتها. واستجوبوا أيضاً العديد من القياديين في التنظيم. فقد اشتبه رجال الشرطة في أن الاتصالات بين الجماعتين ظلت على حالها المعهود وأن ساكي جاكِه كانت ضالعة في الخفاء في الأنشطة التي تدار في أكيبونو. لكنهم لم يعثروا على دليل يؤيد وجهة النظر هذه. وكانت تنتشر عبر المسارات المخترقة للغابة الجميلة التي تساقطت أوراق أشجارها أكواخٌ خشبية يمارس فيها الكثير من أعضاء التنظيم وهم يرتدون مسوحاً دينية التقشف والزهد الديني، ولا شيء أكثر. وعلى مقربة من هؤلاء كان هناك أتباع آخرون ينكبون على أعمال الزراعة. وكان بحوزتهم مجموعة منوعة من الأدوات الزراعية والآلات الزراعية الثقيلة. لم تعثر الشرطة على أي أثر لأسلحة أو أي شيء يوحي بممارسة العنف. كان كل شيء نظيفاً ومرتباً. توجد قاعة طعام صغيرة وجيدة ومكان للسكن ومركز طبي بسيط (ولكنه مجهز بما يكفي). أما المكتبة التي تتألف من طابقين فكانت عامرة بالكتب والنصوص البوذية المقدّسة، فيما كان العديد من الخبراء يعكفون على دراساتهم وترجماتهم. وعموماً، كان المكان لا يشبه مؤسسة دينية بقدر ما يشبه حرم كلية خاصة صغيرة. وغادرت قوة الشرطة محبطة، بعدما فشلت في العثور على شيء ذي قيمة تقريباً.

وبعد بضعة أيام، رحبت الجماعة بمراسلي التلفزيون والصحف،

الذين رأوا تقريباً المشاهد ذاتها التي رأتها قوة الشرطة. لم يتمّ اصطحابهم في جولات محددة سلفاً، كما يُتوقع ربما، وإنما سُمح لهم بحرية التجوال في المرافق دون أن يصحبهم أحد، وسُمح لهم بالتحدث إلى أيّ شخص يريدون الكلام إليه، وأن يكتبوا تقاريرهم كيفما شاءوا. وكان القيد الوحيد الذي اتفق عليه هو أن وسائل الإعلام سوف تستخدم صور الفيديو والصور الفوتوغرافية المعتمدة من قبل الجماعة فقط وذلك صوناً لخصوصية الأعضاء. وقد أجاب العديد من القياديين في التنظيم وكانوا يرتدون مسوحاً دينية، عن أسئلة الصحفيين في قاعة اجتماعات كبيرة، وتحدثوا عن جذور نشأة التنظيم ومبادئه وإدارته. جاءت طريقة كلامهم لبقة ولكنها مباشرة، وتحاشوا خلالها أيّ ميول للدعاية التي ترتبط غالباً بالجماعات الدينية. بدوا أشبه بموظفين كبار في وكالة دعاية، ومتحدثين بارعين، وليسوا قادة دينيين. ولم يميزهم سوى المسوح التي لبسوها.

وأوضحوا قائلين، نحن لا ندين بأي عقيدة ثابتة أو واضحة. ونُجري أبحاثاً نظرية حول البوذية المبكرة ونمارس حياة الزهد التي كانت تُمارَس في تلك الآونة، بغية تحقيق صحوة دينية أكثر مرونة. إننا لا نرى أن العقيدة تفضي إلى الصحوة وإنما نرى أن صحوات الأفراد لها الأولوية. وهذا هو المبدأ الأساسي لدينا. وبذلك المعنى، فإن بدايتنا تختلف كثيراً عن بدايات الأديان المعروفة.

والآن، وفيما يخص مصادر تمويلنا: فنحن مثل معظم التنظيمات الدينية الأخرى، نعتمد جزئياً على التبرعات التي يقدمها أتباعنا من تلقاء أنفسهم. ومع ذلك، فإن غايتنا النهائية هي أن نؤسس عبر مزاولة النشاط الزراعي نمط عيش أساسه التقشف والاكتفاء الذاتي، بدلاً من الاعتماد على التبرعات. ومن وجهة نظرنا، فإن 'القليل كثير': إننا

نهدف إلى تحقيق السلام الروحي عبر تطهير الجسد وضبط العقل. وقد راح الأشخاص الذين شعروا بخواء المادية التي يقوم عليها المجتمع التنافسي يطرقون أبوابنا بحثاً عن جوهر روحي مختلف وأعمق. والكثيرون منهم أساتذة تلقوا تعليماً راقياً ويحظون بمكانة اجتماعية. إننا لا نسعى لأن نكون أحد تلك الأديان 'الجديدة' التي تشبه الأغذية 'سريعة التجهيز' وتزعم أنها تعالج أسباب المعاناة الدنياوية للأشخاص وأن فيها الخلاص للناس كافة. إنّ إنقاذ الضعفاء هو من دون شك عمل مهم، ولكن ربما كان الأحرى أن يُنظر إلينا باعتبارنا نوعاً من «مدرسة عليا» توفر أماكن مناسبة ودعماً ملائماً للأشخاص الذين تتوفر لديهم دوافع قوية لإنقاذ أنفسهم.

وفي مرحلة ما نشبت خلافات كبيرة في الرأي بيننا وبين أهل كومونة أكيبونو حول السياسات الإدارية، وظللنا على خلاف معهم حيناً من الزمن، ولكن الحوار بيننا أفضى إلى توافق ودي في الآراء. وبعدئذٍ، انفصلنا وسلك كلانا مساراً مغايراً. طبَّقت أكيبونو مبادئها بطريقتها العقلية والصوفية المحضة، ولكنها جاءت مصحوبة بتلك النتائج الكارثية - التي هي حقاً مأساوية. والسبب الأبرز والأوحد وراء ذلك هو أنهم أصبحوا غلاة في عقيدتهم وانفصلوا عن المجتمع الحقيقي الحي. ومن وجهة نظرنا، أيضاً، فقد خرجنا من هذه الحادثة برسالة مفادها أن تنظيمنا يجب أن يُبقي نوافذه مُشرَّعة أمام العالم الخارجي حتى وإن كنا نأخذ أنفسنا بنظام انضباط صارم. إننا نؤمن أن العنف لا يحلّ مشكلة. ونأمل أن تدركوا أننا لا نفرض الدين على أي أحد. فنحن لا نُبشِّر ولا نهاجم الأديان الأخرى. كل ما نفعله هو أننا نوفر بيئة مجتمعية ملائمة وفعالة للأشخاص الذين يبحثون عن صحوة روحية.

غادر معظم الصحفيين بانطباع إيجابي عن التنظيم. كان جميع الأتباع، سواء كانوا رجالاً أو نساء، نحيفي القوام، وشباباً في معظمهم (وإن ظهر أيضاً كبار في السن أحياناً) وذوي عيون جميلة وصافية. كانوا يتسمون باللباقة في الكلام والسلوك. لا أحد منهم أظهر ميلاً للاستفاضة في الحديث عن ماضيه، ولكن بدا أنهم تلقوا في معظمهم تعليماً راقياً. قُدِّم للصحفيين غداء بسيط (يماثل إلى حدٍّ كبير الطعام الذي يتناوله الأتباع، على الأرجح) ولكنه طعام شهي، فمكوناته كلها جرى جنيُها وحصادها طازجة من أراضي التنظيم.

وبناء على ذلك، عرّفت وسائل الإعلام أكيبونو باعتباره نسلاً شاذاً كان على ساكي جاكِه التخلص منه. لقد تجاوز الزمن الأيديولوجية الثورية المرتكزة إلى الماركسية وأصبحت عديمة الجدوى في يابان الثمانينيات. فقد أصبح الشباب من ذوي الطموحات السياسية المتشددة في عام 1970 يعملون الآن لدى شركات كبرى، ويقفون في الصفوف الأمامية لمعركة شرسة في المجال الاقتصادي. أو إن كانوا غير ذلك، فقد نأوا بأنفسهم عن معركة المجتمع الحقيقي وصخبه، وأخذ كل منهم يبحث عن قيم شخصية في مكان منعزل. وعلى أية حال، فقد تغير الزمن، وأصبح العمل بالسياسة شيئاً من الماضي البعيد. وأصبحت ساكي جاكِه هي إحدى المسارات المأمولة لعالم جديد؛ أما أكيبونو فلم يعُد لها مستقبل.

وضعت أَوْمَامِه قلمها وأخذت نفساً عميقاً. تخيلت عيني تسوباسا، الخاليتين تماماً من كلّ تعبير أو عمق. هاتان العينان كانتا تنظران إلى أَوْمَامِه، ولكنهما في الوقت ذاته لا تبصران شيئاً. إنهما تفتقدان شيئاً مهماً.

قالت أَوْمَامِه في نفسها، الأمر ليس بسيطاً بالقدر الذي يبدو عليه. لا يمكن أن يكون سجل ساكي جاكِه نظيفاً إلى هذا الحدّ. لا بد أن له جانباً خفيّاً مظلماً. تقول الأرملة الثرية إن هذا الشخص «الزعيم» يغتصب الفتيات اللائي لم يبلغن سن المراهقة ويسمي ذلك طقساً دينياً. يبدو أن وسائل الإعلام لم تعرف شيئاً من ذلك. فالمراسلون لم يمضوا هناك سوى نصف يوم. وقُدم لهم غداءٌ أُعدّ من مكونات طازجة، وتلقوا شروحاً جميلة حول الصحوة الروحية، ولذلك عادوا إلى بيوتهم راضين. لم يلمحوا أي أثر لما كان يجري حقاً في الداخل.

توجهت أَوْمَامِه مباشرة من المكتبة إلى إحدى المقاهي، حيث طلبت فنجاناً من القهوة واستخدمت الهاتف للاتصال بأيومي في مكتبها، مستخدمة الرقم الذي أخبرتها أيومي أن بوسعها الاتصال به في أي وقت. رفع السماعة زميل لها وقال، أيومي في الخارج تقوم ببعض الدوريات ولكنها ستعود إلى الإدارة خلال ساعتين تقريباً. فقالت أَوْمَامِه دون أن تذكر اسمها: «سوف أهاتفها لاحقاً».

عندما عادت إلى شقتها طلبت الرقم مرة أخرى بعد مرور ساعتين. في هذه المرة ردّت أيومي على الهاتف بنفسها.

«مرحباً أيومي، كيف حالك؟».

«بخير، وأنت؟».

«ليست لدي مشكلة لا يمكن لرجل جيّد أن يحلها، وماذا عنك؟».

قالت أَوْمَامِه: «وأنا كذلك أيضاً».

قالت أيومي: «شيء لا يطاق. لا بد أن خللاً ما قد أصاب

العالم إذا كانت امرأتان مثلنا تشكوان من دوافع جنسية سليمة تماماً. يجب علينا أن نفعل شيئاً حيال ذلك».

«حقاً، ولكن . . هل يليق أن تتفوهي بمثل هذا الكلام وبصوت عالٍ هكذا؟ أنت في مكان عملك، أليس كذلك؟ أليس هناك أحد حولك؟».

«لا داعي للقلق. بوسعك التحدث معي في أي شيء».

«حسناً، لدي طلب وأود السؤال إن كان بوسعك أن تؤديه لي. لا أحد سواك أستطيع اللجوء إليه في ذلك».

قالت أيومي: «بلا شك. لا أدري إن كان بوسعي مساعدتك أو لا، ولكن لا بأس أن تُجربي».

«هل تعرفين جماعة دينية اسمها ساكي جاكِه؟ مقرّها في محافظة ياماناشي، في منطقة التلال».

«ساكي جاكِه؟ ممم». استغرقت أيومي عشر ثوانٍ وهي تفتش في ذاكرتها. «أظنني أعرفها. إنها نوع من المجتمعات الدينية، أليس كذلك؟ متطرفو أكيبونو الذين بدأوا تبادل إطلاق النار في ياماناشي كانوا ينتمون إليها. وقد لقي ثلاثة من رجال شرطة المحافظة مصرعهم خلال ذلك. كان أمراً يبعث على الخزي حقاً. ولكن ساكي جاكِه ليس لها علاقة بها. لقد جرى تفتيش مُجمعهم بعد الاشتباك المسلح وقد خرجوا منها لا تشوبهم شائبة. إذاً. . . ؟».

«أود أن أعرف ما إن كانت ساكي جاكِه قد تورطت في أي نوع من الحوادث عقب الاشتباك المسلح - سواء جنائية أو مدنية أو أي شيء. ولكني لا أدري كيف أستقصي مثل هذه الأشياء. لا أستطيع قراءة كل النسخ المجمعة للصحف، ولكني حسبت أنّ الشرطة ربما يكون لديها طريقة ما لاكتشاف ذلك».

«هذه مسألة سهلة، كل ما علينا هو أن نُجري بحثاً سريعاً على حاسوبنا - أو ليته كان بوسعي قول ذلك، ولكن يؤسفني أن الحواسيب ليست من النوع المتقدم كثيراً لدى قوات الشرطة في اليابان. وأظنها سوف تستغرق بضع سنوات أخرى حتى تبلغ تلك المرحلة. ولذلك، إذا أردت الآن تقصي شيئاً من هذا القبيل، فسيكون علي غالباً أن أطلب من شرطة ياماناشي أن ترسل لي نسخ المواد ذات الصلة عبر البريد. وكي أفعل ذلك يتعين عليّ ملء استمارة طلب مواد ثم الحصول على موافقة رئيسي عليها. وبالطبع سوف يتعين عليّ أن أقدِّم سبباً وجيهاً للطلب. ونحن إدارة حكومية على أية حال، ونتقاضى رواتبنا كي نُعقِّد الأمور بأكبر درجة ممكنة».

قالت أَوْمَامِه بتنهيدة: «أدرك ذلك. إذاً لنستبعد هذا الخيار».

«ولكن لماذا تودين معرفة شيء من هذا القبيل؟ هل لديك صديقة تورطت في قضية لها صلة بساكي جاكِه؟».

تلعثمت أَوْمَامِه هنيهة قبل أن تقرِّر إخبار أيومي بالحقيقة: «صديقة مقربة. جريمة اغتصاب. لا أستطيع الخوض في تفاصيل الآن، ولكن الأمر يتعلق باغتصاب فتيات صغيرات. لقد أُبلغت أنهم يقومون باغتصابهن هناك بشكل ممنهج تحت ستار الدين».

كانت أَوْمَامِه تشعر أن أيومي قد عقدت حاجبيها على الطرف الآخر من الهاتف. وقالت أيومي: «اغتصاب فتيات صغيرات، ماذا؟ لا يمكننا السماح بذلك».

قالت أَوْمَامِه: «بالطبع لا يمكننا».

«ماذا تقصدين بصغيرات؟».

«فتيات ربما في العاشرة أو حتى أصغر. فتيات لم يحِضْن بعد على الأقل».

صمتت أيومي هنيهة. ثم قالت بصوت رتيب: «أفهم ما تقصدين. سوف أجد طريقة. هل تمنحيني يومين أو ثلاثة؟».

«بلا شك، لكن أخبريني بما تتوصلين إليه».

أمضوا الدقائق القليلة التالية في الثرثرة في أمور أخرى حتى قالت أيومي: «حسناً، يتعين عليّ العودة إلى العمل».

بعد الانتهاء من المكالمة، جلست أَوْمَامِه في كرسي القراءة بجوار النافذة وراحت تحدق في يدها اليمنى هنيهة. أصابع طويلة ونحيفة وذات أظافر مُقلَّمة بشدة. كانت تُعنى بأظافرها ولكنها لا تصقلها. فيما كانت أَوْمَامِه تنظر في أظافرها، دهمها شعور عارم بمدى هشاشة وجودها وقصر الحياة. شيء مثل شكل أظافرها: لقد تقرر شكلها دون أخذ رأيها. **ثمة شخص آخر قرر ذلك، وكل ما بوسعي عمله هو أن أتقبلها، شئت ذلك أو أبيت. مَن يا تُرى قرَّر الشكل الذي تكون عليه أظافري؟**

كانت الأرملة الثرية قد أخبرتها مؤخراً، «والداك كانا ولا يزالان من الأتباع المتحمسين لجماعة الشهود». ما يعني أنهما على الأرجح ما زالا يكرِّسان حياتهما للعمل التبشيري حتى الآن. كان لأَوْمَامِه شقيق يكبرها بأربعة أعوام، وهو شاب طيِّع. وعندما عقدت أَوْمَامِه عزمها على مغادرة البيت، كان لا يزال يأتمر بأوامر والديه، ويلتزم بالإيمان. تُرى ماذا عساه يفعل الآن؟ ليس لأن أَوْمَامِه كانت ترغب حقاً في معرفة ماذا جرى لأسرتها. من وجهة نظرها، كانت تعتبر أسرتها مجرد فصل من فصول حياتها وقد انقضى. وأن عُرى العلاقة قد انفصمت.

جاهدت أَوْمَامِه طويلاً كي تنسى كل ما جرى لها قبل سن

العاشرة. **حياتي بدأت فعلاً عندما بلغت العاشرة. كل ما سبق ذلك لا يعدو أن يكون حلماً بائساً. لماذا لا ألقي بتلك الذكريات في مكان بعيد؟!** ولكن مهما حاولتْ، كانت تجد قلبها دائماً مشدوداً إلى ذلك العالم الرهيب. بدا لها أن جذور كل شيء تقريباً في حياتها تمتد في تلك التربة السوداء حيث تستمد منها تغذيتها. وقالت في نفسها، **مهما حاولتُ الذهاب بعيداً، أجدني دائماً أعود إلى هنا.**

قالت أَوْمَامِه في نفسها، **لا بد أن أرسل ذلك 'الزعيم' إلى العالم الآخر، من أجلي أنا أيضاً.**

عقب ثلاث ليالٍ، جاءها اتصال هاتفي من أيومي.

قالت لها: «استطعت بلوغ بعض الحقائق من أجلك».

«عن ساكي جاكِه؟».

«نعم، كنت أفكر في الأمر عندما خطر لي فجأة أن عمّ أحد زملاء الدراسة في أكاديمية الشرطة يخدم في قوة شرطة إقليم ياماناشي - وهو ضابط ذو رتبة رفيعة نوعاً ما. ولذلك حاولت سؤال زميلي القديم. أخبرته أن قريبة لي، فتاة صغيرة، قد واجهتها بعض الصعاب وهي بصدد التحول لذلك الدين، ولذلك فإنني أجمع بعض المعلومات عن ساكي جاكِه، وإذا لم يكن يمانع، هل يمكنه مساعدتي؟ إنني ماهرة للغاية في اختلاق مثل هذه الحكايات».

قالت أَوْمَامِه: «أشكرك أيومي. أقدِّر لك ذلك».

«ولذلك فقد اتصل بعمه في ياماناشي وشرح له الموقف، وقد عرَّفني عمه بالضابط المسؤول عن التحقيق في ساكي جاكِه. ولذلك فقد تحدثت إليه مباشرة».

«آه، رائع».

«حسناً، لقد جمعني به حديث مطول وحصلت على شتى أنواع المعلومات فيما يخص ساكي جاكِه، ولكن نظراً إلى أنك ربما تعرفين كل ما نشرته الصحف، فسوف أخبرك بما لم تنشره الصحف، الأشياء التي حجبت عن الجمهور، اتفقنا؟».

«ذلك رائع».

«أولاً، لقد وُجدت لدى ساكي جاكِه عدة مخالفات قانونية - دعاوى مدنية، معظمها حول عقود أراضي. يبدو أن لديهم أموالاً طائلة، وهم يشترون كل الأراضي المحيطة بهم. صحيح أن أسعار الأراضي رخيصة هناك، ولكن ذلك لا ينفي أنهم يملكون مالاً كثيراً. وهم يرغمون الأشخاص تقريباً على البيع في حالات كثيرة. إنهم يخفون هوياتهم وراء شركات وهمية ويشترون كل شيء تصل إليه أيديهم. ومن هنا بدأت مشكلاتهم مع ملاّك الأراضي والحكومات المحلية. أعني، أنهم يعملون مثلما يعمل أي قرصان أراضي عادي. وحتى الآن، مع ذلك، كانت كلها دعاوى مدنية، ولذلك لم يتعين على الشرطة أن تتدخل. لقد أوشكوا بشدة على الوقوع في المحظور وبلوغ المنطقة الجنائية، ولكن حتى الآن لم يتم الإعلان عن هذه الأشياء. ربما تربطهم صلة ما بعصابات الجريمة المنظمة أو ببعض الساسة. والشرطة تتراجع عندما تجد الساسة منغمسين في شيء. بالطبع، سيختلف الموقف تماماً إذا ما ظهرت مخالفة جسيمة فجأة وأصبح لزاماً على النائب العام أن يتدخل».

«إذن سجل ساكي جاكِه ليس ناصع البياض مثلما يبدو عليه ظاهره فيما يخص الأنشطة الاقتصادية».

«ليس لدي معرفة بأتباعهم العاديين، ولكن بحسب سجلات عملياتهم العقارية، فإن القياديين المسؤولين عن الأموال ليسوا على

الأرجح نظيفي اليد. حتى إذا حاولنا أن ننظر إليها نظرة إيجابية للغاية، فإنه من غير المعقول تقريباً أنهم ينفقون أموالهم في سبيل الوصول إلى حالة روحانية خالصة. وفوق ذلك، فهؤلاء الأشخاص لا يملكون أراضي وعقارات في ياماناشي وحدها ولكن في قلب طوكيو وأوزاكا أيضاً - عقارات فاخرة! شيبويا وينامي أوياما وشوتو: يبدو أنّ التنظيم يعتزم توسعة نشاطاته الدينية لتشمل كلّ التراب الوطني - هذا إذا افترضنا أنها لن تتحول من النشاط الديني إلى مجال الأعمال العقارية».

«كنت أظنهم يريدون العيش في بيئة طبيعية ويمارسون زهدهم الديني بطهارة وصرامة. ما الذي يدفع مثل ذلك التنظيم أن يتمدَّد إلى وسط طوكيو؟».

أضافت أيومي: «ومن أين لهم بتلك السيولة النقدية التي يضخونها هنا وهناك؟ لا يعقل أنهم راكموا كل تلك الثروة من بيع الفجل الياباني والجزر».

«إنهم يحصلون على التبرعات من أتباعهم عبر الابتزاز».

«ذلك جزء ممّا يفعلون، دون شك، ولكن ذلك لا يكفي بأي حال. لا بد أن لديهم مصادر تمويل كبيرة أخرى. لقد اكتشفت حقيقة أخرى تثير القلق، وربما تثير اهتمامك. يوجد عدد ليس بالقليل من أطفال أتباعهم يعيشون داخل المجمع. وهؤلاء يلتحقون عموماً بالمدرسة الابتدائية المحلية، ولكن معظمهم ينقطعون عن الدراسة سريعاً. المدرسة تصرّ على ضرورة اتباع الأطفال للبرنامج التعليمي المعتاد، ولكن التنظيم لا ينصاع لذلك. ويبلغون المدرسة أن بعض أبنائهم لا يريدون مواصلة الذهاب إلى المدرسة، وأنهم هم أنفسهم يوفرون تعليماً لهؤلاء الأطفال، ولذلك لا ينبغي للمدرسة أن تقلق بشأن تعليمهم».

استحضرت أَوْمَامِه تجربتها في المدرسة الابتدائية. كان بوسعها أن تفهم السبب الذي يجعل هؤلاء الأطفال المنتمين إلى هذا الدين لا يرغبون في الذهاب إلى المدرسة، حيث يتعرضون للتنمّر إما باعتبارهم دخلاء أو عبر تجاهلهم. وقالت: «الأطفال ربما يشعرون بأنهم غرباء في المدرسة الحكومية. وفوق ذلك، فليس مستغرباً ألّا يذهب الأطفال إلى المدرسة».

«صحيح، ولكن بحسب المعلمين الذين درَّسوا هؤلاء الأطفال في صفوفهم، فإن معظمهم - سواء كانوا أولاداً أو بناتاً - يبدو أنهم يواجهون نوعاً من المشكلات الانفعالية. فهم يبدون أطفالاً طبيعيين في الصف الأول، مجرد أطفال أذكياء واجتماعيين، ولكنهم يصبحون مع مرور السنوات أقل ميلاً للكلام، وتفقد وجوههم أي قدرة على التعبير. وفي نهاية الأمر، يعتري مشاعرهم فتور تام وينقطعون عن المدرسة. يبدو أن جميع أطفال ساكي جاكِه تقريباً يمرون بالمراحل ذاتها وتظهر لديهم الأعراض نفسها. والمعلمون يشعرون بالحيرة والقلق بشأن الأطفال الذين ينقطعون عن المدرسة ويظلون حبيسي المجمع. يريدون معرفة إن كان هؤلاء الأطفال بخير، ولكنهم لا يستطيعون الدخول إلى هناك. فليس مسموحاً لأحد بالدخول إلى هناك».

قالت أَوْمَامِه في نفسها، **تلك هي الأعراض ذاتها التي ظهرت لدى تسوباسا. لا مبالاة رهيبة، وفقدان للقدرة على التعبير، والعزوف عن الكلام.**

قالت أيومي إلى أَوْمَامِه: «هل تتصورين أن الأطفال في ساكي جاكِه يتعرضون للاستغلال. بطريقة ممنهجة. ربما تصل إلى حدّ الاغتصاب».

«ولكن الشرطة لا تستطيع التحرك على أساس اتهامات غير مؤكدة يقدمها مواطن عادي».

«بالطبع لا. فإدارة الشرطة هي مجرد هيئة حكومية أخرى تعمل وفق قواعد بيروقراطية، رغم كلّ شيء. والسادة أصحاب الرتب الرفيعة لا يفكرون في أي شيء عدا وظائفهم. البعض ليس كذلك، ولكن معظمهم استطاع أن يشق طريقه للمراتب العليا عبر البقاء في منطقة الأمان، وهدفهم هو وظيفة مريحة في مؤسسة ذات صلة أو قطاع خاص بعد تقاعدهم. ولذلك لا يودون أن يقربوا أي شيء ينطوي على أقل قدر من المخاطرة. وربما حتى لا يتناولون البيتزا إلا بعدما تبرد تماماً. سوف يكون الوضع مختلفاً تماماً إذا أحضرت ضحية حقيقية تستطيع أن تثبت أي شيء عندما تمثل أمام المحكمة، ولكني أظن أن ذلك سيكون صعباً عليك».

قالت أَوْمَامِه: «صحيح، ربما يكون صعباً. ولكن على أية حال، أشكرك. هذه معلومات مفيدة حقاً. يجب عليّ أن أجد طريقة لشكرك».

«لا يهمك. دعينا نقضي ليلة أخرى في روبونجي قريباً وننسى مشكلاتنا».

قالت أَوْمَامِه: «تبدو فكرة جيدة».

قالت أيومي: «وأخيراً جئتُ بفكرة جيدة. بالمناسبة، هل تحبين الجنس ويدك مغلولة بالأصفاد؟».

قالت أَوْمَامِه: «غالباً لا». **الجنس بالأصفاد؟**

قالت أيومي، وقد اعتراها إحباط حقيقي: «لا؟ يا للخسارة».

الفصل الثاني والعشرون

تنغو
الزمن قد يأخذ أشكالاً مشوهة
وهو يمضي إلى الأمام

كان تنغو يتَفَكَّر في دماغه. أشياء كثيرة دفعته لذلك.

لقد تضاعف حجم الدماغ البشري أربع مرات عبر المليونين ونصف المليون سنة الماضية. أما من ناحية الوزن، فإن الدماغ لا يزن سوى اثنين في المائة من وزن الجسم البشري، ولكنه يستهلك زهاء أربعين في المائة من الطاقة الإجمالية التي يستهلكها الجسم (بحسب كتاب قرأه حديثاً). وبفضل النمو الكبير للدماغ، استطاع البشر أن يكتسبوا مفاهيم الزمن والمكان والإمكانية.

مفاهيم الزمن والمكان والإمكانية.

أدرك تنغو أن الزمن قد يعتريه تشوهٌ وهو يمضي قُدماً. فالزمن نفسه متجانس في تركيبه، ولكن ما إن يُستنفَد حتى يأخذ شكلاً مشوهاً. فقد تبدو مدة زمنية ثقيلة وطويلة للغاية، فيما تبدو أخرى خفيفة وقصيرة. وفي بعض الأحيان قد ينقلب نظام الأشياء، وقد يتلاشى هذا النظام تماماً في أسوأ الحالات. وأحياناً قد تُضاف الأشياء التي لا ينبغي لها أن توجد على الإطلاق إلى الزمن. وعبر

ضبطهم الزمن بهذه الطريقة كي يتواءم مع أهدافهم، ربما يكون الناس قد ضبطوا معنى وجودهم. بعبارة أخرى، فمع إضافة مثل تلك العمليات للزمن، أصبح بوسعهم، ولكن ذلك نادراً ما يحدث، الحفاظ على سلامة عقولهم. ولا شك أنه إذا كان على شخص ما أن يقبل الزمن الذي مرَّ من خلاله بالنظام المعتاد، فإن أعصابه قد لا تحتمل الضغط. كان تنغو يشعر أن مثل تلك الحياة ما هي إلا لون من ألوان العذاب.

وخلال عملية نمو الدماغ، اكتسب الناس مفهوم الزمانية، ولكنهم بالتزامن مع ذلك كانوا يتعلمون طرقاً يمكنهم عبرها تغيير الزمن وضبطه. وبموازاة استهلاكهم الذي لا يتوقف للزمن، كان الناس يعيدون ودون انقطاع إنتاج الزمن الذي قاموا بضبطه ذهنياً. وهو إنجاز ليس عادياً. ولذلك لا غرو أن يقال إن الدماغ يستهلك أربعين في المائة من الطاقة الكلية للجسم!

كان تنغو غالباً ما يسأل نفسه إن كان قد شهد فعلاً الذكرى التي يحتفظ بها منذ كان عمره سنة ونصف أو، على الأكثر سنتين- وهو المشهد الذي تسمح والدته وهي بملابسها الداخلية لرجل ليس والده أن يلعق نهديها. كان ذراعاها يطوقان الرجل. هل يستطيع طفل رضيع في السنة الأولى أو الثانية أن يميز مثل تلك التفاصيل ويتذكرها بهذه الحيوية الشديدة؟ أليست هذه ذكرى زائفة اختلقها لاحقاً كي يحمي نفسه؟

وهو أمر وارد تماماً. ربما يكون دماغ تنغو قد اختلق دون أن يدري في لحظة ما ذكرى رجل آخر (الذي هو على الأرجح والده «الحقيقي») كي «يثبت» أنه ليس الابن البيولوجي للرجل الذي يفترض

أنه كان والده. وهذه هي الطريقة التي حاول من خلالها التخلص من «الرجل الذي كان يفترض أنه هو والده» عبر الدائرة الضيقة للدم. فبإرسائه داخل نفسه هذا الوجود الافتراضي لأم لا بد أنها على قيد الحياة في مكان ما وأب «حقيقي»، كان يحاول أن يوجد منفذاً يُخرِجه من ضيق حياته الخانقة.

والمشكلة الكامنة في وجهة النظر تلك هي أن الذكرى كانت تأتيه موسومة بقدر واضح من الواقعية. كانت ذات ملمس حقيقي ووزن ورائحة وعمق. كانت مثبّتة بشدة في جدران عقله وكأنها محار عالق في سفينة غارقة. لم يستطع قط أن يزيحها من ذاكرته أو أن يمحوها. كان يستحيل عليه أن يصدق أن مثل تلك الذكرى ما هي إلا زيفاً اختلقه ذهنه استجابة لحاجة في نفسه. لقد كانت من الواقعية والتماسك بمكان يستحيل معه أن تكون نتاج خياله.

لكن ماذا لو كانت حقيقة، إذاً؟ قال تنغو في نفسه.

كانت ذاته الرضيعة حتماً سوف يرعبها أن ترى مثل هذا المشهد. شخص آخر، إنسان آخر، كان يلعق نهدين كانا ينبغي أن يكونا له هو - شخص أكبر وأقوى. وكان يبدو أن والدة تنغو قد نسيت، ولو بصفة لحظية على الأقل - وجوده، وأوجدت بذلك موقفاً فيه تهديد لوجوده الضئيل الضعيف. ولعلّ الرعب الأساسي في تلك اللحظة قد انطبع على نحوٍ لا يمحى على ورق الصور في ذهنه.

لقد عاودته ذكرى ذلك الرعب مسرعة وهو لا يتوقعها، وراحت تهاجمه بكل الشراسة التي يأتي بها بغتة فيضان هائل، فتضعه على حافة الهلع. لقد تحدث إليه ذلك الرعب، مرغماً إياه على التذكر: أينما تذهب، ومهما تفعل، لن تستطيع أبداً الهروب من ضغط هذه المياه. هذه الذكرى هي التي تحدد هويتك، وترسم خريطة حياتك،

وهي تحاول إرسالك إلى مكان قُدِّر لك. تألم كيفما تشاء، ولكنك لن تستطيع أبداً الإفلات من سطوتها.

خطر فجأة ببال تنغو: **عندما التقطتُ البيجامة التي كانت فوكا-إري ترتديها من غسالة الملابس وشممتها، ربما كان يحدوني الأمل في أن أجد رائحة أمي. ولكن لماذا عليّ أن أبحث عن صورة أمي الراحلة، ومن بين كل الأشياء، في رائحة فتاة في السابعة عشرة من عمرها؟ ينبغي أن أبحث في مكان يكون وجودها فيه أرجح - مثل جسد صديقتي التي تكبرني سناً.**

كانت صديقة تنغو تكبره بعشر سنوات، ولكن لسبب ما فإنه لم يرَ فيها قطّ صورة والدته. ولم تثِرْ رائحتها لديه مطلقاً أي اهتمام خاص. وكانت هي مَن تمسك بالدفة في معظم لقاءاتهما الجنسية. اعتاد تنغو أن يفعل حسبما توجِّهه وحسب، ونادراً ما يفكر أو يختار أو يبدي رأياً. لم تكن تطلب منه سوى شيئين: انتصاب قوي وقذف في الوقت المناسب. فتأمره قائلة: «لا تقذف الآن. تمالك نفسك لمزيد من الوقت». فكان يستجمع كل طاقته كي يتحكم في نفسه. ثم تهمس في أذنه، («حسناً الآن! اقذف الآن!» فما يكون منه إلّا أن يحرِّر نفسه في تلك اللحظة تحديداً ويقذف بكلّ ما أوتي من قوة. وعندئذٍ تُثني عليه، وتُمسِّد وجنتيه: «تنغو، كم أنت رائع!» كان تنغو يمتلك موهبة فطرية لإتقان كل شيء، بما في ذلك علامات الترقيم الصحيحة واكتشاف أبسط الصيغ الممكنة اللازمة لحلّ مسألة رياضية.

ولم يكن الأمر يسير على هذا النحو عندما يمارس الجنس مع نساء يصغرنه سناً. فعليه أن يفكر من البداية إلى النهاية، وأن يختار ويقيِّم. كان ذلك يُشعر تنغو بعدم الارتياح. كل المسؤوليات كانت

تُلقى على كاهليه. كان يشعر كما لو أنه قبطان قارب صغير في خضم بحر عاصف، وعليه أن يمسك بالدفة، ويتفحص وضعية الشراع، ويأخذ بعين الاعتبار مستوى الضغط البارومتري واتجاه الرياح، ويضبط سلوكه على نحو يعزز ثقة طاقم البحارة فيه. وأهون خطأ أو حادثة يمكن أن تؤدي إلى فاجعة. لم يكن ذلك جنس بقدر ما هو تأدية واجب. ونتيجة ذلك يعتريه التوتر ويخطئ اللحظة المناسبة للقذف أو يعجز عن الانتصاب وقت الضرورة. ممّا يفاقم شكوكه في نفسه.

لم يعهد تلك الأخطاء مع صديقته التي تكبره سناً. كانت تشعر نحوه بامتنان بالغ. ودائماً ما تثني عليه وتحفزه. ومنذ تلك المرة الوحيدة التي قذف فيها مبكراً، حرصت على ألّا ترتدي مطلقاً قميصاً داخلياً أبيض اللون مرة أخرى، بل وليس القميص وحسب: وإنما لم تعُد ترتدي أي ملابس داخلية بيضاء.

في ذلك اليوم كانت ترتدي ملابس داخلية سوداء - قطعتين متماثلتي اللون، وهي تلعق له قضيبه، مستمتعة بصلابته وطراوة خصيتيه غاية الاستمتاع. كان بوسع تنغو أن يرى نهديها وهما يتحركان لأعلى وأسفل، داخل الشريط الأسود لصدريتها، فيما هي تحرك فمها. وكي يمنع نفسه من القذف مبكراً، أغمض عينيه وصرف تفكيره إلى الجيلياك.

ولا يوجد لديهم محاكم، ولا يعرفون معنى كلمة «عدالة». ويمكن تصور مدى الصعوبة التي يواجهونها في فهمنا إذا عرفنا أنهم وحتى يومنا هذا لا يزالون غير مدركين تماماً للغاية من وجود الطرق. وحتى عندما يوجد أمامهم طريق معبَّد بالفعل، فإنهم يواصلون السير عبر الغابة. وغالباً

ما يراهم المرء رفقة أسرهم وكلابهم يمشون طابوراً واحداً عبر المستنقعات بمحاذاة الطرق مباشرة.

تخيل تنغو المشهد: الجيلياك بملابسهم الرثّة يسيرون عبر الغابة الكثيفة في صفٍّ واحد بمحاذاة الطريق رفقة كلابهم ونسائهم، ولا يتحدثون إلا نادراً. في مفاهيمهم عن الزمان والمكان والإمكانية، لم توجد الطرق بعد. وبدلاً من السير عبر طريق، تجد أنهم قد فهموا على الأرجح علة وجودهم بشق طريقهم في صمت عبر الغابة، برغم ما في ذلك من مشقة.

يا لتعس الجيلياك! قالت فوكا-إري.

راح تنغو يتفكر في وجه فوكا-إري وهي نائمة. لقد نامت وهي ترتدي بيجامة تنغو التي كانت بالغة الوسع عليها، وتُشمر الأكمام والأساور. لقد أخرجها من غسالة الملابس، وأدناها من أنفه، وراح يشمها.

لا يمكنني أن أدع نفسي تفكر في ذلك! قال تنغو في نفسه، ولكن فات الأوان.

فقد تدفق منيُّه داخل فم صديقته عبر تشنجات عنيفة متعددة. تلقته منه حتى أفرغ ما لديه، ثم غادرت الفراش وتوجهت إلى الحمام. سمعها تفتح الصنبور وتجري المياه وتغسل فمها. ثم، وكأن شيئاً لم يكُن على الإطلاق، عادت إلى الفراش.

قال تنغو: «آسف».

قالت له وهي تُمسِّد أنفه بطرف إصبعها: «أظنك لم تستطع أن تتمالك نفسك. لا عليك، ليست نهاية العالم. هل كان لعقي جيداً لذلك الحد؟».

قال: «رائع. أظنني سأستطيع القذف مرة أخرى بعد بضع دقائق».

قالت وهي تضغط بوجنتيها على صدر تنغو العاري: «لا أكاد أطيق الانتظار». أغمضت عينيها، وسكنت تماماً. كان تنغو يستشعر أنفاسها الهادئة إزاء حلمته.

سألت تنغو: «هل تستطيع أن تخمن ما الذي يذكرني به صدرك عندما أراه؟».

«لا ليس لدي فكرة».

«بوابة قلعة في أفلام الساموراي للمخرج كوروساوا».

قال تنغو وهو يمسد ظهرها: «بوابة قلعة».

«هل تعرف، مثل تلك التي في 'عرش الدم' أو 'القلعة الخفية'. دائماً هناك بوابة قلعة كبيرة وقوية في أفلامه القديمة التي أُنتجت بالأبيض والأسود، وتغطيها مسامير من حديد ضخمة. ذلك هو ما يذهب إليه تفكيري. مسامير سميكة وصلبة...».

«ليس لدي مسامير مع ذلك».

قالت: «لم ألحظ ذلك».

أُدرجت رواية 'الشرنقة الهوائية' لفوكا-إري ضمن قائمة الأفضل مبيعاً في الأسبوع الثاني بعد طرحها للبيع، لترتقي في الأسبوع الثالث إلى المرتبة الأولى على لائحة الأعمال القصصية. تتبع تنغو عملية صعود الرواية عبر الصحف التي توضع في غرفة المعلمين في المدرسة التأهيلية. ظهر أيضاً إعلانان عن الرواية في الصحف، كانا يعرضان صورة لغلاف الكتاب ولقطة أصغر لفوكا-إري وهي ترتدي الكنزة الصيفية اللصيقة بجسدها والتي تبرز نهديها بشكل بالغ الجمال (لا شك أنها التقطت خلال المؤتمر الصحفي). شعرها الطويل والناعم

كان منسدلاً على كتفيها. عينان سوداوان وملغزتان تنظران مباشرة إلى الكاميرا. بدا أن هاتين العينين تحدقان عبر عدستيهما وتركزان مباشرة على شيء ما احتفظ به الرائي داخل أعماق قلبه، وهو شيء لم يكن تنغو يعيه. كانت عيناها تفعلان ذلك بحيادية بالغة ولكن بلطف. كانت النظرة الثابتة لهذه الفتاة ذات السبعة عشر ربيعاً نظرة مربكة. كانت مجرد صورة صغيرة بالأبيض والأسود، ولكن مجرد رؤيتها غالباً ما تدفع أناساً كثيرين لشراء الكتاب.

كان كوماتسو قد أرسل نسختين من الكتاب إلى تنغو بعد بضعة أيام من عرضه للبيع، ولكن تنغو اكتفى بفتح الحزمة التي تضمهما دون أن يزيل الشريط المطاطي الذي يغلفهما. صحيح أنه هو من كتب النص الموجود داخل الكتاب، وهذه هي المرة الأولى التي تظهر كتابته على صفحات كتاب مطبوع، ولكنه لم يجد رغبة في فتحه وقراءته - أو حتى إلقاء نظرة سريعة على صفحاته. لم يبتهج لدى رؤيته له. ربما هو صاحب الجمل والفقرات، ولكن الحكاية مملوكة كلياً إلى فوكا-إري. ثمرة عقلِها. دوره الضئيل باعتباره محرراً سرياً انتهى قبل وقت طويل، ومصير الكتاب من هذه اللحظة فصاعداً لا يمتّ له بصلة. وما ينبغي له ذلك. ألقى بالكتابين في آخر خزانة كتبه، بعيداً عن عينيه، وهما لا يزالان ملفوفين في الشريط المطاطي.

مضت حياة تنغو بعد تلك الليلة التي نامت فيها فوكا-إري في شقته خالية من أي أحداث. كان المطر يهطل كثيراً، ولكن تنغو لم يكن يعبأ غالباً بأحوال الطقس الذي يتذيل قائمة أولوياته. وأما فوكا-إري نفسها، فلم تهاتفه. كان انعدام الاتصال يعني غالباً أنها لا تواجه مشكلات محددة يستطيع حلها.

وبالإضافة إلى عكوفه كلّ يوم على كتابة روايته، كان تنغو يكتب عدداً من الموضوعات القصيرة لحساب مجلات - أعمال لا تحمل اسم كاتبها وبوسع أي أحد القيام بها. كان يرى فيها تغييراً مفيداً في إيقاع الحياة، فضلاً عن أنّ المقابل المادي من ورائها كان مجزياً إذا ما قيس بالجهد المحدود المبذول فيها. كان تنغو، عادة، ما يقوم بتدريس ثلاث حصص أسبوعياً في المدرسة التأهيلية. استغرق في عالم الرياضيات أكثر من ذي قبل كي ينسى هواجسه التي أثارتها 'الشرنقة الهوائية' وفوكا-إري بالأساس. وما إن يدلف إلى عالم الرياضيات، حتى يقوم دماغه بتغيير الدائرة (بنقرة صغيرة)، وينطق فمه بنوع مغاير من الكلمات، ويستخدم جسمه أنواعاً مختلفة من العضلات، وتتغير نبرة صوته وتعبيرات وجهه. كان تنغو يحب الطريقة التي تتغير بها التروس. فهي أشبه بالانتقال من غرفة إلى أخرى أو خلع حذاء وانتعال آخر.

برغم الوقت الذي كان يمضيه في أداء المهمات اليومية أو كتابة قصته، فقد استطاع تنغو أن يحقق مستوى جديداً من الاسترخاء - بل وحتى أن يصبح أكثر بلاغة - عندما يدخل عالم الرياضيات. لكنه في الوقت ذاته كان يشعر بأنه قد أصبح شخصاً عملياً بدرجة أكبر. لم يكن بوسعه أن يقرر مَن هو تنغو الحقيقي، ولكن التحول كان طبيعياً ولاشعورياً تقريباً. وكان يدرك أيضاً أنه شيء يحتاجه تقريباً.

كان تنغو يُلقن طلابه كيف أن الرياضيات تعتمد اعتماداً كُلياً على المنطق. هنا الأشياء التي لا يمكن إثباتها لا معنى لها، ولكن ما إن تنجح في إثبات شيء، فإن ألغاز العالم تستقر في راحتك مثل محار طريّ. اكتسبت المحاضرات التي يلقيها تنغو حماسة غير معهودة، وأبهرت طلاقته الطلاب. كان يعلِّمهم كيف يحلون المسائل الرياضية

بشكل عملي وناجح، وفي الوقت ذاته يقدمون عرضاً باهراً للرومانسية المخبوءة في الأسئلة التي تطرحها. كان تنغو يرى الإعجاب في أعين العديد من طالباته، واعتاد أن يراود هؤلاء اللائي تتراوح أعمارهن ما بين السابعة عشرة والثامنة عشرة عبر الرياضيات. فصاحته كانت نوعاً من المداعبة الفكرية. كانت العمليات الرياضية تُمسِّد ظهورهن؛ والنظريات تبعث الأنفاس الدافئة في آذانهن. لكنه ومنذ لقائه فوكا-إري، لم يعُد يشعر بأي اهتمام جنسي إزاء هؤلاء الفتيات، ولم يعُد يلمس أي دافع لتشمُّم بيجاماتهن.

قال تنغو في نفسه، لا شك أن فوكا-إري إنسانة مميزة. ولا يمكن مقارنتها بفتيات أخريات. إنها ولا شك شخصية ذات أهمية خاصة لدي. إنها - كيف أعبر عن ذلك؟ - صورة حَوَت داخلها كل شيء ثم انعكست مباشرة عليّ، لكنها صورة يستحيل عليّ فكّ شفرتها.

ثم وصل عقل تنغو الواعي إلى تلك الخلاصة، رغم ذلك، فالأحرى بي أن أقطع أي اتصال بفوكا-إري. ينبغي لي أيضاً أن أنأى بنفسي قدر المستطاع عن أكوام 'الشرنقة الهوائية' المعروضة في واجهة كل متاجر الكتب، وكذلك عن البروفيسور إيبسونو الغامض، وذلك التنظيم الديني الذي يكتنفه غموض مخيف. الأحرى بي أيضاً أن أبتعد عن كوماتسو، على الأقل في الوقت الراهن. وإلا فسأكون عرضة للانجراف نحو أرض تعمّها درجة أكبر من الفوضى، وأُدفع إلى زاوية خطيرة دون ذرة منطق، ويُزج بي في وضع لا أستطيع الخلاص منه أبداً.

ولكن تنغو كان يعي جيداً أيضاً أنه لا يستطيع الانسحاب بسهولة من هذه المؤامرة متشابكة الخيوط التي تورط فيها الآن تورطاً كاملاً. إنه ليس بطلاً من أبطال هيتشكوك، الذي يتورط في مؤامرة قبل أن يعي ماذا يجري. لقد ورَّط نفسه، رغم معرفته الكاملة بالمخاطر الكامنة. وقد انطلقت الماكينة فعلاً، وزخم اندفاعها إلى الأمام آخذ في الازدياد، وبات يتعذَّر عليه إيقافها. تنغو نفسه أحد تروسها - بل ترس مهم في ذلك. كان بوسعه أن يسمع أنينها خفيض الصوت، ويشعر بحركتها المتواصلة.

هاتف كوماتسو تنغو بعد بضعة أيام من اعتلاء 'الشرنقة الهوائية' صدارة قائمة الأفضل مبيعاً للأسبوع الثاني على التوالي. رنّ الهاتف بعد الحادية عشرة ليلاً. كان تنغو في فراشه فعلاً ويرتدي بيجامته. كان يطالع كتاباً منذ حينٍ وهو منبطح على بطنه، وعلى وشك أن يطفئ المصباح المجاور للسرير. استنتج من رنة الهاتف أنه كوماتسو. كيف له ذلك بالضبط، هذا ما لم يستطع تفسيره، ولكنه يستطيع دائماً أن يعرف سلفاً عندما تكون المكالمة من كوماتسو. وكأنّ الهاتف يرنّ رنة خاصة. تماماً مثلما أنّ الكتابة لها أسلوب خاص، فإن لمكالمات كوماتسو رنة خاصة.

نهض تنغو من الفراش، وذهب إلى المطبخ، ورفع السماعة. لم يكن يودّ الردّ حقاً على المكالمة وكان يفضِّل أن يخلد في هدوء إلى النوم، وأن يحلم بالقطط أو قناة بنما أو بطبقة الأوزون أو بالشاعر باشو - أو أيّ شيء ما دام بعيداً عن هنا. لكنه إذا لم يردّ على المكالمة الآن، فسوف يرنّ الهاتف مرة أخرى في غضون خمس عشرة دقيقة أو نصف ساعة. الأفضل له أن يستقبل المكالمة الآن.

سأله كوماتسو، بهدوء كعادته: «مرحباً، يا تنغو، هل كنت نائماً؟».

قال تنغو: «كنت أحاول النوم».

قال كوماتسو ولكن دون أن يشي صوته بأيّ ذرة أسف: «آسف على ذلك. كنت أودّ أن أخبرك فقط بأن 'الشرنقة الهوائية' تحقق رواجاً كبيراً لدى الجمهور».

«أمر رائع».

«تُباع مثل الكعك الساخن. لا يمكنهم مواكبة رواجها. عمال المطبعة المساكين يعملون ليل نهار. على أية حال، لقد توقّعت أن تكون الأرقام جيدة للغاية، بالطبع. فالمؤلفة فتاة جميلة في السابعة عشرة من عمرها. والقصة أصبحت حديث الناس. لقد توفرت لها جميع العناصر التي تؤهلها لاعتلاء لائحة الأفضل مبيعاً».

«على النقيض من الروايات التي يكتبها معلم في مدرسة تأهيلية في الثلاثين من عمره ويبدو مثل دبّ، لعلّ ذلك هو ما تقصده».

«تماماً. ولكن مع ذلك، لا يمكنك أن تسمي هذا الكتاب رواية تجارية. فهي لا تحوي مشاهد جنس، ولا تستدرّ الدموع. وحتى أنا لم أتخيل أنها سوف تحقق هذا الرواج المذهل».

صمت كوماتسو كما لو أنه توقع جواباً من تنغو. عندما لم يقُل تنغو شيئاً، تابع كلامه:

«إنها لم تحقق رواجاً في البيع وحسب. فالنقاد أيضاً استقبلوها استقبالاً رائعاً. هذه ليست دراما تافهة كتبت على عجل انطلاقاً من نزوة عابرة من فتى حديث السن. إنّ القصة ذاتها رائعة. لا شك أنّ مراجعتك البديعة جعلت ذلك ممكناً، يا تنغو. لقد أديت عملاً بالغ الإتقان».

جعلت ذلك ممكناً. متجاهلاً ثناء كوماتسو، ضغط تنغو بأطراف أصابعة على صدغيه. فعندما يُطري كوماتسو تنغو بشكلٍ صريح، فمن المؤكد أنه سوف يُتبع ذلك بطلب كريه.

سأل تنغو كوماتسو: «إذن أخبرني، ما هي الأنباء السيئة؟».

«كيف لك أن تعرف أن هناك أنباء سيئة؟».

«انظر كم مرة تهاتفني! يجب أن تكون ثمة أنباء سيئة».

قال كوماتسو في إعجاب ظاهر: «صحيح. لقد أصبح لديك تلك الحساسية المميزة، يا تنغو. كان ينبغي لي إدراك ذلك».

قال تنغو في نفسه، ليس للحساسية صلة بذلك. إنها مجرد خبرة قديمة وبسيطة. ولكنه لم يعلّق بشيء وانتظر كي يرى ما يرمي إليه كوماتسو.

قال كوماتسو: «لسوء الحظ، فأنت محقّ، أحمل لك فعلاً نبأ سيئاً». صمت هنيهة لحاجة في نفسه. تخيل تنغو كوماتسو على الطرف الآخر، وعيناه تلمعان مثل نمس في الظلام.

«إنه يتعلق على الأرجح بمؤلفة 'الشرنقة الهوائية'، أليس كذلك؟».

«بالضبط. إنه عن فوكا-إري. وليس خبراً جيداً. لقد فُقدت منذ مدة».

أبقى تنغو أصابعة ضاغطة على صدغيه.

«مدة؟ منذ متى؟».

«منذ ثلاثة أيام، في صباح الأربعاء، غادرت منزلها في أوكوتاما متجهة إلى طوكيو. كان في وداعها البروفيسور إيبيسونو. لم تقُل إلى أين كانت ذاهبة. وهاتفته لاحقاً خلال اليوم قائلة إنها لن تعود إلى المنزل الواقع في التلال، وأنها سوف تمضي الليلة في بيتهم في شينانو

ماتشي. ابنة البروفيسور إيبسونو كان يفترض أن تقضي الليلة هناك أيضاً، ولكن فوكا-إري لم تعُد. لم تتَّصل بهما منذ ذلك الحين».

استرجع تنغو ذاكرته عبر ثلاثة أيام خلت، ولكنه لم يجد شيئاً ذا أهمية.

«ليس لديهم أدنى فكرة عن مكان وجودها. كنت أظنّ أنها ربما اتصلت بك».

قال تنغو: «لم تقُل لي أي شيء». انقضت أربعة أسابيع منذ أن أمضت تلك الليلة في شقته.

تساءل تنغو لحظة عمّا إن كان عليه أن يخبر كوماتسو بما قالته عندئذٍ - من أنها لا تريد العودة إلى بيتهم في شنانو ماتشي. ربما كانت تستشعر خطراً في المكان. ولكنه قرَّر ألّا يذكر ذلك. لم يكن يريد أن يجد نفسه مضطراً لإخبار تنغو عن أن فوكا-إري كانت في شقته.

قال تنغو: «إنها فتاة غريبة الأطوار. ربما انطلقت من نفسها إلى مكان ما دون أن تخبر أحداً».

«لا. لا أظن ذلك. ربما لا تبدو كذلك، ولكن فوكا-إري شديدة اليقظة. لقد كانت دائماً تعلن بوضوح عن مكان وجودها، فدائماً تتصل هاتفياً كي تقول أين توجد أو إلى أين هي ذاهبة ومتى. ذلك هو ما يخبرني به البروفيسور إيبسونو. أما أنْ تنقطع عن الاتصال على مدى ثلاثة أيام كاملة، فلم يُعهَد ذلك منها مطلقاً. ربما أصابها سوء».

تمتم تنغو: «أصابها سوء».

قال كوماتسو: «البروفيسور وابنته قلقان للغاية».

قال تنغو: «على أية حال، إذا بقيت متغيِّبة هكذا، فسوف يضعك ذلك في موقف صعب، أنا موقن من ذلك».

«صحيح، ولا سيما إذا تدخلت الشرطة. أعني، فكّر في الأمر: كاتبة جميلة في سن المراهقة تختفي! وسائل الإعلام سوف تفقد صوابها بسبب ذلك. وسوف يستدرجوني ويطلبون مني تعليقاً باعتباري محررها. لا خير يرجى من وراء ذلك. لا بدّ لي من البقاء في الظلّ، فأنا لا أبلي بلاء حسناً في نور الشمس. بمجرد أن يحدث مثل ذلك الشيء، فسوف تُكتشف الحقيقة في أي لحظة».

«وماذا يقول البروفيسور إبيسونو؟».

قال كوماتسو: «يقول إنه سوف يتقدم ببلاغ للشرطة، ربما في أول فرصة غداً. أقنعته أن يؤجل ذلك بضعة أيام، ولكنه شيء لا يمكن تأجيله طويلاً».

«إذا شمَّت وسائل الإعلام خبر هذا البلاغ، فسوف تسلِّط كل اهتمامها على ذلك الاختفاء».

«لا أدري كيف سيكون رد فعل الشرطة، ولكن فوكا-إري هي فتاة اللحظة، وليست مجرد مراهقة هاربة. إن إبقاء ذلك الأمر طي الكتمان يكاد يكون محالاً».

قال تنغو في نفسه، ربما ذلك بالضبط هو ما كان يأمله البروفيسور إبيسونو: أن يخلق ضجة مُستخدماً فوكا-إري كطعم، يستغله لكشف علاقة ساكي جاكِه بوالديّ فوكا-إري، ومن ثم يتمكن من معرفة مكان وجودهما. إذا كان ذلك، فإن خطة البروفيسور إبيسونو تسير حسب تصوره. ولكن هل يعي البروفيسور مدى الخطورة المصاحِبَة لذلك؟ لا بد أنه يعي ذلك: فالبروفيسور إبيسونو ليس شخصاً طائشاً. حقاً، فالتفكير العميق هو عمله الذي كان يتقاضى عليه راتبه. وفوق ذلك، يبدو أن هناك عدداً من الحقائق المهمة التي تحيط بموقف فوكا-إري ويجهلها تنغو، كما لو أنه يحاول تجميع أحجية

الصور دون أن تكون لديه القطع جميعها. كان من الحكمة أن يتجنب التورط في ذلك من البداية.

سأله كوماتسو: «هل لديك أي فكرة أين يمكن أن توجد، يا تنغو؟».

«لا، حتى الآن».

«لا؟» قال كوماتسو بصوت تخلَّلته نبرة إرهاق. إنه ليس بالشخص الذي يسمح غالباً لمثل تلك الإخفاقات البشرية أن تحدث. «آسف على إيقاظك في منتصف الليل».

كان سماعه كلمات اعتذار من فم كوماتسو حدثاً نادراً.

قال تنغو: «لا عليك، فالموقف صعب».

«هل تعرف، يا تنغو، لو كان بمقدوري لفضَّلت ألّا أورطك في هذه التعقيدات العملية. مهمتك الوحيدة كانت القيام بالكتابة، وقد أديتها على نحوٍ رائع. ولكن الأمور لا تسير مطلقاً بالسلاسة التي نريدها. وكما قلت لك ذات مرة من قبل، فإننا جميعاً نجتاز منطقة شلالات- ».

أكمل تنغو الجملة له بصورة آلية: «في قارب واحد».

«بالضبط».

أضاف تنغو: «ولكن عندما تمعن التفكير في ذلك، ألا ترى أن 'الشرنقة الهوائية' سوف تحقِّق رواجاً أكبر إذا ما أصبح اختفاء فوكا-إري خبراً متداوَلاً؟».

قال كوماتسو بنبرة يأس: «يكفي ما تحققه من رواج فعلاً. لسنا بحاجة إلى المزيد من الدعاية. المشكلات هي الشيء الوحيد الذي سوف يوقعنا في فخ الفضيحة. ما ينبغي لنا التفكير فيه هو مكان لطيف وهادئ نرسو فيه».

قال تنغو: «مكان نرسو فيه».

أحدث كوماتسو صوتاً كما لو أنه يبتلع شيئاً وهمياً. ثم نظَّف حنجرته بشكل خفيف: «حسناً، سوف نتحدث عن ذلك ذات يوم بشكل هادئ ومطول على عشاء. بعد انقشاع تلك الغُمة. نوماً هانئاً، يا تنغو. ينبغي لك الحصول على قسط جيد من النوم».

وضع كوماتسو السماعة. وكما لو أن لعنة قد نزلت به، لم يعُد باستطاعة تنغو النوم. كان يشعر بالتعب، ولكنه لا يستطيع النوم.

فكر تنغو في القيام ببعض العمل على طاولة المطبخ، ولكن مزاجه لم يكن يسمح.

تناول زجاجة ويسكي من الخزانة وصبّ بعضها في كوب، وشربه مباشرة عبر رشفات صغيرة.

ربما اختُطفت فوكا-إري من قبل ساكي جاكِه. بدا ذلك معقولاً تماماً لدى تنغو. لعلّ مجموعة من التنظيم راقبت شقتهم الواقعة في شينانو ماتشي، ثم أرغموها على ركوب سيارة، وذهبوا بها بعيداً. ليس ذلك بالأمر المستحيل، إذا اختاروا اللحظة المناسبة وتصرفوا بسرعة. ربما كانت فوكا-إري تستشعر وجودهم وهي تقول إنه لا يَحسُن بها أن تعود إلى الشقة.

كانت فوكا-إري قد قالت لتنغو، إن الناس الصغار والشرانق الهوائية موجودة فعلاً. كانت قد رأت الناس الصغار في مجمَّع ساكي جاكِه وهي تعاقب على إهمالها الذي تسبَّب في موت الماعز العمياء، وقد شاركتهم صنع شرنقة هوائية على مدى ليال متعاقبة. ونتيجة ذلك، فقد وقعت لها أحداث شديدة الأهمية. وقد سردت تلك الأحداث في صورة قصة، وأعاد تنغو صياغة القصة كي تصبح عملاً أدبياً مكتملاً.

بعبارة أخرى، فقد حوَّلها إلى سلعة، وتلك السلعة (بحسب تعبير كوماتسو) تُباع مثل الكعك الساخن. ربما أزعج ذلك ساكي جاكِه. ربما كانت قصص الناس الصغار والشرنقة الهوائية أسرار كبرى يجب ألّا يفشيها أحد للعالم الخارجي. ولذلك، وللحيلولة دون أيّ تسريبات أخرى، فقد اختطفوا فوكا-إري وأسكتوها. لقد لجأوا إلى القوة، حتى وإن كان في ذلك مجازفة بأن يثير اختفاؤها شكوك الناس حيالهم.

لم يكن ذلك، بطبيعة الحال، سوى افتراض من جانب تنغو. لم يكن لديه أي دليل يستطيع إظهاره، وما من سبيل لإثبات ذلك. حتى وإن قال للناس، «الناس الصغار وشرانق الهواء موجودة بالفعل»، فمن يا تُرى يمكن أن يأخذ كلامه على مَحمل الجدّ؟ أولاً، لم يكن تنغو نفسه يعرف ما الذي يعنيه عندما يقول إنّ مثل تلك الأشياء «موجودة بالفعل».

ثمة احتمال آخر وهو أن فوكا-إري قد سئمت من كل الدعاية التي أحاطت بكتابها الذي تربّع على قائمة الأفضل مبيعاً وقررت بمحض إرادتها الاختفاء. وذلك، بالطبع، احتمال وارد تماماً. كان محالاً تقريباً التنبؤ بما يمكن أن تفعله، ولكن على فرض أنها قد اختبأت، فالأرجح أن تترك رسالة ما للبروفيسور إبيسونو وابنته أزامي. ليس ثمة ما يدفعها لإثارة القلق لديهما.

لكن مع ذلك، كان سهلاً لدى تنغو أن يتخيل أن فوكا-إري ربما تكون في خطر كبير لو أنها قد اختطفت فعلاً من قبل ساكي جاكِه. ومثلما لم يرِدْ أيّ خبر عن والديها، فربما تنقطع كل أخبار فوكا-إري. حتى إذا انكشفت العلاقة بين فوكا-إري وساكي جاكِه (وهو أمر لن يستغرق وقتاً طويلاً)، وتسبب ذلك في فضيحة إعلامية، سيكون كل

ذلك بلا جدوى إذا ما رفضت الشرطة التدخل بحجة «انعدام الدليل المادي على اختطافها». ربما تظلّ حبيسة في مكان ما داخل مجمع ديني محاط بأسوار عالية. هل وضع البروفيسور إبيسونو خطة لمواجهة هذا السيناريو الأسوأ؟

أراد تنغو أن يهاتف البروفيسور إبيسونو ويسأله كل هذه الأسئلة، ولكن كانت الساعة قد تجاوزت منتصف الليل، ولم يعد أمامه سوى الانتظار حتى الغد.

في الصباح التالي استخدم تنغو الرقم الذي حصل عليه كي يتصل بمنزل البروفيسور إبيسونو، ولكن المكالمة لم تكتمل. فكل ما سمعه هو رسالة مسجلة، «الرقم الذي تحاول الاتصال به ليس في الخدمة حالياً. من فضلك تحرّ الرقم وأعِدْ الاتصال». حاول المرة تلو المرة، ولكن كانت النتيجة ذاتها في انتظاره. خمَّن أنهم ربما غيروا رقم هاتفهم بعد صدور أول عمل لفوكا-إري، بسبب سيل المكالمات التي تطلب إجراء مقابلات.

لم يقَع شيء غير مألوف على مدار الأسبوع التالي. وظلت 'الشرنقة الهوائية' تحقّق المبيعات العالية ذاتها، وتصدّرت مرة أخرى لائحة الكتب الأفضل مبيعاً محلياً. لم يتصل أحد بتنغو خلال الأسبوع. حاول الاتصال بكوماتسو في مكتبه بضع مرات، ولكنه كان دائماً في الخارج (وهو شيء لم يكن غير عادي). ترك تنغو رسالة لكوماتسو لدى مكتب التحرير يطلب فيها الاتصال به، ولكن لم ترِدْه أيّ مكالمات (وهو شيء لم يكن أيضاً غير عادي). حرص على قراءة الصحف كل يوم، ولكن لم يجد أي خبر بشأن غياب فوكا-إري. أيكون البروفيسور إبيسونو قرَّر ألا يتقدم ببلاغ للشرطة؟ ربما تقدم

بالبلاغ ولكن الشرطة لم تعلن عنه كي يتسنى لها البحث عنها سراً، أو أنها لم تأخذ الأمر على محمل الجد، وتعاملت مع البلاغ باعتباره حالة أخرى من حالات هروب المراهقات.

كما هو دائماً، كان تنغو يدرِّس الرياضيات في مدرسة تأهيلية ثلاثة أيام في الأسبوع، ويواصل كتابة روايته في الأيام الأخرى، ويقضي ما بعد ظهيرة الجمعة يمارس جنساً محموماً مع صديقته عندما تزوره في شقته. ولكنه لم يستطع التركيز. كانت الأيام تمرّ عليه وهو في حالة من القلق والتشوش الذهني. أخذ يفقد شهيته للطعام وبات يصحو من نومه في أوقات غريبة في منتصف الليل، ولا يستطيع العودة للنوم. ثم يفكر في فوكا-إري. أين هي الآن؟ وماذا تفعل؟ ومع مَن هي؟ وما الذي يحدث لها؟ تخيَّل مجموعة من المواقف، لا توجد بينها سوف اختلافات طفيفة، بالغة التشاؤم. في المشاهد التي تخيلها، كانت دائماً ترتدي كنزتها الرقيقة اللصيقة التي تبرز نهديها الجميلين. بدأ يجد صعوبة في التنفس بسبب تلك الخيالات وزاد ذهنه تشوشاً.

وأخيراً وفي يوم الخميس من الأسبوع السادس حيث كانت 'الشرنقة الهوائية' لا تزال تتصدر لائحة الأفضل مبيعاً، جاءه اتصال من فوكا-إري.

الفصل الثالث والعشرون

أَوْمَامِه

هذه ليست سوى البداية

كانت أَوْمَامِه وأيومي تشكلان ثنائياً مثالياً لأمسيات جنسية حميمية، لكنها بالغة الإثارة وتستمر حتى آخر الليل. كانت أيومي ذات جسم ضئيل ومرحة ومنبسطة مع الغرباء، وتميل إلى كثرة الكلام. وهي لذلك تضفي أجواء إيجابية على أي موقف إن شاءت. وتتمتع أيضاً بخفّة ظلّ ملحوظة. على النقيض، كانت أَوْمَامِه ذات القوام النحيل والعضلي، تميل إلى قلة الكلام والتحفُّظ، وتجد صعوبة في التحلي بخفّة الظلّ مع رجل تلتقيه لأول مرة. ويُلمس في كلامها نبرة غامضة من التشاؤم، بل والعدائية، ومن عينيها يطلّ شعاع غامض يشي بعدم التسامح. لكنها مع ذلك، كانت عندما ترغب في الجنس، تشعّ منها هالة لطيفة تجتذب الرجال بشكل طبيعي. كان ذلك أشبه بالأريج الذكي المثير جنسياً الذي ينبعث من الحيوانات والحشرات عند الضرورة. لم يكن ذلك بالشيء الذي يمكن اكتسابه بالتعلُّم. وإنما هو فطري على الأرجح. ولكن لا - ربما اكتسبت هذا الأريج لسبب ما في مرحلة من مراحل الحياة. على أية حال، فإن هذه الهالة لم تكن تستثير الرجال وحسب وإنما أيضاً أيومي، ممّا يضفي بهجة ودفئاً إيجابياً على أمسياتهما.

حالما تقابلان رجلين مناسبين، كانت أيومي تقترب منهما أولاً بابتهاجها الطبيعي. ثم تنضم إليهم أَوْمَامِه في الوقت المناسب، فتخلق جواً فريداً يجمع ما بين الأوبرا وأفلام الجريمة. وما إن تصل الأمور إلى تلك النقطة، فالبقية أمرها سهل، حيث ينتقلون إلى مكان ملائم و(كما اعتادت أيومي أن تقول صراحة) «يمارسون الجنس بجنون». كان أصعب ما في الأمر هو أن تجدا الشريكين المناسبين. والأفضل أن يكونا رجلين اثنين معاً - نظيفين وعلى قدر معقول من الوسامة. ويجب أن يكونا مثقفين نوعاً ما على الأقل، على ألا تزيد الثقافة عن المعقول وإلا تحولت إلى مشكلة: فالأحاديث المملة قد تقضي على الأمسية. ويجب أن يبدو أيضاً أن لديهما مالاً لينفقاه. فالرجلان هما من يدفعان، دون شك، ثمن الشراب وغرفتي الفندق.

لكنهما عندما حاولتا الترتيب لأمسية جنسية جميلة وبسيطة قرب نهاية يونيو، (فيما سوف يتبين أنه آخر عمل ثنائي يقومان به)، لم تجدا رجلين مناسبين. أنفقتا وقتاً طويلاً في ذلك، وغيرتا أماكن بحثهما عدة مرات، ولكنهما كانتا تعودان دائماً خائبتين. ورغم أنّ اليوم كان هو الجمعة الأخيرة من الشهر، فقد ساد هدوء قاتل كلّ الأندية التي قصدتاها، ابتداء من روبونجي إلى أكازاكا، وكانت شبه خاوية، وهو ما لا يمنحهما اختياراً حقيقياً. ربما كان لذلك صلة بالغيوم الكثيفة التي تلبدت بها السماء، وكأنما طوكيو كلها قد أعلنت حداداً على أحد مات.

قالت أَوْمَامِه: «الحال لا يبدو مبشراً اليوم. ربما علينا الكفّ عن المحاولة اليوم. الساعة بلغت العاشرة والنصف بالفعل».

وافقتها أيومي على مضضٍ: «لم أرَ في حياتي مثل هذه الجمعة

الميتة. وأنا هنا أرتدي ملابسي الداخلية القرمزية!».

«إذاً اذهبي إلى البيت ثم تغزلي في نفسك أمام المرآة».

«حتى ذلك لا أملك من الشجاعة ما يكفي لعمله في حمام مهجع الشرطة!».

«على أية حال، لننسَ ذلك وحسب. سوف نتناول شراباً جيداً في هدوء، ثم نمضي إلى البيت ونخلد إلى النوم».

قالت أيومي: «ربما يكون ذلك أفضل شيء». ثم وكما لو أنها تذكرت شيئاً، أضافت: «إذاً، هيا نتناول وجبة خفيفة قبل العودة إلى البيت. لدي في حافظة نقودي ثلاثين ألف ين زائدة».

قطبت أَوْمَامِه وجهها: «زائدة؟ كيف ذلك؟ إنك لا تكفين عن الشكوى من ضعف راتبك».

حكَّت أيومي جانب أنفها: «في الواقع، المرة الأخيرة، أعطاني ذلك الرجل ثلاثين ألف ين. أسماها 'أجرة التاكسي' وسلَّمها إليّ وهو يقول إلى اللقاء. تذكرين، تلك المرة التي كنا فيها مع هذين الرجلين اللذين يعملان في قطاع العقارات».

سألتها أَوْمَامِه وقد تملَّكتها الصدمة: «وقبلتيها هكذا؟».

قالت أيومي باسمة: «ربما ظنّ أننا شبه عاهرتين. أراهنك أنه لم يخطر بباله ولو للحظة أنه برفقة شرطية ومدربة فنون قتالية. على أية حال، ما الفرق؟ أنا متأكدة أنه يجني أموالاً طائلة من العقارات - ولا يعرف كيف ينفقها. لقد أبقيت هذا المبلغ جانباً، وخطر ببالي أن أنفقه معك على وجبة لطيفة أو شيء من هذا القبيل. أعني، مثل هذا المال لا أودّ إنفاقه في أوجه المصروفات الاعتيادية».

لم تبلّغ أَوْمَامِه أيومي بشعورها إزاء ذلك. أن تتقاضى مبلغاً من المال مقابل جنس عابر مع رجل لا تعرفه - تكاد لا تصدق أن ذلك

قد حدث. شعرت كما لو كانت تنظر إلى صورة منبعجة لنفسها في مرآة مضللة. أخلاقياً - أيهما أفضل - تقاضي مالٍ مقابل قتل الرجال أو تقاضي مالٍ مقابل الجنس مع الرجال؟

سألتها أيومي وقد تبدى عليها الارتباك: «هل تضايقك فكرة تقاضي مال من رجل؟».

هزت أَوْمَامِه رأسها: «لا تضايقني بقدر ما تُشعرني بالحيرة نوعاً ما. ولكن ماذا عنك؟ كنت أتوقع أن أجد شرطية تشعر بالامتعاض من ممارسة أي شيء يشبه الدعارة».

أصرت أيومي مبتهجة: «مطلقاً. ليس لديّ مشكلة في ذلك. تعلمين، العاهرة توافق على سعر وتتقاضى حقها قبل الجنس. القاعدة الأولى هي 'ادفع قبل أن أخلع سروالي.' لن تجد العاهرة قوت يومها إن أخبرها رجل 'آه، ليس لدي أي نقود.' بعد انتهائه من الجنس. ولكن عندما لا يوجد تفاوض سابق على الثمن، ثم يعطيكِ الرجل بعض النقود على سبيل «أجرة التاكسي» بعد انتهاء الجنس، فذلك مجرد تعبير عن الامتنان. ويختلف عن دعارة الاحتراف. ثمة فرق واضح بين الاثنين».

كان ما قالته أيومي واضح المعنى.

كان الرجلان اللذان وقع اختيار أَوْمَامِه وأيومي عليهما في المرة الأخيرة إما في أواخر الثلاثينيات أو أوائل الأربعينيات من عمريهما. رأساهما كانتا مكتملتي الشعر، لكن أَوْمَامِه كانت مستعدة لقبول ذلك. قالا إنهما يعملان لدى شركة عقارية، ولكن قياساً على بذّتيهما اللتين تحملان علامة «هوجو بوس» وربطتي العنق اللتين تحملان علامة

«ميسوني أومو»، فقد بدا أنهما ليسا موظفين عاديين في شركة عملاقة مثل ميتسوبيشي أو ميتوسي، اللتين يتقيد موظفوهما بقواعد صارمة وتقاليد واجتماعات لا تنتهي، وإنما يعملان لدى شركة أكثر نشاطاً ومرونة واسمها يبدو أجنبياً وجميلاً، وتبحث عن ذوي الموهبة وتكافئ النجاح بسخاء. كان أحد الرجلين يحمل مفاتيح سيارة جديدة من ماركة «ألفا روميو». قالا، إن طوكيو تعاني نقصاً في مساحات المكاتب. لقد تعافى الاقتصاد من صدمات النفط وبدأ يستعيد نشاطه مرة أخرى. العاصمة في سبيلها لأن تبدأ في التوسع أفقياً، وقريباً سيكون محالاً أن تلبي الحاجة إلى مكاتب شاغرة بغض النظر عن أعداد البنايات الشاهقة التي يتمّ تشييدها.

قالت أَوْمَامِه لأيومي: «يبدو أن مجال العقارات يدرُّ أرباحاً كبيرة».

قالت أيومي: «ذلك صحيح. إذا كان لديك أيّ فائض، فينبغي لك استثماره في العقارات. مبالغ هائلة من الأموال تُضخ في طوكيو رغم محدودية مساحتها. حتماً سوف تشتعل أسعار الأراضي. اشترِ الآن، ولن تخسري بأيّ حال من الأحوال. الأمر أشبه بالمراهنة على جوادٍ وأنت تعرفين أنه هو الفائز. لسوء الحظ، فإن الموظفين العموم ذوي الدرجات الدنيا مثلي لا يتبقى لديهم ما يدخرونه. ولكن ماذا عنك، أَوْمَامِه؟ هل تستثمرين في أي شيء؟».

هزت أَوْمَامِه رأسها: «لا أثق إلا في الأموال السائلة».

ضحكت أيومي بصوت عالٍ: «تفكرين كما يفكر المجرمون!».

«الأفضل هو أن تحفظي أموالك في مرتبتك حتى إذا دهمك خطر، تستطيعين حملها والفرار عبر النافذة».

قالت أيومي، وهي تطقطق أصابعها: «نِعم الرأي! كما في فيلم

’الفرار‘ أو The Getaway، لستيف مكوين. حزمة من الأوراق النقدية وبندقية. أحبّ ذلك النوع من الأفلام».

«أكثر من حبك لأن تكوني في الجانب الذي ينفذ القانون؟».

قالت أيومي باسمة: «شخصياً، نعم. أنا أكثر انجذاباً للخارجين عن القانون. عملهم ينطوي على إثارةٍ أكبر من ركوب سيارة دوريات صغيرة وإصدار مخالفات ركن السيارات. وذلك هو ما يجذبني إليك».

«هل أبدو مثل شخص خارج عن القانون؟».

أومأت أيومي: «كيف لي أن أقولها؟ لا أدري، ولكن لديك تلك الهيئة، لكن ربما ليس على شاكلة ’فان داناوي‘ وهي تحمل البندقية الآلية».

قالت أَوْمَامِه: «لست بحاجة إلى بندقية آلية».

قالت أيومي: «وماذا عن ذلك المجتمع الديني الذي تحدثنا عنه آخر مرة، ساكي جاكِه...».

كانتا تتناولان وجبة خفيفة وزجاجة «تشيانتي» في مطعم إيطالي صغير في وقت متأخر ليلاً في ليكورا، وهي منطقة هادئة. تناولت أَوْمَامِه سلطة مع شرائح من التونة النيئة، فيما طلبت أيومي طبق جنوتشي مع صلصة الريحان.

قالت أَوْمَامِه: «نعم».

«لقد أثرت اهتمامي، ولذلك أجريت بعض البحث معتمدة على نفسي. وكلما أطلت البحث، تتعزّز شكوكي. إن ساكي جاكِه يعتبر نفسه ديناً، ولديه اعتماد رسمي، ولكنهم يفتقرون تماماً لأي من مقومات الدين. من ناحية المبادئ، فهو يتبنون نوعاً من التفكيكية أو

شيئاً من هذا القبيل، مجرّد خليط من الصور الدينية التي تمّ جمعها معاً. لقد أضافوا بعضاً من الروحانية العصرية والأمور الأكاديمية الرائجة والعودة إلى الطبيعة ومعاداة الرأسمالية ودراسة القوى الخارقة، وأشياء أخرى، ولكن ذلك هو كل شيء: إنه يضمّ مجموعة من النكهات، ولكن دون جوهر. أو ربما يكون هكذا هو: جوهر هذا الدين هو افتقاره للجوهر. وبلغة مارشال ماكلوهان، فإن 'الوسيلة هي الرسالة'. بعض الناس قد يجدون ذلك جميلاً».

«ماكلوهان؟».

احتجَّت أيومي: «انتبهي، إنني أقرأ كتاباً من حين إلى آخر. لقد كان ماكلوهان سابقاً لعصره وحَظِيَ بشهرة واسعة حيناً من الزمن».

«بعبارة أخرى، فإنّ الشكل نفسه هو المحتوى. أليس كذلك؟».

«بالضبط. إن سمات الشكل هي التي تحدِّد طبيعة المحتوى، وليس العكس».

فكرت أَوْمَامِه في ذلك هنيهة وقالت: «إن جوهر ساكي جاكِه كدين ملتبس، ولكن هذا لا علاقة له بالأسباب التي تقف وراء انجذاب الأشخاص إليه، هل تقصدين ذلك؟».

أومأت أيومي: «لا أقصد أنّ أعداد الذين ينضمون إلى ساكي جاكِه كبيرة، ولكنها دون شك ليست ضئيلة. وكلما زاد عدد هؤلاء، زاد مقدار الأموال التي يجمعونها. هذا ما لا شك فيه. إذاً، إذا سألتني عن السبب الذي يجعل هذا الدين يجذب الكثيرين؟ فالجواب هو، كونه لا يوحي أساساً أنه دين. إنه بالغ الصفاء وعقلاني للغاية، ويبدو متسقاً. وهذا هو السرّ وراء استقطابه للاختصاصيين من الشباب. إنه يستثير فضولهم الفكري. ويوفر لهم إحساساً بالإنجاز لا يمكنهم الحصول عليه في العالم الواقعي - شيئاً ملموساً وشخصياً.

وهؤلاء المؤمنون العقلانيون، مثل نخبة جهاز الضباط، يشكلون العقول الجبارة لدى التنظيم».

تابعت أيومي: «وفوق ذلك، يتمتع زعيمهم بقدر كبير من الكاريزما. ويحبه الناس إلى حدّ العبادة. وتستطيعين القول، إن وجوده هو جوهر العقيدة. الأمر يشبه في بدايته ديناً بدائياً، بل وحتى المسيحية الأولى كانت بدرجة أو بأخرى تشبه ذلك في بدايتها. ولكن هذا الشخص لا يظهر مطلقاً في العلن. ولا أحد يعرف شكله، أو اسمه، أو كم عمره. ويوجد للدين مجلس حُكم يُفترض أنه يدير كل شيء، ولكن هناك شخصاً آخر يترأس المجلس ويتصرف باعتباره الواجهة المعلنة للدين في المناسبات الرسمية، وإن كنت أظنه لا يعدو أن يكون رئيساً شكلياً. أما الشخص الموجود في قلب النظام فيبدو أنه هو ذلك «الزعيم» الغامض».

«يبدو أنه يريد إخفاء هويته».

«حسناً، إما أنّ لديه ما يخفيه أو أنه يحجب وجوده عامداً كي يزيد هالة الغموض المحيطة به».

قالت أَوْمَامِه: «أو أنه بالغ القُبح».

قالت أيومي، وقد زمجرت مثل وحش: «ذلك محتمل، حسب ظني. مخلوق بشع من عالم آخر. ولكن على أية حال، وبعيداً عن المؤسس، فإن هذا الدين يضم أشياء كثيرة تدور في الخفاء. مثل المعاملات العقارية النشطة التي ذكرتها قبل ذلك. كل شيء في الظاهر هو للعرض: البنايات الجميلة والدعاية الراقية، والنظريات الذكية، والنخب الاجتماعية السابقة التي اعتنقت هذا الدين، والممارسات الرواقية والسكينة الروحية المرتبطة بممارسة اليوغا، ونبذ الماديات، والزراعة العضوية، والهواء المنعش والنظام الغذائي القائم على

الأسلوب النباتي الجميل - وجميع ذلك يشبه صوراً مُلتقَطة بعناية، وإعلانات عن منتجعات فاخرة يتمّ وضعها في صحيفة الأحد. يبدو المظهر جميلاً، ولكن يخالجني شعور بأن خططاً مريبة تُحاك خلف الكواليس. وبعضها ربما يكون مخالفاً للقانون. لقد تولَّد لديّ هذا الانطباع بعد اطِّلاعي على بعض المواد».

«ولكن الشرطة لم تتَّخذ أي خطوات حتى الآن».

«ربما يوجد شيء يجري في الخفاء، ولكني لا أعرفه. يبدو أن شرطة ياماناشي تضعهم تحت المراقبة. استشعرت شيئاً من هذا القبيل عندما تحدَّثت مع المسؤول عن التحقيق. أقصد، أن ساكي جاكِه هو الأصل الذي تفرعت عنه أكيبونو، الجماعة التي تورطت في الاشتباك المسلح، وتشير التخمينات إلى أن بنادق الكلاشنكوف صينية الصنع التي بحوزة أكيبونو قد هُرِّبت عبر كوريا الشمالية. لم يستطع أحد فهم ذلك. ما زالت ساكي جاكِه في دائرة الاشتباه، ولكنهم حصلوا على مكانة 'شخصية دينية قانونية'، ولذلك يجب التعامل معهم بحذر. لقد فتشت الشرطة مرافقهم فعلاً ذات مرة، وتبيَّن من ذلك أنه لا توجد صلة مباشرة تقريباً بين ساكي جاكِه وعملية تبادل إطلاق النار. أما إنْ كانت وكالة استخبارات الأمن العام بصدد القيام بتحرك ما، فلا علم لي بذلك. فهؤلاء يعملون في سرية تامة ولا ينسجمون معنا».

«وماذا عن الأطفال الذين انقطعوا عن المدرسة الحكومية؟ هل لديك أي معلومات أخرى بشأنهم؟».

«لا، لا شيء. عندما ينقطعون عن المدرسة، أظنهم لا يعاودون الظهور أبداً خارج أسوار المُجمَّع. لا توجد لدينا أي طريقة لتقصي حقيقة أوضاعهم. سوف يختلف الأمر لو أتيح لنا دليل مادي على استغلال أطفال، ولكن لم يتوفر لدينا أي شيء حتى الآن».

«ألا تحصلون على أي معلومات بشأنهم من هؤلاء الذين يغادرون ساكي جاكِه؟ لا بد أن قلة من الناس على الأقل يستفيقون من وَهْم هذا الدين أو لا يحتملون الانضباط الصارم، ومن ثم ينشقون».

«بالطبع، هناك دخول وخروج دائم - أناس يلتحقون وآخرون يغادرون. وفي الأساس، يتمتع الأشخاص بحرية المغادرة في أي وقت. فحالما يلتحقون، يتبرعون بمبلغ كبير في صورة «رسوم استخدام دائم للمرافق» ويوقعون عقداً ينص على عدم استرداد هذا المبلغ، وطالما كانوا مستعدين للقبول بتلك الخسارة، فإن بوسعهم المغادرة دون شيء سوى ملابسهم التي يرتدونها. وقد حدث أن تركت مجموعة من الشباب الدين، واتهموا ساكي جاكِه بأنه جماعة خطيرة ومعادية للمجتمع وضالعة في عمليات احتيال. وقد رفعوا دعوى قضائية ويصدرون نشرة صحفية، ولكن صوتهم ضعيف وتأثيرهم على الرأي العام شبه معدوم. وساكي جاكِه لديه كتيبة من المحامين البارعين الذين يقدمون معاً دفاعاً لا يُخترَق. ولا يمكن لدعوى قضائية واحدة أن تؤثر فيهم».

«ألم يقدِّم الأعضاء السابقون في التنظيم أي إفادات عن الزعيم أو الأطفال الموجودين بالداخل؟».

قالت أيومي: «لا علم لي. لم يتسنَّ لي قراءة نشرتهم الإخبارية قط. وبحسب معلوماتي، فإن المنشقين جميعاً من ذوي الدرجات الدنيا في التنظيم، أشخاص معدومي الأهمية. إن ساكي جاكِه يضخم مسألة نبذ أفراده لكلّ القيم الدنيوية، ولكن جزءاً من التنظيم خاضع لتراتبية صارمة. ولا يمكن للمرء أن يصبح قيادياً في التنظيم دون الحصول على درجة متقدمة أو مؤهلات مهنية متخصصة. ووحدهم نخبة المؤمنين في قيادات الجماعة يمكنهم رؤية الزعيم أو تلقي

التعليمات مباشرة منه أو الاتصال مع الشخصيات الرئيسة في التنظيم. أما الآخرون جميعهم، فهم يقدمون تبرعاتهم اللازمة ويمضون يوماً عقيماً وراء يوم وهُم يمارسون التقشف الديني في الهواء الطلق، ويكرسون حياتهم لأعمال الزراعة أو يقضون الساعات في حُجرات التأمل. إنهم أشبه بقطيع من الخِراف، يُقاد إلى المرعى تحت عين الراعي الراصدة وكلبه، ثم يتم 'إعادتهم' إلى عنابرهم ليلاً، وتمرّ أيام حياتهم هادئة يوماً وراء يوم. إنهم يتطلعون لذلك اليوم الذي يترقون داخل التنظيم حتى يحظوا بشرف الوقوف بين يدي الأخ الكبير، ولكن ذلك اليوم لا يأتي أبداً. وهذا هو السبب في أن المؤمنين العاديين لا يدرون شيئاً تقريباً عن الآلية الداخلية المعمول بها في التنظيم. وحتى إذا ما غادروا ساكي جاكِه، فإنهم لا يجدون أي معلومات مهمة يمكن تقديمها للعالم الخارجي. فهم حتى لا يرون وجه الزعيم مطلقاً».

«ألا يغادر أعضاء من النخبة؟».

«لا أحد، بقدر معرفتي».

«هل يعني ذلك أنه ليس مسموحاً للمرء بالمغادرة لدى اطِّلاعه على الأسرار؟».

تنهدت أيومي تنهيدة قصيرة وقالت: «ربما تصاحب ذلك بعض التطورات المثيرة إن بلغ الأمر ذلك الحدّ». ثم قالت لأَوْمَامِه: «إذن بخصوص اغتصاب الفتيات الصغيرات الذي ذكرته لي: ما مدى تيقُّنك من ذلك؟».

«متيقنة تماماً، ولكن ليس لدي دليل بعد».

«هل يُمارَس بشكل ممنهج داخل المجمع؟».

«لم يتضح ذلك بعد، لكن لدينا ضحية واحدة بالفعل. لقد التقيتُ الفتاة، وقد أصابها ضرر رهيب».

«هل تقصدين بكلمة اغتصاب إيلاجاً فعلياً؟».

«أجل، لا شك في ذلك».

لوت أيومي شفتيها بزاوية، وراحت تفكر: «فهمت. دعيني أتحرى ذلك بطريقتي الخاصة».

«خذي حذرك، الآن».

قالت أيومي: «لا تقلقي. ربما لا أبدو كذلك، ولكني شديدة الحذر».

انتهيتا من طعامهما، وجاء النادل كي ينظف الطاولة. رفضتا أن تطلبا طبق الحلو، وبدلاً من ذلك، واصلتا الشراب.

قالت أيومي: «هل تذكرين عندما قلت لي إنك لم تتعرضي لتحرش وأنت صغيرة من قبل أي رجل؟».

رمقت أَوْمَامِه أيومي، وسجلت النظرة التي علت وجهها، وأومأت: «أسرتي كانت شديدة التدين. لم يكن مسموحاً بأي حديث عن الجنس، وكان هذا هو حال بقية الأسر التي نعرفها. كان الجنس موضوعاً محظوراً».

«حسناً، أفهم ذلك، ولكن لا علاقة لتدين شخص أو انعدام تدينه بقوة دافعه الجنسي أو ضعفه. الكل يعرف أن رجال الدين تنتابهم نزوات جنسية. وفي الحقيقة نحن نلقي القبض على كثيرين من المحسوبين على الدين - والتعليم - في قضايا مثل الدعارة والتحرش بالنساء في القطارات».

«ربما ذلك، ولكن على الأقل في أوساطنا، لا أثر لذلك الشيء، ولا أحد اقترف شيئاً يجب عليه ألا يفعله».

قالت أيومي: «حسناً. يسعدني سماع ذلك».

«هل كان الأمر مختلفاً معك؟».

بدلاً من الرد على الفور، هزّت أيومي كتفيها هزة خفيفة. ثم قالت: «كي أكون صريحة معك، لقد عبثا بجسدي كثيراً وأنا صغيرة».

«مَن 'هؤلاء'؟».

«أخي. وعمي».

انقبض وجه أَوْمَامِه قليلاً: «أخوك وعمك؟».

«أجل. كلاهما رجلا شرطة الآن. وقد حصل عمي منذ وقت ليس ببعيد على تزكية رسمية كضابط بارز - ثلاثين سنة من الخدمة المتواصلة، وإسهامات جليلة لتحقيق الأمن في الحي وتحسين البيئة. لقد ظهر على صفحات الجرائد ذات مرة عندما أنقذ كلبة بلهاء وجَروها كانا يهيمان عند تقاطع لخطوط السكك الحديد».

«ماذا فعلا بك؟».

«لمسا جسدي من رأسي حتى أخمص قدمي، وجعلاني أقوم بلعق قضيبيهما».

زاد انقباض وجه أَوْمَامِه. «أخوك وعمك؟».

«كل على حدة، بالطبع. أظنّ أني كنت في العاشرة وأخي في الخامسة عشرة. أما عمي فقد فعلها قبل ذلك - مرتين أو ثلاثة، عندما كان يقيم معنا في المنزل».

«هل أخبرت أيّ أحد بذلك؟».

هزت أيومي رأسها هزات قليلة: «لم أتلفّظ بكلمة. حذَّراني إنْ فعلت، وهدداني بالانتقام إن تفوهت بأي شيء. وحتى لو لم يفعلا ذلك، فقد كنت أخشى أن أخبر أحداً، فيكون اللوم والعقاب من نصيبي. تملَّكني ذعر شديد لم أستطع معه إبلاغ أي أحد».

«ولا حتى والدتك؟».

قالت أيومي: «ولا سيما والدتي. أخي هو ولدها المفضل، وكانت دائماً تحدِّثني عن خيبة رجائها فيّ - كنت فتاة مهملة وبدينة، ولا حظّ لي من الجمال، وعلاماتي في المدرسة لم تكن مميزة. كانت تتطلع لابنة من نوع آخر - طفلة صغيرة رشيقة وجميلة تُلحقها بدروس تعلُّم الباليه. كانت كَمَن يطلب المستحيل».

«إذاً لم ترغبي في زيادة خيبة رجائها فيك؟».

«صحيح. كنت واثقة أني إنْ أخبرتها بما يفعله أخي، فسوف يزداد كرهها لي. سوف تُحمِّلني مسؤولية الخطأ بدلاً من لومه على ذلك».

استخدمت أَوْمَامِه أصابعها كي تبسط الانقباضات التي علت وجهها، **أما أنا فقد امتنعت والدتي عن الكلام معي عندما أعلنت في العاشرة من عمري أني سوف أتخلى عن الدين. اعتادت أن تسلمني ملاحظات مكتوبة عندما لا تجد بُداً من إبلاغي شيئاً ما، ولكنها لم تكن تتلفظ معي بكلمة. لم أعد ابنتها. أصبحتُ «الشخص الذي تخلى عن دينه». ولاحقاً، قررت مغادرة المنزل.**

سألت أَوْمَامِه أيومي: «ولكن ألم يحدث معك إيلاج؟».

قالت أيومي: «لا إيلاج. برغم خسَّتهما الشديدة، فإنهما لم يبلغا ذلك الحدّ في إيلامي. وكلاهما لم يكن ليذهب إلى ذلك الحد».

«ألا تزالين تقابلين هذا الأخ وهذا العم؟».

«أصبح ذلك نادراً بعدما حصلت على الوظيفة وغادر عمي المنزل. ولكننا أقارب، على أية حال، ونشتغل بمهنة واحدة. أحياناً لا أستطيع تفادي رؤيتهما، وعندما يحصل ذلك أبتسم لهما ابتسامة عريضة. لا أهوى التسبب في إثارة المشكلات. أراهنك أنهما قد أصبحا لا يذكران شيئاً ممّا جرى».

«لا يذكران؟».

«قطعاً، يستطيعان نسيانه. أما أنا فلا أستطيع مطلقاً».

قالت أَوْمَامِه: «بالطبع لا تستطيعين».

«ما حدث أشبه بمذبحة تاريخية».

«مذبحة؟».

«الأشخاص الذين يقترفون ذلك باستطاعتهم دائماً تبرير ما فعلوه، بل وحتى نسيانه. يمكنهم أن يشيحوا بوجوههم عمّا لا يريدون رؤيته. ولكن الضحايا الذين يظلون على قيد الحياة لن يستطيعوا ذلك أبداً. ليس بوسعهم أن يشيحوا بوجوههم. ذكرياتهم تتناقلها الأجيال. ذلك هو حال العالم: معركة لانهائية بين ذكريات متعارضة».

قالت أَوْمَامِه وقد قطّبت جبينها قليلاً: «صحيح». معركة لانهائية بين ذكريات متعارضة؟

قالت أيومي: «بصراحة، كنت أظنّ أنك تعرضت لتجربة مشابهة».

«لماذا ظننت ذلك؟».

«لا أدري، ولا أستطيع حقاً تفسير ذلك، مجرّد ظنّ. ربما ظننت أنّ الرضا بلقاءات جنسية محمومة لا تدوم سوى ليلة واحدة ومع غرباء هو نتاج لشيء من هذا القبيل. وفي حالتك، أظنني قد لمست داخلك شيئاً من قبيل الغضب، أيضاً. على أية حال، هل تعرفين، إنك لا تبدين كشخص يمكنه أن يؤدي الأشياء العادية: تتخذين صديقاً دائماً وتخرجين في مواعدات غرامية، وتتناولين الطعام ثم تمارسين الجنس بالطريقة المعتادة مع شخص واحد فقط. والشيء ذاته تقريباً معي».

«هل تودين القول إنك لا تستطيعين اتّباع النمط العادي لأن شخصاً ما قد عبث بجسدك وأنت طفلة؟».

قالت أيومي: «ذلك هو شعوري». هزت كتفيها هزة خفيفة: «أصارحك القول، أنا أخشى الرجال. أو، بدلاً من ذلك، أخشى التعلق الشديد برجل معين أو الاعتياد عليه. جسدي يقشعر لمجرد التفكير في ذلك. ولكن الوحدة يصعب احتمالها أحياناً. أريد رجلاً يمسكني ويولج عضوه داخلي. أريد ذلك بشدة ولا أطيق احتماله أحياناً. الأسهل لي ألا أعرف رجلاً على الإطلاق. أسهل بكثير».

«لأنك تخشين الرجال؟».

«أظن ذلك هو السبب الرئيس».

قالت أَوْمَامِه: «لا أظن أني أشعر بأي خوف إزاء الرجال».

«هل ثمة شيء تخافينه؟».

قالت أَوْمَامِه: «بالطبع هناك. ما أخافه أكثر من أي شيء هي نفسي. وألا أعرف ما سوف أفعله. وألا أعرف ما الذي أفعله الآن».

«وماذا تفعلين الآن؟».

حدقت أَوْمَامِه في كوب الشراب الذي بيدها بعض الوقت: «ليتني كنت أعرف». ثم رفعت ناظريها إلى أعلى. «ولكني لا أعرف. لا أستطيع حتى أن أعرف يقيناً أيّ عالم يضمّني الآن، وأيّ سنة أعيش فيها».

«إنها سنة 1984. ونحن في طوكيو، في اليابان».

«ليتني كنت أستطيع أن أعلن ذلك بهذا اليقين».

قالت أيومي مبتسمة: «أمرك غريب. هذه حقائق بديهية. 'الإعلان واليقين' هذه أشياء خارج سياق الموضوع».

«أستطيع أن أشرح لك ذلك شرحاً وافياً، ولكني لا أستطيع القول إنها حقائق بديهية لدي».

قالت أيومي وقد بدا أنها تأثرت بشدّة: «لا تستطيعين؟ لست

أدري تماماً عمّا تتحدثين، ولكني أقول ما يأتي: أياً كان هذا الزمان وهذا المكان، فإن لديك شخص واحد تحبينه بصدق، وهو ما أحسدك عليه. ليس لدي مثل ذلك الشخص».

أعادت أَوْمَامِه كوب الشراب إلى الطاولة وجففت فمها بمنديل. ثم قالت: «ربما تكونين محقة. أياً كان هذا الزمان وهذا المكان، وبغض النظر عن ذلك، فإنني أشتاق لرؤيته. أشتاق لرؤيته وأكاد أموت شوقاً. ذلك هو الشيء الوحيد الذي يبدو لي يقينياً. هذا هو الشيء الوحيد الذي أستطيع الجزم به».

«هل تريدين مني البحث عنه في ملفات الشرطة؟ أعطني بياناته الأساسية، وربما استطعنا أن نتبين أين هو وماذا يفعل».

هزت أَوْمَامِه رأسها: «أرجوك لا تفعلي. أظنّ أني قلت لك ذلك من قبل، سوف ألتقيه في وقت ما، ومكان ما، وبمحض المصادفة. سوف أصبر حتى تحين تلك اللحظة».

قالت أيومي مندهشة: «مثل مسلسل تلفزيوني طويل ورومانسي. أحب مثل هذه الأشياء. أشعر بالقشعريرة بمجرد التفكير فيها».

«إنه أمر صعب على الشخص الذي يكابد ذلك فعلاً».

قالت أيومي وقد ضغطت بخفة على صدغيها: «أعرف ما تقصدين، لكن مع ذلك، ورغم أنك تحبينه كثيراً، فإنك ترغبين في مضاجعة غرباء من حين إلى آخر».

نقرت أَوْمَامِه بأناملها على حافة كوب الشراب الرقيق: «أحتاج ذلك. كي أحفظ توازني كإنسانة من لحم ودم».

«ولا يدمّر الحب الذي بداخلك».

قالت أَوْمَامِه: «إنه أشبه بعجلة الحياة البوذية. عندما تدور العجلة، ترتفع وتنخفض القيم والمشاعر على الحافة الخارجية،

وتشرق أو تغرق في الظلام. ولكن الحب الحقيقي يبقى مثبتاً في المحور ولا يتحرك».

قالت أيومي: «رائع. عجلة الحياة البوذية؟».

ثم ازدردت ما بقي في كوبها كله.

مضى يومان، وبعد الثامنة ليلاً بقليل، تلقت اتصالاً من تامارو. كدأبه، أغفل السلام والتحية ودخل مباشرة في الموضوع.

«هل لديك وقت غداً بعد الظهيرة؟».

«ليس لدي عمل بعد الظهيرة. يمكنني القدوم في أي وقت».

«ماذا عن الرابعة والنصف؟».

قالت أَوْمَامِه إن ذلك مناسباً.

قال تامارو: «حسناً». كان بوسعها أن تسمع صرير قلمه وهو يخط الوقت في روزنامته. كان يضغط على القلم بشدة.

أَوْمَامِه: «كيف حال تسوباسا؟».

«بخير، حسبما أظن. السيدة تذهب إليها كل يوم للعناية بها. ويبدو أن الفتاة قد أحبتها».

«هذه أخبار سارة».

«أجل، إنها أخبار سارة، ولكن ثمة شيء آخر حدث وليس جيداً».

«شيء ليس جيداً؟» كانت أَوْمَامِه تعرف أن تامارو عندما يقول عن شيء إنه «ليس جيداً»، فلا بد أنه مُريع.

قال تامارو: «الكلبة ماتت».

«الكلبة؟ تقصد بان؟».

«أجل، الكلبة الألمانية المرحة التي كانت تحب السبانخ. ماتت ليلة أمس».

صُدمت أَوْمَامِه لدى سماعها الخبر. كانت الكلبة في الخامسة أو السادسة من عمرها، وهو ليس عمراً تموت فيه الكلاب. «كانت في صحة تامة آخر مرة رأيتها».

قال تامارو بصوت رتيب: «لم تمُت من مرض. وجدتُها هذا الصباح ممزقة إرباً إرباً».

«إرباً إرباً؟!».

«وكأنما قد انفجرت. تبعثرت أحشاؤها في أنحاء المكان. كان انفجاراً عنيفاً. اضطررت للَّف في أرجاء المكان كي ألتقط أشلاء من لحمها بمناشف ورقية. تمزَّق جسمها كله من قوة الانفجار. بدا وكأن شخصاً ما قد فجَّر داخل أحشائها قنبلة صغيرة ولكنها شديدة الانفجار».

«كلبة مسكينة!».

قال تامارو: «آه، حسناً، ليس ثمة ما يمكن عمله بشأن الكلبة. ماتت ولن تعود ثانية. أستطيع أن أجد كلبة أخرى للحراسة بدلاً منها. ما يُقلقني، مع ذلك، هو ما حدث. إنه شيء لا يمكن لأي أحد عادي أن يفعله - أن يفجر قنبلة داخل كلبة هكذا. لسبب واحد، أن تلك الكلبة كانت تنبح كالمجنونة إذا ما اقترب منها غريب. ليس ذلك بالشيء الذي يسهل عمله».

قالت أَوْمَامِه بنبرة صوت جافة: «ذلك ما لا شك فيه».

«النساء المقيمات في دار الإيواء يشعرن بذعر شديد. السيدة المسؤولة عن إطعام الكلبة وجدتها كذلك هذا الصباح. تقيأت ثم نادتني. سألتها إن كان قد حدث شيء مريب خلال الليل. فقالت لي،

لم يحدث شيء. لا أحد سمع صوت انفجارات. لو سُمع مثل ذلك الصوت العالي، لأيقظ الجميع حتماً. هؤلاء النسوة يعشن الآن في خوف حتى وإن كان كل شيء على ما يرام. لا بد أنه كان انفجاراً مكتوم الصوت. ولا أحد سمع الكلبة تنبح. كانت ليلة هادئة تماماً، ولكن مع طلوع الصبح، كانت الكلبة قد أصبحت أشلاء. أعضاؤها تناثرت في أنحاء المكان، وغربان المنطقة وقعت على وليمة. من وجهة نظري، الأمر مقلق دون شك».

«هناك شيء غريب يحدث».

قال تامارو: «بكل تأكيد. هناك شيء غريب يحدث. وإذا صدق حدسي، فهذه ليست سوى البداية لشيء ما».

«هل اتصلت بالشرطة؟».

قال تامارو بنخرة صغيرة تنم عن ازدراء: «تباً، لا. الشرطة معدومة الجدوى - إنهم يبحثون في المكان الخطأ عن الشيء الخطأ. لن يُزيدوا الأمر إلّا تعقيداً».

«وماذا تقول السيدة؟».

«لا شيء. أومأت برأسها وحسب عندما قدَّمتُ لها تقريري. التدابير الأمنية كلها في عهدتي، من الألف إلى الياء. إنها مسؤوليتي».

تبع ذلك صمت قصير، صمت ثقيل يتعلق بالمسؤولية.

قالت أَوْمَامِه: «غداً في الرابعة والنصف».

ردَّد تامارو ما قالته: «غداً في الرابعة والنصف». ثم وضع السماعة في هدوء.

الفصل الرابع والعشرون

تنغو
أيُّ جدوى من كونه عالماً لا وجود له هنا؟

ظل المطر يهطل طوال صبيحة الخميس، ليس بغزارة شديدة، ولكنه كان متواصلاً. لم ينقطع منذ ظهيرة اليوم السابق. وكلما بدا أن المطر يوشك أن يتوقف، يعود وينهمر مرة أخرى. انقضى نصف شهر يونيو دون علامة على أنّ موسم الأمطار في سبيله إلى الانتهاء. ظلَّت السماء غائمة، كما لو أنها مغطاة بغطاء، وغمرت العالم رطوبة كثيفة.

قبيل الظهيرة، ارتدى تنغو معطف مطر وقبعة، وهو ينوي الذهاب إلى سوق الحي عندما انتبه إلى وجود مظروف مبطَّن بني اللون في صندوق بريده. لم يكن يحمل أي شعار بريدي أو أختام أو عنوان أو عنوان للإعادة. وجد اسمه مكتوباً بقلم جاف وسط الغلاف الأمامي بأحرف صغيرة وحادة ربما نُقشت بمسمار على صلصال جاف - إنه خط فوكا-إري، دون شك. فضَّ المظروف ليجد شريط كاسيت TDK لا يحمل أيّ كتابات ومدته ستون دقيقة. لم يُرفَق معه خطاب أو ملاحظات. لم يكن موضوعاً في حافظة بلاستيكية، ولم يكن يحمل أي ملصق.

بعد لحظة من الالتباس، قرر تنغو أن ينسى أمر التسوق ويستمع

إلى الشريط. بعدما دلف إلى شقته، أمسك بالشريط في الهواء وهزَّه عدة مرات. برغم كل الغموض الذي اكتنف وصوله، كان جلياً أنه مجرد شريط عادي من الإنتاج الضخم للشرائط. لم يكن به ما يوحي أنه سينفجر بعد الانتهاء من تشغيله.

خلع معطفه، وأحضر مُشغل كاسيت ووضعه على طاولة المطبخ. أخرج الشريط من المظروف المبطَّن وأدخله في المشغل، وبجواره وضع ورقة ملاحظات وقلماً جافاً تحسباً لأن يحتاج إلى تدوين بعض الملاحظات. بعدما تلفّت حواليه كي يتأكد من عدم وجود أحد سواه، ضغط على زر «التشغيل».

في البدء لم يُسمَع أي صوت. استمر ذلك حيناً. ولم يكد يداخله الشك بأنه شريط فارغ، حتى بدأ يسمع أصوات احتكاك تشبه صوت كرسي يُحرَّك. ثم سمع تنظيفاً خفيفاً لحنجرة (على ما يبدو). ودون مقدمات، بدأت فوكا-إري في الكلام. قالت «تنغو»، وكأنها تختبر الصوت. وبقدر ما تسعفه به ذاكرته، فربما هذه هي المرة الأولى التي تنادِه فعلاً باسمه. نظَّفت حنجرتها ثانية. بدت قلقة.

يجب أن أكتب لك خطاباً، ولكني لا أجيد ذلك، ولذلك سوف أسجل لك شريطاً. الحديث هكذا أسهل عندي من الحديث عبر الهاتف. ربما يوجد من يتسمَّع عبر الهاتف. انتظر، أحتاج بعض الماء.

سمع تنغو ما حسبه أصواتاً تصدر عن فوكا-إري وهي تمسك كوب ماء، ثم تشرب، وتعيد وضع الكوب على الطاولة. خلال التسجيل، بدا أسلوبها غير المنبور في الكلام الذي يفتقر إلى علامات الاستفهام أو إلى أي علامات ترقيم أخرى أغرب ممّا يكون عليه

خلال الحوار. يكاد يكون غير حقيقي. لكنها خلال التسجيل، تستطيع، خلافاً للمحادثة، أن تنطق بعدة جمل متتاليات.

سمعت أنك لا تعرف مكاني. لعلك قلق. ولكن لا ينبغي لك أن تقلق. هذا المكان ليس خطراً. كنت أودّ أن أخبرك بذلك. لا ينبغي لي حقاً أن أفعل ذلك، ولكن خامرني شعور بأنّ عليّ عمل ذلك.

(مرت عشر ثوان من الصمت.)

طلبوا مني ألّا أخبر أيّ أحد. بشأن وجودي هنا. لقد تقدّم البروفيسور ببلاغ للشرطة كي يبحثوا عني. ولكنهم لا يفعلون أي شيء. هروب الأطفال لا يتوقف. ولذلك سوف أمكث هنا حيناً.

(خمس عشرة ثانية من الصمت.)

أنا في مكان ناءٍ. لا أحد سوف يعثر عليَّ إذا لم أخرج أنا بنفسي. مكان ناء للغاية. أزامي سوف تحضر لك هذا الشريط. الأفضل ألّا ترسله عبر البريد. توخَّ الحذر. لحظة، سوف أتأكد أنه يسجِّل.

(طقة. فاصل فارغ. ثم طقة أخرى.)

حسناً، إنه يسجل.

يُسمع أطفال يتصايحون من بعيد. أصوات موسيقى خافتة. كانت آتية في الغالب عبر نافذة مفتوحة. ربما توجد بالقرب روضة أطفال.

أشكرك على استضافتي تلك الليلة. كنت بحاجة إلى ذلك. كنت بحاجة أيضاً إلى معرفتك. أشكرك على قراءتك

الكتاب لي. شعرت بقُربي من الجيلياك. لماذا يسير الجيلياك عبر مستنقعات الغابة وليس عبر الطرق الفسيحة.

(أضاف تنغو سراً علامة استفهام في نهاية السؤال.)

حتى إن كانت الطرق ملائمة، فالأسهل لدى الجيلياك هو النأي عن الطرقات والسير عبر دروب الغابة. إذا ساروا عبر الطرقات، فسوف يتعين عليهم تغيير الطريقة التي يسيرون بها تغييراً تاماً. وإذا غيَّروا طريقة سيرهم، فسوف يضطرون لتغيير أشياء أخرى. لا أستطيع العيش كما يعيش الجيلياك. فأنا لا أطيق أن أجد الرجال يضربونني طوال الوقت. ولا أطيق أن أعيش ومن حولي أكوام من الديدان - يا للقذارة! ولكني لا أحبّ السير عبر طرقات فسيحة أيضاً. أحتاج إلى المزيد من الماء.

أخذت فوكا-إري تشرب مرة أخرى. وبعد صمت قصير، سُمع صوت إعادة كوبها إلى الطاولة. ثم تلا ذلك فاصل مسحت خلاله شفتيها بأناملها. ألا تعرف هذه الفتاة أنّ مسجلات الكاسيت بها زر للإيقاف المؤقت؟

أظنّ أن ذهابي ربما يسبب لك بعض المتاعب. ولكني لا أريد أن أصبح روائية، ولا أعتزم كتابة أي شيء آخر. طلبت من أزامي أن تبحث لي عن بعض الأشياء التي تخصّ الجيلياك. توجهتُ إلى المكتبة. الجيلياك يعيشون في سخالين وهم يشبهون «الآينو» و«الهنود الأميركيين»: إنهم لا يكتبون. ولا يتركون وراءهم مدونات. وأنا أيضاً مثلهم. بمجرد أن تُدوَّن، فإن القصة تصبح ليست لي بأيّ حال. لقد

أبليت بلاء حسناً في كتابتك لقصتي. لا أظنّ أن أحداً سواك كان بوسعه ذلك. ولكنها لم تعُد قصتي بأيّ حال. ولكن لا تقلق. الخطأ ليس خطأك. أنا أسير في مكان بعيد عن الطريق.

توقفت فوكا-إري هنا مرة أخرى. تخيّلها تنغو وهي تمشي بخطى متثاقلة في صمت، وحيدة، على جانب بعيداً عن الطريق.

البروفيسور يتمتع بسطوة كبيرة وحكمة بالغة. ولكن الناس الصغار لا يقلون عنه حكمة وسطوة. الأفضل أن تتوخى الحذر في الغابة. الغابة تضمّ أشياء مهمة، والناس الصغار موجودون في الغابة أيضاً. وكي تضمن ألا يؤذيك الناس الصغار، يجب أن تعثر على شيء لا يوجد لدى الناس الصغار. إذا فعلت ذلك، فيمكنك اجتياز الغابة بأمان.

بعدما استطاعت أن تتلفظ بكل ذلك دفعة واحدة، توقفت فوكا-إري كي تأخذ نفساً عميقاً. فعلت ذلك دون أن تبعد وجهها عن الميكروفون، ومن ثم سجلت ما بدا وكأنه هبة ريح قوية تهب عبر البنايات. عندما سكنت الريح، جاء الصوت العميق أشبه بصفارات الضباب لشاحنة كبيرة يضرب قائدها على آلة التنبيه. سُمع صوت انفجارين قصيرين. يبدو أن فوكا-إري في مكان لا يبعد كثيراً عن طريق سريع رئيس.

(تنظيف حنجرة.) صوتي أصبح مبحوحاً. أشكرك على قلقك عليَّ. أشكرك على إعجابك بشكل نهديّ واستضافتي في شقتك وإعارة بيجامتك لي. ربما لن نستطيع الالتقاء حيناً

من الزمن. ربما جُن جنون الناس الصغار لأن أحداً قد كتب عنهم، لكن لا داعيَ للقلق. فأنا معتادة على الغابة. إلى اللقاء.

سُمع صوت طقة، ثم انتهى التسجيل.

أوقف تنغو الشريط وأعادة تشغيله من البداية. بينما كان يستمع إلى المطر يتساقط من الأفاريز، أخذ عدة أنفاس وراح يعبث بالقلم الجاف بين أصابعه. ثم وضع القلم. لم يدون ملحوظة واحدة. اكتفى بالإنصات منبهراً بأسلوب فوكا-إري السردي الرائع. دون أن يدون أي ملاحظات، أدرك أن هناك ثلاث نقاط رئيسة في رسالتها:

1) إنها لم تُختطف، ولكنها في مخبأ مؤقت. لا داعيَ للقلق بشأنها.
2) لم يكن لديها نية لنشر أي كتب إضافية. قصتها كان مقدَّراً لها أن يتمَّ تناقلها شفهياً، وليس عبر الكتابة.
3) الناس الصغار يمتلكون حكمة وسطوة لا تقلّ عمّا يمتكله البروفيسور إبيسونو. ينبغي لتنغو أن يتوخى الحذر.

تلك هي النقاط التي أرادت إيصالها. تحدَّثت أيضاً عن الجيلياك، هؤلاء الناس الذين ينأون عن الطرقات السالكة عندما يسيرون. مضى تنغو إلى المطبخ وأعدَّ لنفسه بعض القهوة. وبينما كان يحتسي القهوة، راحِ يحدق في شريط الكاسيت. وبعدئذٍ استمع إليه مرة أخرى من البداية. في هذه المرة، زيادة في التأكيد، راح يضغط على زر الإيقاف من حين إلى آخر كي يدوِّن ملاحظات قصيرة. ثم

استعرض الملاحظات التي دوّنها. لم يفضِ ذلك إلى اكتشاف جديد.

أتكون فوكا-إري قد أعدت ملاحظات بسيطة أولاً ثم تحدّثت عنها وهي تسجِّل؟ لا يكاد تنغو يصدق أنها فعلت ذلك. ليست من النمط الذي يقوم بذلك. لا شك أنها قد عبَّرت عن أفكارها مباشرة أمام المسجل (دون أن تضغط حتى على زر الإيقاف).

تُرى أي مكان ذلك الذي توجد فيه؟ لم يجد سوى بضع إشارات في الأصوات المصاحِبَة لتسجيلها. صوت بعيد لباب يُصفع. صياح أطفال يبدو آتياً عبر نافذة مفتوحة. قد تكون روضة أطفال؟ بوق شاحنة؟ من الجلي أنها لا توجد في أدغال غابة وإنما في مكان ما من المدينة. وقت التسجيل غالباً هو آخر ساعات الصباح أو أول الظهيرة. ربما يشير صوت الباب إلى أنها لم تكن بمفردها.

هناك شيء واضح: فوكا-إري قررت الاختباء بإرادتها. لا أحد أرغمها على تسجيل الشريط: كان ذلك واضحاً من نبرة صوتها وطريقتها في الكلام. اعترى صوتها بعض التوتر الملحوظ في البداية، لكن عدا ذلك، بدا أنها عبَّرت بحرية عن أفكارها عبر ميكروفون التسجيل.

البروفيسور يتمتع بسطوة كبيرة وحكمة بالغة. ولكن الناس الصغار لا يقلون عنه حكمة وسطوة. الأفضل أن تكون حذراً في الغابة. توجد أشياء مهمة في الغابة، والناس الصغار موجودون في الغابة أيضاً. وكي تضمن ألا يؤذيك الناس الصغار، فعليك أن تعثر على شيء لا يوجد لدى الناس الصغار. إذا فعلت ذلك، فيمكنك اجتياز الغابة بأمان.

أعاد تنغو تشغيل ذلك الجزء مرة أخرى. سردت فوكا-إري هذا القسم بوتيرة أسرع من الأقسام الأخرى. فواصِلُ الجمل كانت أقصر قليلاً. الناس الصغار هي كائنات لديها القدرة على إيذاء كل من تنغو والبروفيسور إبيسونو، ولكنه لا يستطيع أن يستشف في نبرة صوت فوكا-إري ما يوحي بأنها صوَّرتهم كأشرار. قياساً على الطريقة التي تتحدث بها عنهم، فقد بدوا مثل كائنات محايدة بوسعها أن تسلك أياً من الطريقين. داخلت تنغو الشكوك حول فقرة أخرى.

ربما جُن جنون الناس الصغار لأن أحداً قد كتب عنهم.

لو أن الغضب قد استبد فعلاً بالناس الصغار، فمنطقيٌّ أن يصبح تنغو هدفاً لانتقامهم. فهو أحد المسؤولين مسؤولية مباشرة عن الكتابة عنهم. حتى إنْ كان له أن يرجو عفوهم باعتباره قد أدى ذلك دون سوء نية، فلا يُحتمل أن يُصغوا إليه.

أيّ نوع من الأذى كان الناس الصغار يُلحقونه بالآخرين؟ ليس مُتوَقَعاً أن يعرف تنغو الجواب. أرجع الشريط مرة أخرى، وأعاده إلى المظروف، ثم وضعه في الجارور. بعدما ارتدى معطفه واعتمر قبعته مرة أخرى، قصد السوق مرة أخرى تحت المطر المنهمر.

هاتَفَه كوماتسو بعد التاسعة تلك الليلة. مرة أخرى، أدرك تنغو أنه كوماتسو قبل رفعه سماعة الهاتف. كان في فراشه يقرأ. ترك الهاتف يرن ثلاث مرات، ثم سحب نفسه من فراشه، وجلس أمام طاولة المطبخ كي يردّ على الاتصال.

قال كوماتسو: «مرحباً، يا تنغو. هل أنت ثمل؟».

«لا، لست ثملاً».

قال كوماتسو: «ربما تجد رغبة في بعض الشراب بعد هذه المكالمة».

«لا بد أنها بشأن أمر مبهج».

«أشك في ذلك. لا أظنه مبهجاً إلى ذلك الحدّ، لكن مع ذلك، ربما ينطوي على قدر ممّا يسمى المفارقة المضحكة».

«مثل القصص القصيرة لدى تشيخوف».

قال كوماتسو: «بالضبط. مثل قصة قصيرة لدى تشيخوف. تعبير دقيق! عباراتك دائماً موجزة وفي الصميم، يا تنغو».

بقي تنغو صامتاً. تابع كوماتسو.

«الأمور أخذت منعطفاً مزعجاً نوعاً ما. والشرطة استجابت لبلاغ البروفيسور إبيسونو بالبحث رسمياً عن فوكا-إري. لكني لا أظنهم سوف يجرون عملية بحث شامل عنها فعلاً، لا سيما وأن أحداً لم يطلب فدية أو شيئاً من هذا القبيل. ربما يتظاهرون بأنهم يبحثون عنها كي يتفادوا الإحراج في حال أصابها مكروه. عدا ذلك، فسوف يبدون وكأنهم يقفون يتفرجون، لكن وسائل الإعلام لن تمرّ على الموضوع مرور الكرام. لقد تلقيت بالفعل استفسارات عديدة من الصحافة. بالطبع، تظاهرتُ أني لا أعرف شيئاً. أقصد، أنه ليس لديّ ما أقوله في هذه اللحظة. لعلّهم تبينوا الآن العلاقة التي تربط بين فوكا-إري والبروفيسور إبيسونو، بالإضافة إلى الخلفية الثورية لوالديها. سوف تظهر كثير من تلك الحقائق. المشكلة تكمن في المجلات الأسبوعية. صحافيوها أو أياً كانت تسميتك لهم سوف يتحلقون مثل أسماك القرش التي تشم الدماء. إنهم جميعاً يجيدون ما يؤدون، وبمجرد أن يتعلقوا في شيء، لا يدعونه يفلت. عيشهم يعتمد على ذلك، رغم أي

شيء. لا يدعون أشياء مثل الذوق وخصوصيات الأشخاص تقف في طريقهم. لعلهم «كتّاب» مثلك، يا تنغو، ولكنهم من سلالة مغايرة، فهم لا يعيشون في برجك العاجي الأدبي».

«إذن، أظن أنه يجدر بي أن أتوخى الحذر أنا أيضاً».

«حتماً. كن مستعداً لحماية نفسك. لا أحد يستطيع التنبؤ بما سيكتشفون».

تخيل تنغو قارباً صغيراً تحوطه أسماك القرش: «يجب عليك أن تجد شيئاً ليس لدى الناس الصغار»، هذا هو ما قالته فوكا-إري. ترى ما نوعية ذلك «الشيء»؟

قال تنغو: «ولكن أليست تلك هي الوجهة التي رسمها البروفيسور إبيسونو من البداية؟».

قال كوماتسو: «ربما. وربما يتبين أنه كان يستخدمنا بذكاء. ولكننا كنا نعرف الهدف الذي يرمي إليه من البداية. لم يُخفِ عنا مخطَّطه. بذلك المعنى، فقد كانت عملية عادلة. كان بوسعنا أن نقول: 'عذراً، يا بروفيسور، هذا أمر بالغ الخطورة، لا يمكننا المشاركة فيه'. ذلك هو ما كان سيفعله أي محرر عادي. ولكن مثلما تعلم يا تنغو، فأنا لست محرراً عادياً. وفوق ذلك، الأشياء كانت تمضي قُدماً عندئذٍ، وكان هناك القليل من الطمع من جانبي، أيضاً. لعلّ ذلك هو السبب الذي جعلني أتخلى عن حذري بعض الشيء».

ساد صمت عبر الهاتف - صمت قصير ولكنه ثقيل.

تحدث تنغو أولاً: «بعبارة أخرى، فإن خطّتك قد اختُطِفت تقريباً من قبل البروفيسور إبيسونو».

«أظن أن بوسعك قول ذلك. في نهاية الأمر، خطته تفوقت على خطتي».

قال تنغو: «هل تظن أن البروفيسور إبيسونو سوف يستطيع توجيه الأشياء نحو الوجهة التي رسمها؟».

«حسناً، قطعاً هو يظنّ أنه يستطيع. إنه يعرف كيف يقرأ الموقف، ويمتلك قدراً كبيراً من الثقة في الذات. ربما تسير الأمور حسبما خطَّط. ولكن إذا بلغ اللغط حداً تجاوز معه حتى توقعات البروفيسور إبيسونو، فربما لن يستطيع أن يتحكم في النتيجة. هناك حدّ لما يستطيع المرء عمله، بمن في ذلك هؤلاء الأشخاص الأفذاذ. ولذلك الأجدر بك أن تشدّ حزام مقعدك!».

«وحتى شد حزام المقعد بأقصى درجة لن يفيد في حال تحطمت طائرتك».

«لا، ولكن على الأقل يُشعرك بأنك أفضل حالاً».

لم يستطع تنغو أن يتجنب الابتسام - حتى وإن كانت ابتسامة واهية. «أذلك هو الهدف من تلك المكالمة - الشيء الذي ربما لا يكون مبهجاً ولكنه ينطوي على قدر من المفارقة المضحكة؟».

قال كوماتسو بصوت رتيب: «أصارحك القول، إنني أشعر بالأسف على إشراكك في هذا الأمر».

«لا تقلق بشأني. ليس لدي ما أخسره - لا أسرة، ولا مكانة اجتماعية، ولا مستقبل يُذكر. ما أنا قلق بشأنه هي فوكا-إري. إنها فتاة لم تتجاوز السابعة عشرة».

«وذلك يقلقني أيضاً بالطبع. لا يمكن ألّا يُقلقني ذلك. ولكن حتى إذا قدحنا زناد أفكارنا هنا، فلن نغير أي شيء لها. حتى الآن، دعنا نفكر وحسب في كيف يمكننا التشبث بمكان ما حتى لا تجرفنا العاصفة. يجدر بنا أن نتابع الصحف من كثب».

«لقد كنت حريصاً على متابعة الصحف يومياً».

قال كوماتسو: «حسناً. ذكرتني أن أسألك، هل لديك أدنى فكرة عن أين يمكن أن تكون فوكا-إري؟ ألم يخطر ببالك شيء؟».

قال تنغو: «إطلاقاً». لم يكن يُجيد الكذب. وكان كوماتسو لديه حساسية غريبة إزاء تلك الأشياء. ولكن لا يبدو أنه لاحظ تلك الارتعاشة البسيطة في صوت تنغو. ربما كانت رأسه متخمة بالأفكار في تلك اللحظة.

قال كوماتسو وهو ينهي المكالمة: «سوف أتصل بك إذا ما ظهر أي جديد».

كان أول شيء فعله تنغو بعدما وضع السماعة هو أن صبَّ لنفسه بعض الويسكي الأميركي في كوب. كوماتسو كان محقاً: فقد وجد رغبة في بعض الشراب.

يوم الجمعة، جاءت صديقة تنغو في زيارتها المعتادة. كان المطر قد توقف، ولكن الغيوم الرمادية ظلت تكسو السماء. تناولا وجبة خفيفة ثم انتقلا إلى الفراش. حتى خلال الجنس، ظلت الأفكار تراود تنغو، ولكن ذلك لم يؤثر في إحساسه باللذة الجسدية. كدأبها دائماً، كانت تدخر داخلها رغبة تعادل أسبوعاً وتعنى بها عناية كبيرة. شعرت بإشباع تام هي الأخرى، مثل محاسب موهوب يجد لذة عميقة في التلاعب بالأرقام في دفتر الحسابات، لكن بدا مع ذلك أنها لاحظت أن شيئاً آخر يشغل بال تنغو.

قالت: «ممم، يبدو أن مستويات الويسكي لديك آخذة في الانخفاض». وضعت يدها اليسرى على صدر تنغو الممتلئ، وهي تستمتع بمذاق ما بعد الجنس. كانت تضع في إصبعها الثالث خاتم زواج صغير ولكنه من الألماس اللامع. أشارت إلى زجاجة «وايلد

تيركي» التي ظلت على الرف لشهور. كما هو دأب النساء الأكبر سناً اللائي يقمن علاقات جنسية مع شباب يصغرنهن، كان بوسعها أن تدرك سريعاً أي تغيرات في المكان مهما صغرت.

قال تنغو: «لقد سهرتُ حتى وقت متأخر ليلة أمس».

«لستَ في حالة حب، أليس كذلك؟».

هزّ تنغو رأسه: «بلى، لستُ في حالة حب».

«إذاً، كتاباتك لا تسير على ما يرام؟».

«بلى، إنها تسير على ما يرام - لكن إلى أين، لا أدري».

«ولكن يوجد شيء يضايقك».

«كل ما هنالك هو أني لا أنام جيداً. وهو شيء نادر الحدوث معي. فقد كنت دائماً ثقيل النوم».

قالت وهي تدلِّك خصيتيه بكفّها الذي لا تضع فيه الخاتم: «مسكين يا تنغو! هل تأتيك كوابيس؟».

قال تنغو، صادقاً: «إنني لا أرى أحلاماً تقريباً».

«أما أنا فأحلم كثيراً. بعض الأحلام تتكرر المرة تلو المرة - إلى حدّ أنني أتنبه أثناء الحلم، 'آه، لقد رأيت ذلك الحلم من قبل'. شيء غريب، أليس كذلك؟».

«ما نوع أحلامك؟ حدثيني عن أحدها».

«حسناً، يتراءى لي حلم يحدث داخل كوخ في غابة».

قال تنغو: «كوخ في غابة». تذكَّر هؤلاء الموجودين في الغابات: الجيلياك والناس الصغار وفوكا-إري. «ما هو نوع الكوخ؟».

«هل تريد حقاً أن تعرف؟ ألا تملّ أحلام الآخرين؟».

قال تنغو صادقاً: «لا، مطلقاً. أخبريني، إذا لم يكن لديك مانع».

«أسير وحدي في الغابة - ليست تلك الغابة الكثيفة المخيفة التي ضاع فيها هانسل وجريتل، ولكنها غابة أكثر سطوعاً، ومن نوع بسيط وأقل كثافة. كان الجو لطيفاً ودافئاً وقت الظهيرة، وواصلت سيري لا يشغلني أي شيء في العالم. وفجأة وجدتُ أمامي منزلاً صغيراً. كان له مدخنة وسقيفة وستائر قطنية مقلَّمة تم إسدالها على النوافذ. يبدو منظراً مريحاً للأعين. طرقتُ الباب وقلت، 'مرحباً.' لم يأتني جواب. حاولت الطرق مرة أخرى وبدرجة أقوى قليلاً فانفتح الباب من نفسه. لم يكن مغلقاً تماماً. دلفتُ وأنا أصيح: 'مرحباً! هل من أحد بالداخل؟ أنا آتية!'».

نظرت إلى تنغو، وهي تدلِّك له خصيتيه بلطف: «هل أُشبعت الآن؟».

«من المؤكد، نعم».

«كان كوخاً يتكون من غرفة واحدة. بنِيَ بشكل بسيط للغاية. يضم مطبخاً صغيراً وأسرَّة ومكاناً لتناول الطعام. يتوسطه موقد خشبي، ووُضع بشكل أنيق عشاء لأربعة أشخاص. البخار يتصاعد من الأطباق. ولكن لا أحد بالداخل. يبدو وكأنهم كانوا على وشك البدء في تناول الطعام عندما دهمهم حدث غريب - مثل، وحش أو شيء من هذا القبيل، ممّا جعل الجميع يلوذون بالفرار. ولكن المقاعد بقيت على ترتيبها. كل شيء يبدو هادئاً وعادياً على نحو غريب تقريباً. كل ما هنالك هو أن المكان خالياً من أي أحد».

«ما نوع الطعام الموضوع على الطاولة؟».

اضطرت للتفكير في ذلك برهة، وقد مالت برأسها جانباً: «لا يحضرني ذلك. سؤال وجيه: ما نوع الطعام؟ أظن أن المشكلة ليست

هي ماذا يأكلون بقدر ما هي كون الطعام لا يزال ساخناً وطازجاً. إذاً على أية حال، فقد جلستُ على أحد المقاعد وانتظرت عودة الأسرة التي تسكن المكان. هذا هو ما ينبغي لي عمله: انتظارهم حتى عودتهم إلى المنزل. لا أدري لما ينبغي لي ذلك. أعني، إنه حلم، ولا يمكن تفسير كل شيء تفسيراً قاطعاً. ربما أريد منهم أن يدلوني على طريق العودة إلى منزلي، أو ربما يتعين علي الحصول على شيء ما: ذلك الشيء. ولذلك أكتفي بالجلوس هناك، في انتظار عودتهم إلى البيت، ولكن مهما يطول انتظاري، لا أحد يأتي. لا يزال البخار يتصاعد من الطعام. أنظر إلى الطعام الساخن فينتابني جوعٌ شديد. ولكن رغم أني أكاد أتضور جوعاً، فليس لي الحق في أن أقرب الطعام الموضوع على الطاولة من دونهم. سيكون طبيعياً أن أظن ذلك، ألا تعتقد ذلك؟».

قال تنغو: «حتماً، ربما أعتقد ذلك. بالطبع، إنه حلم، ولذلك لا أستطيع أن أتيقن مما أعتقده».

«ولكن سرعان ما غابت الشمس. سادت العتمة داخل الكوخ. وأصبحت الغابة المحيطة أكثر ظلمة. أريد أن أضيء المصباح، ولكن لا أدري كيف. بدأتُ أشعر بالقلق. ثم وفي لحظة ما، أدركتُ أمراً غريباً: مقدار البخار المتصاعد من الطعام لم يتناقص على الإطلاق. انقضت ساعات، ولا يزال الطعام ساخناً وطازجاً. وعندئذٍ بدأتُ أعتقد أن شيئاً غريباً يحدث. هناك خلل ما. وهنا انتهى الحلم».

«ألا تدرين ماذا حدث بعد ذلك؟».

قالت: «أنا واثقة أن شيئاً ما قد حدث عقب ذلك. فقد غابت الشمس ولم أكن أدري كيف أعود إلى البيت، وكنت وحيدة تماماً في هذا الكوخ الغريب. هناك شيء يوشك أن يحدث - ويخالجني شعور

بأنه لن يكون ساراً. ولكن الحلم دائماً ينتهي عند هذه النقطة، وهذا الحلم نفسه يتكرر معي المرة تلو المرة».

توقفت عن تدليك خصيتيه وضغطت بوجنتها على صدره، وقالت: «لعلّ حلمي يوحي بشيء ما».

«مثل ماذا؟».

لم تجب عن سؤال تنغو. وبدلاً عن ذلك، سألت سؤالها: «هل تودّ أن تعرف ما هو الجزء الأكثر ترويعاً في الحلم؟».

«نعم، أخبريني».

أطلقَت نفساً طويلاً هزَّ حلمة تنغو مثل رياح حارة تهبّ عبر جدول ضيق: «ذلك عندما رأيتني وحشاً. لقد خطر لي ذلك مرة واحدة. ألم يترك هؤلاء الناس عشاءهم ويفرون من المنزل لأنهم رأوني أقترب منهم؟ ولم يكن بوسعهم العودة وأنا هناك. رغم ذلك، كان عليّ أن ألزم الكوخ، في انتظار عودتهم إلى بيتهم. والتفكير في ذلك هو ما يخيفني كثيراً. يبدو أمراً بائساً، ألا تظن ذلك؟».

قال تنغو: «أو غير ذلك، ربما يكون ذلك هو بيتك، وذاتك هي التي لاذت بالفرار وأنت تنتظرين عودتها».

بعد أن خرجت الكلمات من بين شفتيه، أدرك تنغو أنه ما كان ينبغي له التلفظ بذلك. ولكن كان الأوان قد فات. لاذت بالصمت مدة طويلة، ثم اعتصرت خصيتيه بشدة - بشدة بالغة جعلته يكاد يختنق.

«كيف لك أن تقول ذلك الشيء الفظيع؟».

استطاع تنغو أن يتأوه: «لم أكن أقصد أي شيء. لقد خطر لي وحسب».

خففت من قبضتها الممسكة بخصيتيه وأطلقت زفرة. ثم قالت: «والآن، قُصّ عليّ حلماً من أحلامك، يا تنغو».

قال وقد عاد للتنفس بشكل طبيعي: «كما قلت من قبل، فأنا لا أحلم تقريباً. وخصوصاً هذه الأيام».

«لا بد أنك قد رأيت بعض الأحلام. كل إنسان في العالم يحلم إلى حدٍّ ما. سوف يستاء السيد فرويد إذا قلت إنك لا تحلم مطلقاً».

«ربما أحلم، ولكني لا أتذكر أحلامي بعد الاستيقاظ. ربما يتبقى لدي إحساس عالق بأني كنت أحلم، ولكني لا أستطيع مطلقاً أن أتذكر عمّا كان يدور الحلم».

دسّت راحة يدها المفتوحة تحت قضيب تنغو المرتخي، وهي تتحسس بعناية وزنه، كما لو أن الوزن سوف ينبؤها بشيء مهم: «حسناً، دعْك من الأحلام. حدثني عن الرواية التي تكتبها بدلاً عن ذلك».

«أُفضِّل ألا أتحدث عن عمل أدبي وهو لا يزال قيد الكتابة».

«مهلاً، لا أطلب منك أن تخبرني بكل التفاصيل من البداية إلى النهاية. لا أطلب ذلك. أعرف أنك شاب أكثر حساسية ممّا يوحي به بنيانك القوي. حدثني ولو عن شيء يسير - جزء من الأجواء، أو مشهد غير مهم، أو أي شيء. أريدك أن تخبرني بشيء لا أحد سواي في العالم يعرفه - كي تعوِّض ذلك الشيء الفظيع الذي قلته لي. هل تفهم قصدي؟».

قال تنغو وهو غير متأكد: «أظنني أفهم».

«حسناً، ابدأ!».

بينما لا يزال قضيبه ساكناً فوق راحة يدها، بدأ تنغو يتكلم: «القصة تتمحور حولي أنا - أو حول شخص يشبهني».

قالت: «أنا واثقة من ذلك. هل أنا أيضاً مذكورة فيها؟».

«لا، ليس لك ذكر فيها. إنني أعيش في عالم لا وجود له هنا».

«إذن أنا لست في العالم الذي لا وجود له هنا».

«ولست وحدك في ذلك. فالأشخاص الموجودون في هذا العالم ليسوا موجودين في العالم الذي لا وجود له هنا».

«وكيف يختلف العالم الذي لا وجود له هنا عن عالمنا هذا؟ هل تستطيع أن تخبرني في أي عالم تعيش الآن؟».

«بالطبع أستطيع. فأنا مَن يكتب الرواية».

«ما أقصده، بالنسبة إلى سواك من الناس. مثلاً، إذا تصادف أني تجولت في ذلك العالم الآن، هل أستطيع أن أعرف ذلك؟».

قال تنغو: «أعتقد أنك تستطيعين. على سبيل المثال، في العالم الذي لا وجود له هنا، يوجد قمران. ولذلك تستطيعين اكتشاف الفرق».

استقى تنغو أجواء العالم الذي يضمّ قمرين من «الشرنقة الهوائية». كان تنغو بصدد كتابة قصة أطول وأكثر تعقيداً عن ذلك العالم - وعن نفسه. ربما يتبين لاحقاً أنّ ثمة مشكلة في تطابق الأجواء في كلا العالمين، ولكن تستحوذ عليه رغبة عارمة في الوقت الحالي في كتابة قصة حول عالم يوجد به قمران. وأيّ مشكلات تبرز لاحقاً سيكون بوسعه التعاطي معها في وقتها.

قالت: «بعبارة أخرى، إذا حلَّ الليل ونظرت إلى السماء، فوجدت قمرين في الأعلى، فيمكنك أن تقول، «الآن فهمت! هذا هو العالم الذي لا وجود له هنا!»».

«صحيح، تلك هي العلامة».

سألته: «هل يتقاطع القمران معاً أو شيئاً من هذا القبيل؟».

هز تنغو رأسه: «لا أدري لماذا، ولكن المسافة الفاصلة بين القمرين هي دائماً كما هي».

انصرف ذهن صديقته للتفكير في هذا العالم حيناً. كان إصبعها يرسم شكلاً بيانياً على صدر تنغو العاري.

سألته: «هل تعرف الفرق بين الكلمتين الإنجليزيتين lunatic وinsane؟».

«كلتاهما صفتان تصفان اضطراباً ذهنياً. لا أعرف بالضبط ما وجه الاختلاف بينهما».

«كلمة insane تعني على الأرجح أن يكون لدى الشخص مشكلة ذهنية فطرية، شيء يستدعي علاجاً من قبل الاختصاصيين، بينما lunatic تعني أن يستحوذ luna (وهي تعني القمر باللاتينية) على عقلك مؤقتاً. وفي إنجلترا خلال القرن التاسع عشر، إذا كنت مجنوناً رسمياً وارتكبت جريمة، فإن جسامة الجريمة تُخفَّف درجة. والفكرة هي أن الجريمة لم تكن مسؤولية الشخص نفسه بقدر ما أن ضوء القمر قد أزاغ عينيه. صدِّق أو لا تصدق، لقد وُجدت بالفعل مثل هذه القوانين. بعبارة أخرى، فإن حقيقة أن القمر قد يدفع الناس إلى الجنون كانت أمراً يقرّه القانون فعلاً».

سألها تنغو وهو مندهش: «كيف تعرفين مثل هذه المعلومات؟».

«ينبغي ألّا تدهش من ذلك كثيراً. فقد عشتُ في هذا العالم أطول ممّا عشت بعشر سنين، ولذلك ينبغي أن أعرف أكثر منك بكثير».

كان على تنغو أن يُقر بأنها على صواب.

«في الواقع، لقد عرفت ذلك خلال دراستي للأدب الإنجليزي في جامعة البنات اليابانية، في محاضرة عن ديكنز. كان لدينا بروفيسور غريب الأطوار. لم يكن يتحدث عن القصة نفسها مطلقاً وإنما يتطرق

إلى شتى أنواع الموضوعات الأخرى. ولكن كلّ ما أردتُ قوله هو أنّ القمر يمكنه أن يصيب الناس بالجنون، ولذلك إذا كان لديك قمران في السماء، فربما يجعلهم ذلك أكثر جنوناً. سوف يختل المدّ والجزر، ويزداد عدد النساء اللائي يعانين اضطراباً في الدورات الشهرية. أراهن أن ذلك سوف يفتح الباب لكل الغرائب».

قال تنغو بعد أن فكر في ذلك لبرهة: «ربما تكونين على صواب».

«هل ذلك هو ما يحدث في العالم الذي تكتب عنه؟ هل يصاب الناس بالجنون كثيراً؟».

«لا، لا تقريباً. إنهم يؤدون الأشياء ذاتها تقريباً التي نؤديها في هذا العالم».

اعتصرت قضيب تنغو بلطف: «إذاً في العالم الذي لا وجود له هنا، يؤدي الناس الأشياء ذاتها تقريباً التي نؤديها نحن في هذا العالم. إذا كان ذلك هو الحال، فأي جدوى من كونه عالماً لا وجود له هنا؟».

قال تنغو: «الجدوى من كونه عالماً لا وجود له هنا هي في القدرة على إعادة كتابة أحداث الماضي في ذلك العالم الموجود هنا».

«إذن، تستطيع إعادة كتابة الماضي بأي طريقة تريد، وبعدد المرات الذي تريد».

«ذلك صحيح».

«هل تريد إعادة كتابة الماضي؟».

«ألا تريدين إعادة كتابة الماضي؟».

هزت رأسها: «ليس لديّ ذرة من الرغبة في إعادة كتابة الماضي

أو التاريخ أو أياً ما كان اسمه. ما أود إعادة كتابته هو الحاضر، الموجود هنا والآن».

«ولكن إذا قمت بإعادة كتابة الماضي، فإن الحاضر سوف يتغير هو الآخر دون شك. إن الاسم الذي نطلقه على الحاضر يتبلور بفعل تراكم الماضي».

أطلقت زفرة أخرى من أعماقها. ثم وكأنها تختبر تشغيل مصعد، رفعت ثم خفضت يدها التي تسكن فوقها قضيب تنغو: «أستطيع أن أقول شيئاً واحداً. لقد اعتدتَ أن تكون طفلاً عبقرياً في الرياضيات وأنت أيضاً حاصل على حزام في الجودو، بل وحتى تكتب رواية طويلة. ورغم كل ذلك، فإنك لا تفهم أي شيء على الإطلاق عن هذا العالم. ولا شيئاً واحداً».

لم يشعر تنغو بالصدمة من هذا الحكم الجارف. في هذه الأيام، أصبح انعدام فهمه لأي شيء هو تقريباً السمة الطبيعية للأشياء من حوله. لم يكن ذلك اكتشافاً جديداً.

قالت صديقته التي تكبره سناً، وقد استدارت كي تضغط بصدرها على صدره: «لكن لا يهم، حتى إذا لم تكن تفقَه أيّ شيء. فأنت معلم رياضيات حالمٌ يواصل كتابة روايته الطويلة يوماً وراء يوم، وأنا أريدك أن تبقى كما أنت. إنني أحب قضيبك الرائع - شكله وحجمه وملمسه. أحبه وهو صلب وأحبه وهو مرتخي، وعندما تكون مريضاً وعندما تكون سليماً. وفي الوقت الحالي، على الأقل، هو ملك لي أنا. إنه ملكي، أليس كذلك؟».

طمأنها تنغو: «ذلك صحيح».

«لقد أخبرتك أنني شديدة الغيرة، أليس كذلك؟».

«قطعاً أخبرتني - غيورة إلى حدّ الجنون».

«كل الجنون. لقد كنت على ذلك الحال منذ سنوات طويلة».

بدأت تحرك أصابعها ببطء في ثلاثة أبعاد. «سوف أجعله ينتصب مرة أخرى الآن. ليس لديك مانع، أليس كذلك؟».

قال تنغو إنه لا يمانع.

«فيمَ تفكر الآن؟».

«فيك وأنت طالبة، تستمعين إلى محاضرة في جامعة البنات اليابانية».

«كانت الرواية هي مارتن تشازلويت. وكنت في الثامنة عشرة وأرتدي ثوباً جميلاً به ثنيات. كانت تسريحة شعري هي ذيل حصان. كنت طالبة في غاية الجدية، ولا أزال عذراء. أشعر وكأني أتحدث عن شيء من حياة سابقة. على أية حال، فإن الفرق بين lunatic وinsane كان هو أول معلومة اكتسبتها في الجامعة. ما رأيك؟ هل يثيرك أن تتخيل ذلك؟».

قال وقد أغمض عينيه، وراح يتخيل ثوبها ذا الثنيات وتسريحة ذيل الحصان. «بالطبع، يثيرني». طالبة غاية في الجدية، وعذراء. ولكنها غيورة حد الجنون. القمر يضيء لندن في أيام ديكنز. والمجاذيب يجوبون لندن. يرتدون قبعات متشابهة ولديهم لحى متشابهة. كيف كان يتسنى تمييز أحدهم عن الآخر؟ بعينين مغمضتين، لم يكن بوسع تنغو أن يعرف يقيناً إلى أي عالم ينتمي الآن.

هاروكي موراكامي

1Q84

قمران... عالَمان... فتاة... فتى... قصة حب...

أجواء من السحر والفانتازيا، ورحلة لاكتشاف الذات، وقصة وجودين متوازيين، وعالم خيالي يضاهي عالم جورج أورويل... إن 1Q84 لهاروكي موراكامي هي حتى الآن روايته الأعلى طموحاً، رواية عميقة الأثر، آسرة وممتعة إلى أقصى الحدود.

إنها عملٌ فذ وتحفة فنية وتجربة مفعمة بالذكاء والإثارة والتشويق، حيث أحدثت ضجة كبيرة في اليابان لدى نشرها، ونفدت طبعتها الأولى في يوم واحد، فيما بِيع منها مليون نسخة في شهرها الأول.



«إذا كانت هذه الرواية أشبه ببيت المرح، فإنه ذلك المرح الموغل في الجدية، والذي عندما تدخله تجازف بما لديك من قَنَاعات».

مجلة نيوزويك

«رواية عظيمة تحقق الوظيفة الرئيسة للأدب: وهي إعادة رسم العالم وصياغته عبر الخيال... وفي صميم عالم 1Q84 يكمن سؤال الحب، وكيف نجده وكيف نمسك به».

جريدة لوس أنجلس تايمز

«آومامه وتنغو يسيران بعضهما نحو بعض وكأنهما غواصان يشقان طريقيهما نحو سطح الماء. عندما انتهيتُ من قراءة 1Q84 شعرت كما لو أني، أنا الآخر، كنت أصعد نحو السطح؛ وحتى بعد أيام من قراءتها، ظل العالم لا يبدو لي مثلما كان عليه».

مجلة ذي كريستيان ساينس مونيتر



المركز الثقافي العربي

الدار البيضاء: ص. ب. 4006 (سيدنا)
بيروت: ص. ب. 113/5158
markaz.casablanca@gmail.com
cca_casa_bey@yahoo.com



ISBN 978-9953-68-787-2
9 789953 687872